تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

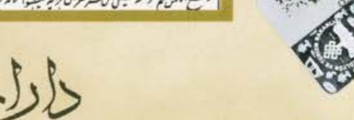
تحقيق
احمد وانلي اوغلي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

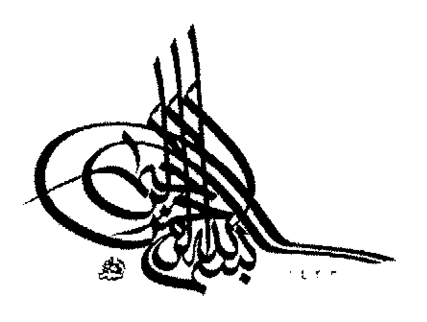
الجزء الاول

الفاتحة - البقرة





دار الميزان



ISBN 975-9048-00-0

الكتابة والتنسيق
علي حيدر أولوصوي

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

إستانبول ٢٠٠٥



لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
احمد وانلي اوغلي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي

الجزء الاول
الفاتحة - البقرة

إستانبول ٢٠٠٥

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

فهرس محتويات الكتاب

تأويلات القرآن

الفهارس

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ك: نسخة كوبريلي - مكتبة كوبريلي، تحت رقم ٤٧، ٤٨.

ن: نسخة نور عثمانية - مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ع: نسخة عاطف أفندي - مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.

م: نسخة مهرشاه - مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ١٧٦.

شرح *تأويلات القرآن*: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية - مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ك هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة كوبريلي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

- : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.



تقديم

أحمد الله تعالى وأُثني عليه الخير كله. وأصلي وأسلم على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين، وأتضرع إلى الله العلي القدير أن يَمنّ على إنسان بلدنا والمجتمعات الإسلامية كلِّها بالأمن واليمن والرفاه، وعلى أبناء آدم كلها بالهداية والرخاء.

أما بعد، فالهدف الرئيسي لوقفنا الذي تم الفراغ من أعمال تأسيسه مع مطلع العام الميلادي ١٩٩٥ هو تحقيق المشاريع التعليمية والتربوية على جميع المستويات، وإجراء بحوث ودراسات في ميادين العلم والثقافة. وقد نصت الفقرة (ب) من المادة السابعة الواردة في صك التأسيس للوقف تحت عنوان «أهداف الوقف» نصت على إجراء بحوث عن آراء وآثار علماء المسلمين، وفي مقدمتهم الإمامان الجليلان أبو حنيفة وأبو منصور الماتريدي رحمهما الله تعالى. وخلال ما يقرب من ثماني سنوات خلت كنا نتابع برامجنا التعليمية والتربوية من جهة، ونشغل بالنا بالأبحاث العلمية والموضوعات النشرية، والعثور على ذوي الاختصاص في هذه المجالات من جهة أخرى، حتى هداني الله العليم الخبير إلى الأستاذ الدكتور بكر طوبال أوغلي الذي كان بيننا منذ عهد التعليم الجامعي أواصرُ الأخوة والمودة الصادقة، وسبق أن قمنا معا ببعض النشاطات الدينية. فعرض الأستاذ الفاضل عليّ وبالوسيلة على الوقف الذي أرأسه القيام بتحقيق علمي للكتاب القيم *تأويلات القرآن* للإمام الماتريدي رحمه الله. فاضطرني الشعور النابع من أعماق نفسي إلى الاستجابة لطلبه. كما أن المذاكرات التي أجريتها مع منتسبي الوقف تمخضت عن صدور قرار بتنفيذ المشروع وفق الفقرة (جـ) من المادة السابعة المذكورة آنفا، وهي تنص على إعطاء الأولية والأولوية للبحث عن الأسس الاعتقادية والعملية لأهل السنة، والحث والتحضيض على العمل فيها، وطبع ما يستحق نشره من هذه الإنجازات.

ونحن مدركون تمام الإدراك خطورة هذه المهمة التي توليناها وصعوبتها، وما يكتنفها من تعب وعرق جبين، بجانب ما لها من قيمة وأهمية كبيرة، حيث إنها رغم بعض الجهود المبذولة في سبيل إنجازها ظلت مهملة منذ أحد عشر قرنا حتى يومنا هذا. ونحن على يقين من أن إنجازها لا يتم إلا ببذل جهد طويل، والتحلي بالصبر والجلادة والحرص الشديد.

هذا، وقد سبق أن طبعنا فيما قبل كتاب *آيات وسور من تأويلات القرآن* الذي يحتوي على تحقيق لبعض الأجزاء من *تأويلات القرآن*، وهي سورة الفاتحة، وآية الكرسي، وآيتان من آخِر سورة البقرة، وأربع آيات من آخر سورة الحشر، وقصار السور العشر ابتداءً من سورة الفيل إلى آخر القرآن، كما أضفنا إليها ترجمة بكر طوبال أوغلي لها إلى اللغة التركية باسم (*Te'vîlâtü'l-Kur'an'dan Tercümeler*)، ثم نشرناهما معًا في كتاب واحد (إستانبول ٢٠٠٣). ونحن الآن بفضل الله وكرمه بدأنا بطبع المجلد الأول من كتاب *تأويلات القرآن* بإشراف ومراقبة بكر طوبال أوغلي، وسنستمر بإذن الله تعالى بنشر المجلدات الباقية، ويحتمل أن يكون مجموعها ثمانية عشر مجلدًا بالفهارس.

هذا ونحن كمنتسبي "وقف الإمام أبي حنيفة والإمام الماتريدي للبحوث" نرى أن ترجمة *تأويلات القرآن* إلى لغتنا التركية عن طريق لجان خاصة يتم تشكيلها في أقرب وقتٍ ممكنٍ أمرٌ مفيد، بل هو ضروري، ولا نشك في أن علماءنا الأفاضل وقراءنا الكرام يشاركوننا في الرأي في ذلك. وبالإضافة إلى ذلك نرى ضرورة قيام الوقف بنشر ما لعلماء الحنفية والماتريدية وفي مقدمتهم إماما هذين المذهبين من مخطوطات قيمة وما أجرى عليها من أبحاث في مجالات التفسير وأصوله، والفقه وأصوله، والكلام وغير ذلك.

ولا يخفى على أحد أن تحقيق هذه المشاريع منوط بكوادر علمية ذات دراية وخبرة، وخبراء كومبيوتر، وإمكانات مادية ضخمة. ولا يعترينا أي شك في أننا كأبناء أمة عريقة أنجزت خلال تاريخها المديد انتصارات رائعة للإسلام والإنسانية قادرون على القيام بهذه المهمة المشرّفة الملقاةِ على عواتقنا.

وكل عمل يراد به وجه الله لا بد أن يكون ناجحا بعونه وكرمه تعالى، إن كان لا ينقصه الإخلاص والعزم والجهد الدائم الدائب.

أحمد وانلي أوغلي
رئيس وقف الإمام أبي حنيفة
والإمام الماتريدي
للبحوث

تصدير

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وسبحان الذي يسّر قراءته وتأويله، فجعله منبع الخير للسعادة الدنيوية والحياة السرمدية لأهل الإيمان وأصحاب الرويّة. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء الذي بلّغ هذا الكتاب المبين وفسّره وطبّق أحكامه؛ وعلى آله وصحبه ومَن سلك هديه إلى يوم الدين وطريقه.

لقد أنعم الله تعالى برحمته ومغفرته الواسعتين على خلقه، وحبا الإنسان الذي خلقه كأكرم موجود في هذا العالم، حباه العقل والإدراك، وأنعم عليه بحياة القلب والوجدان، ومنحه حرية التفكير وحرية اتخاذ القرار وكذا حرية القيام بالأفعال؛ وبناء على هذا جعله مسئولا عن تصرفاته الإرادية. كما أنه سبحانه، ونتيجة للطفه وكرمه الواسع، وظّف رسلا وأنبياء، وأرسل بواسطتهم تعاليمه حتى يهدوا نوع البشر لطريق السعادة.

وقد تجددت التعاليم الإلهية عبر التاريخ البشري على هيئة صحف وكتب صغيرة وكبيرة، وأخيرا اتخذت شكلها النهائي بالقرآن الكريم. وبذلك وصل الدين الإلهي إلى شكله الأخير بالإسلام.

والقرآن الكريم يفيد بأن الرسالة التي تلقاها خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم هي الدين الحق، وأن هذا الدين أي الإسلام سيكون له الهيمنة والمنزلة الحاكمة على جميع الأديان الأخرى.[1] ويبين القرآن كذلك أن المنتسبين إلى الإسلام هم أمة وسط، عدل، ليست بالغالية ولا المقصرة،[2] كما أنهم خير أمة أخرجت لخير البشرية على مسرح التاريخ.[3]

ولدى الاطلاع الدقيق من وجهة النظر التاريخي والاجتماعي نرى المجتمع البشري في مطلع القرن السابع الميلادي تتقسمه أديان مختلفة في مختلف البلدان. وفي هذا الوقت

---

[1] انظر: سورة الفتح، ٤٨/٢٨.

[2] سورة البقرة، ٢/١٤٣.

[3] سورة آل عمران، ٣/١١٠.

نفسه نرى محمدًا الأمين الذي لا يمتلك في نفسه قوة اقتصادية أو عسكرية أو سياسية، ولا نظامًا إداريًا يسنده؛ ولا يجد له نصيرًا سوى زوجته خديجة، وخادمه زيد بن ثابت، وابن عمه علي بن أبي طالب وهو في سن الطفولة، وصاحبه المخلص أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين. ورغم ذلك فهذا الشاب القريشي الأمين قد رفع صوته عاليًا معلنًا نبوته أمام العالَم أجمع، فاستطاع لمدة عشرين عامًا أن يجمع حوله وحول رسالته الخالدة شبه الجزيرة العربية كلها، كما نجح في إيصال دعوته ورسالته إلى سائر القارّات المعروفة في حينه. ولمدة قصيرة أصبحت الدعوة الإسلامية قد وصلت إلى معتنقيها، فاحتوت ربع سكان العالم، وحفظت على هذا القدر في موقعها العالمي حتى اليوم.

وقد أصبح العالَم الإسلامي بالتالي مكوَّنًا من مجتمعات بشرية وشعوب مختلفة قد خلفت من ورائها لغات وأديانًا وثقافات متعددة ومتباينة؛ لذلك ظهرت في ساحة الفكر الإسلامي بالمجتمع وجهات نظر مختلفة ومتباينة. وهذه الظاهرة تعتبر ظاهرة طبيعية في الأديان كلها؛ لذلك نراها في الدين الإسلامي، خصوصًا فيما يتعلق بأسس العقيدة ومسائل المعاملات التي تتعلق بالعبادات والعلاقات القائمة بين الأفراد؛ فهي بالتالي كانت سببًا رئيسيًا لظهور مذاهب اعتقادية وفقهية في ساحة الفكر الإسلامي. ومما لا شك فيه أن الاختلاف في الأصول التي تعتبر أسس العقيدة في الإسلام قد يؤدي إلى خارج دائرة الإسلام، فينتج نتيجة مؤلمة نحو الردة أو الزندقة. غير أن الاختلاف أو الاجتهاد في المسائل الفقهية وفروعها قد يؤدي بالمرء إلى الخطأ فقط، دون الخروج عن دائرة الدين الحنيف. وينبغي أن نلاحظ أن هناك آراء تنكر الأدلة القطعية أحيانًا، أو تهمل الأحكام الثابتة بالنص أو الإجماع، وبالتالي ترفع حكمًا دينيًا يعتبر من أساسيات الدين، فهذه الآراء أيضًا تقع في الخطأ الذي قد يؤدي بالمرء إلى خارج دائرة الإسلام. ورغم ذلك كله، فإن المذاهب الخارجة عن الإسلام ومنتسبيهم لم يصل مقدارهم إلى أكثر من الواحد بالمائة من مسلمي العالَم؛ فهذه خاصية الدين الإسلامي ولا تجدها في الديانات الأخرى وعالَمهم.

وقد ظهر في مطلع القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) الإمام أبو حنيفة رحمه الله (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م)، ومعه طلابه وأصحابه في الفكر، والذين بدأت بهم الحركة الفكرية فيما يتعلق بأصول الدين (العقيدة – الكلام) وفيما يخص الأحكام والمعاملات (الفقه – الأخلاق)، فكانت دراساتهم مثمرة في ميادين العقيدة والفقه حيث ظهرت لهم مؤلفات عديدة على مسرح

ساحة الفكر الإسلامي. هذا، وقد ألف الإمام أبو حنيفة البعض من تلك الكتب، والباقي كانت برواية طلابه. ثم بعد ذلك ظهر الإمام أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م) عصرًا كاملاً أو أكثر بعد وفاة الإمام أبي حنيفة الذي يعتبر شيخ الماتريدي ضمن سلسلة شيوخه الذين عاصروه أو أخذوا عنه. لقد وُلد أبو منصور الماتريدي في بلد بعيد عن مركز العالَم الإسلامي، أعني بلاد ما وراء النهر، واستطاع بجانب مؤلفاته في الكلام وأصول الفقه أن يقدم مؤلفاته في ساحة التفسير أيضًا. وإذا كان الإمام أبو حنيفة هو المؤسس لمذهبه الفقهي المسمى باسمه، فالإمام أبو منصور الماتريدي قد أصبح هو المؤسس لمذهبه الكلامي المسمى بالماتريدية. ومن المعروف أن من اعتنق المذهب الحنفي في المسائل الفقهية، فهو في الوقت نفسه قد تبنى المذهب الماتريدي في العقيدة وأصولها. ومن الملاحظ أن هؤلاء الذين تبنوا المذهب الحنفي - الماتريدي فهم يشكلون أكثر من نصف سكان العالَم الإسلامي في الوقت الحالي.

ومن المعروف أن العلوم الإسلامية غنية بمصادرها الأصلية ومراجعها العلمية. غير أن ما ألفه أبو منصور الماتريدي من *كتاب التوحيد* في علم الكلام و*تأويلات القرآن* في التفسير، نستطيع أن نعتبرهما بلا شك من أهم المؤلفات علميًا وأكبرها حجمًا وُجدت ضمن التراث الإسلامي الذي ظهر في العصور المبكرة في هذين العلمين. كما نرى أن الرسائل أو الكتب التي ألفها أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) نفسه، والتي انتقلت إلى يومنا هذا، نجدها قد تصل إلى نصف *كتاب التوحيد* لأبي منصور الماتريدي حجمًا وعلميًا. وكذلك نجد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) قد كتب تفسيره القيم والمسمى *جامع البيان*، وهو تفسير بالرواية. غير أن *تأويلات القرآن* للماتريدي فهو تفسير يقوم على أسلوب تفسير الآية بالآية؛ إذ أسلوبه تحليلي يعطي مكانة هامة للبحوث اللغوية و المقايسات العلمية، وينبّه إلى عناصر سيكولوجية واجتماعية، فيقدم العقيدة السنية ويدافع عن الفقه الحنفي، كما يقدم مناقشات علمية تهدف سالكي الأديان والمذاهب أصحاب الآراء المخالفة. ويمتاز تفسيره بين التفاسير المعاصرة والتي كُتبت من بعدها خاصةً في طريقة التفكير والتقدم للمسائل بأسلوب منطقي وعلمي. هذا، وإن كان كتاب *تأويلات القرآن* أول تفسير بالدراية في تراثنا الإسلامي، فنستطيع أن نجد فيه موضوعات غير قليلة تعطى فيها الاهتمام بالرواية من حيث القبول والرد؛ غير أنه لا نجد فيه السند كما هو في تفسير الطبري. وكثيرًا ما نجد في تفسيره لا يذكر اسم القائل لبعض الآراء التي ذكرها، فيستخدم المجاهيل نحو «قيل»، و«يحتمل» والخ.

ومما لا شك فيه، فإن الماتريدي قد تأثر به فيما بعده كثير من مصنفي التفسير والفقه والكلام. والتأكد من تأثر هؤلاء بأبي منصور ومكانته العالية في العلوم الإسلامية سوف يتحقق عن طريق تحقيق ونشر مؤلفاته ومؤلفات طلابه الذين أخذوا عنه. وبهذه الطريقة فقط سوف تكون الدراسات العلمية حول هذه المدرسة وتراثها قد تتبنى على أسس علمية متينة.

ويسرُّنا القول بأن بعض الدراسات العلمية حول أبي منصور ومذهبه الماتريدي قد بدأت في الآونة الأخيرة تزداد في تركيا وفي بعض الدول الإسلامية وخاصة في العالَم الغربي، فأصبح الباحثون والعلماء فرحين بكشف ميدان علمي كان قد أُهمل من قِبل الباحثين من قبلُ وتُرك على أرفف المكتبات. والواقع أن كل مَن ينتسب إلى الخط الحنفي - الماتريدي من المجتمعات في المذهب فعليهم الاهتمام البالغ بهذا الموضوع بالذات؛ فعلى رأسهم هو الشعب التركي وكل الشعوب الذين عاشوا عبر قرون مضت تحت ظل ثقافة الدولة العثمانية والذين رتبوا واعتنقوا آراءهم الدينية فيها. غير أن نظام الإدارة في الدولة العثمانية وإن كان قد اهتم بالفقه الحنفي في ميادين التطبيق في الحياة اليومية والمعاملات في النظام الإداري، إلا أن الدولة نفسها كانت لها سياسة إمبراطورية دون إيديولوجيتها الفلسفية، فلم تعط اهتمامًا للمسائل العقائدية التي تعتبر أسس الدين الإسلامي بشرط أن تكون بعيدة عن الفكرة الشيعية التي امتازت ببعض آرائها السياسية.

إن أول تحقيق علمي لنشر *تأويلات القرآن* قد كان من قِبل أستاذين مصريين، وهما إبراهيم محمد عوضين وسيد محمد عوضين؛ وهذه الدراسة تحتوي على تحقيق تفسير الجزء الأول من القرآن الكريم، وطُبع ضمن منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م). وفي إستانبول، قد قام الأستاذ/ محمد أَرأوغلي بتحقيق لسورتي الفاتحة والبقرة كاملةً، وذلك لنيل درجة «عضوية هيئة التدريس بالمعهد الإسلامي العالي في إستانبول»؛ فهي في الواقع تعتبر دراسة بمثابة رسالة للدكتوراه (إستانبول ١٩٧١م؛ جامعة مرمرة، مكتبة كلية الإلهيات، رقم ٤٨٨). وكذلك هناك دراسة أخرى قد قام بها مستفيض الرحمن بتحقيق سورتي الفاتحة والبقرة، والتي لا نستطيع أن نقول إنها كانت دراسة ناجحة (بغداد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م). وقد قرر مركز البحوث الإسلامية لوقف ديانة تركيا تحقيق *تأويلات القرآن* ونشره نشرا علميا واستأنف العمل لذلك، إلا أنه في مستهل عام ٢٠٠١م قرر المركز المذكور إيقاف عمليات تحقيق ونشر الكتاب.

وقد أشرت في مقدمة ترجمة *كتاب التوحيد*[1] إلى أن التحقيق والنشر العلمي لمؤلفات أبي منصور الماتريدي يعتبر في أعماق قلبي «رغبة لا تُعارَض». لذلك بدأت أن أبحث عن حلول أخرى لنشر *تأويلات القرآن*. وأخيرًا التقيت بصديقي القديم الشيخ/ أحمد وانلي أوغلي، فرأيت أنه وأصحابه وتلاميذه قد أسسوا «وقف الإمام أبي حنيفة والإمام الماتريدي للبحوث»، فطلبت منهم العون في ذلك. وإنه ليسرني أن أشير إلى أن الوقف هذا والمسؤلين فيه رأيت فيهم الإخلاص والنية الصادقة، كما شاهدت فيهم التجربة الكافية للدراسات العلمية والكوادر اللازمة في تكنولوجيا المحاسب الآلي (الكومبيوتر) لتحقق النشر العلمي لهذا التفسير. فبالتالي قد وصلنا بهم إلى القرار الذي بموجبه أمكن تحقيق وطبع هذا التفسير.

* * *

لقد تبنى الإمام أبو منصور الماتريدي آراء أبي حنيفة العقائدية والفقهية، فأصبح بالتالي طالبًا من طلابه، كما استطاع أن يكون هو المؤسس لعلم الكلام السني في الوسط الماتريدي. فهو بالتالي قد استطاع أن يضع الأصول في آرائه الكلامية في *تأويلات القرآن*، بجانب *كتاب التوحيد* له أيضًا، فأصبح كلا الكتابين من المصادر الأصلية التي بني عليهما المنهج والمسلك في معالجة المسائل الكلامية، وهما في الوقت نفسه قد أصبحا أنموذجًا لِما أتى بعده من مؤلفات كلامية في الوسط الماتريدي والأشعري معًا.

وقد استطاع الإسلام الذي يعتبر حلقة أخيرة للدين الإلهي الحق أن يحافظ على وضعه الأساسي، فقُرئ القرآن الكريم على لسان ملايين من المسلمين أثناء العبادات، كما حُفظ في صدور كثير من المسلمين، وكُتب وطُبع مرات لا يُذكر عددها بالضبط. كما نشاهد أن الإسلام في أصوله الفقهية والكلامية يحتوي على مذاهب غير قليلة، وذلك مثل ما كانت الحال في الأديان الأخرى؛ غير أن تلك المذاهب في الإسلام، تسعة وتسعون بالمائة منها، لم تخرج عن دائرة الدين الحنيف. فالحنفية – الماتريدية كانت مذهب أجدادنا الذين لعبوا الدور الرئيسي في الدفاع عن أصول المذهب. إن *كتاب التوحيد* الذي يعتبر مصدرًا رئيسيًا للمذهب الحنفي – الماتريدي قد حققته وجهّزته للطبع مع الدكتور محمد آروتشي، ثم ترجمته إلى اللغة التركية.

---

[1] أنقرة ٢٠٠٢، ص م ١٢.

وأما *تأويلات القرآن*، رغم المحاولات العديدة عبر سنوات متواصلة، فلم يتحقق طبعها.[1]

والجزء الأول من *تأويلات القرآن*، فهو بداية مشرقة لرغبتنا بالوفاء بالعهد الديني والعلمي والقومي نحو تراثنا القديم. وقد نشرنا قبله كتابًا يحتوي على سورة الفاتحة من *تأويلات القرآن*، كما يحتوي على آية الكرسي، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة (٢/٢٨٥-٢٨٦)، والآيات الأربع الأخيرة لسورة الحشر (٥٩/٢١-٢٤)، وقصار السور ابتداءً من سورة الفيل إلى سورة الناس بنصها العربي محققًا، وترجمتها إلى التركية.[2] وأعتقد شخصيًا بأن كتب التراث التي أُلِفت في دائرة الإمكانيات الثقافية والاحتياجات الاجتماعية المتعلقة بالعصور القديمة، يعتبر بلا شك كتبًا تخاطب العلماء المعاصرين لها، وهي بالتالي كتب لها أهميتها في ميادين تاريخ العلوم؛ لذلك لا ننتظر من ترجمة مثل هذا التراث إلى اللغة التركية نتيجة علمية ملموسة. غير أن كتاب *تأويلات القرآن* ليس كتلك الكتب، لأن الماتريدي في تفسيره هذا لا يعطى أهمية للمسائل التي لا تخدم فهم الكلام الإلهي وما فيه من الأحكام، مثل المعلومات النحوية والتفسيرات الخارجة عن صلب الموضوع، كما لا يهتم بالإسرائيليات على الإطلاق. ومن الجدير بالذكر أن ترجمة *تأويلات القران* في صعوبتها تقرب بالتالي من صعوبة تثبيت نصها العربي وتحقيقها العلمي. ورغم ذلك، أعتقد أن بلادنا لها كوادر علمية تستطيع أن تنجح في هذا المشروع بنجاح بارز.

وفي أيامنا هذه التي يقدَّم فيها المجلد الأول من *تأويلات القرآن* إلى عالم العلم والمعرفة، فقد بلغ مجموع أعمال التحقيق العلمي لهذا الكتاب إلى أكثر من سبع مجلدات. ومن الواضح أن هذا الكتاب سيبلغ إلى ثمانية عشر مجلدًا. وبعد المواصلة في طبع بعض المجلدات من الكتاب سوف يعطى لنا إمكانية تشكيل لجان خاصة لترجمته إلى اللغة التركية.

---

[1] وقد شاهدنا أثناء تجهيز المجلد الأول للطبع أن كتاب *تأويلات القرآن* قد طبع بالكامل في خمسة مجلدات باسم *تأويلات أهل السنة* بتحقيق فاطمة يوسف الخيمي (مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). ولدى الاطلاع على الكتاب رأينا أن المحققة أثناء تحقيقها للكتاب قد اعتمدت على نسختين خطيتين ونسخة لشرح علاء الدين السمرقندي. فلاحظنا أن الكتاب المذكور ينقصه الآتي: الاهتمام المطلوب في التحقيق العلمي للنص بالنسخ العديدة للكتاب غير كاف، والاستعانة بشرح علاء الدين السمرقندي للكتاب ليست في المستوى المطلوب لتثبيت النص وفهمه الصحيح، والمنهج العلمي المطلوب أثناء النشرات العلمية في تحقيق النصوص غير مُتَّبع، والفهارس وسائر الدراسات الواردة في هذه العملية غير موجودة.

[2] *آيات وسور من تأويلات القرآن*، إستانبول ٢٠٠٣.

فأعتقد أن نجاح هذا المشروع الصعب تحققُه من قِبل الباحثين والإمكانيات المادية والإدارية، سوف يكون تحققُه قبل كل شيء باللطف الإلهي وكرمه، وبهمة العلماء والباحثين، ثم التأييد الكامل لعملنا هذا من قِبل شعبنا المسلم.

والتوفيق كله من عند الله، ورضاه سبحانه فوق كل شيء.

أوسكودار/إستانبول

١٤٢٥ **الأستاذ الدكتور/ بكر طوپال أوغلي**

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين. والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن نعم الله تعالى على الإنسان كثيرة لا تعد ولا تحصى. ولا شك أن نعمة الإسلام التي تحقق سعادة البشرية في الدنيا والآخرة هي أجل هذه النعم. والمسلمون منذ عهد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام قد تلقوا الإسلام على أنه أمانة إلهية، فآمنوا ورضوا بها وعاشوا على نهجها كما عملوا أيضا على نشرها ليعيش الناس على هداها. وذلك من تجليات الحقيقة التي أفادها الحق جل وعلا في قوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (سورة آل عمران ٣/١١٥).

لا شك أننا جميعا محاسبون أمام الأمة الإسلامية ثم أمام الله تعالى على ما نملك من الإمكانات والقدرات الشخصية. وإن من أهم الخدمات لدين الإسلام هو الاهتمام بالعلم. ومن المقطوع به أن المصدر الأساسي للعلوم الدينية جميعا هو الوحي الإلهي الأخير، القرآن الكريم. وقد بدأ تفسير القرآن الكريم بالنبي عليه الصلاة والسلام، ثم تبعه من بعده الصحابة والتابعون ومن اقتفى أثرهم من العلماء.

ويحتل تفسير الإمام أبي منصور الماتريدي المسمى بـ*تأويلات القرآن* موقعا فريدا بين الكتب المؤلفة في هذا المجال. لاسيما وأن الماتريدي قد اتبع أثر الإمام الأعظم أبي حنيفة الذي هو إمام الفقهاء -حيث قال عنه الإمام الشافعي: الناس عيال أبي حنيفة في الفقه- وعمل على شرح ونشر آرائه في العقائد والفقه. وقد أظهر الماتريدي حصيلته العلمية الواسعة في تفسير *تأويلات القرآن* الذي قضى وقتا طويلا في تأليفه.

وإني لأتوجه إلى الله تعالى بالحمد والشكر والثناء عليه أن جعلني ممن يخدم في سبيل تحقيق *تأويلات القرآن* وتقديمه إلى عالم الفكر والعلم، وأعتبر هذا نعمة عظيمة من نعم الله تعالى.

الكتاب الذي حاز على إعجاب كثير من العلماء المهتمين بالدراسات الإسلامية في الداخل والخارج. وأود أن أخاطب أولا نفسي ثم ابني محمد معصوم وزملائي من أهل العلم، وطلابي وجميع المسلمين مذكرا إياهم: إنه يجب علينا أن نعمل كل ما في وسعنا في سبيل نشر هذا التراث العلمي الكبير والقيام بترجمته إلى اللغة التركية.

اللهم وفقنا إلى فعل الخيرات واقتراف الحسنات، إنك قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين.

أحمد وانلي أوغلي

أبو منصور الماتريدي[1]

حياته

هو الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي. لقد عاش الماتريدي خلال فترة حكم آل سامان لـ"ما وراء النهر" (٢٦١-٣٨٩هـ/٨٧٥-٩٩٩م). ولا نجد في المصادر إلا النذر اليسير عن حياته. مع أن تاريخ ولادته غير معروف على وجه التحديد. لكن بالنظر إلى تاريخ وفاة أستاذه محمد بن مقاتل الرازي (٢٤٨هـ/٨٦٢م) قاضي "ري" فإنه يغدو بوسعنا أن نخمن ولادته في أواسط النصف الأول للقرن الثالث الهجري وبأنه عاش قريبا من مائة عام. وبلدة ماتريد (ماتريت) التي ينسب إليها الإمام هي اليوم ضاحية من ضواحي سمرقند بجمهورية أُوزْبَكِسْتان.

في بعض المؤلفات المعاصرة نجد الزعم بأن نسب الماتريدي يمتد إلى أبي أيوب الأنصاري. وهم يستندون في ذلك إلى ذكر بعض العلماء من المتأخرين، مثل بياضي زادة أحمد أفندي والزبيدي، نسبة "الأنصاري"، كما يعتمدون إلى ملاحظة كتبها شخص مجهول على هامش إحدى صفحات *كتاب التوحيد* المخطوط. إلا أن هذه المزاعم التي تفتقر لوجود مستند علمي لا تبدو صحيحة. فالزبيدي يقول: إنه في حال ما إذا كانت تلك النسبة صحيحة فإنما تدل على أن الماتريدي قد ذُكر بهذه النسبة بناء على الخدمات الجليلة التي قدمها في خدمة دين الله، تماما كما توحي كنيته "الأنصاري"، ولا يربط الزبيدي بين هذه النسبة وأصل أسرة الماتريدي.[2] كما أن نجم الدين النسفي ذكر أن والدة والد أبي الحسن علي بن الحسن الماتريدي (ت ٥١١هـ/١١١٧م)، قاضي سمرقند المنحدر من أصل أبي أيوب الأنصاري،

---

[1] من الملاحظ أن موضوعي "أبو منصور الماتريدي: حياته وآثاره" و"مكانته في علم التفسير" مأخوذان من *الموسوعة الإسلامية* التابعة لوقف ديانة تركيا (*DİA*, XXVIII, 146-151, 157-159) بنوع من الاختصارات في العبارة. فبهذا المناسبة يسعدنا أن نتوجه بالشكر في موضوع "حياته وآثاره" للأستاذ/ شكري أوزن، ونشكر أيضا لإدارة الموسوعة.

[2] *إتحاف السادة* للزبيدي، ٥/٢.

هي ابنة بنت الماتريدي.[1] وهناك احتمال كبير أن يكون القاضي أبو الحسن، حفيد الماتريدي من جهة بنته، قد نسب إلى الماتريدي خطأً لحصول خلط في نسبه من جهة والده (والد القاضي أبي الحسن). فالعرب عادة يدونون أنسابهم المنحدرة من الصحابة، كما يضيفون لنهاية سلسلة النسب إفادة تدل على هذا النسب. وهكذا أورد أبو المعين النسفي لدى شرحه مدرسة الكلام السنية في سمرقند سلسلة نسب كل من أبي نصر العياضي والقاضي محمد بن أسلم الأزدي التي تمتد إلى الصحابة، إلا أنه لم يستطع في هذا الصدد سوى ذكر اسم جد الماتريدي. أضف إلى ذلك أن اللغة والأسلوب التي استخدمها الماتريدي في مؤلفاته تدل على أن كاتب هذه المؤلفات شخص ليست العربية لغته الأم. وتشير الكثير من المصادر القديمة إلى صعوبة وتعقيد اللغة التي يستخدمها الماتريدي.[2] كما أن مؤلفاته التي وصلت ليومنا هذا تعتبر بدورها أدلة واضحة على صعوبة وتعقيد أسلوبه. فإن استخدامه لغة وأسلوبا كهذه رغم معرفته الواسعة وتفكيره العميق المتجليان في طريقة تناوله ودراسته للمسائل العلمية يُظهر أن الماتريدي ليست لغته الأم اللغة العربية. من جانب آخر فإنه ولدى النظر إلى تركيب العديد من جمله الموجودة في مؤلفاته وبالأخص استعماله لبعض حروف المعاني نرى أنها تتناقض مع قواعد اللغة العربية في حين أنها تنسجم مع قواعد اللغة التركية. إذا ما وضعنا نصب أعيننا خصائص اللغة والأسلوب اللذين كان يستخدمهما وكون منطقة سمرقند ومحيطها، حيث كان يقطن، منطقة معظم سكانها من الأتراك فإنه ينبغي علينا القول حينها أن الماتريدي كان تركيا. وأما استخدامه كلمات مشتقة من اللغة الفارسية في مؤلفاته العلمية مثل "هستية"[3] (بمعنى وجود الشيء في الخارج) وذكْر بعض المصادر استخدامَه اللغة الفارسية في حياته اليومية[4] لا يدل على أنه فارسي الأصل، وإنما يرجع ذلك إلى أن الفارسية كانت هي اللغة السائدة –وخصوصا في الأوساط العلمية– في المدن الواقعة في منطقة ما وراء النهر التي كانت تحت النفوذ التركي، بينما كانت اللغة التركية هي المستخدمة في قرى وبلدات تلك المنطقة.[5]

---

[1] *القند* للنسفي، ٤٢٠.

[2] انظر: *أصول الدين* لأبي اليسر البزدوي، ٣؛ وشرح *التأويلات* لعلاء الدين السمرقندي، ورقة ١ظ؛ و*ميزان الأصول* لنفس المؤلف، ٣.

[3] *كتاب التوحيد* للماتريدي، ٧.

[4] انظر مثلا: *مجموع الحوادث والنوازل* للكشّي، ورقة ٣١٦ ظ.

[5] *حكم الله الواحد الصمد* للخجندي، ٤٨.

لا يعرف شيء عن أفراد عائلة الماتريدي باستثناء اسم والده وجده محمد بن محمود. ويشير الزبيدي إلى وجود مصادر تذكر أن اسم الشخص الذي يلي جده هو محمد.[1] هذا، وإن كان يفهم من تلقيب الماتريدي بأبي منصور أنه كان لديه ابن بهذا الاسم، إلا أن الماتريدي يقول لدى تفسيره إحدى الآيات حول معاني الألقاب: إن لقب أبي منصور يمكن أن يطلق عرفا على شخص لم ينجب أولادا ذكورا على أمل أن يصبح لديه ولد ويحمل هذا الاسم.[2] وإذا ما افترضنا أن اختياره هذا اللقب لم يأتِ بمحض الصدفة فإنه يمكن اعتبار ذلك دليلا يشير إلى أن الماتريدي لم يكن لديه أولاد ذكور. فلو كان قدوجد و استمر نسله من جهة أولاده الذكور لوردت أسماؤهم أو أسماء بعض منهم على الأقل بشكل أو بآخر في المصادر.

الماتريدي هو من علماء الطبقة الرابعة أو حتى الثالثة للمذهب الحنفي. وقد حصّل علومه على يد أساتذة مثل أبي بكر أحمد بن إسحاق الجزجاني ونُصير بن يحيى البلخي وأبي بكر محمد بن أحمد بن رجاء الجزجاني قاضي نيسابور، وهم تلاميذ أبي سليمان الجزجاني الذي كان بدوره تلميذا لمحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة وتلميذه. إلا أنه أتم دراسته العلمية وهو لا يزال في العشرينات من عمره مع أستاذه أبي بكر الجزجاني على يد أبي نصر أحمد بن عباس العياضي الذي كان يُدرّس في دار الجرجانية ويرأس هيئة علمائها. و لم تصلنا أية معلومات أخرى عن حياته العلمية أو أسفاره أو ما إذا كان قد حجّ أم لا أو إذا كان قد تقلد منصبا رسميا أو لم يتقلد. ومن العلماء الذين حصّلوا علوم الفقه والكلام على يد الماتريدي أبو أحمد العياضي وأبو الحسن علي بن سعيد الرُّسْتُغْفَنِي وأبو محمد عبد الكريم بن موسى البزدوي. أما ما نرى في بعض المراجع المتأخرة من ذكر الحكيم السمرقندي كأحد تلاميذ الماتريدي فهو ادعاء لم تثبت صحته، فكلاهما كانا تلميذين لأبي نصر العياضي. وفي كثير من المراجع يرد أسماءهما معا حتى أنه جاء ذكرهما في بعض الروايات كصديقين.[3] هذا بالإضافة إلى ذكر الماتريدي لأفكار وآراء الحكيم في كتابه *التأويلات*،[4] كل ذلك يدفعنا للاعتقاد

---

[1] *إتحاف السادة*، ٢/٥.

[2] *تأويلات القرآن*، ورقة ٩٠٥و.

[3] انظر: *القند* للنسفي، ٢٩٣؛ *والأنساب* للسمعاني ، ٦/١١٥؛ كذلك انظر: شرح *جمل أصول الدين* لابن يحيى، ورقة ١٦٠ظ-١٦١ظ.

[4] *تأويلات القرآن* للماتريدي، ورقة ٢٥٥ظ، ٩٠٦ظ.

بأن هذين العالمين كانا صديقين ينهلان العلوم من بعضهما البعض. ومن جهة أخرى يروى أن الحكيم كان يكنّ الكثير من الاحترام والتقدير للماتريدي.[1] ويقول أ.س. تريتون: إن الحكيم السمرقندي على كل تقدير قد قرأ الفقه والكلام على يد الماتريدي، كما ذكر -ولتشابه اسميهما- أنهما قد يكونا أخوين.[2] إلا أنه قد تبين خطأ ادعائه هذا بسبب اختلاف اسمي جديهما. ومن جهة أخرى لا تؤيد المراجع القديمة أيضًا صحة ما ورد في الأبحاث المعاصرة من احتمال كون أبي الليث السمرقندي أحد تلاميذ الماتريدي بسبب تواجدهما في نفس البلدة. حيث نجد أن أبا الليث يشير إلى رأيين من آراء الماتريدي الفقهية دون أية ألفاظ تقدير، بل نجده قد رجح الآراء المخالفة لرأي الماتريدي.[3]

ذكر أبو المعين النسفي وابن فضل الله العمري أن الماتريدي توفي بعد أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) بمدة قصيرة دون ذكر تاريخ معين.[4] كما ذكر القرشي مستندا إلى شيخيه أبي الحسن ابن الصواف وقطب الدين عبد الكريم الحلبي أنه توفي عام ٣٣٣هـ (٩٤٤م). وفيما بعد اعتمد هذا التاريخ كل من المؤلفين الآتية أسماءهم: مجدالدين الفيروز آبادي وابن قوطلو بوغا والكفوي والزبيدي واللكنوي.[5] وقد نقل الكوثري عن قطب الدين الحلبي وفاته سنة ٣٣٢هـ.[6] فالتميمي الذي يعتمد على القرشي قد ذكر سنة ٣٣٣هـ كتاريخ وفاة الماتريدي بجانب ٣٣٢هـ، كذلك ذكرت بعض المؤلفات سنة ٣٣٦هـ. أما سنة ٣٢٣هـ التي وردت في نسخة أخرى من كتاب فيروز آبادي[7] فلا بد وأنه نجم عن خطأ لدى الاستنساخ.

دُفن الماتريدي في مقبرة جاكَرْدِيزَه الشهيرة في سمرقند. وقد أمر صديقُه الحكيم السمرقندي أن يُكتب على شاهدة قبره العبارة التالية «هذا قبر من حاز العلوم بأنفاسه، واستنفد الوسع في نشره وإقباسه، فحُمدت في الدين آثاره، واجتَنى من عمره ثمارَه».[8] ذكر المستشرق الروسي

---

[1] *مجموع الحوادث والنوازل* للكَشّي، ورقة ٣٩ظ.

[2] انظر: المصادر والمراجع.

[3] *كتاب النوازل* لأبي الليث السمرقندي، ورقة ٧ظ، ١٦ظ.

[4] *تبصرة الأدلة* للنسفي، ٣٦٠/١، و*مسالك الأبصار* للعمري، ٤٦/٤

[5] انظر: المصادر والمراجع.

[6] *إشارات المرام* لبياضي زادة، ٧.

[7] *المرقاة الوفية* لفيروزآبادي، رئيس الكتاب، رقم ٦٧١، ورقة ٧٤و.

[8] *تبصرة الأدلة* للنسفي، ٣٥٨/١.

بارثولد أنه رأى ضريح الماتريدي في مقبرة جاكَرديزه خلال زيارته التي قام بها لسمرقند عام ١٩٢٠م.[1] إلا أن تلك المقبرة أصبحت منطقة سكنية في العهد السوفييتي وبقي المكان الذي كان فيه ضريحه داخل حديقة أحد المنازل. وفي عام ١٩٩١م قامت مجموعة من العلماء الأتراك بزيارة سمرقند وأكدت عدم وجود ضريح في المكان المذكور، إذ طمر بصبة إسمنتية وأصبح المكان يستخدم كساحة منزل. وقد تم عام ٢٠٠٠م إنشاء ضريح جديد وأنشئت حوله كلية في الساحة التي كان يوجد بها قبر الماتريدي والواقعة حاليا في شارع "غيجدُوان" الكائن في محلة الشرق الثانية بحي سياب المركزي في سمرقند.

يعتبر كتاب *تبصرة الأدلة* لأبي المعين النسفي أقدم مرجع معروف حتى الآن عن حياة الماتريدي ومؤلفاته وآرائه وطلابه ومعاصريه. أما المؤلفات التي جاءت فيما بعد فلم تتحدث عن الماتريدي سوى بشكل مختصر وهي لا تضيف شيئا جديدا لما هو معروف عنه. وتتكرر هذه المعلومات في المراجع المعاصرة. وفي شرح لكتاب *جمل أصول الدين* لأبي سلمة المنسوب لمدرسة سمرقند الكلامية السنية تَرِد بعض المقاطع عن حياة الماتريدي ووجهات نظره الكلامية. ولا يعرف اسم مؤلّف هذا الشرح الذي كان تلميذا لأبي الحسن الرُّسْتُفَغْنِي تلميذ الماتريدي. إلا أنه ذكر في موضع اسم والده على نحو "ابن (أبو؟) زكريا يحي بن إسحاق"،[2] وقد ورد في هذا الكتاب وصف الماتريدي كما يلي: «لقد كان فريد عصره في العلم والإدراك ومعرفة المذاهب ومثالا للتقوى في أرفع درجاتها».[3] أما في المراجع الأخرى فنرى اسم الماتريدي يرد للمرة الأولى في مقدمة كتاب *فقهاء الشافعية* الذي أتمه سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٤م الفقيه الشافعي أبو عاصم العبّادي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م). حيث ذُكر اسمه أثناء تعداد أهم فقهاء الحنفية على نحو "أبو منصور السمرقندي".[4] ويذكر السمعاني الإمام الماتريدي أثناء حديثه عن حياة حفيده القاضي أبي الحسن الماتريدي.[5] وترد في تفسير فخر الدين الرازي والقرطبي آراء وأفكار الماتريدي ويدعوه القرطبي بالشيخ الإمام.[6] ويذكر الذهبي الماتريدي لدى ترجمة تلميذه البزدوي

---

[1] *تركستان*، ٩٥.
[2] شرح *جمل أصول الدين* لابن يحيى، ورقة ١٦١ظ
[3] المؤلف نفسه، ورقة ١٦١ظ- ١٦٢و.
[4] *الفقهاء الشافعية*، ٣.
[5] *الأنساب* للسمعاني، ٥/١٥٥.
[6] *مفاتيح الغيب* للرازي، ٥/١٦٣، ٦/٢٠٠، ١٤/٢٢٨، ٢٤/٢٤٤، ٢٧/١٨٨؛ *والجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٦/٣٨.

ويخبر أنه قد درس الفقه على يد الماتريدي.[1] وقد قام ابن فضل الله العمري في كتابه *مسالك الأبصار* في المجلد الذي خصه للفقهاء، بتدوين ملخص لترجمة الماتريدي حيث أدرجه ضمن علماء المذهب الحنفي مع الكثير من الثناء والمديح.[2] وبعد ذلك أصبح لزاما ذكر ترجمة الماتريدي في كتب طبقات الحنفية بما في ذلك *الجواهر المضية* للقرشي.

رغم المكانة المهمة التي يحتلها الماتريدي في التفسير والكلام والفقه وأصوله وتاريخ المذاهب فإن كتب التراجم أو المؤلفات المتعلقة بتاريخ المذاهب قد أهملت ذكره، بينما نجد أن الإمام الأشعري الذي لم ينتقل سوى النذر اليسير من مؤلفاته للفترات اللاحقة قد ذاع صيته وانتشر اسمه. وقد ذُكرت لإهمال الماتريدي أسباب مختلفة. منها عيشه بعيدا عن بغداد التي كانت في ذلك الحين مركزا للخلافة، وتعمد المؤرخين العرب إغفال ذكره، والخلاف الذي كان بينه وبين السلطة الحاكمة حيث إنه لم ينتفع من إمكانيات الدولة كالأشاعرة، حيث لم تجد الماتريدية مكانة ضمن هيئات التدريس الرسمية في حين أن الأشعرية كانت تدرّس في المدارس النظامية وكان المتخرجون منها يرسلون إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ كما أن الأشعرية قد حظيت باهتمام فرق مختلفة كالشافعية والمالكية بينما بقيت الماتريدية منحصرة في إطار المنتسبين للمذهب الحنفي فقط، وإعطاء الماتريدية أهمية كبرى للعقل مما جعلها تخرج عن نطاق اهتمام العلماء المحافظين وكتّاب التراجم، وخشية الأوساط الحنفية من تخيُّم الماتريدي على مكانة أبي حنيفة، وأخيرا صعوبة اللغة والأسلوب المستخدمَين في مؤلفاته. وقد ذكر بعض الباحثين أن بعض كتّاب التراجم كالذهبي والسيوطي قد أهملوا ذكر الماتريدي لكونه تركيا. إلا أنه يلاحظ في مؤلفات هؤلاء العلماء المذكورين أنهم دونوا كل أصحاب النشاطات العلمية في العالم الإسلامي دون النظر إلى انتساباتهم المذهبية أو القومية. وفي هذا الصدد ينوّه علاء الدين السمرقندي أن الماتريدي أُغفل ذكره حتى في بلده قرابة قرنين من الزمن وأن ذكره كان محدودا وقليلا جدا حتى في كتب الطبقات الحنفية.[3]

شارك الماتريدي أهل السنة في الأفكار والمبادئ الأساسية وإن كان قد وافق فكرة المرجئة المعتدلة فيما يتعلق بقضية الفصل بين الإيمان والعمل (مسألة مرتكب الكبيرة)،

---

[1] *تاريخ الإسلام* للذهبي، ٢٠٠.
[2] *مسالك الأبصار*، ٦/٤٥-٤٦.
[3] *ميزان الأصول*، ٣.

إلا أن هذا لا يجعله خارجا عن أهل السنة. ومما يؤيد بطلان هذا الادعاء هو انتقاده للمرجئة التي تقف مع القدرية في طرفي النقيض. لا يعرف ما إذا كان الماتريدي قد استخدم عبارة "أهل السنة" أم لا في مؤلفاته التي لم تصل إلى أيدينا، إلا أننا نرى أن عالما هو ابن يحيى، وهو تلميذ أحد تلاميذ الماتريدي، قد استخدم كثيرا هذا التعبير. ففي الحقيقة إن عبارة أهل السنة (أهل السنة والجماعة) قد بدأت استخدامها وشاعت بعد الماتريدي وهو تعبير يعني به الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة في مواضيع العقيدة، أي أولئك الذين التزموا بفهم الرسول للإسلام كما نقله لنا الصحابة عنه. فهو تعبير يشمل مفاهيم الإسلام العامة حتى بما فيها كيفية إقامة الصلاة، وهي بطبيعة الحال المفاهيم التي يعتقدها ويلتزم بها الجمهور الأكبر من المسلمين.[١]

من الممكن القول بأن ما ذكر من الأسباب التي أُرجع إليها إغفال ذكر الماتريدي كان لها تأثير بشكل أو بآخر وراء هذا الإهمال. فمثلا نجد أن أبا اليسر البزدوي يرى بأن *كتاب التوحيد* للماتريدي كاف في موضوعه إلا أنه وجد لزاما عليه أن يؤلف كتابه، لأن كتاب الماتريدي في نظره يحمل بعض الإشكالات من حيث اللغة والأسلوب.[٢] ويرى علاء الدين السمرقندي أن مؤلفات الماتريدي في أصول الفقه تعتمد الحجج القوية والبراهين السليمة إلا أنه يشكو من عدم حصول مؤلفات الماتريدي على الاهتمام الكافي بسبب استخدامه الألفاظ والمعاني الغير مألوفة، أو بسبب عدم بذل العلماء الجهود الكافية لبحثها ودراستها. فعلى رأي السمرقندي فإن الفقهاء لم يهتموا بالمناقشات الكلامية الواردة في مؤلفاته بل اهتموا بكل ما يتعلق بالمباحث الفقهية. وبذلك فإن المؤلفات التي تناولت مسائل الفقه هي التي شاعت في أوساط الفقهاء وانتشرت دون غيرها.[٣] بينما يذكر طوبال أوغلي بأن تعرض المنطقة التي عاش فيها الماتريدي للاحتلال عدة مرات مما أدى إلى إتلاف المؤلفات الدينية فيها. وكذلك بُعد بلاد ما وراء النهر عن بغداد والبصرة والكوفة التي كانت مراكز للثقافة والعلوم كان له أثر في إغفال مؤلفات الماتريدي، كما يرى طوبال أوغلي أن هناك احتمال كبير بأن يكون السبب الرئيسي وراء هذا الإهمال هو إحساس المحدثين والفقهاء

---

١ Bekir Topaloğlu, *Kelâm İlmi - Giriş*, 109.

٢ *أصول الدين* للبزدوي، ٣.

٣ *ميزان الأصول* لعلاء الدين السمرقندي، ٣

بأن أفكار الماتريدي قريبة من أفكار المعتزلة.[1] ويرى ماديلونغ أن أهم سبب في عدم نيل أفكار الماتريدي مكانة لائقة في غرب بلاد ما وراء النهر يعود إلى أن أشهر علماء الحنفية في العراق التي هي مركز الحنفية كأبي الحسن الكرخي، وأبي بكر الرازي الجصاص، وأبي عبد الله الصيمري كانوا على مذهب المعتزلة في الاعتقاد.[2] وفي الحقيقة فإنه لم يتم إهمال الماتريدي تماما في العالم الإسلامي وكما هو واضح في الأمثلة الواردة أعلاه، فإنه قد وردت منذ عهود مبكرة معلومات عن أفكاره وسيرة حياته خصوصا في مؤلفات الحنفية في منطقة ما وراء النهر الذين اعترفوا بمكانته وسيادته، كما أنه بدأ يأخذ مكانه منذ القرن السابع في مؤلفات المذاهب الأخرى، وإن كان ذلك بشكل محدود. مع كل هذا فإن المكانة المخصصة للماتريدي في هذه المؤلفات لا تتناسب مع عظم قدره كعالم فذ متعدد المواهب.

لقد وردت في المراجع بعض الروايات حول الجانب الصوفي للماتريدي. رويت عنه القصص والرُّؤَى كأنه أحد كبار المتصوفة وأنه رأى في مدينة سمرقند في رباط دَشْت الخَضِرَ عليه السلام وطلب دعاءه. كما يقال: إنه كان صاحب كرامات، وتروى عنه حادثة تبين أن دعاءه كان مقبولا.[3] وقد استخدم النسفي المصطلح الصوفي "قدوة الفريقين" لوصف الماتريدي[4] وهو تعبير يعني أنه مرشد في علمي الظاهر والباطن. ومما يثير علامات استفهام فإن الماتريدي لم يرد ذكره كأحد المتصوفة في كتب التصوف على خلاف صديقه الحكيم السمرقندي. ولكن مع ذلك فإن هذه القصص والرؤى التي رويت عنه تشكل مراجع هامة لمعرفة منزلة الماتريدي في أذهان مؤيديه في العهود اللاحقة. إن الحكيم السمرقندي الذي يعده الكلاباذي ضمن علماء التصوف الذين ألفوا في مجال المعاملات كان صديقا مقربا للماتريدي مما يدعونا للاعتقاد بأن السمرقندي والماتريدي كانا يتبادلان المعلومات والآراء فيما بينهما. ويدل على هذا أن الماتريدي نقل تعريف مصطلح "النصيحة" عن الحكيم في كتابه *التأويلات*.[5] كما أن الإيضاحات التي ذكرها حول طرق التوصل للتقوى

---

[1] *Kitâbü't-Tevhîd Tercümesi*، مقدمة المترجم ١٤، ١٨.

[2] انظر : المصادر والمراجع : مراجع غير عربية.

[3] *أصول الدين* للبزدوي، ٣؛ و*القند* للنسفي، ٣٢، ٢٩٣؛ و مجموع *الحوادث والنوازل* للكشي، ورقة ٣١٦ظ-٣١٧و؛ و*كتائب أعلام الأخيار للكفوي*، ورقة ١٠٥ظ.

[4] *القند* للنسفي، ١٤٣.

[5] ورقة ٢٥٥ظ.

تحمل أسلوبا تصوفيا بارزا.[1] كذلك يصفه تلميذ تلميذه ابن يحيى بأنه كان شخصا فريدا في اتصافه بالتقوى وبالورع الدقيق.[2] ولكن من جانب آخر نرى أن الماتريدي أكد في *كتاب التوحيد* أن الكشف والإلهام لا يمكن أن يكونا من أساليب المعرفة. كما نجد في اقتباسين من كتاب *الفوائد* لأبي الحسن الرُّسْتُغْفَنِي، تلميذ الماتريدي، أن الماتريدي كان يردّ على الادعاءات التي ترفع الأولياء فوق درجة الأنبياء، كما كان يعارض كل من يستهجن التمتع بنعم الدنيا إذ كان يقول: إن النعم خلقت للاستفادة منها.[3] وفي مواقع مختلفة من كتابيه *كتاب التوحيد* و*تأويلات القرآن* يتحدث الماتريدي عن محبته وتعظيمه لله تعالى ورسوله بعبارات مرهفة ومؤثرة ولكنه لا يميل إلى استعمال المعاني المتكلَّفة المطروقة. وحسب ما ورد في كتاب الكلاباذي *التعرف لبيان مذهب التصوف* فإن آراء الماتريدي ومن نهج نهجه كانت لها تأثير قوي في الأوساط الصوفية في بلاد ما وراء النهر،[4] حتى روي أن شيخ إحدى الطرق الصوفية قد قال: إن الماتريدي كان مهدي هذه الأمة في زمانه.[5]

اشتهر الماتريدي بآثاره وجهوده في علم الكلام والتفسير والفقه وتاريخ المذاهب. وقد أصبح كتابه *كتاب التوحيد* أحد المراجع الأصيلة والأساسية لمدرسة كلام أهل السنة. إن أسماء كتبه المذكورة في المراجع تدل على أنه جاهد طويلا ضد البدع والأفكار الشاذة التي كانت تتبناها الفرق المنحرفة كالمعتزلة والقرامطة والروافض في المواضيع الاعتقادية. وفي الفترات اللاحقة أطلق عليه مؤيدوه ألقابا تدل على تشريفه مثل: "الشيخ، الإمام، شيخ الإسلام، إمام الهدى، علم الهدى، رئيس مشايخ سمرقند، إمام المتكلمين، مصحح عقائد المسلمين وإمام أهل السنة". ويصف أبو المعين النسفي الماتريدي بأنه «اجتمع عنده وحده من العلوم الملّيّة (الدينية) والحِكَمية (الفلسفية) لن يجتمع في العادات الجارية في كثير من المبرّزين المحصّلين» وأكّد كذلك «بذله لمجهوده في إحياء الدين وسعيه في تقوية الحق وشغله فكرته في البحث عن حقائق الدين واستنباطه ما أُودع فيها من المعاني اللطيفة والحكم البالغة الخفية».[6]

---

[1] المؤلف المذكور، ورقة ٩٣ و- ظ

[2] شرح *جمل أصول الدين* لابن يحيى، ورقة ١٦٢و.

[3] *مجموع الحوادث والنوازل* للكشّي، ورقة ٣٠٨و، ٣١٤ظ

[4] *تبصرة الأدلة* للنسفي، ٣٦٠/١-٣٦١.

[5] *إتحاف السادة* للزبيدي، ٥/٢.

[6] *تبصرة الأدلة* للنسفي، ٣٥٩/١، ٨٣١/٢-٨٣٢.

عمل الماتريدي الذي يعتبر من أئمة علم الكلام على تقوية العقيدة ودافع عن ثوابت الإسلام متصديا بقوة للتيارات الآتية من خارج الإسلام ولبعض المذاهب الإسلامية المنحرفة كالمعتزلة والخوارج والباطنية. وقد بدأ ببذل مجهوداته في هذا المجال قبل أبي الحسن الأشعري، وهو من روّاد علم الكلام السني أيضًا. ومع ان الأشعري كان معاصرا للماتريدي لم تصلنا أية روايات تدل على أنهما التقيا. وقد لعب الماتريدي مع من حوله من العلماء دورا هاما في وصول الفكر الإسلامي إلى حالة من الاستقرار في بلاد ما وراء النهر وفي نشر الإسلام والمذهب الحنفي بين الأتراك، وقد استمر أثره هذا باطراد مع مرور الزمن.

يذكر ابن يحيى الذي درس على يد الرُّسْتُغْفَنِي تلميذ الماتريدي أن أهل السنة في سمرقند في عصره كانوا يعرفون بالجزجانية والعياضية.[1] لكن من الملفت للنظر عدم ذكره للماتريدية مما يدل أن مدرسة سمرقند الكلامية لم تكن منسوبة للماتريدي بعد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). ومن الواضح أن الماتريدي لم يُعد رائدا لهذه المدرسة حتى في النصف الثاني للقرن الخامس الهجري. فمثلا نجد أن أبا اليسر البزدوي (٤٩٣هـ/١١٠٠م) الذي يرى أن المؤلفات الكلامية التي كتبت حتى عصره من قبل علماء سمرقند –فيما عدا *كتاب التوحيد* للماتريدي– هي مؤلفات غير كافية، نجده مع اعتباره الماتريدي أحد أئمة أهل السنة والجماعة، إلا أنه ينتقد بعض آرائه بشكل صريح كما يصرح بأن كتاب الماتريدي المذكور تحتوي على إشكالات من حيث اللغة والأسلوب، مما يوضح أنه لم يكن من متبعي آراء الماتريدي اتباعا تاما أو لم يكن يرى نفسه منتسبا إلي مدرسته الكلامية.[2] يعتبر كتاب *تبصرة الأدلة* بعد *كتاب التوحيد*، المرجع الثاني لآراء الماتريدي الكلامية، ومؤلفه أبو المعين النسفي قد تقبّل الماتريدي كرائد مدرسة كلامية. ومع النسفي أخذت الماتريدية مكانتها كمذهب من مذاهب علم الكلام في التاريخ. فمثلا نرى أن فخر الدين الرازي يذكر في كتابه الذي تناول فيه مناظراته في بلاد ما وراء النهر أتباعَ الماتريدي والنقاش الذي أجراها معهم.[3] وهنا نرى أن الماتريدية كانت قد تميزت كمدرسة كلامية إلا أن مصطلح "الماتريدية" لم يكن مستخدما بعد. وقد ذكر ابن فضل الله العمري أن اسم الماتريدية قد أطلقه المعتزلة

---

[1] شرح *جمل أصول الدين* لابن يحيى، ورقة ١٢١و.

[2] *أصول الدين* للبزدوي، ٢-٣، ٢٠٣-٢٠٤، ٢٠٧-٢١١.

[3] *مناظرات* لفخر الدين الرازي، ٥٣.

على أتباع الماتريدي. فعلى رأيه أن متكلمو المعتزلة أطلقوا أسم الماتريدية على كل متبعي أبي حنيفة في العقائد والفقه من أهل السنة بسبب انزعاجهم الشديد من دعم الماتريدي الكبير لمذهب أهل السنة والجماعة.[1] ويذكر سعد الدين التفتازاني أن المذهب الشائع لدى أهل السنة في خراسان والعراق والشام (سوريا) والأغلبية العظمى من العالم الإسلامي هو المذهب الأشعري، في حين كون المذهب الماتريدي هو الشائع بين أهل السنة والجماعة في بلاد ما وراء النهر. ويبين أنه ظهرت في عصره اختلافات بين الفريقين في بعض الآراء الكلامية مثل التكوين والاستثناء في الإيمان وإيمان المقلد. ولكنه يؤكد بأن علماء الفريقين لا يتهم بعضهم البعض بالبدعة أو الانحراف.[2] أما في الفترات اللاحقة وقد انتشر المذهب الأشعري بين الشافعية والمالكية في حين انتشر بين الحنفية المذهب الماتريدي.

---

[1] *مسالك الأبصار* للعمري، ٤/٤٦.

[2] شرح *المقاصد* للتفتازاني، ٢/٢٧١.

آثاره

لقد سجل أبو المعين النسفي أسماء إثني عشر كتابا من ثلاثة عشر كتابا موثوق بنسبتها إلى الإمام الماتريدي. ووجود شرح *الجامع الصغير* ونسبته إلى الإمام قد تبين من خلال الاقتباسات المصرح بها في كتب التراث القديمة الموثوق بها.

١- ***تأويلات القرآن***. ويعرف بـ*تأويلات أهل السنة* و*تأويلات الماتريدية*. وهو مع أهميته في علم التفسير يحتوي على معلومات وآراء غنية في العقيدة والفقه وأصوله، كما يعتبر مصدرا مهمّا في نقد آراء الفرق الاسلامية والتيارات الخارجية غير الاسلامية والعقائد والديانات. والكتاب عبارة عما أملاه الإمام الماتريدي لطلابه من تقريرات، وله ما يقرب من أربعين نسخة في المكتبات، جلها في مكتبات إستانبول بتركيا[1]. وقد كتب لاله زاري، أحد العلماء العثمانيين، شرحا انطلاقا من التفسير والتوضيحات الواردة في الآية الخامسة من سورة الفاتحة وسماه *الياقوتة الحمراء*[2]. نشرت أجزاء من *تأويلات القرآن* من قبل محمد أرأوغلي (إستانبول ١٩٧١)، وإبراهيم عوضين وسيد عوضين (القاهرة ١٩٧١)، ومحمد مستفيض الرحمن (بغداد ١٩٨٣)، وبكر طوپال أوغلي وأحمد وانلي أوغلي (إستانبول ٢٠٠٣)، كما كتبت حوله كتب ومقالات وبحوث.

٢- ***كتاب التوحيد***. فهذا الكتاب يعتبر بلا شك من أهم مؤلفات الماتريدي، وبخاصة فيما يتعلق بنظرياته الكلامية وآرائه في المسائل الاعتقادية، حتى أصبح المرجع الأساسي في المعرفة بالعقيدة الماتريدية. وهو أيضا من أقدم المراجع الكلامية التي تشتمل على آراء مختلف الفرق الكلامية وخاصة المعتزلة، كما أنه الكتاب الوحيد المطبوع للإمام الماتريدي. وبعد نشره الذي قام به فتح الله خليف والذي امتلأ بالأخطاء الكثيرة (بيروت ١٩٨٢،١٩٧٠؛

---

[1] Brockelmann, *GAL*, I, 195; *Suppl.*, I, 346؛ ومحمد مستفيض الرحمن، ١٣١-١٤٥؛ و*تاريخ التراث العربي* لفؤاد سزكين، ١/٤، ٤٠-٤١.

[2] مكتبة سليمانية، حفيد أفندي، رقم ١٢٤، ١٣٠.

إستانبول ١٩٧٩؛ إسكندرية، بدون تاريخ)، فقد قام بكر طوبال أوغلي ومحمد أروتشي بنشره من جديد، كما قام بكر طوبال أوغلي بترجمته إلى اللغة التركية (أنقرة ٢٠٠٢).

٣- ***كتاب المقالات***. رغم ما ذكره أبو المعين النسفي في *تبصرة الأدلة* وحاجي خليفة في *كشف الظنون* بهذا الاسم، ورغم ما أشار إليه كارل بروكلمان بأنه مخطوط في مكتبة كوبريلي (إستانبول)، تحت رقم ٨٥٦ [Köprülü Ktp., nr. 856] وأنه كتاب آخر لـ *كتاب التوحيد* (C. Brockelmenn, GAL, I, 195)، فقد ظهر فيما بعد أنه ليس *كتاب المقالات* للماتريدي. ومنه نسخة أخرى في مكتبة الفاتح تحت رقم ٢٨٩٤. (أنظر للاقتباسات من *كتاب المقالات* للماتريدي: *أصول الدين* لأبي اليسر البزدوي، ٢٤١؛ و*تبصرة الأدلة* للنسفي، ١/٥٢، ١٦٢، ٤٠٥، ٢/٨٢٩، ٨٣٤).

٤- ***رد أوائل الأدلة للكعبي***. (أنظر للاقتباس منه: *تبصرة الأدلة* للنسفي، ٢/٥٦٧).

٥- ***رد تهذيب الجدل للكعبي***. وهو رد على تهذيب الكعبي في علم الجدل.

٦- ***بيان وهم المعتزلة***.

٧- ***رد وعيد الفساق للكعبي***.

٨- ***رد الأصول الخمسة لأبي عمر الباهلي***. ففي هذه الكتب ينتقد أبا عمر محمد بن عمر بن سعيد الباهلي، أحد علماء المعتزلة البصريين.

٩- ***رد كتاب الإمامة لبعض الروافض***.

١٠- ***الرد على القرامطة (في الأصول)***.

١١- ***مآخذ (مأخذ) الشرائع في أصول الفقه***. (أنظر للاقتباس منه: *تبصرة الأدلة* للنسفي، ١/١٤٦، ٢/٧٨٤؛ و*ميزان الأصول* لعلاء الدين السمرقندي، ٧٠، ٦٥٩-٦٦٠، ٦٩٩، ٧٤٦؛ و*كتاب في أصول الفقه* للاشي، ١٨٩؛ و*المحيط البرهاني* لبرهان الدين البخاري، ٢/٣٨٢؛ و*كشف الأسرار* لعبد العزيز البخاري، ٢/٦١٩، ٣/٦٦٢).

١٢- ***كتاب الجدل في أصول الفقه***.

١٣- ***الرد على القرامطة (في الفروع)***.

١٤- ***شرح الجامع الصغير***. هو شرح *للجامع الصغير*، المصدر الأساسي في الفقه الحنفي لمؤلفه محمد الشيباني. (أنظر للاقتباس منه: شرح *الجامع الصغير* لأبي اليسر البزدوي، ورقة ١١٤ظ، ٢٦٦و؛ و*بدائع الصنائع* للكاساني، ٧/٤٧).

الكتب المنسوبة إلى الماتريدي:

١- **شرح *الفقه الأكبر***. (حيدر آباد ١٣٢١/١٩٠٤، ١٣٦٥)، وهو شرح أبي الليث السمرقندي لكتاب أبي حنيفة المعروف بـ*الفقه الأكبر*، وقد نسب إلى الماتريدي خطأً.[1]

٢- ***رسالة في العقائد***. (***العقيدة الماتريدية***). وهي عبارة عن تلخيص أسس المذهب الماتريدي، وقد جمعت من قبل أحد المنتسبين للمذهب. والرسالة نشرت بإستانبول (١٩٥٣) بعنوان *رسالة في العقائد* ضمن *İslâm Akaidine Dair Eski Metinler* من قبل يوسف ضياء يوركان، كما حققت مع شرح تقي الدين السبكي المسمى بـ*السيف المشهور في شرح عقيدة أبي المنصور* وترجمت إلى التركية بعنوان: *Mâtürîdî'nin Akîde Risâlesi ve Şerhi* (إستانبول ٢٠٠٠)، من قبل صائم يَبْرَم.

٣- ***كتاب التوحيد***. وهو عبارة عن رسالة صغيرة غير *كتاب التوحيد* للماتريدي. وقد نشرت من قبل يوسف ضياء يوركان ضمن *İslâm Akaidine Dair Eski Metinler* (إستانبول ١٩٥٣، أنقرة ١٩٥٣).

٤- ***كتاب الأصول*** (***أصول الدين***). وقد صرح فؤاد سزكين بأن بروكلمان نسب هذا الكتاب إلى الماتريدي خطأً.

٥- **رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه في القرآن**. وللاطلاع على النسخ المخطوطة لهذه الرسالة، أنظر: فؤاد سزكين، ١/٤، ٤٢.

٦- ***بندنامهٔ ماتريدي*** (***وصايا ومناجات، فوائد***). وهي باللغة الفارسية، وقد نشرت من قبل إيرَج أفشار اعتمادا على النسختين الموجودتين في دار المخطوطات والمطبوعات القديمة في مدينة بروسة بتركيا (قسم حسين جلبي، تحت رقم ١١٨٧ [Hüseyin Çelebi, nr. 1187]، ومكتبة سليمانية (قسم فاتح، تحت رقم ٥٤٢٦) [Süleymaniye Ktp., Fâtih, nr. 5426] نشر ضمن ***فرهنك إيران زمين***، تهران، ١٣٤٥هـ ش، ١٠/٤٦.

٧- ***رسالة شيخ أبو منصور ماتريدي*** (***إرشاد***).

٨- ***إرشاد المبتدئين في تجويد كلام رب العالمين***.

٩- ***رسالة جاني وار داري***.

(للإشكالات حول نسبة تلك المؤلفات إلى الماتريدي، أنظر: B. Topaloğlu, *Kitâbü't-Tevhîd Tercümesi;* مقدمة المترجم، XXIX, XXXI, XXXIV؛ ولنسخ المؤلفات الثلاثة الأخيرة الفارسية الموجودة في مكتبة طاشكند للمخطوطات، أنظر: Yunusoviç، ٢٧٨-٢٨٠.

[1] أنظر: شرح *الفقه الأبسط* لأبي حنيفة، مقدمة الناشر، ٥-١٠.

مكانته في علم التفسير

يذكر جميع الباحثين الذين تطرقوا إلى مفهوم التفسير عند الماتريدي تفريقه بين التفسير والتأويل. فالعبارة التي وردت في أوائل بعض النسخ المخطوطة من *تأويلات القرآن* والتي تُلخّص مفهوم التفسير عند المؤلف، تبين أن التفسير هو القول بأن «مراد الله من هذه الآية هو عبارة عن هذا» مع الحكم القطعي بأن معنى الآية هو كذا وكذا. وهذا مما لا يقدر عليه إلا الصحابة الذين يعرفون أسباب ومواقع النزول. أما التأويل فهو توجيه المعنى إلى المقاصد التي يمكن أن يتوجه إليها، وذلك انطلاقا من المعنى اللغوي للتأويل، وهو «إرجاع الشيء إلى أصله وبالتالي إلى المقصود الأصلي منه». وليس من الممكن في هذا التوجيه الذي يقوم به العلماء التعيين القطعي لما هو عبارة عن مراد الله تعالى. فبناء على ذلك فالتفسير قائم على حكم واحد، بينما التأويل هو عملية فكرية تفتح الباب لمعان متعددة.[1] وتسمية تفسير الماتريدي *بتأويلات القرآن* ما هي إلا نتيجة لهذا المفهوم. ولا يؤثر في هذه النتيجة كون هذه التسمية وضعت من قبل المؤلف نفسه أو من قبل تلاميذه الواقفين على مفهوم التفسير لديه. ونرى لدى دراسة الكتاب المذكور أن مؤلفه قد استعمل فيه كلا المنهجين: التفسير والتأويل. لأنه ينقل أقوال عدد من الصحابة وعلى رأسهم عبد الله بن عباس. إلى جانب ذلك يأتي باستدلالات وتوجيهات من عنده، وغالبا ما يكرر عبارة «والله أعلم» المنبعثة من احتياطه العلمي واحتياطه الديني البالغ إلى درجة التقوى. إن هذا المنهج المستعمل لتعيين مراد الله تعالى، من الممكن كذلك رؤيته في تفسير الطبري الذي يشبه تفسير الماتريدي من حيث التسمية.[2] بينما نرى أن التقسيم الذي تُلقّي بالقبول عند المتأخرين في علمي التفسير وأصول الفقه في مسألة فهم القرآن واستنباط الأحكام من الآيات هو تقسيم الآيات إلى المحكم والمتشابه والمفسر والمبهم. عندما ننظر إلى المسألة من هذه الزاوية يمكننا القول بأن المنهج المتبع في *التأويلات* أقرب إلى الصواب.[3]

---

[1] *تأويلات القرآن* للماتريدي، ورقة ١ظ.

[2] *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* للطبري، ١/٥٢-٥٤.

[3] قارن: *كتاب التوحيد* للماتريدي، ٣٥٢-٣٥٦.

من المعروف أن المتقدمين من العلماء كانوا حذرين ومحتاطين في تفسير كلام الله وتعيين مراده تعالى من الآيات المختلفة.[1] وقد وجدت في تلك العهود مؤلفات تشتمل فقط على روايات التابعين وتبع التابعين لأقوال الصحابة رضوان الله عليهم المتعلقة بالتفسير. ويضاف إلى هذا إيضاح بعض الكلمات الواردة في القرآن الكريم من ناحية اللغة والنحو. فمثلا يُعَدّ *مجاز القرآن* لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢٠٩هـ/٨٢٤م) من أهم المؤلفات على هذا الطراز. ومع أن أفكاره المبنية على الاستدلال –وهي قليلة– وكذلك بعض الروايات التي ذكرها في تفسيره كانت موضع نقد عند معاصريه وبعض المتأخرين من العلماء. إلا أن *مجاز القرآن* أصبح مصدرا مهما يرجع إليه العلماء على مر العصور، وعلى رأسهم البخاري وابن قتيبة.[2]

اشتهر في تاريخ التفسير أن أول من فسر القرآن من أوله إلى آخره على الترتيب المعروف هو ابن جرير الطبري. وتفسيره *جامع البيان* وإن كان يعتمد على الروايات مبدئيا إلا أنه من المعروف أن الطبري يقوم أيضا بالترجيح بين الآراء المختلفة التي رواها في تفسيره. واشتهر كذلك أن أول تفسير بالدراية من أول القرآن إلى آخره على الترتيب المعروف هو *مفاتيح الغيب* لفخر الدين الرازي.[3] وقد كان *التأويلات* للماتريدي موجودا قبل الرازي بما يقرب من ثلاثة قرون ، كما أن *الكشاف* للزمخشري كان مؤلفا قبل الرازي بسبعين عاما تقريبا. إذن فأبو جعفر الطبري وأبو منصور الماتريدي اللذان عاشا في عهد تميزت فيه مادة التفسير عن الحديث وأصبحت علما مستقلا قد ألفا أول التفاسير وعمدتها، الأول على منهج الرواية، والثاني على منهج الدراية.

يوجد اليوم حوالي أربعين نسخة مخطوطة من *التأويلات* في مكتبات العالم الإسلامي ومكتبات الدول الغربية، وأغلبها في إستانبول. ومن المعروف أن الكتاب ألف على طريقة التقرير أو الإملاء. ومن الأدلة على ذلك هو وجود الأخطاء الكثيرة في النسخ والتي تؤدي إلى صعوبة فهم *التأويلات* أحيانا كثيرة، وكذلك الخلل المشاهد في ترتيب الآيات مع تفسيرها، أو في تغير أماكن العبارات التي تفسر الآية الواحدة.

---

[1] انظر: *تفسير الطبري*، ١/٥٤-٥٦.

[2] انظر: *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، مقدمة المحقق، ١٦-١٧.

[3] *التفسير والمفسرون* لمحمد حسين الذهبي، ١/٢٠٥-٢٠٧، ٢٨٨-٢٩١؛ و*مباحث في علوم القرآن* لصبحي الصالح، ٣٣٣-٣٣٥.

ولا نكون مجانبين للصواب إذا قلنا بأن منهج التفسير عند الماتريدي يعتمد على النقل والعقل جميعا، منسجما مع مفهوم "التفسير" و"التأويل" عنده. أما من حيث الشكل فإنه يبدأ تفسير الآيات غالبا بذكر رأيه الخاص في معنى الآية. عقب ذلك ينقل الآراء المختلفة مستعملا لفظة "قيل" دون ذكر أصحاب تلك الآراء بأسمائهم. ويمكن الاطلاع على مصادر بعض هذه الأقوال غير المنسوبة إلى قائليها في الطبعة المنشورة للمجلد الأول من تحقيق *التأويلات* لإبراهيم عوضين والسيد عوضين. ويعتبرتفسير الماتريدي للآيات هو أول وأشمل مثال لمنهج تفسير القرآن بالقرآن، حيث يستعمل هذا المنهج للنظر في تشابه المضمون بين الآيات أو التماثل أوالتضاد بين الأحكام أو طريقة التناول أو الوحدة في الأسلوب بالإضافة إلى إيضاح ما يشكل من البيان الإلهي. كما أن تفسيراته التي يعتمد فيها على أسباب النزول أو الأحاديث ليست بالقليلة. ولكنه لا يذكر الأسانيد في هذه الروايات وإن كان يذكر اسم الصحابي في بعض الأحيان. وقد أحصى بعض الباحثين خلال بحث قيم عن *التأويلات* أسماء ما يقارب تسعين من الصحابة والتابعين الذين ينقل الماتريدي أقوالهم.[١] بالإضافة إلى ذلك استفاد الماتريدي من أكثر من عشرين عالما من علماء اللغة والتفسير، والذين من أبرزهم علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن زياد الفراء، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وابن قتيبة، والمبرد، والزجاج ،[٢] كما ذكر أقوال أبي حنيفة وتلاميذه وابن أبي ليلى والأوزاعي والثوري ومالك بن أنس والشافعي في المسائل الفقهية، ونقل آراء المعتزلة في مجال الكلام أكثر من غيرهم وانتقدها.[٣]

يجب علينا أن نبين أن مفهوم التفسير عند الماتريدي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن وبالأحاديث والآثار التي يعتبرها صحيحة إلى جانب تناول الآيات من حيث المفهوم اللغوي والاستدلال العقلي. فهو يُقوِّم الآراء التي ينقلها عن التابعين ومن بعدهم من الشخصيات المختلفة من حيث الرد أو القبول، وأحيانا ينقل الآراء دون تقويم ثم يقول في آخر بحثه: «والأصل في هذا...» منتقدا بذلك تلك الآراء إيجابيا أو سلبيا.

ويلقي الماتريدي أثناء تفسيره للآيات نظرة على المعاني اللغوية للألفاظ، ويحاول أحيانا الاستدلال على هذه المعاني بأبيات من الشعر. لكنه لا يغفل عن الانتباه إلى المضمون

---

[١] Talip Özdeş, *Mâtürîdî'nin Tefsir Anlayışı,* 63-65.

[٢] المرجع السابق، ٥٨-٦١.

[٣] المرجع السابق، ٦٦.

الذي اكتسبته الكلمات والمفاهيم في التصور الكلي للقرآن ويرجع في جميع ذلك إلى تحكيم العقل. فمثلا عند تفسير سورة الإخلاص بعد أن يذكر المعلومات المتعلقة بموضوع اشتقاق لفظ الجلالة أو جموده، وفي حال اشتقاقه فمن أي أصل هو، يبين رأيه الشخصي كما يلي: إن المقصود من معرفة معنى أصل الكلمة هو الوقوف على معنى الرسالة الإلهية المتضمنة فيها والحكم الذي جاء فيها. والمعاني التي يذكرها القائلون باشتقاق لفظ الجلالة تمكن نسبتها إلى موجودات أخرى غير المعبود الحق. لكن من المعلوم أن المعنى الذي يميز الله تعالى عما سواه لا تمكن إضافته إلى غير الله. والنقطة الحاسمة في هذا الموضوع هو أن الله منع الناس جميعهم من تسمية غيره باسمه الذي هو عَلَم عليه. ومن عمل على خلاف هذا فإنما ذلك لظنه أن الموجود الذي يسميه إلها يقربه إلى المعبود الحق، وهناك آيات قرآنية تفيد هذا المعنى.[1] فبناء على هذا الاستدلال الملفت للنظر من الماتريدي، فلفظ الجلالة ليس من المشتقات وإنما هو عَلَم على "الموجود الأعظم الخالق للعالم والمدبر له" والمركوز الإيمان به في الفِطَر السليمة.

لا شك أن أهم ميزة لـ*تأويلات القرآن* الذي يعكس منهج مؤلفه في التفسير ويضيء الطريق لتعيين مكانته في هذا العلم هو كونه مؤلفا على طريق الدراية. وتنبغي الإشارة إلى أن طريقة تناول الماتريدي، مؤسس علم الكلام السني، للمسائل ومناقشتها قد غلب على تفسيره أيضا. ومع ذلك فإن *التأويلات* لم يأت على نمط التفاسير المتخصصة التي ظهرت فيما بعد مثل المؤلفات في أحكام القرآن أو التفسير الإشاري، كما أنه لم يكن على شاكلة كتاب في الكلام أو الفلسفة مثل *مفاتيح الغيب* لفخر الدين الرازي. ومن بين تفاسير الدراية وتفاسير الرواية التي تشكلت فيما بعد بصفات وميزات خاصة بها، يحمل *تأويلات القرآن* صفة هي أقرب إلى الدراية. حيث يوجد في تفسير كل آية تقريبا تناول عقلي ومنهجي يشمل الكتاب بأكمله. وإلى جانب المعاني الظاهرية للآيات فقد قام المؤلف بتأويلات وتناولات وتحليلات آخذا بعين الاعتبار الأهداف العامة للقرآن وحاجات المجتمع الدنيوية والأخروية على المدى القريب والبعيد وتطور المجتمع وسعادته وأحواله الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

[1] انظر: سورة الأعراف، ٢٨/٧؛ وسورة يونس، ١٨/١٠؛ وسورة الزمر، ٣/٣٩؛ و*تأويلات القرآن* للماتريدي، ورقة ٢٠٦و–ظ.

كنتيجة للأهمية التي أولاها الماتريدي للعقل في فهم المراد الإلهي فإنه يأخذ بعين الاعتبار المعاني المجازية للكلمات ويقوم بتأويلات من هذا المنطلق. فمثلا لا يذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[١] شيئا يجدر ذكره.[٢] بينما نجد الماتريدي يذكر أن هذا التسبيح يمكن أن يكون بمعنى البناء والنظام الذي تسير عليه الطبيعة في الأحياء والجمادات، وأن الطبيعة من هذه الجهة تشهد لعظمة الله وتوحيده؛ ولذلك فالخطاب بقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ موجه إلى غير المؤمنين. وفي تأويل ثان للآية يقول الماتريدي بأنه يحتمل أن يكون تسبيح الطبيعة بأكملها عبارة عن وظيفة سرية لا يعلمها إلا الله تعالى، كما يذكر في تأويل ثالث أنه يحتمل أن تكون أصوات الأشياء التي تصوت في الطبيعة تقوم مقام التسبيح وأن هذا يمكن أن تدركه الأشياء نفسها وكذلك الأنبياء يدركون ذلك.[٣]

من المعروف أن الماتريدي لا يذكر للأحاديث والآثار إسنادا، وبالتالي فإنه لا ينقد صحة هذه المرويات بالنظر إلى قواعد علم الحديث. لكن ذلك لا يعني أنه يقبل الروايات التي ينقلها كما ذكرنا ذلك أعلاه. فموقفه من الروايات هو القبول لما وافق العقل والنقل المتلقى بالقبول من المتواتر والمشهور، والرد لما لم يكن على هذه الصفة.

ويذكر الماتريدي بعض الروايات التي تعتبر من نوع الإسرائيليات لأن من منهجه في التفسير مبدأ عدم إهمال الروايات. ولكنه يذكر عقيبها أن الأحداث أو المعلومات التي تروى في تفسير هذه الآيات أو القصص القرآنية عموما لا همنا كثيرا، وأن المطلوب منا هو عبارة عن تحديد الأهداف المقصودة بهذه القصص والنقاط التي هي موضع الاعتبار والاتعاظ. لا يقصد الماتريدي في تفسيره تبيين وجوه القرآت وأسباب النزول، ولكن يتطرق إلى ذلك عندما يكون له فائدة في بيان معنى الآية أو في بيان الحكم المستنبط من الآية أو في نقد بعض الآراء.[٤] ينبغي أن نقبل أن عدم ذكر الماتريدي في تفسيره أسانيد الأحاديث والآثار، وكذلك عدم ذكره أسماء أصحاب وأسماء مؤلفاتهم، يولد مشكلة من ناحية تاريخ العلوم (التوثيق العلمي).

---

[١] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.

[٢] تفسير الطبري، ١٠/١١٦-١١٧.

[٣] *تأويلات القرآن* للماتريدي، ورقة ٤٢٠و-ظ.

[٤] انظر للأمثلة: Talip Özdeş، ١٨٢ وما بعدها؛ ١٩٠ وما بعدها.

ولكن في مقابل ذلك فإن الماتريدي يهتم بنقد المتون والأفكار، ويستهدف اتباع العقل والتفكير المنهجي. وقد اقتفى أثر *التأويلات* في هذا المنحى *أحكامُ القرآن* للجصاص وليس *تفسير ابن كثير* على سبيل المثال.[1]

لقد أولى الماتريدي في *تأويلات القرآن* اهتمامه الأكبر لمسائل الكلام والفقه وأصول الفقه. ففي تفسير آيات الأحكام لم يقصر في تخصيص قسط كبير من التفسير للاستنباط الفقهي من البيان الإلهي، كما أنه اهتم بذكر آراء المذاهب وخصوصا المذهب الشافعي. فالانتقادات التي وجهها الماتريدي إلى الشافعي وإلى المنتسبين إلى مذهبه جالب للانتباه من حيث إظهار أبعاد الخلاف الفقهي بين المذهبين. ويمكن أن يذكر من بين أسباب ذلك الاحتمال الواقعي لانتشار المذهب الشافعي في منطقة ما وراء النهر، وكذلك عدم وجود مذهب بديل منافس ذي تفكير فقهي منهجي سوى ذلك المذهب. من المشاهد أيضا في تفسير الماتريدي أنه يتطرق -أينما وجدت المناسبة- إلى كثير من المسائل الاعتقادية بالاختصار أو التفصيل. فعلى رأس المسائل التي يؤكد عليها أكثر من غيرها أسماء الله وصفاته، وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعدم تكفير المؤمن بارتكاب الكبيرة.

يمكن القول بأن هناك تشابها بين مناهج التفسير لدى أبي منصور الماتريدي ومعاصره أبي جعفر الطبري من حيث تناول الآيات حسب ترتيب المصحف وتقسيمها إلى مجموعات حسب محتواها، والبحث عن المفهوم اللغوي إذا اقتضى الأمر، والترجيح بين الآراء والأقوال بعد تصنيفها. ومن المؤكد أيضا أن الماتريدي الذي يعتبر مؤسس منهج الدراية في تاريخ التفسير قد أثر على الزمخشري من ناحية التعبير والأسلوب وطريقة تناول المسائل.[2] كما أن فخر الدين الرازي الذي يذكر أنه على رأي الماتريدي في مسألة رؤية الله[3] لا شك أنه استفاد من *التأويلات* في مجال التفسير أيضا. فمن الملفت للنظر أن هناك تشابها بين الكتابين في الاهتمام بالاستدلال العقلي، وطريقة التناول للمسائل، وتصنيف المواضيع المطروحة أثناء دراستها إلى مجموعات وما إلى ذلك. وكلا المفسرين يقدمان معلومات تفصيلية في المواضيع المتعلقة بالكلام والفقه وأصول الفقه. على أن الماتريدي يهتم بالمواضيع الفقهية أكثر بينما يكثر الرازي

---

[1] المرجع السابق، ٦٨-٧٠.
[2] انظر: المرجع السابق، ٨٤-٨٥.
[3] *كتاب الأربعين* لفخر الدين الرازي، ١/٢٧٧.

من ذكر المعلومات الفلسفية والموسوعية. وقد عزا الرازي بعض الآراء إلى الماتريدي في خمسة مواضع من تفسيره.[1] كما قام المفسر أبو حيان الأندلسي في تفسيره بالعزو إلى *التأويلات*.[2] ولكتاب *التأويلات* أثر مهم جدا أيضا في مجال الفقه وأصول الفقه.

---

[1] *مفاتيح الغيب* لفخر الدين الرازي، ٥/١٦٣؛ ٦/٢٠٠؛ ١٤/٢٢٨؛ ٢٤/٢٤٤؛ ٢٧/١٨٨.

[2] *البحر المحيط* لأبي حيان، ٣/٣٦٤.

نسخ تأويلات القرآن

بمراجعة ما تيسر لنا الوقوف عليه من نسخ تأويلات القرآن تبين أن هناك كتابين. أحدهما تأويلات القرآن، والثاني كتاب يتضمّن شرح الكتاب الأول، جمعه وألفه علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، تلقفًا من أستاذه أبي المعين النسفي في شرحه كتاب الإمام الماتريدي.

أما الكتاب المنسوب إلى الإمام الماتريدي فيطلق عليه تارة في كتب الطبقات وفي بعض النسخ تأويلات أهل السنة، وتارة تأويلات القرآن، وثالثة تأويلات الإمام الماتريدي. فيشير هذا إلى أن الإمام الماتريدي لم يضع عنوانا للكتاب؛ فهو أملى على تلاميذه تلك التأويلات، ولم يضع لها عنوانا خاصا. فيبدو أن العنوان قد اختاره تلاميذه نظرا لما يقدم الإمام من الآراء حول القرآن الكريم، فهي تأويل وليس تفسيرا. فلذلك تعددت الإطلاقات، وإن كان الكتاب واحدا.

وأما الكتاب الثاني المنسوب إلى علاء الدين السمرقندي فهو شرح تأويلات القرآن، أخذه السمرقندي عن شيخه أبي المعين النسفي، على ما ذكره السمرقندي نفسه في صدر هذا الكتاب.

يمكن لنا أن نعرض النسخ على النحو الآتي:

النسخ الأصل

(١) النسخ الموجودة في تركيا:

(أ) النسخ الموجودة في إستانبول.

١ – نسخة راغب باشا تحت رقم ٣٥، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Rağıp Paşa, nr. 35]؛

وهي نسخة تقع على ٨٣٣ ورقة، وتحتوي كل صفحة منها على ٤١ سطرا. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. ولم يرد فيها اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ. وقد ذكر فؤاد سزگين أنها كتبت سنة ٨٩٠ هـ،

ولكن من خلال طرز الجلد ونوعية الورق يحتمل أن يكون نسخها قد تم في القرن الحادي عشر الهجري. وقد لاحظنا أن في وجه الورقة رقم ١٩٨ وفي ظهرها بياضا أشير إليه في الهامش بالخط نفسه، وذلك بعد ٨ أسطر من تأويل سورة الأنعام، والساقط منه قدر ٤٥ سطرا؛ كما سقطت تأويل سورة الانشراح والتين والعلق وتأويل الآية الأولى من سورة القدر.

٢- نسخة راغب باشا تحت رقم ٣٦، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Rağıp Paşa, nr. 36]؛ وتضم ٧٢٨ ورقة، وتشتمل كل صفحة منها على ٤٧ سطرا، وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. وعلى هوامش بعض الصفحات تعليقات وتصحيحات. اسم ناسخها علي بن حسن كوزل حصاري، تاريخ نسخها ١١٧٠هـ. وعلى الرغم من هذا كله فإن فؤاد سزگين قرر أنها كتبت سنة ٧٣٧هـ.[1]

٣- نسخة راغب باشا تحت رقم ٣٧، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Rağıp Paşa, nr. 37]؛ وتضم ٧١٧ ورقة، وكل صفحة تشتمل على ٤١ سطرا، مكتوبة بخط دقيق واضح جميل. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. وقد سقط من تأويل سورة الأنعام بعد ٨ أسطر مقدار ٤٦ سطرا. اسم ناسخها طوبخانه‌لي عبد الله الشهري، تاريخ نسخها ١١٦٤هـ.

٤- نسخة حاجي بشير آغا تحت رقم ٩، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Hacı Beşir Ağa, nr. 9]؛ تقع في ١٠٠٦ ورقة، وتحتوي كل صفحة منها على ٣٥ سطرا، وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. ومن خلال طرز الجلد ونوعية الورق يحتمل أن يكون نسخها قد تم في القرن الحادي عشر الهجري. وعلى هوامش بعض الصفحات تعليقات وتكميلات، كما يوجد على الورقة الأولى وأماكن مختلفة ختم باسم بشير أغا بتاريخ ١١٥٨هـ.

٥- نسخة مراد بخاري تحت رقم ١٤، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Murad Buhârî, nr. 14]؛ وهي نسخة تقع في ٣٣٦ ورقة، وتختلف عدد الأسطر نحو ٦١، ٦٣، ٦٩، ٧١ سطرا. سقط منها قسم قدر ٥١ سطرا من أول سورة الأنعام. وبها بياض في ظهر ورقة ٣٢٨ ووجه ورقة ٣٢٩، سقط بسببه تأويل سورة الانشراح وسورة التين وسورة العلق وتأويل ثلاث آيات

---

[1] F. Sezgin, *GAS*, I, 605.

من سورة القدر. اسم ناسخها قصاب زاده مصطفى بن شعبان الإستانبولي، تاريخ نسخها ١١٢٤هـ.

٦- نسخة قره چلبي زاده، تحت رقم ٥، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Karaçelebizade, nr. 5]؛ تبدأ من سورة الكهف إلى الآية ٨٠ من سورة يس. وتضم ١٦٨ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٣٥ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح، و لم يرد اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

٧- نسخة حميدية تحت رقم ٣٠، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Hamîdiye, nr. 30]؛ وهي نسخة تقع في ٦٣٣ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤٩ سطرا، مكتوبة بخط النسخ الواضح وكلماتها دقيقة. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. و لم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها. واقفها السلطان عبد الحميد خان بن السلطان أحمد خان وعلى هامش الصفحات بعض التعليقات والتكميلات.

٨- نسخة حميدية تحت رقم ٣١، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Hamîdiye, nr. 31]؛ وهي نسخة تقع في ٧٠٩ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٥١ سطرا، مكتوبة بخط دقيق. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. اسم ناسخها إسماعيل بن عبد الرحمن الكتاهي، وتاريخ نسخها ١١٦٤هـ. واقفها السلطان عبد الحميد خان الأول.

٩- نسخة شهيد علي باشا تحت رقم ٥٣، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Şehid Ali Paşa, nr. 53]؛ وتضم ٤٧٧ ورقة، وتحتوي كل صفحة منها على ٤٥ سطرا، مكتوبة بخط النسخ الواضح. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. وعلى هوامش بعض الصفحات تعليقات وتصحيحات. سقط منها تمام سورة الانشراح والتين والعلق، والآيات الثلاث من أول سورة القدر. اسم ناسخها مصطفى بن إبراهيم، تاريخ نسخها ١١١٦ في إستانبول.

١٠- نسخة لاله لي تحت رقم ١٠٠، بمكتبة سليمانية [Süleymaniye Ktp., Lâleli, nr. 100]؛ وهي في مجلد واحد، يقع في ٩٥٨ ورقة، مكتوبة بخط النسخ الدقيق الواضح. وتحتوي كل صفحة على ٣٧ سطرا. يبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وينتهي بتأويل سورة الناس. ويوجد على هوامش بعض الصفحات نُقُول من الشرح إلى جانب تصحيحات وتكميلات. وفي وجه الورقة الأولى والورقة الاخيرة ختم وقف، يشير إلى أن الوقف كان في سنة ١٢٧١هـ. و لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

١١- نسخة جار الله، تحت رقم ٤٧، بمكتبة سليمانية، [Sülcymaniyc Ktp., Cârullah, nr. 47]؛ تبدأ من سورة الكهف إلى آخر سورة يس، وتقع في ٢٨٦ ورقة. وتحتوي كل صفحة على ٢٧ سطرا، وهي مكتوبة بخط غير دقيق، وبها ختم باسم جار الله وقيود تمليك. اسم ناسخها أبو سمين أبو إسحاق بن إبراهيم الطرزي الدامغاني بتاريخ ٦٥١هـ.

١٢- نسخة جار الله، تحت رقم ٤٨، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Cârullah, nr. 48]؛ تبدأ من سورة سبأ إلى آخر سورة الفتح، وتقع في ٢٧٠ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٢١ سطرا، وهي مكتوبة بخط غير دقيق، وبها ختم باسم جار الله وقيود تمليك بتاريخ ٨١٨هـ. ولم يرد اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

١٣- نسخة جار الله، تحت رقم ٤٩، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Cârullah, nr. 49]؛ تبدأ بالآية ٥٢ من سورة يوسف إلى الآية ١٦ من سورة الكهف، وتقع في ٢٩٧ ورقة، وعدد الأسطر يتراوح ما بين ١٨ إلى ٢٠ سطرا، ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ. وبها ختم باسم جار الله وقيد تمليك يرجع إلى سنة ١١٣٣ هـ، وعلى هوامش بعض الصفحات تعليقات وتصحيحات.

١٤- نسخة چورلولي علي باشا تحت رقم ١٠، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Çorlulu Ali Paşa, nr. 10]؛ وهي في مجلد واحد يضم جزأين، يشغل الجزء الأول ٣٨٢ ورقة. ويبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وينتهى بنهاية تأويل سورة الكهف. ويشغل الجزء الثاني ٣٧١ ورقة، ويبدأ بتأويل سورة مريم، وينتهى بنهاية تأويل المعوذتين. وتحتوي كل صفحة على ٤٧ سطرا، وهي مكتوبة بخط الثلث الدقيق. ويوجد على هوامش بعض الصفحات حواش وتعليقات. اسم ناسخها صالح بن إبراهيم، تاريخ نسخها ١١١٧هـ. اسم الواقف الوزير الأعظم علي باشا بن الحاج محمد آغا.

١٥- نسخة حالت أفندي، تحت رقم ٢٢، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Hâlet Efendi, nr. 22]؛ وتقع في ٩٨٤ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٣٥ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ، وعلى الورقة الأولى منها معلومات عن الإمام الماتريدي. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. وعلى هوامشها اقتباسات من شرح التأويلات تنتهي عند سورة يس. وفي الورقة الأولى والأخيرة ختم باسم حالت أفندي. لم يرد اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

١٦- نسخة مهرشاه تحت رقم ٨، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Mihrişâh, nr. 8]؛ وهي نسخة تقع في ٩٣٠ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٣٩ سطرا، مكتوبة بخط النسخ الواضح. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير، ويليه تأويل سورة الفاتحة وتنتهي بتأويل سورة الناس. ويوجد على هوامش بعض الصفحات بعض الشروح والتعليقات. وفي الورقة الأخيرة تصريح بأنها نسخت من نسخة استنسخها شيخ الإسلام أسعد أفندي، في سنة ١١٦٨هـ، وأن ناسخها مصطفى بن محمد بن أحمد. وهذه إحدى النسخ التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب واتخذناها أصلا بين النسخ.

١٧- نسخة مكتبة كوبريلي قسم فاضل أحمد باشا، تحت رقم ٤٧، [Köprülü Ktp., Fazıl Ahmed Paşa, nr. 47]؛ وهي نسخة غير كاملة في جزئين. يبدأ الجزء الأول منها بتأويل سورة الفاتحة مباشرة وينتهي بنهاية تأويل سورة الإسراء؛ ويقع في ٥٢٨ صفحة [٢٦٤ ورقة]. ويشتمل كل صفحة على ٣٥ سطرا. اسم الناسخ عبد القادر عبد الرحمن الدنوشري بالقسطنطينية، وتاريخ نسخه ٩٩٧هـ. ويبدأ الجزء الثاني بتأويل سورة الأنعام وينتهي بتأويل آخر سورة الإسراء في صفحة ١٠٣٥ [٥١٨ ورقة]. ويلاحظ أنه قد سقط من ابتداء الجزء الثاني مقدار ٣٠ سطرا. ويشتمل كل صفحة على ٣٥ سطرا، واسم الناسخ أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي الحنفي. ولم يذكر تاريخ نسخه. وكلا الجزئين مكتوبان بقلم النسخ بحروف متوسطة الدقة. ويبدو أن الجزء الثاني قد تم نسخه في تاريخ قريب من تاريخ نسخ الجزء الأول، لأن الخط متقارب ولأن ناسخ الجزء الثاني يقول فيه خير الدين الزركلي: «أحمد بن يوسف الخالدي، فقيه تأدب من أهل صفد بفلسطين مولدا ووفاة. توفي سنة ١٠٣٤هـ/١٢٥٦م».[1] وهذه إحدى النسخ التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب إلى آخر سورة الإسراء.

١٨- نسخة مكتبة كوبريلي، قسم فاضل أحمد باشا، تحت رقم ٤٨، [Köprülü Ktp., Fazıl Ahmed Paşa, nr. 48]؛ تبدأ بتأويل سورة الأعراف وتنتهي بتأويل سورة الرعد. وتشتمل كل صفحة ٢٧ سطرا. لم يرد فيها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، وعليها قيد التملك بتاريخ ٨١٨ هجرية.

---

[1] *الأعلام* للزركلي، ٢٣٦/١.

١٩ – نسخة حاجي سليم آغا، قسم حاجي سليم آغا، تحت رقم ٤٠، [Hacı Selim Ağa Ktp., Hacı Selim Ağa bölümü, nr. 40]؛ تقع في ٩١٠ ورقة، وتحتوي كل صفحة منها على ٣٥ سطرا. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بسورة الناس. ويوجد على هوامش بعض الصفحات بعض الشروح والتكميلات. وقد كتبت بخط خليط من النسخ والرقعة، ولم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ، ويحتمل أن تكون قد نسخت في القرن الثاني عشر الهجري.

٢٠ – نسخة حاجي سليم آغا، قسم حاجي سليم آغا، تحت رقم ١٤٠، [Hacı Selim Ağa Ktp., Hacı Selim Ağa bölümü, nr. 140]؛ وتقع في ٤٧٧ ورقة، وتحتوي كل صفحة منها على ٤٥ سطرا. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بسورة الناس. ويوجد على هوامش بعض الصفحات بعض الشروح والتعليقات. وقد كتبت بخط النسخ الواضح، ولم يرد فيها اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ، ويحتمل أن تكون قد نسخت في القرن الثاني عشر الهجري.

٢١ – نسخة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦–٧٧، [Atıf Efendi Ktp., nr., 76-77]؛ وهي عبارة عن مجلدين. المجلد الأول برقم (٧٦)، يقع في ٤٥٦ ورقة، والمجلد الثاني برقم (٧٧)، يقع في ٤٣٢ ورقة؛ وتحتوي كل صفحة منها على ٣٧ سطرا. ويبدأ المجلد الأول ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وهو حتى آخر سورة مريم. والمجلد الثاني من أول سورة طه إلى آخر القرآن الكريم. وهي مكتوبة بخط الرقعة الدقيق، قريب الشبه بخط نسخة نور عثمانية. ويوجد على هوامش بعض الصفحات بعض الشروح والتكميلات. اسم الناسخ أحمد حسام الدين الراقي، وقد تم نسخها في سنة ١١٥٦هـ. وهذه إحدى النسخ التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب.

٢٢ – نسخة نور عثمانية، قسم نور عثمانية، تحت رقم ١٢٢، [Nuruosmaniye Ktp., Nuruosmaniye bölümü, nr. 122]؛ تضم ٦٢٤ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤٩ سطرا، وهي مكتوبة بخط الرقعة الدقيق الواضح. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. وبهامش بعض الصفحات حواش وتعليقات. اسم الواقف السلطان عثمان بن السلطان محمود. اسم ناسخها عمر بن علي القزانلقي، تاريخ نسخها ١١٦٥هـ.

٢٣- نسخة نور عثمانية، قسم نور عثمانية، تحت رقم ١٢٣، [Nuruosmaniye Ktp., Nuruosmaniye bölümü, nr. 123]؛ تقع في ٨٣٣ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٣٥ سطرا، وهي مكتوبة بخط الرقعة الدقيق. اسم الواقف السلطان عثمان بن السلطان محمود. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. ويوجد على هوامش بعض الصفحات تصحيحات وتعليقات. واسم الناسخ مصطفي بن السيد محمد العماني، وتارخ نسخها ١١٠٣هـ.

٢٤- نسخة نور عثمانية، قسم نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤، [Nuruosmaniye Ktp., Nuruosmaniye bölümü, nr. 124]؛ تقع في ٨٤٣ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤١ سطرا، وهي مكتوبة بخط الرقعة الدقيق. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. ويوجد على هوامش بعض الصفحات تصحيحات وتعليقات. سقط منها تأويل آيتين من أول سورة الأنعام، وأكثر تأويل سورة الانشراح، وتمام سورة التين وسورة القلم، والآيات الأربع (نصف الآية الرابعة) من سورة القدر. واسم الواقف السلطان عثمان بن السلطان محمود. واسم الناسخ سليمان بن عبد الله الملا رندوي بقسطنطينية، وتارخ نسخها ١١١٤هـ. وهذه إحدى النسخ التي اعتمدنا عليها في التحقيق.

٢٥- نسخة نور عثمانية، قسم نور عثمانية، تحت رقم ١٢٥، [Nuruosmaniye Ktp., Nuruosmaniye bölümü, nr. 125]؛ تقع في ٨٤٢ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٣٩ سطرا، وهي مكتوبة بخط الرقعة الدقيق. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. اسم الواقف السلطان عثمان بن السلطان محمود. واسم الناسخ السيد محمد بن السيد إبراهيم الطرابلسي، وتارخ النسخ ١١٦٥هـ.

٢٦- نسخة روان، بمكتبة طوبقابي سرايي، تحت رقم ١٨٢، [Topkapı Sarayı Ktp., Revan, nr. 182]؛ تقع في ٨٤٢ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤٧ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. كما سقط منها تفسير آيتين من أول سورة الأنعام، وآيتين من تأويل سورة الانشراح، و تمام سور التين والقلم، والآيات الأربع (نصف الآية الرابعة) من سورة القدر. اسم واقفها السلطان محمود بن السلطان مصطفى. وعلى جوانب بعض الصفحات

تصحيحات وتعليقات. ويذكر في آخرها أنها نسخت لشيخ الإسلام محمد أسعد أفندي. وأشير إلى تاريخ بدء نسخه وإتمامه بالحساب الأبجدي: غقنط-غقبس. (١١٥٩-١١٦٢).

٢٧- نسخة مدينة، بمكتبة طوبقابي سرايي، تحت رقم ١٨٠، [Topkapı Sarayı Ktp., Medine, nr. 180]؛ تقع في ٨١٥ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤١ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. سقط منها تفسير آيتين من أول سورة الأنعام. وعلى الورقة الأولى ختم وقيد بأنها وقفت من قبل السلطان محمود بن السلطان مصطفى. ولم يرد اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

٢٨- نسخة أحمد الثالث، بمكتبة طوبقابي سرايي، تحت رقم ٢٨/١، [Topkapı Sarayı Ktp., III. Ahmed, nr. 28/1]؛ وتقع في ٢٨٣ ورقة، وهي مكتوبة بخطي الثلث والنسخ. وعدد الأسطر يتراوح بين ٢٠ و٢١ سطرا. تبدأ بسورة الحج حتى آخر سورة الأحزاب، وعلى هوامش بعض الصفحات تصحيحات وتكميلات. وبها ختم تملك في الورقة الأولى، ولم يرد اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، ومن خلال أحد القيود يتضح أنها امتلكت بتاريخ ٨١٨هـ.

٢٩- نسخة أحمد الثالث، بمكتبة طوبقابي سرايي، تحت رقم ٢٨/٢، [Topkapı Sarayı Ktp., III. Ahmed, nr. 28/2]؛ وتقع في ٣٢٨ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٢٧ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ. تبدأ بسورة النساء حتى نهاية سورة الأنعام. وعلى هوامش بعض الصفحات تصحيحات وتكميلات، وبها ختم تملك في الورقة الأولى. ولم يرد اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، ومن خلال أحد القيود يتضح أنها امتلكت بتاريخ ٨١٨هـ.

(ب) النسخ الموجودة خارج إستانبول.

٣٠- نسخة راشد أفندي، تحت رقم ٤٧، بمكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، [Kayseri, Raşid Efendi Ktp., nr. 47]؛ تقع في ٦٦٧ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤٥ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. وعلى هوامش بعض الصفحات تعليقات وتصحيحات. ولم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها. ويوجد على الورقة الأولى وأماكن مختلفة من النسخة ختم باسم راشد أفندي بتاريخ ١١٥٨هـ. وهذه إحدى النسخ التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب ابتداء من سورة الكهف إلى آخر سورة الناس.

٣١- نسخة يوسف آغا تحت رقم ٤٧، بمكتبة يوسف آغا بمحافظة قونيا، [Konya, Yusuf Ağa Ktp., nr. 47]؛ تقع في ٤٧٧ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤٥ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. سقط منها قسم من تفسير الآية الثانية لسورة الأنعام. وعلى هوامش بعض الصفحات تعليقات وتصحيحات. اسم ناسخها محمد بن مصطفى أقكرماني بتاريخ ١١٦٥هـ.

٣٢- نسخة نجيب باشا بدون رقم، بمكتبة نجيب باشا، بمحافظة تيره-إزمير [Tire-İzmir, Necip Paşa Ktp., nr. 182]؛ تقع في ٦٤٤ ورقة. وتحتوي كل صفحة على ٤٧ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح، وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. وعلى هوامش بعض الصفحات تعليقات وتصحيحات. اسم ناسخها مصطفى بن محمد بن أحمد بتاريخ ١١٦٥هـ.

(٢) النسخ الموجودة في العالم الإسلامي.

٣٣- نسخة الظاهرية بدمشق (مكتبة الأسد)، تحت رقم ٤٩٥، تفسير ٩٩. تقع في ٦٦١ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤٥ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح، وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس. ويوجد على هوامش بعض الصفحات تصحيحات. ولم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

٣٤- نسخة دار الكتب المصرية [تفسير ٦، قَوَلَه] بالقاهرة. تضم ٦٥٦ ورقة، الورقة الأولى منها مفقودة، وتحتوي كل صفحة على ٤٧ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الدقيق الواضح. وبهامش بعض الصفحات حواش وتصحيحات. اسم ناسخها مصطفى بن محمد بن أحمد، وتاريخ نسخها ١١٦٥هـ. ويلاحظ التشابه بين هذه النسخة ونسخة مكتبة نجيب باشا بمحافظة تيره، يتمثل هذا الشبه في توحد الكاتب وتقارب التاريخ والحجم. ولهذه النسخة بدار الكتب المصرية نسخة مصورة في ثلاثة مجلدات (تحت رقم: ٢٧٣٠٦/ب).

(٣) النسخ الموجودة في أوربا.

٣٥- نسخة برلين بألمانيا، قسم توبنجن، تحت رقم ٤١٥٦، [Berlin (z. Z. Tübingen) Or. Fol. 4156]؛ تضم ٥٦٥ ورقة، كل ورقة تحتوي على ٤٥ سطرا. وهي مكتوبة بخط النسخ الدقيق الذي. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل الفاتحة، وتنتهي بتأويل سورة الناس.

وسقط منها قسم من تفسير الآية الثانية لسورة الأنعام، وعلى هوامشها بعض التصحيحات. ولم يرد اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها. وفي الصفحة الأولى قيد التملك باسم محمود حمدي.

٣٦- نسخة بالمتحف البريطاني، تحت رقم ٩٤٣٢، [British Museum, Or. 9432]؛ فهي نسخة تضم تأويل سورة آل عمران، وتقع في ٢١١ ورقة. وقد ذكر فؤاد سزگين أنها كتبت سنة ٦٦٥هـ.[١]

الشروح:

(١) الشروح الموجودة في تركيا.

١- نسخة حميدية تحت رقم ١٧٦، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Hamidiye, nr. 176]؛ تقع في ٨٧٩ ورقة، وتحتوي كل صفحة منها على ٤٣ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الدقيق الواضح ومشكّل غالبا. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل الفاتحة، وتنتهي بسورة الناس. وعلى الورقة الأولى ختم وقيد بأنها وقفت من قبل السلطان عبد الحميد الأول بن السلطان أحمد، وقد تم نسخها سنة ١١٨٠هـ. من قبل الحاج أحمد من خدام السادة النقشبندية. وهذه النسخة هي التي اخترناها لشرح المتن ولتصحيحه.

٢- نسخة أسعد أفندي تحت رقم ٤٨ بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Esad Efendi, nr. 48]؛ تقع في ٣٨٦ ورقة، وهي مكتوبة بخط النسخ الدقيق الواضح، وتحتوي كل صفحة منها على ٢٥ سطرا، تبدأ بسورة الفاتحة، وتنتهي بالآية رقم ٦٨ من سورة النساء. ويوجد على هوامشها بعض القيود. وقد تم نسخها سنة ٧١٥هـ من قبل محمود بن محمد بن محمود النسفي.

٣- نسخة شهيد علي باشا تحت رقم ٢٨٣، بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Şehid Ali Paşa, nr. 283]؛ وتضم ٤٢١ ورقة. وتحتوي كل صفحة على ٣٣ سطرا. وهي مكتوبة بخط النسخ، تبدأ بسورة الفاتحة وتنتهي بسورة الأنفال، ولم يرد ذكر ناسخها ولا تاريخ نسخها.

٤- نسخة جار الله تحت رقم ٢٣٠ بمكتبة سليمانية، [Süleymaniye Ktp., Cârullah, nr. 230]؛ تقع في ٣٣٦ ورقة، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح الدقيق، وتحتوي كل صفحة منها على ٢٧ سطرا، تبدأ بسورة النساء وتنتهي بآخر سورة الأعراف، وعلى هوامشها بعض القيود. وقد تم نسخه سنة ٦٥٧هـ من قبل: عمر حجاج بن بانس حجاج.

---

[١] أنظر: F. Sezgin, *GAS*, I, 605.

٥- نسخة مدينة تحت رقم ١٧٩، بمكتبة طوبقابي سرايي، [Topkapı Sarayı Ktp., Medine, nr. 179]؛ تقع في ١٠٥٨ ورقة، وتحتوي كل صفحة على ٤٣ سطرا، وهي مكتوبة بخط النسخ الدقيق الواضح. وتبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير، وتنتهي بسورة الناس. وعلى الورقة الأولى ختم وقيد بأنها وقفت من قبل أحمد عارف حكمت بك، وقد تم نسخها سنة ١١٨٢هـ. من قبل حافظ محمد أفندي.

٦- نسخة ولي الدين، بمكتبة بايزيد، تحت رقم ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، [Beyazıt Ktp., Veliyyüddin, nr. 423, 424, 425, 426]؛ يقع الجزء الأول في ٢٨٦ ورقة، ويحتوي كل صفحة على ٣١ سطرا، يبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير ويليه تأويل سورة الفاتحة، وينتهي بآخر سورة آل عمران، وعلى هوامشه بعض الحواشي. وفي الورقة الأولى تصريح بأنه المجلد الأول لشرح *كتاب التأويلات* وأنه وقف من قبل شيخ الإسلام ملا فناري. ولم يرد ذكر ناسخه ولا تاريخ نسخه.

ويقع الجزء الثاني (٤٢٤) في ٢٨٨ ورقة، ويحتوي كل صفحة على ٣١ سطرا. يبدأ بسورة النساء وينتهي في نهاية سورة الأعراف، وعلى هوامشه بعض الحواشي. وفي الورقة الأولى تصريح بأنه المجلد الثاني لشرح *كتاب التأويلات* وأنه وقف من قبل شيخ الإسلام ملا فناري. ولم يرد ذكر ناسخه ولا تاريخ نسخه.

ويقع الجزء الثالث (٤٢٥) في ٢٦٢ ورقة، ويحتوي كل صفحة على ٣٣ سطرا، وكتب بخط النسخ الغير الواضح. يبدأ بسورة الأنفال وينتهي في نهاية سورة المؤمنون، وعلى هوامشه بعض الحواشي. وفي الورقة الأولى تصريح بأنه المجلد الثالث لشرح *كتاب التأويلات*. ولم يرد ذكر ناسخه ولا تاريخ نسخه.

والجزء الرابع من النسخة مفقودة. وهي يحتمل أن تبدأ من سورة النور وتنتهي بآخر سورة سبأ.

ويقع الجزء الخامس (٤٢٦) في ٣٧١ ورقة، ويحتوي كل صفحة على ٣١ سطرا. يبدأ بسورة الفاطر وينتهي إلى آخر سورة الناس، وعلى هوامشه بعض الحواشي. ولم يرد ذكر ناسخه ولا تاريخ نسخه. ويلاحظ أن الخط في المجلد الرابع قد اختلف عنه في المجلدات المتقدمة. وهذه النسخ الأربعة قد نقص من مجموعها قسم من تأويل السور، وهي تبدأ بسورة النور وتنتهي إلى آخر سورة سبأ.

(٢) الشروح الموجودة في الخارج.

٧- نسخة مكتبة الحرم المكي، تحت رقم ٥٢٩-٥٣٠. تقع في ٢٦١ ورقة. يحتوي كل صفحة منها على ٥٠ سطرا. تبدأ ببيان الفرق بين التأويل والتفسير، وتنتهي بسورة الناس. وفي الورقة الأولى ختم وقيد على أنها وقفت من قبل عبد المجيد خان بن محمود خان، اسم ناسخها موسى السيد عبد العزيز، وتاريخ نسخها ١١٩٢هـ.[١]

٨- نسخة طاشكنت، تحت رقم ٥١٢٦-٥١٢٧، [Taşkent, nr. 5126-5127]؛ وهي تبدأ بالآية الثالثة من سورة آل عمران حتى آخر سورة النساء، وتقع في ٢٦٦ ورقة. وهي مكتوبة بخط النسخ، وتحتوي كل صفحة على ٤٥ سطرا، وبهامش بعض الصفحات حواش وتعليقات وتصحيحات. لم يرد اسم الناسخ. تاريخ نسخها تم في ٥٥٧هـ. وقد تبين لنا من خلال التصفح للنسخة أنها شرح، رغم وصفها في بعض القيود بأنها *تأويلات القرآن*.

٩- نسخة بنكيبور، رقم ٢٩٤، [Bankipore. Or. Public Library, H. 294]، تنتهي بالآية رقم ٢٣٨ من سورة البقرة، ولم نطلع على مواصفاتها كاملا.[٢]

---

[١] والنسخة التي أشار إليها فؤاد سزگين بأنها نسخة المدينة المنورة، قد اشتبهت عليه بالجزء الأول الذي قام بتحقيقه ونشره إبراهيم محمد عوضين وسيد محمد عوضين. وهي عبارة عن تحقيج الجزء الأول للقرآن الكريم.

[٢] أنظر: C.Brockelmann, *Suppl.*, I, 346; F. Sezgin, *GAS*, I, 605; M. Abdulhamid, *Catalogue of the Arabic and Persian Manuscripts in the Oriental Public Library at Bankipore*, Patna 1932, XVIII/2, 157, nr. 1470.

المنهج المتبع أثناء تحقيق النص
لكتاب *تأويلات القرآن*

إن نسخ *تأويلات القرآن* لأبي منصور الماتريدي الذي نقدم لتحقيقه بها، فقد تجاوز ما وقفنا عليه أو على وصفه أربعين نسخة مخطوطة مع نسخ الشرح. وهي متناثرة في شتى البلاد، مما يقوي الثقة في الكتاب وفي نسبته إلى صاحبه، ومما يلفت النظر إلى مدى الحرص على اقتناء الكتاب، على الرغم من ضخامة حجمه، وما يتكلفه نسخه من جهد وعناء. وهذه النسخ منها نسخ كاملة، ومنها نسخ ناقصة. فالنسخ الخطية التي وجدت داخل المكتبات التركية فهي يصل عددها إلى اثنتين وثلاثين نسخة. وأما الكتاب المنسوب إلى علاء الدين السمرقندي (ت ٥٣٩هـ / ١١٤٤م)، فهو شرح *تأويلات القرآن* الذي أخذه السمرقندي عن شيخه أبي المعين النسفي (ت ٥٠٨هـ / ١١١٥م) على ما ذكره السمرقندي نفسه في صدر هذا الكتاب، فقد وقفنا من نسخ هذا الشرح على نسخ غير قليلة في مكتبات إستانبول. ومن الجدير بالذكر أننا لدينا إمكانيات الوصول إلى جميع النسخ الخطية للكتاب وشرحه الموجودة بمكتبات تركيا، وكذلك إلى كثير من النسخ التي توجد خارج البلاد. فوجود نسخ خطية كثيرة للكتاب المراد تحقيقه يعتبر شيئًا إيجابيًا لنجاح عملية التحقيق. غير أن كثيرًا من النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* قد نُسختْ في قرون متأخرة، وأغلبها راجعة إلى القرن الثاني عشر الهجري. ولدى الاطلاع لتلك النسخ يجد الباحث أن هناك أخطاء إملائية وقع فيها الناسخ، ثم تكررت تلك الأخطاء في أغلب النسخ الباقية. وهناك احتمال كبير بأن الإمام أبا منصور الماتريدي كان من أصل تركي، فبالتالي قد يلاحظ من ضعف أسلوبه في بعض الأحيان. ونضيف إلى ذلك أن الشيخ الماتريدي كان يملي كتابه على تلاميذه، وأنهم دوّنوها منه تلقفًا كما قرر السمرقندي في شرحه. فإذا تذكرنا هذا تبيّنا أن هذا الضعف اللغوي يأتي أحيانًا من عدم كونه عربي الأصل وأحيانًا من ضعف تلاميذه في الرواية عنه.

ونعتقد أن الكتاب أثناء النشر –وفيه الهوامش المطلوبة في النشرات العلمية– سوف يكون ثمانية عشر مجلدًا بعلاوة بمجلد خاص بالفهارس. ونحن على أمل أن يكون هذا التحقيق لكتاب *تأويلات القرآن* في مثابة كتاب محَقَّق وكأنه صدر عن المؤلف نفسه.

إن المنهج الأمثل في تحقيق النصوص الخطية -وإن كان عسيرًا- هو تثبيت النص الصادر من المؤلف نفسه (أو الكلمة الصادرة من فم المؤلف). ولكي يتحقق المنهج المذكور ينبغي الآتي: الاطلاع على النصوص الواردة في النسخ المختلفة والتأكد من الفروق، ثم استخدام أسلوب الترجيح في النص للوصول إلى النص الأصلي أو النص الأقرب إليه، وتثبيت فروق النسخ المستخدمة أثناء التحقيق بالهامش المخصص لها. وقد لجأنا نحن أثناء تحقيق *تأويلات القرآن* إلى هذا المنهج.

ولدى الاطلاع الدقيق على النص، نجد الإمام أبا منصور بأنه يلجأ إلى أسلوب تفسير الآية بالآية. وخصوصًا عندما يأتي بأدلته العلمية في المسائل العقائدية والفقهية نجده يذكر آيات كثيرة وأحاديث نبوية غير قليلة، كما يستشهد موافقه هذه بأقوال من الصحابة الأجلاء وكثير من أجلة العلماء. فلجأنا أثناء التحقيق حينئذ إلى أسلوب ذكر أماكن ورودها في مصادرها الأصلية ومراجعها العلمية. ولاحظنا أن الشيخ رحمه الله عند الاستشهاد بالآيات القرآنية يغلب عليه أن يذكر شطر الآية؛ فرأينا أن نذكر تمام الآية في الهامش مع ذكر اسم السورة ورقمها ورقم الآية حتى يتضح أمام القارئ موطن الاستشهاد. كما لاحظنا أنه رحمه الله في تأويله، عند ما يريد الاستشهاد بالحديث النبوي، يذكر الحديث بالمعنى، أو يذكر شطر الحديث أو بعض كلمات منه. فكان علينا أن نرجع إلى أصول تلك الأحاديث في مصادرها، ونذكر نصها في الهامش مخَرَّجة. هذا وقد قررنا أن نلتزم في ذكر مراجع الحديث منهج كتاب *المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي* لفنسنك (A. J. Wensinck). وقد التزنا كذلك بإعطاء معلومات إضافية حول الروايات الغريبة أو الضعيفة في هوامشها. وأما عن عبارات التعظيم الواردة في النسخ، وذلك مثل "تعالى" و"عز وجل" و"عليه السلام"، فهي عبارات وردت مختلفة في صيغها في كثير من النسخ، فلجأنا فيها إلى أسلوب إثبات العبارات الواردة في نسخة "مهرشاه" الأصلية وعدم ذكر الفروق فيها بالهوامش، لأنها عبارات لا تؤثر في صلب الجانب الفكري للكتاب.

ولما لاحظنا ورود كلمات غريبة يصعب فهمها للقارئ شرحناها في الهامش، ولجأنا إلى تنقيط أسماء الأشخاص والأعلام المجهولة التي وردت في النص وإلى تنقيط الكلمات التي أتت في جمل يصعب فهمها، مع حرصنا على ذكر ترجمة موجزة نسبيا للأشخاص المجهولة والواردة أسماؤهم في النص المحقق، ونكتفي به عند وروده في النص للمرة الأولى في كل مجلد. وكذلك وضعنا هوامش تشرح العبارات الغامضة في النص لدى الحاجة إليها. وفي سبيلنا للوصول إلى تلك النسخة الصحيحة للنص المخطوط، كان علينا أن نستعين بـ *شرح تأويلات القرآن*، بالرجوع إليه بين الحين والآخر، حين تغمض علينا العبارة أو نجد أنها في حاجة إلى توضيح بارز. وقد ورد في نص *التأويلات*

كما ورد في نص *كتاب التوحيد* أيضًا عبارات تتعلق بالإحالات والإرجاعات حول موضوعات سبق شرحها و لم يشر المؤلف إلى أماكن ورودها، فالتزمنا فيها بذكر السورة ورقم الآية التي ورد فيها إحالة الباحث إلى موضعها. كما لاحظنا اضطرابات غير قليلة في نسق التأويل بتقديم تأويل آية أو قسم منه على الأخرى، أو بتأخيره إزاء السياق القرآني؛ حيث نعيد الترتيب وفق السياق القرآني دون مساس بعبارة الماتريدي في ذاتها، مع التنبيه كذلك في الهامش إلى ما صنعنا من تغيير ووضع أرقام اللوحات على جانب الصفحة.

ومما لا شك فيه أن المصاحف القرآنية لها إملاء ورسم خاص عبر التاريخ؛ غير أن علماء المسلمين قد لجأوا في تفاسيرهم إلى رسم كان معتادًا في العصر الذي كانوا يعيشون فيه. وفي الآونة الأخيرة نشاهد في بعض الدول العربية مصاحف طبعت بالرسم العثماني نراها طُبِّقت فيها وفي تفاسيرها المطبوعة قواعد الإملاء الخاص. ولدى نشر *التأويلات*، لم نلجأ إلى هذا النوع من الإملاء الذي لم يكن معتادًا في بلدنا وفي كثير من البلاد الإسلامية، كما يمتاز الأسلوب المذكور بالصعوبة البالغة في القراءة؛ لذلك قررنا أثناء التحقيق باستخدام الإملاء المعاصر للنص القرآني وتأويلاته الإملاء الذي تبنّاه كثير من مؤسسات مجمع اللغة العربية في العالم العربي. فهذا الإملاء الحديث الذي يعتمد على قواعد لغوية حديثة في رسم الكلمات أدّى بنا إلى الالتزام بكتابة كلمات إسحق وهرون وسموات بالشكل الآتي: "إسحاق"، و"هارون"، و"سماوات". وقد استثنينا من هذه القاعدة كلمة "الرحمن" التي ورد ذكرها كثيرًا في البسملة وثبت رسمها بالشكل المذكور دون أن تكتب في شكل "الرحمان". وقد ورد في كثير من الأحيان عبارات ليس لها اتصال بمضمون العبارة وتشير إلى الدعاء أو الذكر في أواخر الفقرات في النص، مثل "والله الموفق" و"والله أعلم"، فكتبناها بخط يخالف خط النص.

ونحب أن نشير إلى أن كتاب *تأويلات القرآن* الذي بدأنا بطبعه وسننتهي عنه بفضل الله وكرمه في أقرب وقت ممكن، سوف نعمل له الفهارس الآتي:

أ- فهرس الآيات المستشهد بها.

ب- فهرس الأحاديث والآثار.

ت- فهرس الأعلام.

ث- فهرس الشعوب والقبائل والأماكن.

ج- فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات.

ح- فهرس الأشعار.

خ- فهرس الكتب.

د- فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية.

وقد كثر في الأيام الأخيرة عدد الباحثين الذين يعملون دراسات علمية وأبحاث أكاديمية حول أبي منصور الماتريدي ومذهبه المسمى بالماتريدية. واستجابة لرغبة هؤلاء الباحثين وحاجتهم الملحة في دراساتهم إلى فهارس، قررنا أن نضع الفهارس المذكورة في أواخر كل مجلد نطبعه حتى نسهل لهم الطريق. وبعد الانتهاء من طبع جميع المجلدات للكتب سوف نجمع تلك الفهارس في مجلد واحد وسوف نطبعها مرة أخرى في هذا المجلد المستقل. ومن الملاحظ أن أبا منصور الماتريدي قد ذكر في تفسيره هذا مختلف القراءات التي تؤثر وتغير معنى الآية؛ لذلك قرّرنا أن نخصص لها أيضًا مكانًا خاصًا داخل المجلد المستقل للفهارس.

المصادر والمراجع

- ***إتحاف السادة***
المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين؛ تأليف أبي الفيض السيد محمد بن محمد الحسيني الشهير بمرتضى الزبيدي، القاهرة ١٣١١هـ.
- ***إشارات المرام***
من عبارات الإمام؛ تأليف بياضي زادة كمال الدين أحمد أفندي البسنوي، تحقيق يوسف عبد الرزاق، القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.
- ***أصول الدين***؛
تأليف أبي اليسر صدر الإسلام محمد بن محمد بن حسين البزدوي، تحقيق هانز بيتر لنس، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ***إمام أهل السنة***
والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية؛ تأليف علي عبد الفتاح المغربي، القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ***الأنساب***؛
تأليف أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي والآخرين، حيدرآباد ١٣٨٢-١٤٠٢هـ / ١٩٦٢-١٩٨٢م.
- ***بدائع الصنائع***
في ترتيب الشرائع؛ تأليف أبي بكر علاء الدين بن مسعود بن أحمد الكاساني، القاهرة ١٣٢٧-١٣٢٨هـ.
- ***تأويلات أهل السنة***
... المسمى *تفسير الماتريدي*؛ تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق إبراهيم عوضين-السيد عوضين، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ***تأويلات القرآن***؛
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، نسخة خطية بمكتبة حاجي سليم آغا، رقم ٤٠.
- ***تاج التراجم***
في من صنف من الحنفية؛ تأليف أبي العدل زين الدين قاسم بن قطلوبوغا بن عبد الله الجمالي، تحقيق إبراهيم صالح، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ***تاريخ الإسلام***؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري والآخرين، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

– *تاريخ التراث العربي*؛
تأليف فؤاد سزكين، ترجمة محمود فهمي الحجازي والأخرين، الرياض ١٤٠٢-١٤٠٨هـ / ١٩٨٢-١٩٨٨م.

– *تبصرة الأدلة*
في الكلام؛ تأليف ميمون بن محمد بن محمد النسفي المعروف بأبي المعين النسفي، تحقيق كلود سلامة، دمشق ١٩٩٠-١٩٩٣م.

– *تفسير البحر المحيط*؛
تأليف أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الجياني الأندلسي، القاهرة ١٣٢٨-١٣٢٩هـ.

– *التفسير والمفسرون*؛
تأليف محمد حسين الذهبي، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١-١٩٦٢م.

– *جامع البيان*
عن *تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق صدقي جميل العطار، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

– *الجامع الصحيح*؛
تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ١٩٥٦م.

– *الجامع الصحيح*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، إستانبول ١٩٧٨م.

– *الجامع لأحكام القرآن*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق أبي إسحاق إبراهيم، القاهرة ١٣٨٦-١٣٨٧هـ / ١٩٦٦-١٩٦٧م.

– *الجواهر المضية*
في طبقات الحنفية؛ تأليف أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد المعروف بأبي الوفاء القرشي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة ١٣٩٣-١٣٩٩هـ / ١٩٧٣-١٩٧٩م.

– *حكم الله الواحد الصمد*
في حكم *الطالب من الميت المدد*؛ تأليف محمد سلطان الخجندي، القاهرة ١٣٥٥هـ.

– *سلم الوصول*
إلى طبقات الفحول؛ تأليف كاتب چلبي مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم ١٨٨٧.

– *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦.

– *شرح الجامع الصغير*
في الفروع؛ تأليف أبي الحسن أبي العسر فخر الإسلام علي بن محمد بن حسين البزدوي، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم جار الله أفندي، رقم ٦٠٥.

– *شرح الجمل*
شرح *جمل أصول الدين*؛ تأليف أبي يحيى، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم ١٦٤٨.

– *شرح الفقه الأبسط*

لأبي حنيفة؛ The Islamic Concept of Belief in the 4th/10th Century: Abu'l-Lait as-Samarqandi's Commentary on Abu Hanifa al-Fiqh al-absat، تحقيق هانس دير، طوكيو ١٩٩٥م.

– *شرح المقاصد*؛

تأليف سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، إستانبول ١٣٠٥هـ.

– *الطبقات السنية*

في تراجم الحنفية؛ تأليف تقي الدين بن عبد القادر التميمي، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم شهيد علي باشا، رقم ١٩٠٦.

– *طبقات الفقهاء*؛

تأليف أبي الخير طاشكوپري زادة عصام الدين أحمد أفندي رومي، تحقيق أحمد نيلة، موصل ١٩٥٤م.

– *طبقات الفقهاء الشافعية*؛

تأليف أبي عاصم محمد بن أحمد بن محمد العبادي الهروي، تحقيق G. Vitestam، ليدن ١٩٦٤م.

– *الفوائد البهية*

في تراجم الحنفية؛ تأليف أبي الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم بن عبد الكريم اللكنوي، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس، القاهرة ١٣٢٤هـ.

– *القند*

في ذكر علماء سمرقند؛ تأليف أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي، تحقيق نظر محمد الفاريابي، الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

– *كتائب أعلام الأخيار*

من فقهاء مذهب النعمان المختار، تأليف محمود بن سليمان الكفوي، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم رئيس الكتاب، رقم ٦٩٠.

– *كتاب الأربعين*

في أصول الدين؛ تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

– *كتاب التوحيد*؛

تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق فتح الله خليف، بيروت ١٩٨٦م.

– *كتاب التوحيد*؛

تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق بكر طوپال أوغلي – محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

– *كتاب في أصول الفقه*؛

تأليف أبي الثناء محمود بن زيد اللاّمشي الحنفي الماتريدي، تحقيق عبد المجيد التركي، بيروت ١٩٩٥م.

– *كتاب النوازل*؛

تأليف أبي الليث إمام الهدى نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة خطية بمكتبة جامعة إستانبول، كتب نادرة، رقم ع-٣٤٥٩.

- *كشف الأسرار*
عن أصول فخر الإسلام البزدوي؛ تأليف علاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- *كشف الظنون*
عن أسامي الكتب والفنون؛ تأليف كاتب چلبي مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، تحقيق محمد شرف الدين يالتقيا–المعلم رفعت بيلگه الكليسي، إستانبول ١٣٦٠–١٣٦٢هـ / ١٩٤١–١٩٤٣م.
- *لسان العرب*؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، بولاق ١٢٩٩–١٣٠٨هـ.
- *المباحث*
في علوم القرآن؛ صبحي الصالح، دمشق ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.
- *المحيط البرهاني*
في الفقه النعماني؛ تأليف برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز البخاري، تحقيق أحمد عِزّو عناية، بيروت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- *مجموع الحوادث*
والنوازل؛ تأليف أحمد بن موسى بن عيسى الكشي، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم يني جامع، رقم ٥٤٧.
- *المرقات الوفية*
في طبقات الحنفية؛ تأليف أبي الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم رئيس الكتاب، رقم ٦٧١–٦٧٢.
- *مسالك الأبصار*
في ممالك الأمصار؛ تأليف أبي العباس بن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، نشر فؤاد سزگين، فرانكفورت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- *مفاتيح الغيب*؛
تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين الرازي، القاهرة بدون تاريخ (المطبعة البهية المصرية).
- *المفردات*
في غريب القرآن؛ تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الإصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
- *مناظرات*
فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر؛ تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، تحقيق فتح الله خليف، بيروت ١٩٦٦م.
- *ميزان الأصول*
في نتائج العقول؛ تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، تحقيق محمد زكي عبد البر، قطر ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

مراجع غير عربية

Barthold, Vasilij Viladimirovic, *Moğol İstilâsına Kadar Türkistan* (haz. Hakkı Dursun Yıldız), Ankara 1990.

Brockelmann, Carl, *Geschichte der arabischen Litteratur (GAL)*, I-II, Leiden 1943-49; *a.e. Supplementband (GAL Suppl.)*, I-III, Leiden 1937-42.

Ceric, Mustafa, *Roots of Synthetic Theology in Islam: A Study of the Theology of Abū Mansūr al-Māturīdī (d. 333/944)*, Kuala Lumpur 1995.

Ecer, Ahmet Vehbi, "Matüridî'nin İslâm Dünyasında Tanınması", *Diyanet Dergisi*, XXIII/1, Ankara 1987, s. 12-17.

Kutlu, Sönmez, "Bilinen ve Bilinmeyen Yönleriyle İmam Mâturîdî", *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

a.mlf., "Ebû Mansûr el-Mâturîdî ve Maturidi Kültür Çevresiyle İlgili Bibliyografya", *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

Macdonald, D. B. - [Ahmed Ateş] "Mâtürîdî", *İA*, VII, 405-406.

Madelung, W. "Mâturidiliğin Yayılışı ve Türkler" (trc. Muzaffer Tan), *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

Mâtürîdî, Ebû Mansûr Muhammed b. Muhammed b. Mahmûd el-Mâtürîdî es-Semerkandî, *Kitâbü't-Tevhîd Tercümesi* (trc. Bekir Topaloğlu), Ankara 2002.

Özdeş, Talip, *Mâtürîdî'nin Tefsir Anlayışı*, İstanbul 2003.

Özervarlı, M. Sait, "The Authenticity of the Manuscript of Māturidi's Kitab al-Tawhid: A Re-examination", *İslâm Araştırmaları Dergisi*, sy. 1, İstanbul 1997, s. 19-29.

Rahman, Muhammed Mustafiz al-Rahman, *An Edition of the First Two Chapters of al-Māturīdī's "Ta'vīlāt Ahl al-Sunna"* (doktora tezi, 1970), University of London.

Speight, R. M., "al-Maturidi", ER, IX, 285-286.

Topaloğlu, Bekir, *Kelâm İlmi: Giriş*, İstanbul 1996.

Tritton, A. S., "An Early Work from the School of al-Maturidi", *JRAS*, III-IV (1996), s. 96.

Yunusoviç, Ziyadov Şovosil, "Ebû Mansûr el-Mâturîdî'ye Nispet Edilen Eserlerin Taşkent Yazmaları ve Mâturîdî Üzerine Yapılan Bazı Araştırmalar" (trc. Sönmez Kutlu – Yuldus Musahanov), *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

صور من نسخ تأويلات القرآن

التي اعتمدنا عليها في التحقيق

سورة فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله احتمل أن يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم الخلق استحقاقه الحمد فإنه
يحمد وإن قيل كيف يجوز أن يحمد نفسه ومثله في الخلق غير محمود قيل له لوجهين أحدهما أنه
استحق الحمد بذاته لا بأحد فيكون في ذلك ترغيب للخلق لما يرى فهم لربه بما أثنى على نفسه ليثنوا
عليه وعلى غيره إنما يكون ذلك له به جل وعز لعله توجيه الحمد إليه لا إلى نفسه إذ نفسه
لا يستوجبه بما يليق بالله تعالى والثاني أن الله تعالى يحتمل ذلك إذ لا عيب يمسه ولا أنه محل
به نقص ولا نقصانا في ذلك ولا هو خارج مخرج [illegible] لعبيده لا يخلو من عيوب تمسه وآفات تحل به
ويمدح بالاستعداد ويذم بتركه وفي ذلك تمكن النقصان وحق لمثله التضرع إلى الله والتضرع إليه
ليتغمده برحمته ويتجاوز عن صنيعه وعلى ذلك معنى التكبير يخرج [illegible] لأحد غيره إذ ليس
للعبد معنى يستقيم تكبره إذ هو جميعا [illegible] المحبة والخلق وما أدرك أحد منهم من فضيلة
أو رفعة فبالله أدركه لا بنفسه فعليه تنزيه الرب والفزع إليه بالشكر لا بالتكبر في أمثاله
والله عز هذا الوصف متعال ويحتمل أن يكون قوله الحمد لله في إضمار الأمر أي قولوا الحمد لله
لأن الحمد بصفاته إلى الله فلا يجوز أن يكون له علينا فأمر بالحمد لذلك ثم يخرج ذلك على وجهين
أحدهما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال الحمد لله أي الشكر لله بما صنع إلى خلقه
فيخرج تأويل الآية على هذا الترتيب مخرج الأمر بتوجيه الشكر إليه وذلك يتضمن الأمر أيضا
بكل أنواع الطاعة لما روي عن النبي عليه السلام أنه صلى حتى تورمت قدماه فقيل له
أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا فيصير أنواع
الطاعات شكرا أنه من أطاع الله تعالى فقد شكره فيخرج تأويل الآية على هذا والوجه
الثاني أنه يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل والمدح له والوصف بما يستحقه والتنزيه عما
لا يليق به من توجيه الشكر إليه [illegible] الشركة عنه في الإنعام والإفضال على عباده
وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يقول قسمت الصلاة
بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي
فيحتمل الحمد هذا الحرف وغيره منه ثناء لوجهين أحدهما أنه [illegible] الربوبية إليه في جميع
العالم وقطعها عن غيره والثاني أنه سمى ذلك صلاة والصلاة اسم للثناء والدعاء
وذلك خلاف الذم ونقيضه وفي الوصف بالبراءة من الذم مدح وثناء نهاية المدح
والثناء ولذلك يفرق القول بين الحمد والشكر إذ أمرنا بالشكر للناس بما جاء عن رسول
الله عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله [illegible] ولا أخذ معنى الوصف
بما هو أهله فلم يستحق الحمد إلا الله وبالله التوفيق وقوله رب العالمين روي عن ابن
عباس رضي الله عنه أنه قال سيد العالمين والعالم كل من دب على وجه الأرض وقد
يتوجه الرب إلى الربوبية لا إلى السؤدد إذ يستقيم القول رب كل شيء من بني آدم وغيره
ويجوز رب السماوات والأرضين ورب العرش ونحوه وغير مستقيم القول سيد السماوات
ونحوه وقد يتوجه اسم الرب إلى المالك إذ كل من ينسب إليه الملك يقال إنه مالكه ولا
يقال إنه سيده إلا في بني آدم خاصة واسم الرب يجمع ذلك كله لذلك كان التوجيه إلى

صورة لوحة البسملة لنسخة كوبريلي (ك)، رقم ٤٧.





صورة للوحة الأخيرة لنسخة كوبريلي (ك)، رقم ٤٧.


فاتحة الكتاب

صورة لوحة البسملة لنسخة نور عثمانية (ن)، رقم ١٢٤.

صورة للوحة الأخيرة لنسخة نور عثمانية (ن)، رقم ١٢٤.



فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة لوحة البسملة لنسخة عاطف أفندي (ع)، رقم ٧٦.

٤٢٩

من كل شر وكيد على نحو الاستعاذة وأنواع التعوذات المدعوة فلنا من شفاعتها لم يكتب وعلى ذلك
ترك كتابة فاتحة الكتاب . والله أعلم بالصواب . وتختم الكتاب بحامد من
هو ملهم الصواب . أعاننا فيه جزيل الجزاء ونيل الثواب . والصلوة
على محمد وآله وأصحابه خير آل وأصحاب .
توفي الشيخ رحمه الله سنة ثلث
وثلثين وثلثمائة .

قد تم كتابة هذا الكتاب المستطاب . والسفر المعتبر العجاب . المسمى بتأويلات القرآن المجيد .
تأليف الإمام الهمام . الشيخ أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي . المحرر برسم العالم
العارف الحاوي لأصناف العلوم والمعارف . المتنزه في رياض اللطائف الغارف
من حياض العوارف . الكبير الأكرم . والخطير الأفخم . الدفتري في الدولة
العلية العثمانية . صانها المولى من كل بلية . المسمى بحاج مصطفى
عاطف . دام في مواقف رحمة واقف . ومن آثار
رحمة الرحمن عاطف برسم خزانة كتبه المحفوظة
بعين عناية ربه تحت يدي ذريته وأولاده
داموا في يمن الإله وإسعاده . ورقوا
إلى ذروة المجد بأجداده آمين
يا مجيب السائلين بحرمة
خاتم النبيين .
قال ذلك رسمه بقلمه الفقير الحقير المحتاج إلى رحمة ربه الباقي
الشيخ أحمد حسام الدين الزاقي على سجادة قطب العارفين
الشيخ حسام الدين العشاقي . دام في وقاية الرب
الباقي نهار الاثنين نصف جمادى الأولى
من سنة ستة وخمسين ومائة وألف
من الهجرة النبوية . عليه أفضل
التحية والتحميد
تم

صورة للوحة الأخيرة لنسخة عاطف أفندي (ع)، رقم ٧٧.



صورة لوحة البسملة لنسخة مهرشاه (م)، رقم ١٧٦.



صورة للوحة الأخيرة لنسخة مهرشاه (م)، رقم ١٧٦.



صورة لوحة البسملة لنسخة راشد أفندي (ر)، رقم ٤٧.

صورة للوحة الأخيرة لنسخة راشد أفندي (ر)، رقم ٤٧.



صورة لوحة البسملة لشرح *تأويلات القرآن* نسخة حميدية (ح)، رقم ١٧٦.



صورة للوحة الأخيرة لشرح *تأويلات القرآن* نسخة حميدية (ح)، رقم ١٧٦.



لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
احمد وانلي اوغلي

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلي

الجزء الاول

الفاتحة - البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

[الفرق بين التأويل والتفسير][1]

/{قال الشيخ الإمام أبو منصور رضي الله عنه:} الفرق بين التأويل والتفسير هو ما [١ظ] قيل: التفسير للصحابة، والتأويل للفقهاء. ومعنى ذلك أن الصحابة شهدوا المشاهد، وعلموا الأمر الذي نزل فيه القرآن. فتفسير[هم] الآية أهم لما عاينوا وشهدوا، إذ هو حقيقة المراد؛ وهو كالمشاهدة لا تسع[2] إلا لمن علم. ومنه قيل: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ...»،[3] لأنه فيما يفسر يَشهد على الله به.

وأما التأويل فهو بيان منتهى الأمر، مأخوذ من "آل يؤول" أي يرجع. ومعناه كما قال أبو زيد:[4] لو كان هذا كلامَ غيره توجه إلى كذا وكذا من الوجوه. فهو توجيه الكلام إلى ما يتوجه إليه. ولا يقع التشديد في هذا مثل ما يقع في التفسير، إذ ليس فيه الشهادة على الله، لأنه لا يخبر عن المراد، ولا يقول: أراد الله به كذا، أو عنى. ولكن يقول: يتوجه[5] إلى كذا وكذا[6] من الوجوه؛ هذا مما تكلم به البشر، والله أعلم ما ضمنه[7] من الحكمة.[8]

---

[1] الكلام في الفرق بين التأويل والتفسير قد ورد في جميع نسخ *تأويلات القرآن* فيما نرى، سوى نسخة كوپريلي، وأغلب الاحتمال أن يكون هذا الكلام من أقوال الإمام الماتريدي أسناء تدريسه، لأن معناه موافق لرأي الإمام ومنهجه في التفسير.

[2] ع م: لا تسمع.

[3] هذا جزء من حديث، ولفظه كالآتي: «اتقوا الحديث علي إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (*صحيح البخاري*، العلم ٣٨؛ وصحيح *مسلم*، الزهد ٧٢؛ وسنن *الترمذي*، التفسير ١).

[4] هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري (ت ٢١٥هـ/٨٣٠م)؛ أحد أئمة الأدب واللغة، وهو من أهل البصرة، وكانت وفاته بها. وقد كان يرى رأيَ القدرية واشتهر بين معاصريه، ثقة في الرواية. وله تصانيف غير قليلة ورد ذكرها في الكتب المترجمة له. انظر: *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ٧٧/٩؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣٧٨/٢، ٣٧٩.

[5] ن م + هذا.

[6] ن – وكذا.

[7] ن ع م: ما صحته. والتصحيح من نسخة حاجي سليم آغا، ورقة ١ظ.

[8] أي ما ضمن كلام الله تعالى من الحكمة.

ومثاله أن أهل التفسير اختلفوا في قوله: **الحمد لله**. قال بعضهم: إن الله حمد نفسه؛ وقال بعضهم: أمر أن يُحمد.[1] فمن قال: عَنَى هذا دون هذا، فهو المفسر له. وأما التأويل فهو أن يقول: يتوجه[2] الحمد إلى الثناء والمدح له، وإلى الأمر بالشكر لله، والله أعلم بما أراد. فالتفسير ذو[3] وجه واحد، والتأويل ذو وجوه.

---

[1] ن - وقال بعضهم أمر أن يحمد.

[2] ن - يتوجه.

[3] ن ع م: ذا. والتصحيح من نسخة حاجي سليم آغا، ورقة ١ظ.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاتحة الكتاب

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[١][1]

[البسملة وسورة الفاتحة]

* التسمية[2] هي آية من القرآن، وليست من[3] فاتحة القرآن.[4] دليل جعلها آية ما[5] روي [٢ظ س ه] عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبيّ بن كعب: «لأعلمنَّك آية لم تنزل على أحد قبلي إلا على سليمان بن داود»، فأخرج إحدى قدميه،[6] ثم قال له: «بأيِّ[7] آية يفتتح[8] القرآن؟» قال: ب[9]**بسم الله الرحمن الرحيم**، فقال: «هي هي».[10] ففي هذا [دليل على] أنها آية[11]

---

[1] ن + وبه ثقتي. ومن الجدير بالذكر أن الإمام الماتريدي لا يرى البسملة كأنها هي الآية الأولى من سورة الفاتحة، كما سيأتي قريبا. ولكن وضعنا رقم الآية الأولى للفاتحة آخر البسملة حفاظا على الاستعمال الشائع بين المسلمين في المصاحف.

[2] جميع النسخ: ثم التسمية.

* الحديث عن التسمية وصلتها بسورة الفاتحة ومكانة سورة الفاتحة في الإسلام جاء في جميع النسخ فاصلا بين تأويل قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾، وقوله: ﴿وإياك نستعين﴾. انظر: ورقة ٢ظ-٣و، فرأينا نقله إلى أول الكتاب رعاية للترتيب. ويمكن أن يحدث هذا الاضطراب من قبل الناسخين. ونرى في شرح *تأويلات القرآن* للسمرقندي أن هذا القسم في أول الكتاب في نسخة الحميدية، ورقة ٦و-٦ظ، وفي نسخة المدينة هو في آخر سورة الفاتحة، ورقة ٦ظ.

[3] ع م - من.

[4] ذكر السمرقندي أن الإمام الأشعري يرى أن البسملة من الفاتحة في أحد قوليه وأنها من رأس كل سورة، وأن الماتريدي يرد عليه بما قدم. انظر: شرح *التأويلات*، نسخة الحميدية ، ورقة ٦و-ظ.

[5] م - ما.

[6] أي من المسجد.

[7] ك: يا أبيّ.

[8] ن ع م + بها.

[9] ك ع - بـ.

[10] روى الطبراني في الأوسط عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تخرج من المسجد حتى أعلمك بآية...» (*المعجم الأوسط* للطبراني، ٣٦٧/١؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ٣٢٥/١).

[11] ع: آيتها آية؛ م: آيتها.

من القرآن،[1] وأنها لو كانت من السور لكان يعلِّمه[2] نيفا ومائة آية لا آيةً واحدة؛ ولو كانت منها أيضا لكان لا يجعلها مفتاح القرآن بل يجعلها من السور.

ثم الظاهر أن من لم يتكلف[3] تفسيرها عند ابتداء السور[4] ثبت [لديه] أنها ليست منها. وكذلك[5] تَرْك الأمة الجهر بها، على العلم بأنه[6] لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بها ثم يخفي ذلك على من معه، وأن يكونوا غفلوا،[7] ثم يضيعون[8] سنته[9] بلا نفع يحصل لهم، حتى توارثت الأمة تركها فيما يحتمل أن يكون الجهر سنته[10] ثم يخفي؛ فيكون في فعل الناس دليل واضح [على] أنها ليست من السور.[11]

ودليل آخر على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله[12] أنه قال: «قَسَمْتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: **الحمد لله** إلى قوله **مالك يوم الدين**، فقال: هذا لي –وهي ثلاث آيات– وقال بعد قوله **اهدنا** إلى آخرها: هذا لعبدي». ثبت أنها ثلاث آيات لتستويَ القسمة. «ثم قال في قوله **إياك نعبد وإياك نستعين**: هذا بيني وبين عبدى نصفين».[13] فثبت أنها آية واحدة. فصارت بغير التسمية سبعًا، وذلك قول الجميع:

---

[1] أي إن البسملة آية من القرآن في أول الفاتحة فقط، وليست آية من رأس كل سورة.

[2] أي لكان النبيّ يعلم أبيّ بن كعب.

[3] ع: يتكلف.

[4] ك: السورة.

[5] ن ع م: ولذلك.

[6] ن: بأنها.

[7] ن ع م: فعلوا.

[8] ن + ها.

[9] م: سنة.

[10] ن م: سنة.

[11] قال السمرقندي: «ولا يحتمل أن يعلموا كونه سنة ثم يضيعوها، لأن ذلك يؤدِّي إلى تضليلهم، وذلك باطل. وكان عمل الأمة على الترك دليلا على أن الجهر بها ليس بسنة. وكان عملهم على ترك الجهر بها مع إجماعهم على الجهر بالفاتحة والسورة في الصلاة التي يجهر فيها دليلا واضحا على أنها ليست من الفاتحة ولا من رأس كل سورة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦و).

[12] ك – عن الله.

[13] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة ٣٨، ٤٠. ونصه: «قال الله تعالى: قَسَمْت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي. وإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال: مجّدني عبدي، وقال مرة: فوّض إليّ عبدي. فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اهدنا =

إنها سبع آيات.[١] مع ما لم يذكر في خبر القسمة، فثبت أنها دونها سبع آيات.

وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلم يكونوا يجهرون ب بسم الله الرحمن الرحيم".[٢] وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عمر، وجماعة،[٣] وهو / الأمر المعروف[٤] في الأمة. مع ما جاء في قصة السحر[٥] أن العُقَد كانت إحدى عشرة،[٦] [٣و] وقرأ[٧] عليها المعوذتين دون التسمية. فكذا غيرها[٨] من السور. مع ما إذ جعلت مفتاحا كانت كالتعوذ.[٩] **والله الموفق.**

[مكانة سورة الفاتحة في الإسلام]

والأصل عندنا[١٠] أن المعنى الذي تضمنته[١١] فاتحة القرآن فرض على جميع البشر، إذ فيه الحمد لله،[١٢] والوصف له بالمجد، والتوحيد له، والاستعانة به، وطلب الهداية [منه]. وذلك كله يلزم كافة العقلاء من البشر؛ إذ فيه معرفة الصانع على ما هو معروف،

= الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». وورد الحديث أيضا في *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٢، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وسنن *أبي داود*، الصلاة ١٣٢؛ وغيرها.

[١] أي قوله تعالى:﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ آية واحدة، وقوله ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ آيتان.

[٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧٣/٣، ٢٧٥، ٢٧٨؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٥٠، ٥٢؛ وسنن *النسائي*، الافتتاح ٢٢.

[٣] *تفسير ابن كثير*، ١٨/١؛ و*تفسير الآلوسي*، ٤٥/١.

[٤] ن: بالمعروف.

[٥] ع ن: الشجر. لعله يريد بها رواية سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل لبيد بن الأعصم. انظر: صحيح *البخاري*، الطب ٤٧، ٤٩-٥٠؛ وصحيح *مسلم*، السلام ٤٣.

[٦] روى المفسر ابن كثير هذه القصة عن الثعلبي، عن ابن عباس وعائشة رضي الله تعالى عنهما بطولها، ثم علق عليه بقوله: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم. وأخرج ابن مردويه عن عكرمة عن ابن عباس، والبيهقي في *الدلائل* عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه فيه وَتَرٌ فيه إحدى عشرة عقدة. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٥٧٤/٤.

[٧] ك: قرئ.

[٨] ع: خبرها.

[٩] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (سورة النحل، ٩٨/١٦).

[١٠] ع: عند.

[١١] جميع النسخ: تضمنه.

[١٢] ع م - لله.

والحمد له على ما يستحقه؛ إذ هو المبتدئ بنعمه على جميع خلقه، وإليه فقر كل عبد، وحاجة كل محتاج. فصارت لنفسها بما[1] جمعت[2] الخصال التي بيّنّا فريضة على عباد الله.

ثم ليست هي في حق الصلاة فريضة،[3] وذلك نحو التسبيحات بما فيها[4] من تنزيه الله، والتكبيرات بما فيها[5] من تعظيمه؛ [بل هي] فريضة لنفسها،[6] إذ ليس لأحد أن لا ينَزّه ربه ولا يعظّمه، من غير أن يوجب ذلك فرضيتها في حق الصلاة وفي حق كل مجعولة هي فيه لا من طريق توضيح الفرضية،[7] من غير [ال]طريق الذي ذكرت.[8]

ثم ليست هي بفريضة في حق القراءة في الصلاة لوجوه. أحدها أن فرضية القراءة[9] [في الصلاة] عرفنا[ها] بقوله: فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.[10] وفيها الدلالة من وجهين. أحدهما أنه قد يكون غيرها أيسر. والثاني أن فرضية القراءة في[11] هذه الآية من حيث الامتنان بالتخفيف علينا والتيسير، ولو لم تكن[12] فريضة لم يكن علينا[13] في التخفيف منّة إذ لنا الترك.[14] ثم لا تخيّر[15] في فاتحة القرآن،[16] والآية التي بها عرفنا الفرضية فيما تُخيِّر[17] ما يختار من الأيسر؛ ثبت أنها رجعت إلى غيرها. *وبالله التوفيق.*

---

[1] ك: بها.

[2] ك: جعلت.

[3] في هذا رد على الشافعي، انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦ظ.

[4] ن: فيه.

[5] ك: فيه.

[6] ن: في نفسها.

[7] ع: الفريضة.

[8] وهي كونها فريضة على عباد الله تعالى.

[9] ع: القرآن.

[10] سورة المزمل، ٧٣/٢٠.

[11] ع: من.

[12] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٢ظ. أي لو لم تكن القراءة مطلقا.

[13] ع - فريضة لم يكن علينا.

[14] ك: إذا بالترك.

[15] ن: ثم لا نجيز، ع م: قد لا تجيز.

[16] أي لو لم تكن القراءة فريضة مطلقة. وقد قال علاء الدين السمرقندي في ذلك: «إن الآية سيقت لبيان الامتثال بالتخفيف عليه والتيسير في قراءة القرآن. ولو لم تجز الصلاة بقراءة غيرها لم يتحقق الامتثال بالتخفيف» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦ظ).

[17] ن: نجيز.

والثاني أن نبيّ الله أخبر عن الله أنه جعل بها[١] في حق الثناء، وهو ما ذكر في خبر القسمة، فصارت تقرأ بذلك الحق، فلم يُخلَص لها حق القراءة، بل الحق بها حق الدعاء والثناء،[٢] وليس ذلك من فرائض الصلاة. ***وبالله التوفيق***.

والثالث ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أحيا ليلة بقوله: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ،[٣] الآية، به كان يقوم،[٤] وبه كان[٥] يركع، وبه يسجد، وبه يقعد".[٦] فثبت أنه لا يتعين قراءتها في الصلاة.[٧] مع ما أيده الخبر الذى فيه أن «ارجِعْ فصل فإنك لم تصل»، إذ[٨] قال له وقت التعليم: «اقرأ ما تيسر عليك»،[٩] فثبت أن المفروض ذلك.

وأيضا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب».[١٠] ثم روي عنه بيان محلها: «إن كل صلاة لم تقرأ[١١] فيه بفاتحة الكتاب فهي خِداج، نقصان غير تمام»،[١٢] والفاسد لا يوصف بالنقصان، وإنما الموصوف بمثله ما جاز مع النقصان. ***وبالله التوفيق***.

ثم خُصّ فاتحة القرآن بالتأمين بما سُمي بالذي ذَكره خبر القسمة.[١٣] وغير الفاتحة وإن كان فيه الدعاء فإنه لم يُخَصّ بهذا الاسم، لذلك لم يجهر به. فالسبيل فيه[١٤] ما ذكرنا

[١] ك: لها.

[٢] ك: والثبات.

[٣] ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة المائدة، ١١٨/٥).

[٤] ك: كانت تقوم.

[٥] ك: كانت.

[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٤٩/٥؛ وسنن *النسائي*، الافتتاح ٧٩؛ وراجع: *تفسير ابن كثير*، ١٢٢/٢.

[٧] ك: فثبت أنه لا قراءة في حق القراءة.

[٨] ن ع م: إن.

[٩] روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فردّ وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل». فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثلاثا، إلى آخر الحديث؛ انظر: صحيح *البخاري*، الأذان ٩٥، ١٢٢؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٤٥.

[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٢٨/٢؛ وصحيح *البخاري*، الأذان ٩٥؛ وصحيح مسلم، الصلاة ٣٥-٣٦.

[١١] ك ن: لم يقرأ.

[١٢] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٢، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[١٣] أي إن القسم الأخير لحديث القسمة قد أشير في ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بالعبارة التالية: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»، وهذا يشير إلى أن سورة الفاتحة سورة دعاء، فلذلك يقال في آخر السورة "آمين".

[١٤] ع: منه.

في التسمية،[1] مع ما كان هو أخلص بمعنى الدعاء منها.[2]

ثم السنة في جميع الدعوات المخافتة.[3] والأصل [فيه] أن كل ذكر يشترك فيه الإمام والقوم فسنته[4] المخافتة إلا لحاجة الإعلام، وهذا يعم[5] قوله **ولا الضالين** فيزول معناه،[6] وسبيل[7] مثله المخافتة، مع ما جاء به مرفوعًا ومتواترًا.[8] وخبر الجهر[9] يحتمل السبق،[10] كما كان يُسمعهم في صلاة النهار[11] أحيانًا؛ ويحتمل [خبر]الإعلام أنه كان يقرأ به. ***وبالله التوفيق.***

* * *

ثم جَمعت هذه خصالاً من الخير، ثم كل خصلة منها تجمع جميع[12] خصال الخير.

منها أن في الحرف الأول[13] من قوله **الحمد لله رب العالمين** شكرًا لجميع النعم، وتوجيهًا لها إلى الله لا شريك له، ومدحا له بأعلى ما يحتمل المدح،[14] وهو ما ذكرنا من عموم نعمه وآلائه[15] جميع بريته. ثم فيه الإقرار بوحدانيته في إنشاء البرية كلها، وتحقيق الربوبية له عليها بقوله: **رب العالمين**. وكل واحد منها[16] يجمع خصال خير الدارين، ويوجب القائل به عن صدق القلب أمن[17] الدارين.

---

[1] ك: في القسمة.

[2] أي كانت التسمية أخلص بمعنى الدعاء من الفاتحة.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ (سورة الأعراف، ٥٥/٧). انظر: صحيح *البخاري*، الدعوات ٥٠.

[4] ع م: فسنة.

[5] جميع النسخ: يعلم؛ والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٢ظ.

[6] أي فيزول حاجة الإعلام.

[7] ع م: وسئل.

[8] جميع النسخ: ومتوارثا. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٢ظ.

[9] روي في الجهر بالتأمين أحاديث كثيرة، من ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال ابن شهاب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «آمين». انظر: صحيح *البخاري*، الأذان ١١١؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧٢.

[10] أي في العهد المبكر عندما بدأت الصلاة بالجماعة في المجتمع حينذاك.

[11] ع م: في صلاة في النهار.

[12] ن: مجمع جميع؛ ع م: مجمع.

[13] أي الجملة الأولى من سورة الفاتحة.

[14] ع م - المدح.

[15] ع: الآية.

[16] ن ع م + مما.

[17] جميع النسخ: درك. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦و.

ثم [فيها][1] الوصف لله عز وجل بالاسمين يتعالى عن أن يكون لأحد من[2] معناهما حقيقةٌ، أو يجوزَ أن يكون منه [شيء] لاستحقاقه،[3] نحو الله والرحمن. ثم الوصف له بالرحمة التي بها[4] نجاة كل ناج، وسعادة كل سعيد، وبها يُتقى[5] المهالك كلها. مع ما من رحمته خلق الرحمة التي بها تعاطف [الخلق فيما] بينهم وتراحُمهم.

ثم الإيمان بالقيامة بقوله: **مالك يوم الدين** مع الوصف له[6] بالمجد وحسن الثناء عليه.

ثم [فيها] التوحيد وما[7] يلزم العباد من إخلاص العبادة له والصدق فيها؛ مع جعل كل رفعة وشرف منالا به عز وجلّ.[8] ثم رفعُ جميع الحوائج إليه، والاستعانةُ به على قضائها والظفر بها، على طُمَأنينة القلب وسكونه: أن لا خيبة[9] عند معونته، ولا زيغ عند عصمته. ثم الاستهداء إلى ما يُرضيه، والعصمة عما يُغويه[10] في حادث الوقت، على العلم بأنه لا ضلال لأحد مع هدايته في التحقيق؛ [وأن] الرجاء والخوف[11] من الله لا من غيره. وعلى ذلك جميع معاملات العباد ومكاسبهم: على الرجاء من الله تعالى أن يكون جَعَل ذلك سببًا به يصل إلى مقصوده ويظفر بمراده. ***ولا قوة إلا بالله.**** [٣و س ٣٨]

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢]

قوله عز وجل: **الحمد لله**؛ احتمل أن يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم الخلق استحقاقه الحمد بذاته فيحمدوه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يحمد نفسه ومثله في الخلق غير محمود؟

---

[1] أي في سورة الفاتحة.

[2] ك – من.

[3] ك ن: لاستحقاق؛ ع: الاستحقاق.

[4] ك: هي.

[5] ع: تبقى.

[6] ع – له.

[7] ع م: ما.

[8] أي مع جعل كل رفعة وشرف وإصابة كل خير وكرامة إنما ينال به بعون الله ونصرته.

[9] ع: الأخيبة.

[10] أي يجعله سببا للغواية والضلال.

[11] ك: ولو جاءه الخوف.

* قد انتهى الجزء المنقول من بين تأويل قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ وتأويل قوله تعالى: ﴿وإياك نستعين﴾. انظر: ورقة ٢ظ-٣و.

قيل له: لوجهين. أحدهما أنه استحق الحمد بذاته لا بأحد، فيكون في ذلك تعريف الخلق لما يُزْلفهم لديه بما أثنى على نفسه ليُثنوا عليه، وغيرُه إنما يكون ذلك له به جل وعز، فعليه توجيه الحمد إليه لا إلى نفسه، إذ نفسه لا تستوجبه[1] بها، بل بالله تعالى.

والثاني أن الله تعالى حقيق لذلك، إذ لا عيب يمسه، ولا آفة تَحِلَ به فيُدخل نقصانا في ذلك، ولا هو مأمور[2] بشيء. والعبد لا يخلو عن عيوب تمسه وآفات تحل به، ويُمدح بالائتمار، ويذم بتركه؛ وفي ذلك يمكن النقصان. وحقٌّ لمثله الفزع إلى الله تعالى والتضرع إليه، ليتغمده برحمته ويتجاوز عن صنيعه.

وعلى ذلك معنى التكبر؛[3] نحمد به ربنا ولا نحمد غيره. إذ ليس للعبد معنى يستقيم [معه] تكبره، إذ هم جميعًا أكفاء من طريق المحنة[4] والخلقة؛[5] وما أدرك أحد منهم من فضيلة أو رفعة فبالله أدركه لا بنفسه. فعليه[6] تنزيه الرب والفزع إليه بالشكر، لا بالتكبر على أمثاله. والله تعالى عن هذا الوصف متعال.

ويحتمل أن يكون قوله **الحمد لله** على إضمار الأمر، أي قولوا: **الحمد لله**؛ لأن الحمد يضاف إلى الله، فلا بد من أن يكون له علينا، فأمر بالحمد لذلك.

ثم يخرج[7] ذلك على وجهين. أحدهما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: **الحمد لله**، أي الشكر لله بما صنع إلى خلقه.[8] فيخرج تأويل الآية[9] -على هذا الترتيب- على الأمر بتوجيه الشكر إليه؛ وذلك يتضمن الأمر أيضًا بكل الممكن من الطاعة، على[10] ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى حتى[11] تَورّمت قدماه؛ فقيل له: أليس قد غفر الله لك

---

[1] ك: لا يستوجبه.
[2] ك: خاص.
[3] ك: التكبير.
[4] ك: المحبة.
[5] ك: الخلفي.
[6] ن – فعليه.
[7] ن ع م: مخرج.
[8] *تفسير الطبري*، ١/١٣٥؛ *وفتح القدير* للشوكاني، ١/٢٠.
[9] جميع النسخ: لأنه. والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ١ظ.
[10] ع – على.
[11] ع م – حتى.

ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».[١] فصيّر أنواع الطاعات شكرًا له، فمن أطاع الله تعالى فقد شكر له، فيخرج تأويل الآية على هذا.

والوجه الثاني أن[٢] يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل، / والمدح له، والوصف بما يستحقه، [٢و] والتنزيه عما لا يليق به من توجيه[٣] النعم إليه، وقطع الشركة عنه في الإنعام والإفضال على عباده. وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: **الحمد لله رب العالمين**، قال الله سبحانه وتعالى: حمدني عبدي»؛[٤] فجعل الحمد هذا الحرف وصيره منه ثناء لوجهين. أحدهما أنه نسب الربوبية إليه في جميع العالم وقطعها[٥] عن غيره. والثاني أنه سمي[٦] ذلك صلاة، والصلاة اسم[٧] للثناء والدعاء، وذلك خلاف الذم ونقيضه. وفي الوصف بالبراءة من الذم مدح وثناء بغاية المدح والثناء. ولذلك يُفْرَق القول بين الشكر والحمد[٨]؛ إذ[٩] أُمرنا بالشكر للناس بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من لم يشكر الناس لم يشكر الله»،[١٠] صيره بمعنى المجازاة. والحمد بمعنى الوصف بما هو أهله، فلم يُستحَب[١١] الحمد إلا لله. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **رب العالمين**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "سيد العالمين".[١٢] والعالم كل من دَبَّ على وجه الأرض. وقد يتوجه "الرب" إلى الربوبية لا إلى السؤدد،

---

[١] ورد الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح *البخاري*، الرقاق ٢٠، التفسير ٤٨/٢، التهجد ٦؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين ٧٩-٨١.

[٢] ك ع: أنه.

[٣] ع: التوجيه.

[٤] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢٤١/٢، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[٥] ن: وقطعه.

[٦] ن ع: يجيء.

[٧] ن ع م: أتم.

[٨] ك: الحمد والشكر.

[٩] ك ن ع: إذا.

[١٠] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٥٨/٢، ٢٩٥، ٣٢/٣، ٧٤؛ وسنن *أبي داود*، الأدب ١١؛ وسنن *الترمذي*، البر ٣٥.

[١١] ع م: لم يستحب.

[١٢] *تفسير الطبري*، ١٤٣/١؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٣/١.

إذ يستقيم القول برب كل شيء من بني آدم وغيره، نحو رب السماوات والأرض[1] -من التربية-،[2] ورب العرش ونحوه، وغير مستقيم القول بسيد[3] السماوات ونحوه. وقد يتوجه اسم الرب إلى المالك، إذ كل من ينسب إليه الملك يسمى أنه مالكه، ولا يسمى أنه سيد إلا في بني آدم خاصة. واسم الرب مجمع[4] ذلك كله، لذلك كان التوجيه إلى المالك أقرب، وإن احتمل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، إذ هو في الحقيقة سيد من ذُكِر وربهم. *والله الموفق*.

ثم اختلف أهل التفسير في **العالمين**. فمنهم من رد إلى كل ذي روح دب على وجه الأرض. ومنهم من رد إلى كل ذي روح في الأرض وغيرها. ومنهم من قال: لله كذا كذا عالم.

والتأويل عندنا ما أجمع [عليه] أهل الكلام أن **العالمين** اسم لجميع الأنام والخلق جميعًا، وقول أهل التفسير يرجع إلى مثله إلا أنهم ذكروا أسماء الأعلام، و[قول] أهل الكلام [هو] ما يجمع ذلك وغيرهم.

ثم العالم اسم للجميع،[5] وكذلك الخلق. ثم تعريف ذلك بالعالمين والخلائق يتوجه إلى جمع الجمع، من غير أن يكون في التحقيق تفاوت.[6] وقد يتوجه إلى عالم كل زمان، وكذا خلق كل زمان على حكم تجدد العالم. *وبالله التوفيق*.

وفي ذلك أن الله عزّ وجلّ ادعى لنفسه [أنه] رب[7] العالمين كلهم مَن تقدم [منهم] و[من] تأخر، ومن كان ويكون، [و]لم يقدر[8] أحد أن ينطق بالتكذيب، [أو] يدعي شيئًا

---

[1] ك: الأرضين.

[2] ك – من التربية.

[3] ن: لسيد.

[4] ن: يجمع؛ ع م: بجميع.

[5] قال السمرقندي: «العالم اسم لجميع المكونات من الأعراض كالألوان، والأكوان من الحركات والسكون، وكالطعوم والروائح، والإرادات والاعتقادات، والرطوبات واليبوسات وغيرها، ولجميع الأعيان من الجواهر والأجسام، فلا يبقى شيء مما سوى الله عز وجل من الموجودات – علويا كان كالسماوات أو سفليا كالأرضين، جمادا كان أو ناميًا، نباتًا كان أو حيوانًا، أعجمًا كان أو ناطقًا، ما يقوم بنفسه كالجواهر والأجسام، ولا يقوم بنفسه كالأعراض- إلا هو داخل تحت اسم العالم؛ فإنه سمي عالمًا لكونه علَمًا على ثبوت صانع له حي، سميع، بصير، عالم، قدير، متعال عن سمات الحدث وأمارات النقص، غير مشابه لشيء من أقسامه، ولا مماثل لجزء من أجزائه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣و).

[6] هذا محمل جواب عن تساؤل مفترض أوضحه صاحب شرح *التأويلات*، ورقة ٣ظ.

[7] ك ن ع – رب.

[8] جميع النسخ: يقدره.

من ذلك لنفسه. [ف]دلّ ذلك على[1] أن لا رب غيره، ولا خالق لشيء من ذلك سواه، إذ لا يجوز أن يكون حكيمًا أو إلها يُنشئ ويبدع ولا يدَّعيه ولا يفصل ما كان منه عما[2] كان لغيره، وبنفسه قام ذلك لا بغيره. وعلى ذلك معنى قوله تعالى وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ؛[3] فهذا -مع ما في اتساق التدبير واجتماع التضاد، وتعلق[4] حوائج بعض ببعض، وقيام منافع بعض ببعض، [و]على تباعد بعض من بعض وتضادها- دليلٌ واضحٌ على أن مدبر ذلك كله واحد، وأنه لا يجوز كون مثل ذلك من[5] غير مدبر عليم.[6] *والله المستعان.*

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣]

وقوله: **الرحمن الرحيم**؛ اسمان مأخوذان من الرحمة، لكنه روي فيهما "رقيقان[7] أحدهما أرق[8] من الآخر".[9] وكأن الذى روي عنه هذا أراد به "لطيفان، أحدهما ألطف من الآخر". دليل ذلك وجهان. أحدهما مجيء الأثر في ذلك [بـ]ـاللطيف في أسماء الله تعالى مع ما نطق به الكتاب، ولم يذكر في شيء من ذلك "رقيق". ومعنى اللطيف في استخراج الأمور الخفية وظهورها له،[10] كقوله: إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ -إلى قوله- لَطِيفٌ خَبِيرٌ.[11] *وبالله التوفيق.*

والثاني أن اللطف[12] حرف يدل على البر والعطف، والرقة [تدل] على رقة الشيء التي هي نقيض[13] الغِلَظ والكثافة. كما يقال: فلان رقيق القلب. وإذا قيل: فلان لطيف،

[1] م – على.
[2] ك: ما.
[3] سورة المؤمنون، ٢٣/٩١.
[4] ن: ويعلق.
[5] ك: عن.
[6] ع م: عليهم.
[7] ع: رفيقان.
[8] ع: أدق.
[9] ذكره القرطبي وابن كثير عن ابن عباس. انظر: *تفسير القرطبي*، ١/٩٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٠.
[10] ن ع م: ما له.
[11] ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ (سورة لقمان، ٣١/١٦).
[12] جميع النسخ: اللطيف.
[13] ع: يقبض.

فإنما يراد به بارٌّ عاطفٌ، فلذلك يجوز لطيف، ولا يجوز رقيق. وكذلك فسر من فسر **الرحمن** بالعاطف[1] على خلقه بالرزق. وذهب بعضهم[2] -وهم الأوَل- إلى اللطافة؛ وذلك بعيد، وإنما هو من اللطف.

وقوله:[3] أحدهما أرقّ من الآخر، بمعنى اللطف؛ [وهو] يحتمل وجهين. أحدهما التحقيق بأن اللطف بأحد الحرفين[4] أخص وأليق وأوفر وأكمل، فذلك رحمته بالمؤمنين، أنه يقال: رحيم بالمؤمنين، على تخصيصهم بالهداية لدينه، وكذا[5] ذكر أمته،[6] وإن أشركهم في الرزق فيما يراه[7] وغيرَهم؛[8] ألا يرى[9] أنه لا يقال: رحمنٌ بالمؤمنين، وجائز القول: رحيمٌ بهم. وكذلك لا يقال: رحيم بالكافر[ين] مطلقا. ***وبالله التوفيق.***

ووجه آخر أن أحدهما ألطف من الآخر،[10] كأنه وصف الغاية في اللطف حتى يتعذر وجه إدراك ما في كل واحد منهما[11] من اللطف، أو بوصف يقطع[12] الغاية عما يتضمنه كل حرف. ***وبالله التوفيق.***

ثم في هذا أن اسم **الرحمن** هو المخصوص به الله لا يسمى به غيره، **والرحيم** يجوز تسمية غيره به، فلذلك يوصف أن **الرحمن** اسم ذاتيٌّ، **والرحيم** [اسم] فعليٌّ،[13] وإن احتمل أن يكونا مشتقين من الرحمة. ودليل ذلك إنكار العرب **الرحمن**، ولا أحد منهم أنكر **الرحيم**، حيث قالوا: مَا نَدْرِي مَا الرَّحْمٰنُ أَ نَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا؟[14]

---

[1] ك ن ع: العاطف.

[2] ن ع م - بعضهم.

[3] أي قول ابن عباس رضي الله عنهما.

[4] أي الرحمن والرحيم؛ ولعل أحدهما هو "الرحيم".

[5] جميع النسخ: ولذا.

[6] يعني قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٩).

[7] جميع النسخ: يراهم.

[8] جميع النسخ: غيرهم.

[9] ك ن ع: ألا ترى.

[10] أي كل من الرحمن والرحيم أدل على معنى اللطف والرحمة من الآخر.

[11] ع - منهما.

[12] ك: يوصف بقطع.

[13] انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤و.

[14] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورًا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).

و[كـ]ـذلك[1] قوله: قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا،[2] يدل على أنه ذاتي لا فعلي؛ وإن كان / الفعل صفة الذات، إذ محال [أن تكون] صفته بغيره لما يوجب ذلك الحاجة إلى غيره [٢ظ] ليحدث له الثناء والمدح؛ وفي ذلك خلق الخلق لنفع الاستمداح،[3] وهو عن ذلك متعال، بل بنفسه مستحق لكل حمد ومدح.[4] ***ولا قوة إلا بالله***.

وروي في خبر القسمة: «إن العبد إذا قال: **الرحمن الرحيم** قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي؛ وإذا قال: **مالك يوم الدين** قال: مَجَّدني عبدي».[5] وذكر أنه قال في الأول بالتمجيد وفي الثاني بالثناء؛ وذلك[6] واحد، لأن معنى الثناء الوصف بالمجد والكرم والجود، والتمجيد هو الوصف بذلك. ***وبالله التوفيق***.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤]

ثم أُجمع [على] أن قوله: **مالك يوم الدين** أنه يوم الحساب والجزاء، وعلى ذلك القولُ: أَإِنَّا لَمَدِينُونَ،[7] وقوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ،[8] وهو الجزاء. ومن ذلك قول الناس: «كما تَدِين تُدان».[9]

وجائز أن يكون **مالك يوم الدين** على جعل ذلك اليوم لما يُدان اليومَ،[10] إذ به يظهر حقيقته، وعظم مرتبته، وجليل موقعه عند ربه.

---

[1] جميع النسخ: وذلك.

[2] سورة الإسراء، ١٧/١١٠.

[3] ك: الامتداح.

[4] ن: مدح وحمد.

[5] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٢/ ٢٤١، ٢٨٥، ٤٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[6] ن: وفي ذلك.

[7] انظر قوله تعالى: ﴿أإذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أإنا لمدينون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٥٣).

[8] سورة النور، ٢٤/٢٥.

[9] حديث مرفوع، أخرجه عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة مرسلاً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البر لا يَبلى، والإثم لا يُنسى، والديّان لا يموت، فكن كما شئت، كما تدين تدان» (*المصنف* لعبد الرزاق الصنعاني، ١١/١٧٨-١٧٩؛ وتفسير *الطبري*، ١/١٥٥؛ وتفسير الآلوسي، ١/٨٤).

[10] أي يمكن أن يكون معناه مالك يوم الانقياد، فإن الدين يطلق ويراد به الانقياد. يقال: دانت له العرب، أي انقادت. سمي اليوم به لأنه ينقاذ فيه الجبابرة للجبار. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤و.

وفي الآية دلالة وصف الرب بمُلك ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه وهو يوم القيامة.[1] ثبت أن الله بجميع ما يستحق الوصف به يستحقه[2] بنفسه لا بغيره. ولذلك قلنا نحن: هو خالق لم يزل، ورحيم لم يزل، وجواد لم يزل، وسميع لم يزل، وإن كان ما عليه وقع ذلك لم يكن.[3] وكذلك نقول: هو رب كل شيء، وإله كل شيء في الأزل، وإن كانت الأشياء حادثة، كما قال: **مالك يوم الدين** اليومَ، وإن كان اليوم بعدُ غير حادث. ***وبالله التوفيق.***

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٥]

وقوله **إياك نعبد**، فهو -والله[4] أعلم- على إضمار الأمر، أي قل ذا.[5] ثم لم يَجعل له أن يستثني[6] في القول به، بل ألزمه القول بالقول فيه.

ثم هو[7] يتوجه وجهين. أحدهما يحال[8] القول به على الخبر عن حاله، فيجب أن لا يُستثنى[9] في التوحيد، وأن من يستثني فيه عن شك يستثني. والله تعالى وصف المؤمنين بقوله إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا،[10] الآية. وكذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال: «إيمان لا شك فيه».[11] والثاني عن الأحوال[12] التي تردَّد[13] في ذلك.

---

[1] «أي وهذا دليل على قدم التكوين وسائر صفات الفعل، لأن الله تعالى وصف نفسه بكونه مالك يوم الدين. والملك عبارة عن التصرف بالمشيئة، وهو عبارة عن الفعل، فكان هذا إخبارًا من الله تعالى في الأزل أنه المتصرف يوم الدين لوقت وجوده وهو يوم القيامة، وهو معدوم في الأزل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤و).

[2] ع م: يستحق.

[3] أي وإن كان متعلق الخلق والرحمة والوجود والسمع معدوما، لما أنه يوصف به لوقت وجود ما يقع عليه. قارن: شرح *التأويلات*، ورقة ٤و.

[4] ع م: الله.

[5] ن ع م - ذا.

[6] أي لا يجوز له أن يقول: "إن شاء الله"؛ وهي مسألة الاستثناء التي تناقش في علم الكلام.

[7] أي الاستثناء.

[8] ك: لحال. أي يرجع ويناط.

[9] جميع النسخ: يثنى.

[10] سورة الحجرات، ١٥/٤٩.

[11] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه، وغَزو لا غُلول فيه، وحج مبرور». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٨/٢، ٤٤٢، ٤١١/٣-٤١٢؛ وسنن *الدارمي*، الصلاة ١٣٥، الرقاق ٢٨؛ وسنن *النسائي*، الإيمان ١، الزكاة ٤٩).

[12] ن: أحوال.

[13] م: ترد و.

لكنه إذا كان ذلك على اعتقاد المذهب لم يجز الشك فيه، إذ المذاهب لا تعتقد لأوقات،[١] إنما تعتقد[٢] للأبد، لذلك لم يجز الثُّنْيا فيه في الأبد. *وبالله التوفيق*.

ثم قوله: **إياك نعبد** يتوجه وجهين. أحدهما إلى التوحيد، وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "كل عبادة في القرآن فهو توحيد".[٣] والوجه الآخر أن يكون على كل طاعة يعبد[٤] الله بها. وأصلهما[٥] يرجع إلى واحد، لما على العبد أن يوحد الله تعالى في كل عبادة، لا يشرك له[٦] فيها أحدًا، بل يخلصها، فيكون موحدا لله تعالى بالعبادة والدين جميعا.

وعلى ذلك قطعُ الطمع والخوف والحوائج كلها عن الخلق، وتوجيه ذلك إلى الله تعالى بقوله: يَا أَيُّهَا النَّاس أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ.[٧] وعلى ذلك المؤمن لا يطمع في الحقيقة بأحد غير الله، ولا يرفع إليه الحوائج، ولا يخاف إلا من الوجه الذي يخشى أن الله جعله سببًا لوصول بلاء من بلاياه إليه على يديه، فعلى ذلك يخافه، أو يرجو أن يكون الله تعالى جعل سبب ما دفعه إليه على يديه، فبذلك يرجو ويطمع، فلا يكون بذلك[٨] من الضالين. فيكون في ذلك التعوذُ من جميع أنواع الذنوب، والاستهداء إلى كل أنواع البر.*

وقوله: **وإياك نستعين**. فذلك طلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع[١٠] حوائجه دينًا ودنيا. ويحتمل أن يكون هو على أثر الفزع إلى الله بقوله **إياك نعبد**، على طلب التوفيق لما أمر به، والعصمة عما حذره عنه، / وكذلك الأمر البين في الخلق من طلب التوفيق والمعونة من[١١] [٣ظ] الله، والعصمة عن المنهي عنه، جرت به سنة الأخيار. *والله الموفق*.

---

[١] ن ع م: لأدوات.

[٢] ن ع م: يعتقد.

[٣] انظر: *تفسير الطبري*، ١/١٦٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٥-٢٦.

[٤] جميع النسخ: أن يعبد.

[٥] جميع النسخ: وأصلها.

[٦] جميع النسخ – له؛ والتصحيح من نسخة حاجي سليم آغا، ورقة ٢ظ.

[٧] سورة فاطر، ١٥/٣٥.

[٨] جميع النسخ: فيكون ذلك؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٤ظ.

* جاء في جميع النسخ بعد ذلك كلام عن البسملة ومكانة سورة الفاتحة في الإسلام، ففصل بين تأويل قوله تعالى ﴿إياك نعبد﴾ وقوله ﴿وإياك نستعين﴾. وقد نقلنا هذا القسم إلى مكانه في أول الكلام على تأويل الفاتحة. انظر: ورقة ٢ظ-٣و.

[١٠] ن ع م: جميع قضاء.

[١١] جميع النسخ: عن؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٤ظ.

ثم لا يصلح هذا على قول المعتزلة، لأن تلك المعونة على أداء ما كُلِّف قد أُعطي. إذ هو[١] على قولهم لا يجوز أن يكون مكلفًا [و]قد بقي شيء مما به أداء ما كلف[٢] عند الله. وطلب ما أُعطي كتمان العطية، وكتمان العطية[٣] كفران، فيصير كأن الله أمر أن يَكفر نعمه ويكتمها ويطلبَها منه تعنتًا؛ وظن مثله بالله كفر.

ثم لا يخلو من أن يكون عند الله ما يطلب، فلم يعطه التمام إذًا، أو ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به، إذ من طلب إلى آخر ما يعلم أنه ليس عنده[٤] فهو هازئ به في العرف. مع ما كان الذي يطلب إما أن يكون لله أن لا يعطيه مع التكليف[٥] فيبطل قولهم، إذ لا يجوز أن يكلِّف وعنده ما به الصلاح في الدين فلا يعطي، أو ليس له أن لا يعطي؛ فكأنه قال: اللهم لا تَجُرْ.[٦] ومن هذا عِلمه بربه فالإسلام أولى به. وهذا مع ما كان لا يدعو الله أحد بالمعونة إلا ويطمئن قلبه أنه لا يَذِلّ عند المعونة، ولا يزيغ[٧] عند العصمة. وليس مثله بملك لله[٨] عند المعتزلة. **ولا قوة إلا بالله.**

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خبر القسمة:[٩] «الله يقول: هذا بيني وبين عبدي نصفين». وذلك يحتمل أن يكون كل حرف من ذلك بما فيهما[١٠] جميعًا الفزع[١١] إلى الله بالعبادة والاستعانة، ورفع الحاجة إليه، وإظهار غناه -جل وعلا- عنها،[١٢] فيتضمن ذلك الثناء عليه وطلب الحاجة إليه.

ويحتمل أن يكون الحرف الأول لله بما فيه عبادته وتوحيده، والثاني للعبد بما[١٣] فيه

---

[١] ن ع م - هو.
[٢] ك: كل مكلف.
[٣] ع م - وكتمان العطية.
[٤] ك - فيكون طلبه استهزاء به إذ من طلب إلى آخر ما يعلم أنه ليس عنده.
[٥] ك: التكلف.
[٦] ن ع م: لا تجز.
[٧] ن ع م: يرفع.
[٨] ن ع م: الله.
[٩] حديث القسمة تقدم ذكره.
[١٠] ك: فيها.
[١١] ك: والفزع.
[١٢] جميع النسخ: عنه
[١٣] ك: مما.

طلب معونته وقضاء حاجته؛ ويؤيد ذلك بقية السورة، أنه أُخرج على الدعاء، فقال[1] الله عز وجل: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».[2]

﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٦]

وقوله: **اهدنا الصراط**. قال ابن عباس رضي الله عنه: أرشدنا.[3] والإرشاد والهداية واحد، بل الهداية في حق التوفيق أقرب إلى فهم الخلق من الإرشاد بما هي أعم في تعارفهم.

ثم القول بالهداية يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها البيان. ومعلوم أن البيان قد تقدم من الله، لا أحد يريد به ذلك، لمضيّ ما به البيان من كتاب وسنة؛ وإلى هذا تذهب المعتزلة.

والثاني[4] التوفيق له،[5] والعصمة عن زيغه. وذلك معنى قولهم [في القنوت]: «اللهم اهدنا فيمن هديت».[6] وقوله: **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين**، وصفهم إلى آخر السورة. ولو كان على البيان على ما قالت المعتزلة فهو و**المغضوب عليهم** في ذلك سواء. ثبت أنه على ما قلنا،[7] دون ما ذهبوا إليه.

والثالث أن يكون على طلب خلق الهداية لنا، إذ نسب إليه من جهة الفعل، وكل ما يفعله خلق، كأنه قال: اخلق لنا هدايتنا؛ وهو الاهتداء منا.[8] *وبالله التوفيق*.

ثم تأويل طلب الهداية ممن قد هداه الله يتوجه وجهين. أحدهما طلب الثبات على ما هداه الله. وعلى هذا معنى زيادات الإيمان، أنها بمعنى الثبات عليه.[9] وذلك كرجلين ينظران إلى شيء

---

[1] ن ع م: وقال.

[2] *الموطأ* لمالك، النداء للصلاة ٣٧؛ وانظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٨٥، ٢٤١، ٤٦٠؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٣٨؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٢.

[3] تفسير *الطبري*، ١/١٧٤؛ وتفسير *ابن كثير*، ١/٥٠.

[4] ك: وفي الثاني.

[5] أي للعبد.

[6] لعله يقصد به مذهب الشافعية، لأن دعاء القنوت عندهم ما رواه الحسن بن علي من أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه هذا الدعاء يقنت به في الصلاة: «اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وقنا شر ما قضيت... الخ» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٩٩-٢٠٠؛ وسنن *ابن ماجة*، الإقامة ١١٧؛ وسنن *أبي داود*، الوتر ٥).

[7] ك: عاما قلنا.

[8] ع: آمنا.

[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).

فيرفع أحدهما[1] بصره عنه، جائزٌ[2] القولُ بازدياد نظر الآخر. ووجه آخر، على[3] أن في كل حال يُخاف على المرء ضد الهدي، فيهديه مكانه أبدًا، فيكون له حكم الاهتداء[4]، إذ في[5] كل وقت إيمان منه دفع به ضده.[6] وعلى ذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[7] الآية، ونحو ذلك من الآيات. وقد يحتمل أيضًا معنى الزيادة هذا النوعُ. *وبالله التوفيق*.

وأما **الصراط** فهو الطريق والسبيل في جميع التآويل.[8] وهو قوله: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا،[9] الآية، وقوله: قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي.[10]

ثم اختلفوا فيما يراد[11] به. فقال بعضهم: هو القرآن. وقال بعضهم: هو الإيمان. وأيهما كان فهو القائم الذي لا عوج له، والقيم الذي لا اختلاف فيه،[12] من لزمه وصل إلى ما ذكر.[13] *وبالله التوفيق*.

وقوله: **المستقيم**. قيل: هو القائمُ، بمعنى الثابت بالبراهين والأدلة، لا يزيله شيء، ولا ينقض حججه كيدُ الكائدين، ولا حِيَل المريبين. وقيل: **المستقيم** الذي يستقيم بمن تمسك به حتى ينجيه ويدخله[14] الجنة. وقيل: **المستقيم** بمعنى يستقام به، كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[15]

---

[1] ع: إلى حدها.

[2] ع: جائزا.

[3] ع – على.

[4] ن ع: الابتداء.

[5] س ع: أن في.

[6] أي ضد الإيمان. وذلك «أن الإيمان يتجدد في كل زمان، والاهتداء يحدث في كل ساعة، والمؤمن خائف أن يحدث منه ضد الهدي مكانه، فطلب الهداية منه أن يخلق الله تعالى له في المستقبل في كل زمان الهداية والعصمة عن ضده.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥ظ).

[7] سورة النساء ١٣٦/٤.

[8] ن ع م: التأويل.

[9] ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).

[10] ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ (سورة يوسف، ١٠٨/١٢).

[11] ك: في ما يته.

[12] لعل الماتريدي يشير إلى قوله تعالى: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا قيما...﴾ (سورة الكهف، ١٨/١-٢)

[13] ع: ذكره.

[14] ع م: ويدخل.

[15] سورة يونس، ٦٧/١٠.

أي يُبصَر به؛ يدل عليه قوله:[١] إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[٢] الآية. **فالمستقيم** هو المتبع له. *وبالله التوفيق*.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٧]

ثم ذكر من ذكر من المنعَم[٣] عليهم. ولله على كل مؤمن نعم بالهداية. وما ذكر دليل على أن الصراط هو الدين، لأنه أنعم به على جميع المؤمنين. لكن تأويل من يَردُّ [معنى **الصراط**] إلى الخصوص يتوجه وجهين. أحدهما أنه أنعم عليهم بمعرفة الكتب والبراهين، فيكون على التأويل الثاني[٤] من القرآن والأدلة. والثاني أن يكون لهم خصوص في الدين، قدّموا [به] على جميع المؤمنين، كقول[٥] داود وسلميان اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛[٦] وعلى هذا الوجه يكون **اهدنا**.[٧]

ووجه آخر،[٨] وهو المخصوص الذي خَصّ به كثيرا من المؤمنين من بين غيرهم. لكن الثُّنيا يدل على صرف الإرادة[٩] إلى جملة المؤمنين،[١٠] إذ انصرف إلى **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**.

وقوله: **أنعمت عليهم**. على قول المعتزلة ليس لله على أحد من المؤمنين نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين، إذ لا نعمة من الله على أحد إلا [وهي] الأصلح في الدين والبيان للسبيل المرضي، وتلك قد كانت على جميع الكفرة، فيبطل على قولهم الثنيا. *والله الموفق*.

---

[١] ك - قوله

[٢] سورة فصلت، ٣٠/٤١.

[٣] ن ع م: النعم.

[٤] أي التأويل الذي يردُّ معنى الصراط إلى الخصوص لا العموم.

[٥] ع: كقوله.

[٦] سورة النمل، ١٥/٢٧.

[٧] أي على هذا الوجه يرجع معنى "اهدنا".

[٨] أي يوجد هنا وجه ثالث وهو أن يراد من قوله تعالى ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ أكثر المؤمنين. ويحتمل أن يكونوا هم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم، كما أشير إليهم في سورة النجم، ٣٢/٥٣.

[٩] أي الإرادة الإلهية أو معنى المراد من ﴿الذين أنعمت عليهم﴾.

[١٠] أي قد وقع التخصيص بعد التعميم؛ ورغم ذلك فالمراد هنا جملة المؤمنين، لأن دوام الآية الذي يقع موقع الاستثناء من قوله ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ راجع إلى الكافرين، مما يعني أن غير الكفرة هم المؤمنون جميعا.

[٤و] ثم اختلف / في **المغضوب عليهم ولا الضالين**. منهم من قال: هو واحد، إذ كل ضال[1] قد استحق الغضب عليه، وكل مغضوب عليه استحق الوصف بالضلال. ومنهم من قال: **المغضوب عليهم** هم اليهود، وإنما خُصّوا بهذا بما كان منهم مِن فضل تمرُّد وعُتوّ، لم يكن ذلك من النصارى؛ نحو إنكارهم بعيسى وقصدهم قتله، مما لم يكن ذلك من النصارى؛ ثُمّ[2] قولهم[3] في الله: يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ،[4] الآية، وقولهم: لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ [وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ][5] الآية، وقولِ[6] [الله تعالى فيهم]: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ [وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا][7] الآية، وكفرِهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم،[8] وشدة تعنتهم، وظهور النفاق [فيهم]، فاستحقوا بذلك اسم الغضب عليهم، وإن كانوا شركاء غيرهم في اسم الضلال. *وبالله التوفيق*.

وفي هذا وجه آخر: أن يحمل الذنوب على وجهين. منها[9] ما يوجب الغضب وهو الكفر، ومنها ما يوجب اسم الضلال وهو ما دونه، كقول[10] موسى: فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا [مِنَ الضَّالِّينَ].[11]

و[في] رؤية الهداية لأهلها[12] والتعوذ[13] به من كل ضلال ومن جميع ما يوجب مقته وغضبه - وبالله النجاة والخلاص[14] - [رد على المعتزلة]. مع ما في خبر القسمة وعد جليل من رب العالمين في إجابة العبد مما يرفع إليه من الحوائج، إذ قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين [ولعبدي ما سأل]».[15]

---

[1] ن م – ضال.
[2] ع – ثم.
[3] عطف على "فضل تمرد".
[4] سورة المائدة، ٥/٦٤.
[5] سورة آل عمران، ٣/١٨١.
[6] جميع النسخ: وقولهم.
[7] سورة المائدة، ٥/٨٢.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٩).
[9] ك ع: منهما.
[10] ك: كقوله.
[11] يقول الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٢٠).
[12] ك ع: لأصلها.
[13] م: أتعوذ.
[14] ع: الإخلاص.
[15] حديث القسمة سبق ذكره مخرجًا.

ثم صير آخرَ السورة لعبده، وليس في متلوها[1] سوى إظهار الفقر، ورفع[2] الحاجة، وطلب المعونة والاستهداء[3] إلى ما[4] ذكر مع[5] التعوذ عما وصف؛[6] وليس ذلك مما يوصف به[7] العبد أنه له. فثبت أن له في ذلك إجابةَ ربه فيما أمره به، ووَعَد ذلك وهو لا يخلف وعده. فأنى يحتمل ذلك[8] بعد[9] أمره العبد بالذي تضمنه أول السورة، فقام به العبد مع لومه [نفسه] وجفائه [عليها]، والله بكرمه وجوده لا ينجز له ما وعد؟ لا يكون هذا ألبتة. وقد قال: أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ[10] وغير ذلك مما فيه الإنجاز، وأنه لا يخلف الميعاد.[11]

ثم قد جعل -بما جاء من الحديث في تلاوته-[12] أن قدّمه على التوراة والإنجيل،[13] وعدله بثلثي[14] القرآن؛[15] وجعله شفاء من أنواع الأدواء للدين والنفس والدنيا؛[16] وجعله معاذاً من كل ضلال[17] وملجأ إلى كل نعمة. *وبالله نستعين*.

مع ما أوضح في الأسماء التي لقّب فيها فاتحة القرآن عظيم موقعه وجليل قدره، وهو أن سماه «فاتحة القرآن» بما به يفتتح القرآن. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ن ع م: في صلاتها.
[2] م: دفع.
[3] ع: الإستهزاء.
[4] م: من.
[5] ع: من.
[6] ك: ذكر.
[7] م – به.
[8] ع – ذلك.
[9] ع م: بعده.
[10] سورة المؤمن، ٤٠/٦٠.
[11] انظر مثلاً: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «خلف»، و«وعد».
[12] ك: تلاوة.
[13] لعله يشير إلى حديث رواه أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له: «ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل مثلها؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «فاتحة الكتاب؛ إنها السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». (*الموطأ* لمالك، الصلاة ٣٧؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٤/٢١١، ٥/١١٤؛ وصحيح *البخاري*، التفسير ١/١، ١٥/٣، فضائل القرآن ٩).
[14] ن ع م: ثلثي.
[15] *كنز العمال* للهندي، ١/٢٧٨ك؛ وكشف *الخفاء* للعجلوني، ٢/١٠٦.
[16] انظر حول كون سورة الفاتحة شفاءً: صحيح *البخاري*، فضائل القرآن ٩.
[17] ع – ضلال.

أنه كان يفتتح القراءة به.[1] وسُمِّي «فاتحة الكتاب» بما به يفتتح كتابة المصاحف والقرآن. وسمي «أم القرآن» لما يؤم غيره في القراءة.[2] وقيل: الأم بمعنى الأصل، وهو أن لا يحتمل شيء مما فيه النسخَ ولا الرفعَ، فصار أصلاً. وسمي «المثاني» لما يُثَنّى في الركعات.[3] *ولا قوة إلا بالله*.

وفي قوله: **اهدنا** إلى آخره وجهان سوى ما ذكرنا، إذ قوله: **اهدنا الصراط المستقيم** دعاء كاف عما تضمن إلى آخر السورة، إذ ليس فيها غير تفسير هذه الجملة. أحدهما تذكير نعم الله على الذين يقبلون دينه في قلوبهم، والتوفيق لهم[4] بذلك، وإفضاله عليهم بما ليس لهم عليه.[5] والثاني تعوذهم عن كل زيغ ومقت وضلال وذنب، والْتجاؤهم إليه في ذلك بقوله: **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**. *ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم*.[6]

---

[1] *صحيح البخاري*، الأذان ٨٩؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ١٢١-١٢٢؛ و*سنن النسائي*، الافتتاح ٢.

[2] أي في القراءة أثناء الصلاة.

[3] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٤٨).

[4] ع م: بهم.

[5] أي ليس للذين يقبلون دينه فيه حق على الله تعالى.

[6] ك ن ع - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين على القوم الكافرين.[1]

﴿الٓمٓ﴾[١] ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]

قوله: الٓمٓ.[2] قيل: فيه وجوه. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله الٓمٓ أنا الله أعلم.[3] وقيل: إنه قسم أقسم بها.[4] وقيل: إن هذه الحروف المعجمة مفاتيح[5] السور.[6] وقيل: إن كل حرف من هذه الحروف كناية اسم من أسماء الله؛ الألف الله، واللام لطفه، والميم ملكه. وقيل: إن الألف آلاؤه، واللام لطفه،[7] والميم مجده. وقيل: إن الألف هو الله، واللام جبريل، والميم محمد.[8] وقيل: إنها من التشبيب،[9] ليفصل بين المنظوم من الكلام والمنثور[10] من[11] الشعر ونحوه.[12] وقيل: إن تفسير هذه الحروف المقطعة ما ألحق ذكرها بها على إثرها، نحو قوله:

---

[1] ك - وبه نستعين على القوم الكافرين.

[2] ع م - قوله الم.

[3] *تفسير الطبري*، ١/٨٨.

[4] ن: بما.

[5] جميع النسخ: مفتاح.

[6] ع: السورة.

[7] جميع النسخ: إن اللام آلاؤه؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٧و.

[8] ك ن - محمد.

[9] يقال: شبب الشاعر قصيدته، أي حسنها وزينها بذكر النساء. فالتشبيب: تحسين القصيدة وتزيينها (*لسان العرب* لابن منظور، «شبّ»).

[10] ك: ليفصل بين الكلام المنظوم والمنثور من نحو الشعر.

[11] جميع النسخ + نحو.

[12] قال السمرقندي: «وقال بعضهم: إن هذه الحروف المعجمة خرجت على سبيل المقدمة لما بعده من الكلام، على ما هو المتعارف في المنظوم والمنثور، وفي الشاهد. فإن من نثر فصلاً من الفصحاء أو أنشأ قصيدة كان من دأبه أن يبتدئ بمقدمة يندرج بها إلى المقصود، نحو الغزل، أو وصف القلم، أو وصف الرّبع، أو نحو ذلك، لكي يحضر السامع فهمه وذهنه إلى كلامه، فيكون ذلك مدرجة له إلى تحصيل الغرض. فكذلك الحروف المعجمة، وهذا لأن الكفرة كانوا لا يسمعون، ويعرضون عنه، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ (سورة فصلت، ٤١/٢٦)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧ظ).

الٓمٓ ذلك الكتاب. ذلك الكتاب هو تفسير **الٓمٓ**، و الٓمٓ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ،[1] و الٓمٓصٓ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ،[2] و الٓرٰ كِتَابٌ،[3] و الٓمٓ تِلْكَ آيَات؛[4] كل ملحق بها فهو تفسيرها. وقيل: إن فيها بيان غاية ملك هذه الأمة، من حساب الجُمَّل،[5] لكنهم عدّوا بعضها، وتركوا بعضها[6] وقيل: إنه من المتشابه الذي لم يُطْلِع الله خلقه علم ذلك، ولله أن يمتحن عباده بما شاء من المحن. وقيل: إنهم كانوا لا يستمعون لهذا[7] القرآن، كقولهم:[8] لَا تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ،[9] وكقوله:[10] وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً،[11] فأنزل الله عز وجل هذه الحروف المعجمة ليستمعوا إليها فيلزمهم الحجة.

[و]الأصل في الحروف المقطعة أنه يجوز[12] أن تكون[13] على القسم[14] بها، على ما ذكرنا. وأريد بالقدر الذي ذُكر كليةُ الحروف بما كان من شأن العرب القَسَم بالذي جل قدره وعَظُم خطره، وهي[15] مما بها قوام الدارين، وبها يتصل إلى المنافع أجمع. مع ما دلت على نعمتين عظيمتين: اللسان والسمع، وهما مجرى كل أنواع الحكمة. فأَقسم بها على معنى إضمار ربها، أو على[16] ما أَجلَّ قدرها في أعين الخلق، فيقسم بها، ولله ذلك. ***ولا قوة إلا بالله.***

[٤ظ] ويُحتمل أن يكون بمعنى الرمز / والتضمين في كل حرف منها أمرًا جليلاً يَعظُم خطره

---

[1] سورة آل عمران، ٣/١-٢.

[2] سورة الأعراف، ٧/١-٢.

[3] انظر: سورة هود، ١١/١؛ وسورة إبراهيم، ١٤/١.

[4] انظر: سورة لقمان، ٣١/١-٢.

[5] حساب الجُمَّل: الحروف المقطعة على نظام «أبجد هوّز... الخ». قال ابن دريد: لا أحسبه حسابًا عربيًا. وقال بعضهم: الجُمَل بالتخفيف (*لسان العرب* لابن منظور، «جمل»).

[6] ن ع م: البعض.

[7] ن ع م: بهذا.

[8] م – كقولهم.

[9] سورة فصلت، ٤١/٢٦.

[10] ع: كقوله.

[11] سورة الأنفال، ٨/٣٥.

[12] ك – أنه يجوز.

[13] ن ع م: يكون.

[14] ن ع م: المقسم.

[15] أي الحروف.

[16] ك: ربها على.

على ما عند الناس من أمر[1] حساب الجُمَّل. ثم يخرج على الرمز بها عن أسماء الله وصفاته ونعمه على خلقه؛ أو على بيان منتهى هذه الأمة، أو عدد[2] أئمتها وملوكها، والبقاع التي ينتهي [إليها] أمرها. وذلك هو في نهاية الإيجاز، بل بالاكتفاء بالرمز عن الكلام، وبما هو بمعنى من الإشارة في الاكتفاء بها عن البسط[3] -*ولا قوة إلا بالله*- ليعلم الخلائق قدرة الله، وأن له أن يضمّن ما شاء فيما شاء،[4] على ما عليه أمر[5] الخلائق من لطيف[6] الأشياء التي كادت العقول وأسباب الإدراك تقصر عنها وكنهها[7] [و]التي [لا]يدركها كل أحد، ويُبيِّنَ[8] الأمرين، فعلى ذلك أمر تركيب الكلام. *ولا قوة إلا بالله*.

ويجوز أن يكون بمعنى أسماء[9] السور.[10] ولله تسميتها بما شاء كما سمى كتبه. وعلى ذلك منتهى أسماء الأجناس خمسة أحرف، وكذلك أمر السور.[11] دليل ذلك وصل كل سورة فتحت بها إليها كأنه بني بها. *ولا قوة إلا بالله*.

ويجوز أن يكون على التشبيب على ما ذكرنا، للفصل[12] بين المنظوم من الكلام[13] والمنثور. [و]في المتعارف أن المنظوم في الشاهد يشبِّب فيخرج عن المقصود بذلك الكلام،

---

[1] ن ع م: في أمر.
[2] ن: وعدد.
[3] «وقيل: إن كل حرف من الحروف المقطعة المذكورة في القرآن إشارة إلى أمر جليل الخطر، عظيم القدر من بيان منتهى ملك هذه الأمة وظهور الحق فيهم أو عدد أئمتهم وخلفائهم أو عدد البقاع التي تبلغ دولة الإسلام انتهاء على نهاية الإيجاز واكتفاء بها عن البسط، ليعلم الخلائق قدرة الله تعالى في أن يضمن ما شاء فيما شاء. ألا ترى أنه أودع جواهر الأشياء من اللطائف ما تحيرت العقول وأسباب الإدراك عنها مثل القز في الدود والمسك في الظبي والعسل في النحل ونحو ذلك فكذلك مثله في تركيب الكلام. ولا قوة إلا بالله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧و).
[4] ن – في ما شاء.
[5] ع م: أثر.
[6] ع م – لطيف.
[7] ن: وكونها.
[8] جميع النسخ: وبين. أي لله أن يبين ظواهر الأمور وبواطنها.
[9] ع م: اسم.
[10] ك: السورة.
[11] يعني أن أسماء الأجناس المجردة عن الزيادة في اللغة العربية لا تكون أكثر من خمسة أحرف، فكذلك الحروف المقطعة نحو ﴿كهيعص﴾ و﴿حم عسق﴾ لا تزيد حروفها على الخمسة.
[12] جميع النسخ: للتفصيل.
[13] ع م: عن الكلام.

فعلى ذلك أمر الكلام المنزَّل. ألا ترى[١] أنه خرج على ما عليه فنون الكلام في الشاهد، إلا أنه على وجه ينقطع له المثال من كلامهم، فمثله أمر التشبيب. *ولا قوة إلا بالله*.

وجائز أن يكون الله أنزلها على ما أراد، ليمتحن عباده بالوقف[٢] فيها وتسليم المراد في حقيقة معناه والذي له[٣] نزول[٤] ذلك، ويعترف أنه من المتشابه. وفيها جاء تعلق الملحدة. *ولا قوة إلا بالله*.

ويحتمل أن يكون -إذ[٥] علم الله من تعنت قوم، وإعراضهم[٦] عنه، وقولهم: لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ-[٧] أُنزل على وجه يبعثهم على التأمل في ذلك بما جاء بالعجيب[٨] الذي لم يكونوا يعرفون ذلك؛ إما لما عندهم[٩] أنه[١٠] كأحدهم، أو [هو سبب] لسبيل الطعن، إذ خرج عن[١١] المعهود عندهم، فتلا عليهم ما يضطرهم إلى العلم بالنزول من عند من يملك تدبير الأشياء. ولذلك اعترضوا لهذه[١٢] الأحرف بالتأمل فيها من بين الجميع. *ولا قوة إلا بالله*.

وقيل: إنه دعا خلقه إلى ذلك. والله أعلم بما[١٣] أراد.

وقوله: **ذلك الكتاب**، أي هذا[١٤] الكتاب، إشارة إلى ما عنده.[١٥] وهذا[١٦] شائع في اللغة، جائز بمعنى هذا. وقيل ذلك بمعنى ذلك،[١٧] إشارة إلى ما في أيدي السفرة والبررة.[١٨]

---

[١] ك: الايدي.
[٢] ن م: بالوقوف.
[٣] ك: لم.
[٤] ك ن ع: يزول.
[٥] ن: إذا.
[٦] م: إعراضهم.
[٧] سورة فصلت، ٢٦/٤١.
[٨] م: بالعجب.
[٩] ن ع: إما لعندهم.
[١٠] يعني محمداً عليه السلام.
[١١] ك: على.
[١٢] ع م: لهذا.
[١٣] ع - بما.
[١٤] ع م: ذلك.
[١٥] أي عند الله وهو اللوح المحفوظ.
[١٦] ن ع م: وذلك. أي هذا الاستعمال.
[١٧] أي على أصل معناها، فهي إشارة إلى البعيد.
[١٨] «قيل: ذلك إشارة إلى ما هو في اللوح المحفوظ. وقيل إشارة إلى ما في أيدي السفرة والبررة. [وقيل إشارة] إلى الكتاب الذي قد أخبركم أنه يأتي به رسول اسمه أحمد. قال الإمام: ومعنى هذه الأقاويل أن ذلك الكتاب هو هذا الذي نزل على رسول الله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٧ظ).

وقوله: **لا ريب فيه**، قيل: فيه وجوه،[١] لكن الحاصل يرجع إلى وجهين، أي لا ترتابوا[٢] فيه أنه من عند الله. وقيل: لا ريب فيه أنه منزل على أيدي الأمناء والثقات.

وقوله: **هدى**، قيل فيه بوجهين.[٣] هدى، أي بيانًا ووضوحًا. فلو كان المراد هذا فالتَّقي وغير التقي سواء. والثاني هدى، أي راشدًا وحجة ودليلاً. ثم اختلفوا في الدليل، فقال الرِّوَندي:[٤] الدليل إنما يكون دليلاً بالاستدلال،[٥] لأنه فعل المستدل، مشتق من الاستدلال؛ كالضرب من الضارب وغيره. وقال غير هؤلاء:[٦] الدليل بنفسه دليل وإن لم يستدل به، لأنه حجة[٧] وإن لم يحتج بها. غير أن الدليل يكون دليلاً [للمرء] بالاستدلال، ومن لم يستدلّ به فلا يكون له دليلاً، وإن كان بنفسه دليلاً، بل يكون عليه عَمًى وحيرة، كقوله: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ، ثم قال:[٨] فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا.[٩]

وقوله: **للمتقين**، قيل فيه بوجهين: يؤمنون[١٠] بالله غيبًا، ولم يطلبوا منه ما طلبت[١١] الأمم السالفة من أنبيائهم، كقول بني إسرائيل لموسى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً.[١٢] والثاني يؤمنون بغيب القرآن، وبما[١٣] يخبرهم القرآن من الوعد والوعيد، والأمر والنهي،

---

[١] ك ن ع: وجوها.

[٢] ن ع: لا يرتابوا.

[٣] ع: وجهين.

[٤] ن ع م: الدويدي. هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الروندي، أو الراوندي، أو ابن الراوندي (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م)؛ كان في البداية متكلمًا معتزليًا ثم اتّهم بالزندقة؛ غير أن أبا منصور الماتريدي قد ذكره من بين المقرّين بالنبوة ونقل عنه في ذلك في كتاب التوحيد. انظر: *كتاب التوحيد* للماتريدي، فهرس الأعلام، ص ٦٧٨؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٩٤/١-٩٥؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٥٩/١٤-٦٢؛ و*البداية والنهاية* لابن كثير، ٣٤٦/١٠؛ و*شذرات الذهب* لابن العماد، ٧/٤.

[٥] «أي يكون القرآن دليلاً للمتقين عند وجود الاستدلال منهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٨و).

[٦] وهم الإمام الماتريدي وأصحابه. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٨و.

[٧] ن ع م + والحجة حجة.

[٨] ع م - ثم قال.

[٩] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩-١٢٥).

[١٠] ك: مؤمنون.

[١١] ن م: ما طلب.

[١٢] يقول الله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٥٥/٢).

[١٣] ك: ولا؛ ع: وما.

والبعث والجنة والنار. والإيمان إنما يكون بالغيب لأنه تصديق، والتصديق والتكذيب إنما يكونان عن الخبر، والخبر يكون عن غيب، لا عن مشاهدة.

والآية تنقض قول من يقول بأن جميع الطاعات إيمان، لأنه أثبت لهم اسم الإيمان دون إقامة الصلاة والزكاة بقوله: **الذين يؤمنون بالغيب**.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٣]

وقوله: **ويقيمون الصلاة**، يحتمل وجهين؛ يحتمل الصلاة المعروفة، يقيمونها بتمام ركوعها وسجودها، والخشوع والخضوع له فيها، وإخلاص القلب في النية على ما جاء في الخبر: «انظر مَن تُناجِي».[١] ويحتمل الحمد له والثناء عليه.[٢] فإن كان المراد هذا[٣] فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والآخرة.[٤]

وقوله: **ومما رزقناهم ينفقون** من الأموال، يحتمل فرضًا ونفلاً. ويحتمل **ومما رزقناهم** من القوى في الأنفس وسلامة الجوارح **ينفقون** يعينون. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٤]

وقوله: **والذين يؤمنون بما أنزل إليك**، يحتمل وجهين؛ أي ما أنزل إليك من القرآن، ويحتمل ما أنزل إليك من الأحكام والشرائع التي ليس ذكرها في القرآن.

وقوله: **وما أنزل من قبلك**، يحتمل وجهين أيضًا؛ يعني الكتب التي أنزلت على سائر الأنبياء عليهم السلام، ويحتمل الشرائع والأخبار[٥] سوى الكتاب.[٦] *والله أعلم*.

وقوله: **وبالآخرة هم يوقنون**، بمعنى[٧] يؤمنون. والإيقان بالشيء هو العلم به، والإيمان هو التصديق؛ لكنه[٨] إذا أيقن آمن به وصدق به لعلمه به، لأن طائفة من الكفار كانوا على ظن

---

[١] الخبر ورد بألفاظ مختلفة في *الموطأ* لمالك، الصلاة ٢٩؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣٦/٢، ٣٧، ١٢٩؛ وصحيح *البخاري*، القدر ٧؛ وصحيح *مسلم*، الذكر والدعاء ٥١.

[٢] أي إقامة الحمد لله تعالى والثناء عليه، من غير أن يقصد الأركان المعلومة للصلاة.

[٣] أي المعنى الثاني، وهو الحمد والثناء.

[٤] ك – ويحتمل الحمد له والثناء عليه. فإن كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والآخرة.

[٥] ن: الأحكام.

[٦] ن ع م: الكتب.

[٧] ك: يعني.

[٨] ك: لكن.

من البعث / كقوله: إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ؛[1] فأخبر عز وجل عن حال هؤلاء [٥و] أنهم على يقين، ليسوا على الظن والشك كأولئك.

﴿أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥]

وقوله: **أولئك على هدى من ربهم.** قيل: على صواب[2] ورشد من ربهم. وقيل: إنهم على بيان من ربهم. لكن البيان ليس المؤمن أحق به من الكافر، لأنه يبين للكافر جميع[3] ما يحتاج إليه، إما من جهة العقل وإما من جهة السمع؛ فظهر بهذا أن الأول أقرب إلى الاحتمال من الثاني.

وقوله: **وأولئك هم المفلحون،** قيل فيه بوجوه.[4] قيل:[5] الباقون في نعم الله والخير. وقيل: الظافرون بحاجاتهم.[6] يقال: أفلح، أي ظفر بحاجته. وقيل: المفلحون هم السعداء. يقال: أفلح، أي سعد. وقيل: المفلحون [هم] الناجون. يقال:[7] أفلح، أي نجا. وكله يرجع إلى واحد، كقوله: فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ.[8] وكل[9] واحد ممن[10] زحزح عن النار فقد فاز، ومن أُدخل الجنة فقد فاز.[11] فكذلك الأول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦]

وقوله: **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون،** هذا -والله أعلم- في قوم خاص علم الله أنهم لا يؤمنون، فأخبر عز وجل رسوله بذلك، فكان كما قال؛ وفيه آية النبوة. ويحتمل أيضًا أنهم لا يؤمنون ما داموا في كفرهم،[12] كقوله: وَاللهُ لَا يَهْدِي

[1] سورة الجاثية، ٣٢/٤٥.
[2] ع: ما صواب.
[3] ن - جميع.
[4] ع: وجوه.
[5] ع - قيل.
[6] ن ع م: بحاجتهم.
[7] ع م: فقال.
[8] سورة آل عمران، ١٨٥/٣.
[9] ن ع م: كله.
[10] ع: من.
[11] ع م - ومن أدخل الجنة فقد فاز.
[12] «أي ويحتمل إجراء الآية على الإطلاق في صيغتها، وعلى هذا يكون تأويلاها: إن الكفار لا يؤمنون ما داموا في كفرهم مختارين الكفر على الإسلام، وما دام يخلق فيهم اعتقاد الكفر وحبه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٨ظ).

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[1] والكافرون[2] ما داموا كافرين ظالمون.[3]

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٧]

وقوله: **ختم الله على قلوبهم**، [فيه وجهان. الأول:] روي عن الحسن: إن للكافر حدًّا [في الغواية] إذا بلغ ذلك الحد وعلم الله منه أنه لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن. وهذا فاسد على مذهب المعتزلة لوجهين. أحدهما أن مذهبهم أن الكافر مكلف[4] وإن كان قلبه مطبوعًا عليه. والثاني أن الله عز وجل عالم بكل من يؤمن في آخر عمره وبكل[5] من لا يؤمن أبدا، بلغ ذلك الحد أو لم يبلغ؛ فعلى ما يقوله الحسن إيهام أنه لا يعلم ما لم يبلغ ذلك.[6] والمعتزلة يقولون: إن قوله **ختم وطبع**[7] يُعْلِم علامة في قلبه أنه لا يؤمن كإعلام الكتب والرسائل؛[8] ولكن عندنا خلْق ظلمة الكفر في قلبه.

والثاني،[9] خَلَق الختم والطبع على قلبه إذا[10] فعل فعلَ الكفر، لأن[11] فعل الكفر من الكافر مخلوق عندنا، فخلق ذلك الختم[12] عليه، وهو كقوله:[13] وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً،[14] أي خلق الأكنة، وغيره من الآيات.

---

[1] انظر: سورة البقرة، ٢٥٨/٢ وسورة آل عمران، ٨٦/٣.

[2] جميع النسخ: والكافرين.

[3] جميع النسخ: ظالمين.

[4] ك: إذاً مكلف.

[5] ع م: ولكل.

[6] ك – فعلى ما يقوله الحسن إيهام أنه لا يعلم ما لم يبلغ ذلك؛ ن + الحد.

[7] ع م: وطبع، وختم.

[8] يقول علاء الدين السمرقندي موضحا قول الإمام: «وهو -يعني كلام الحسن- قول بعض المعتزلة، وهذا فاسد، لأنهم إن قالوا ذلك بأن الله ليس بعالم أنه لا يؤمن حتى يبلغ هذا الحد؛ فهذا قول بتجهيل الله تعالى وحدوث علمه، وهو باطل محال. وإن قالوا: إنه عالم أنه لا يؤمن، فما معنى قوله: يختم على قلبه إذا بلغ هذا الحدّ أنه لا يؤمن. وقال عامة المعتزلة: يعني قوله ختم الله، وطبع الله، أي أعلم بعلامة في قلبه أنه لا يؤمن كإعلام الكتب والرسائل. قال الفقيه: وهذا باطل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٩و).

[9] ك ع:الثاني.

[10] م: إذ.

[11] م – فعل فعل الكفر لأن.

[12] ع – يعلم علامة في قلبه أنه لا يؤمن كإعلام الكتب والرسائل ولكن عندنا خلق ظلمة الكفر في قلبه الثاني خلق الختم والطبع على قلبه إذا فعل فعل الكفر لأن فعل الكفر من الكافر مخلوق عندنا فخلق ذلك الختم.

[13] ك: قوله.

[14] ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ (سورة الأنعام، ٢٥/٦)؛ وانظر كذلك: سورة الإسراء ٤٦/١٧.

والأصل في ذلك أنه ختم على قلوبهم لما تركوا التأمل والتفكر في قلوبهم فلم يقع،[١] وعلى سمعهم لِمَا لم يسمعوا قول الحق والعدل، خلق الثِقَل عليه، وخلق على أبصارهم الغطاء لما لم ينظروا في أنفسهم ولا في خلق[٢] الله ليعرفوا زوالها وفناءها وتغير الأحوال، [و]ليعلموا أن الذي خلق هذا دائم لا يزول أبدًا.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٨]

وقوله: **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر**؛ إخبار عنهم[٣] أنهم قالوا ذلك بألسنتهم قولاً، وأظهروا خلاف ما في قلوبهم، فأخبر عز وجل نبيّه عليه الصلاة والسلام أنهم ليسوا بمؤمنين، أي بمصدقين بقلوبهم. وكذلك قوله: مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ،[٤] وكذلك قوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[٥] الآية. هذه الآيات كلها تنقض على الكرامية، لأنهم يقولون: الإيمان قول باللسان دون التصديق. فأخبر الله عز وجل عن جملة المنافقين أنهم ليسوا بمؤمنين لما لم يأتوا بالتصديق. وهذا يدل على أن الإيمان[٦] تصديق بالقلب. والكرامية يقولون: بل هم مؤمنون.

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٩]

وقوله: **يُخادعون الله** لا يقصد أحد قصد مخادعة الله، لكنهم كانوا يقصدون مخادعة المؤمنين وأولياء الله؛ فأضاف الله عز وجل ذلك إلى نفسه لعظم[٧] قدرهم وارتفاع منزلتهم عند الله. وهو كقوله: إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ،[٨] والله لا يحتاج أن يُنصَر، ولكن[٩] كأنه قال: إن تنصروا أولياء الله ينصركم. وهو كقوله: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ،[١٠] والله لا يبايع

---

[١] أي لم يقع التأمل والتفكر في قلوبهم.
[٢] ع: الخلق.
[٣] ن ع م: منهم.
[٤] سورة المائدة، ٤١/٥.
[٥] سورة النساء، ٦٥/٤.
[٦] ك: المراد.
[٧] ن ع م: لعظيم.
[٨] سورة محمد، ٧/٤٧.
[٩] ن: لكنه.
[١٠] سورة الفتح، ١٠/٤٨.

ولكن أضاف ذلك إلى نفسه لعظم[1] قدر نبيه وعلو منزلته عند الله[2] تعالى. فكذلك الأول أضاف مخادعتهم أولياءه إلى نفسه لعلوّ منزلتهم عند الله وقدرهم لديه. والمخادعة هو فعل اثنين، لخداع هؤلاء بحضور[3] المؤمنين، كذلك[4] معنى ذكر المفاعلة.[5] *والله أعلم*.

وقوله: **وما يخدعون إلا أنفسهم**، أي حاصل خداعهم ووباله يرجع إليهم. والثاني أنهم يظهرون[6] لهم الموافقة ليأمنوا، فلحقهم خوف دائم بذلك الخداع في الدنيا. **وما يشعرون**، أي ما يشعرون أن حاصل الخداع يرجع إليهم في الآخرة. والثاني ما يشعرون أن الله يُظهر ويُطلع نبيّه [على] ما أضمروه[7] في قلوبهم. *والله أعلم*.[8]

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١٠]

وقوله: **في قلوبهم مرض**،[9] يقال: شك ونفاق. سَمّى عز وجل المنافقين[10] مرضى لاضطرابهم في الدين، لأنهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون الخلاف لهم بالقلب، فكان حالهم كحال المريض الذي هو مضطرب بين الموت والحياة، إذ المريض يُشرِف -ربما- على الموت، ويرجو الإقبال منه ثانيًا، فهو مضطرب بين ذلك. فكذلك هم، لِما كانوا مضطربين في دينهم سماهم مرضى. وأما سائر الكفرة فإنهم لم يضطربوا في الدين، بل أظهروا بالقول [ما يدل] على ما أضمروا بالقلب، فسماهم موتى، لما لم ينتفعوا بحياتهم ولم يكتسبوا الحياة الدائمة؛ وسمى المؤمنين أحياء، لما انتفعوا بحياتهم واكتسبوا الحياة[11] الدائمة، لموافقتهم[12] باللسان والقلب جميعًا لدين الله عز وجل.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ع م: لعظيم.
[2] ن - عند الله.
[3] ن ع: وبحضور؛ ك: والحضور.
[4] ن م: لذلك.
[5] ك: الفاعلية.
[6] ع م: يحضرون.
[7] جميع النسخ: ما أضمرواهم.
[8] ك ن ع - والله أعلم.
[9] ع م - مرض.
[10] ن - المنافقين.
[11] م: بالحياة.
[12] ع: موافقتهم.
[13] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنك لا تُسمع الموتى ولا تسمع الصمَّ الدعاءَ إذا وَلّوا مدبرين =

/وقوله: **فزادهم الله مرضا**، اختلف في تأويله. قالت المعتزلة: هو التخلية بينهم وبين [٥ظ] ما اختاروا. وأما عندنا فهو[١] على خلق أفعال زيادة الكفر والنفاق في قلوبهم. لما زادوهم في كل وقت من إظهار الموافقة للمؤمنين بالقول وإضمار الخلاف لهم بالقلب، خلق الله[٢] عز وجل تلك الزيادة من المرض[٣] في قلوبهم باختيارهم، وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم في قوله: اِهْدِنَا.[٤]

وقوله: **ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**، لأن عذاب[٥] الدنيا قد يكون ولا ألم فيه، فأخبر الله عز وجل أن عذاب الآخرة عذاب شديد عظيم، ليس كعذاب الدنيا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[١١]

وقوله: **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض**، بالمخادعة للمؤمنين، وإظهار الموافقة لهم بالقول، وإضمار الخلاف لهم بالقلب، والاستهزاء بهم عند الخلوة، والقول فيهم بما لا يليق[٦] بهم،[٧] وعبادة غير الله. وأي فساد أكبر من هذا؟

وقوله: **قالوا إنما نحن مصلحون**، بإظهار الموافقة بالقول.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٢]

وقوله: **ألا إنهم هم المفسدون**، أخبر تعالى[٨] أنهم هم المفسدون، لما أضمروا من الخلاف لهم، والمخادعة والاستهزاء بهم.

- وما أنت بهادي العُمْي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٨٠-٨١؛ وانظر: سورة الروم، ٣٠/٥٢-٥٣)، وقوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾ (سورة فاطر، ٣٥/١٩-٢٢).

[١] ع م – فهو.
[٢] ن ع م – الله.
[٣] م: المرضى.
[٤] انظر ما ذكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (سورة الفاتحة، ١/٦).
[٥] ع: أن عذاب.
[٦] م: يليق.
[٧] ك – بهم.
[٨] ن ع م – من هذا وقوله قالوا إنما نحن مصلحون بإظهار الموافقة بالقول وقوله ألا إنهم هم المفسدون أخبر تعالى.

وقوله: **ولكن لا يشعرون**، أي لا يشعرون[1] أن حاصل ذلك يرجع[2] إليهم. والثاني لا يشعرون أن ما كانوا يفعلون[3] [هو] الفساد.[4] فإن كان هذا فهو ينقض قول من يقول بأن الحجة لا تلزم[5] إلا بالمعرفة -وهو قول الناس-[6] لأنه عز وجل أخبر بفساد[7] صنيعهم وإن لم يشعروا به. وهو كقوله أيضًا: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ،[8] أخبر بحبط الأعمال وإن كانوا لا يعلمون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٣]

وقوله: **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس**، تحتمل[9] الآية أن تكون[10] في المنافقين، وتحتمل[11] [أن تكون] في أهل الكتاب. فإن كانت في المنافقين، فكأنّ قوله: آمنوا يا أهل النفاق في السر والعلانية كما آمن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في السر والعلانية جميعًا. وهو كقوله: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا.[12] وإن كان في أهل الكتاب ففيه الأمر بالإيمان الذي هو إيمان، وهو التصديق. والإيمان عندنا هو التصديق بالقلب، دليله قول جميع أهل التأويل والأدب أنهم فسروا آمَنُوا: صدّقوا، في جميع القرآن.

وقوله: **قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**، الآية؛[13] السفه هو ضد الحكمة، وهو العمل بالجهل

---

[1] ن – أي لا يشعرون.
[2] ع م: لا يرجع.
[3] م + يفعلونه.
[4] ك: إفساد.
[5] ع م: يلزم.
[6] ك ع م: الناشي. أي المعتزلة. يقول السمرقندي: «وهذه الآية حجة على المعتزلة في قولهم: إن التكليف لا يتوجه بدون العلم بالمكلف وبما كلف به، وإن الحجة لا تلزم بدون المعرفة» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٠ظ).
[7] ن ع م: لفساد.
[8] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ (سورة الحجرات، ٤٩/٢).
[9] ن ع م: يحتمل.
[10] ع: يكون.
[11] ن ع م: يحتمل.
[12] سورة البقرة، ٢/١٣٧.
[13] ن – الآية.

على العلم أنه مبطل.[١] والجهل هو ضد[٢] العلم. والسفه هو الشتم، يقول الرجل لآخر: يا سفيه.

وقوله: **ألا إنهم هم السفهاء**، يقول بعض المتكلمين: إن هذا شتم من الله لهم جوابًا عن المؤمنين.[٣] ويستجيزون ذلك على الجواب، وإن لم يجز على الابتداء كالمكر والكيد والاستهزاء والخداع ونحوه، فعلى ذلك هذا. وأما عندنا فهو غير جائز، لأن من يشتم[٤] آخر يُذم عليه، وهو عمل السفهاء. فأخبر عز وجل أنهم هم الذين يعملون بالجهل على علمهم أن دينهم الذي يدينون به باطل وأن الدين الذي يدين به المؤمنون حق.

وقوله: **ولكن لا يعلمون**، قيل فيه بوجهين. أحدهما، لا يعلمون أنهم هم السفهاء. والثاني، لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب لذلك. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[١٤]

وقوله: **وإذا لقوا الذين آمنوا** يعني أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم **قالوا آمنا**، أظهروا لهم[٥] الموافقة في العلانية، ويضمرون لهم الخلاف في السر.

وإذا خلوا إلى شياطينهم، قيل فيه بأوجه. قيل: إن شياطينهم يعني الكهنة، سموا بذلك لبعدهم عن الحق؛ يقال شَطَن أي بَعُد. وقيل: إن كل عاتٍ ومتمرد يسمى شيطانًا، لِعُتوّه وتمرده، كقوله: شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ؛[٦] سموا بذلك لعتوهم وتمردهم،[٧] إذ من قولهم: إن الشياطين أصلهم من الجن. وقيل: سموا بشياطين،[٨] لأنه كان مع كل كاهن شيطان يعمل بأمره، فسموا بأسمائهم، وذلك جائز، في اللغة جار. ***والله أعلم***.

وقوله: **قالوا إنا معكم**؛ قيل: فيه وجهان: أي معكم في النصرة[٩] والمعونة. والثاني إنا معكم، أي على دينكم لا على دين أولٰئك. ***والله أعلم***.

---

[١] ك ع م: يبطل.
[٢] ك: الضد.
[٣] ن: من المؤمنين.
[٤] جميع النسخ: شتم.
[٥] ع م: أنهم.
[٦] سورة الأنعام، ٦/١١٢.
[٧] شرح *التأويلات* ورقة ١١ظ.
[٨] ع م: شياطين.
[٩] ك ن م: النصر.

وقوله: **إنما نحن مستهزئون** بإظهار الموافقة لهم[1] في العلانية، وإظهار الخلاف لهم في السر.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١٥]

وقوله: **الله يستهزئ بهم**، قيل فيه بوجوه. قيل: أي يجزيهم جزاء الاستهزاء. وكذلك قوله: يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ،[2] أي يجزيهم جزاء المخادعة، وكذلك قوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ،[3] أي يجزيهم جزاء المكر؛ يُحمَل على الجزاء، لما لا يجوز إضافة المكر والخداع والاستهزاء مبتدأ إلى الله، لأنه مذموم من الخلق إلا على المجازاة، فكيف من الله.

وقال بعضهم: يجوز إضافة الاستهزاء إلى الله[4] وإن كان لا يجوز من الخلق أن يستهزئ[5] بعضهم [من] بعض؛[6] كالتكبر، يجوز لله ولا يجوز للخلق، لأن الخلق أشكالٌ بعضُهم لبعض وأمثال، والله عز وجل لا شكل له ولا مثل. وكذلك الاستهزاء، يجوز له ولا يجوز لغيره، لأن الاستهزاء هو الاستخفاف، فلا يجوز أن يَستخف[7] ممن[8] هو مثله في الخلقة وما خلق فيه[9] من الأحداث، والغِيَر.[10] والله تعالى يتعالى عن ذلك. والأول أقرب. *والله أعلم*. أو أضاف[11] استهزاء المؤمنين بهم إلى نفسه، كما ذكرنا في المخادعة.

ثم اختلف في كيفية الاستهزاء. فقال الكلبي:[12] هو أن يُفتح لهم باب من الجنة فيدنون[13] منه، ثم يغلق دونهم، فإن ثبت ذا فهو كما قال.

---

[1] أي للمسلمين.

[2] ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ (سورة النساء، ١٤٢/٤).

[3] سورة آل عمران، ٥٤/٣.

[4] ك – لأنه مذموم من الخلق إلا على المجازاة فكيف من الله عز وجل وقال بعضهم يجوز إضافة الاستهزاء إلى الله.

[5] ع: يستهزئ.

[6] ك: بعضا.

[7] ن + عمن.

[8] ج: عمن.

[9] ع م: له.

[10] أي سمات النقص وآثار الحدث.

[11] م: وأضاف.

[12] هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)؛ نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار، وأيام العرب، من أهل الكوفة، فيها مولده ووفاته. يقال: إنه كان من أصحاب عبد الله بن سبأ. انظر: *المعارف* لابن قتيبة، ٥٣٣؛ و*الفهرست* لابن النديم، ١٠٧؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣٠٩/٤-٣١١؛ و*ميزان الاعتدال* للذهبي، ٥٥٦/٣-٥٥٩؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ١٥٨/٩.

[13] جميع النسخ: فيدنوا.

وقيل: إنه يُرفَع لأهل الجنة نور يمضون به، فيقصد أولٰئك المضيّ معهم بذلك النور، ثم يطفأ ذلك النور فيتحيرون، وهو قولهم: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾.[١]

وقيل: أن يعطى لهم في الدنيا ما ينتفعون به من أنواع النعم ظاهرًا على ما أظهروا لهم / الموافقة في العلانية، ويحرم ذلك لهم في الآخرة بإضمارهم الخلاف لهم[٢] في السر. [٦و]

وقوله: **ويمدهم في طغيانهم يعمهون** الآية، في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، كقوله: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[٣] غير أن هذه في المنافقين والأولى في الكفرة. وهي تنقض على[٤] المعتزلة قولهم، لأنهم يقولون: إن الله لا يقدر أن يستنقذهم في حال الاختيار، وإنما يقدر [على] الاستنقاذ منهم في حال الاضطرار، فأخبر عز وجل أنه يستنقذهم على فعل الطغيان.[٥]

وقوله: **ويمدهم [في طغيانهم يعمهون]** ، أي يخلق فعل الطغيان فيهم. ويحتمل أن يخذلهم ويتركهم لما اختاروا من الطغيان إلى آخر عمرهم. ويحتمل أنه لم يهدهم[٦] و لم يوفقهم. [و]في هذا إضافة المد إلى الله وإضافة المد على الطغيان [إليه]، [و]لا يضاف إليه [شيء] إلا لمدح،[٧] والمدح يكون بالأوجه الثلاثة التي بيّنّا.[٨] وفي هذا أنه إذا كان هو الذي يمدّهم في الطغيان قدر على ضده من فعل الإيمان. فدل أن الله خالق فعل العباد، إذ من قولهم: إن القدرة التامة هي التي إذا قدر على شيء قدر على ضده. والعَمَه الحيرة في اللغة.

﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[١٦]

قوله:[٩] **أولٰئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**، أي اختاروا الضلالة على المدعو إليه -وهو الهدى- من غير أن كان عندهم الهدي فتركوه بالضلالة. وهو كقوله:[١٠] ﴿يُخْرِجُهُمْ

---

[١] سورة الحديد، ١٣/٥٧.
[٢] ع م - لهم.
[٣] سورة البقرة، ٦/٢.
[٤] ع + على.
[٥] أي باختيار منهم. ويبدو أن المؤلف يتحدث عن مشكلة أفعال العباد واستطاعتهم ويظهر وجهة نظره بمثال الاستنقاذ وإن كانت الآية في مد طغيان المنافقين.
[٦] ع: لم يهديهم.
[٧] ع م: المدح.
[٨] انظر: ما ذكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾.
[٩] ن ع: وقوله.
[١٠] ن ع م: كقولهم.

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ،[1] من غير أن[2] كانوا فيه. فكذلك الأول، تركوا الهدى بالضلالة ابتداء.

وقيل: الضلالة الهلاك، أي اختاروا ما به يَهلِكون على ما به نجاتهم، وإن كانوا لا يقصدون شراء الهلاك بما به النجاة، كقوله:[3] فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[4] لا يقدر أحد أن يصبر على النار، ولكن فما أَصْبَرَهم على عمل يستوجبون به النار. وكذلك قوله: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ،[5] أي بئسما اختاروا ما به هلاك أنفسهم على ما به نجاتهم.

وفي هذه الآية دلالة جواز البيع بغير لفظة البيع،[6] لأنهم ما كانوا[7] يتلفظون باسم البيع، ولكن كانوا يتركون الهدى بالضلالة. وكل من ترك لآخر شيئًا له ببدل[8] يأخذه[9] منه فهو بيع، وإن[10] لم يتكلموا بكلام البيع. وكذلك قوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[11] الآية. وهو على[12] بذل الأموال والأنفس له بالموعود الذي وعد لهم، وهو الجنة.

وقوله: **فما ربحت تجارتهم**، أي ما ربحوا بتجارتهم،[13] لأن التجارة لا تربح ولكن بالتجارة يُربَح،[14] وقد يسمى الشيء باسم سببه. وهو كقوله: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[15] والنهار لا يُبصِر، ولكن بالنهار يُبصَر. وذلك شائع[16] في اللغة، جائز تسمية الشيء باسم سببه.

---

[1] ك: يخرجهم من الظلمات إلى النور ومن النور إلى الظلمات. سورة البقرة، ٢/٢٥٧.
[2] ع م – أن.
[3] ع: كقولهم.
[4] سورة البقرة، ٢/١٧٥.
[5] سورة البقرة، ٢/٩٠.
[6] ك – بغير لفظة البيع.
[7] ن ع: كانوا.
[8] ن: يبذل؛ ع: يبذل.
[9] ن م: بأخذ.
[10] ع م: فإن.
[11] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعدًا عليه حقًّا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).
[12] م – على.
[13] م: في تجارتهم.
[14] ع م – ولكن بالتجارة يربح.
[15] ك ن ع: وجعل النهار مبصرا. سورة يونس، ١٠/٦٧؛ وانظر كذلك؛ سورة المؤمن، ٤٠/٦١.
[16] ك: صائع.

ثم في قوله: **فما ربحت تجارتهم** نفي الربح دون نفي[1] الأصل في الظاهر. غير أن النفي على وجهين: نفي شيء يوجب إثبات ضده، وهو[2] نفي الصفة، كقولك: "فلان عالم" نفيت الجهل عنه، و"فلان جاهل" نفيت العلم عنه. ونفي شيء[3] لا يوجب إثبات ضده، وهو[4] نفي[5] الأعراض، لأنك إذا نفيت لونًا لم يوجب ضد ذلك اللون. وقوله: **فما ربحت تجارتهم** نفي الأصل، كأنه قال: بل خسرت تجارتهم، [و]أوجب إثبات ضده؛ دليله قوله: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ،[6] ولَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.[7]

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[١٧]

وقوله: **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**، اختلف فيه. قيل: إنها نزلت في المنافقين، لأنها على إثر ذكر[8] المنافقين، وهو قوله: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا،[9] الآية. وقيل:[10] إنها نزلت في اليهود، لأنه سبق ذكر اليهود، وهو قوله: أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،[11] الآية. ويحتمل نزولها في الفريقين جميعًا.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: إن هذا من المكتوم.[12] ولا[13] يحتمل ما قال، لأنه مَثَل ضَرَبه[14] الله؛ والأمثال إنما تضرب لتُفهَم وتقرِّب إلى الفهم ما بعد منه، فلو حمل على ما قال لم يفهم مراده ولما[15] قرّب إلى الفهم شيئًا،[16] إلا أن يريد من المكتوم أنه لم يعلم فيمن نزل، فهو محتمل. *والله أعلم*.

---

[1] ع م – نفي.
[2] ك ع: وهي.
[3] م: الشئي
[4] ك ع م: وهي.
[5] ن + الصفة.
[6] سورة البقرة، ٢/٩٠.
[7] ن ع م: وبئسما ما كانوا يعملون؛ ك: وبئسما كانوا. سورة البقرة، ٢/١٠٢.
[8] ك: ذلك.
[9] سورة البقرة، ٢/١٤.
[10] ع م: قيل.
[11] سورة البقرة، ٢/٦.
[12] يعني هذه الآية مكتومة، لا يمكن تفسيرها.
[13] ك ع م: فلا.
[14] ع: ضرب.
[15] ن ع م: وما.
[16] شرح *التأويلات*، ورقة ١٣و.

وقوله عز وجل: **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا**، الآية، يحتمل أن يكون الإضافة إلى ما ذكر[1] من المنافقين بقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ،[2] الآية، وقوله: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا،[3] الآية، وذلك يخرج على وجوه. أحدها أنهم قصدوا قصد المخادعة بأولياء الله والاستهزاء بهم، ففضحهم الله بذلك في الدنيا والآخرة. فأما في الدنيا فبما[4] هتك سترهم، وأُطْلع على ذلك أولياءه،[5] فعادت إليهم المخادعة، وعوقبوا بما أُطلع على ضميرهم وبما أرادوا بذلك الأمن، فأعقبهم الله خوفًا دائمًا، كما وصفهم الله: يَخْشَوْنَ النَّاسِ،[6] الآية؛ وقال: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ،[7] وقال: رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ،[8] وقال: فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ،[9] الآية، وقال: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ،[10] الآية.

والثاني أن يكون[11] طلبوا بإظهار الموافقة في الدين الشرفَ فيهم والعز، وكذلك عند الكفرة[12] بما أظهروا أنهم يخادعون بذلك[13] المؤمنين ويستهزئون بهم، فعلموا أنهم كذلك[14] يظهرون للمؤمنين ما لهم[15] معهم، فطردوا من بينهم، فقال الله: مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ،[16]

---

[1] ع: من ذكر.
[2] سورة البقرة؛ ٢/٨.
[3] سورة البقرة، ٢/١٤.
[4] ك ن: بما؛ ع م: فيما.
[5] ن ع م: أولياؤه.
[6] يقول الله تعالى: ﴿فلما كُتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ (سورة النساء، ٤/٧٧).
[7] سورة المنافقون، ٦٣/٤.
[8] سورة محمد، ٤٧/٢٠.
[9] ﴿أَشِحَّةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يُغْشَى عليه من الموت﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٩).
[10] ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٦٤).
[11] ك ع: أويكون؛ ن: أو أن يكون؛ م: أو يكونوا.
[12] ن ع: الكفر.
[13] ك: ذلك.
[14] ك – بهم فعلموا أنهم كذلك.
[15] ن ع: حالهم.
[16] ﴿ألم تر إلى الذين تولّوا قومًا غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكَذِب وهم يعلمون﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/١٤).

وقال: مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَى هٰؤُلَاءِ،[١] الآية. فزال عنهم ما التمسوا من الشرف والعز وأُبدِل لهم به الهوان والذُّل. فمثلهم[٢] في ذلك مثل مستوقد نار ليستضيء بضوئها وينتفع بحرّها، فأذهب الله ضوءه،[٣] حتى ذهب ما كان يأمل من الاستنارة بها والانتفاع، وأعقبه الله تعالى خوف الاحتراق لو دَنا منها، وذهب عنه ما طلب بذلك من شرف / الوُقود في الأيام الشاتي[ة]، [٦ظ] أو ما يصلح بها من الأغذية بذهاب البصر. فيكون ذلك معنى قوله: وَهُوَ خَادِعُهُمْ،[٤] و اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ؛[٥] إذ عوقبوا بالخوف بما[٦] قصدوا به الأمن، والذّلِ بما طلبوا به العز، وكذلك مستوقد النار الذاهبُ نوره. *والله أعلم.*

وعلى ذلك قوله: أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى،[٧] أي اختاروا الضلالة –لما رجعوا إلى شياطينهم– بالهدى الذي قد أظهروه عند المؤمنين. فيكون تحقيق[٨] استهزاء الله بهم ومخادعتُه إياهم فِعلَ أوليائه بهم بما أُخبروا من سرائرهم، وبما حَطُّوا أقدارهم، وذَلّوا في أعينهم؛ فأضيف ذلك إلى الله، إذ به فعلوا، كما أضيفت مخادعتهم المؤمنين إليه، إذ عن دينه خادعوهم. *والله أعلم.*

وعلى هذا التأويل أمكن أن يخرج قول من زعم أن الآية نزلت في الكافرين،[٩] أنهم كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما[١٠] وجدوا نعته في التوراة والإنجيل، أنه[١١] يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ،[١٢] الآية، وقوله: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ،[١٣] إلى آخر السورة؛ وقال عز وجل:

---

[١] ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ (سورة النساء، ١٤٣/٤).

[٢] م – فمثلهم.

[٣] جميع النسخ: بضوئه.

[٤] ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ (سورة النساء، ١٤٢/٤).

[٥] سورة البقرة، ١٥/٢.

[٦] ك: عما.

[٧] سورة البقرة، ١٦/٢.

[٨] ع – تحقيق.

[٩] أي في اليهود والنصارى.

[١٠] ن ع م: بما.

[١١] ع: أن.

[١٢] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[١٣] سورة الفتح، ٢٩/٤٨.

يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[1] وقوله: وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ.[2] كانوا كمستوقد النار، أي طالب الوُقود ليستضيء به، فلما ظفر به أذهب الله نوره بعد معرفته[3] بمنفعة نور النار، فلم ينتفع به. فكذلك لِما كفروا عند بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدًا من أنفسهم وبغيًا؛ إذ كان من غيرهم أو خشية منهم على ملكهم ومأكلهم بعد العلم منهم بعظم[4] المنفعة فيه. ***ولا قوة إلا بالله***.

وأما في الآخرة [ف]إنهم[5] قصدوا مخادعة المؤمنين وموالاهم في الظاهر ومشاركتهم إياهم في المنافع نحو المغانم والتوارث والتناكح، وخالفوهم في الباطن. فكذلك الله أشركهم في المنافع الظاهرة[6] الحاضرة[7] في الدنيا، وخالفهم بمنافع دينه في الباطن الغائب وهي الآخرة؛ أراهم المشاركة مع المؤمنين في الدنيا، وصرفها عنهم[8] في الآخرة. فكما أروهم الموافقة في الظاهر مع المخالفة في الباطن، فكذلك[9] مستوقد النار أظهر من نفسه الرغبة في ضوئها بالإيقاد، وقد أذهب الله ضوء[10] بصره، فذهب عنه منفعته عند ظنه أنه يصل إليها؛ كالمنافقين في الآخرة، إذ ظنوا في الدنيا أنهم شركاؤهم في الآخرة[11] لو كانت، ولذلك قالوا: أُنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ،[12] وقوله: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ،[13] الآية. فذلك وجه الاستهزاء بهم والمخادعة،

---

[1] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢؛ وانظر أيضًا: سورة الأنعام، ٢٠/٦).

[2] ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٨٩/٢).

[3] جميع النسخ: معرفتهم. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ١٣ظ.

[4] ع م: بعضهم.

[5] ع م - إنهم.

[6] ن - الظاهرة.

[7] ك: الحاضرة الظاهرة.

[8] جميع النسخ : عنها.

[9] ك ن: وكذلك.

[10] جميع النسخ: بضوء.

[11] ع: الآخر.

[12] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).

[13] ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ (سورة النساء، ١٤١/٤)؛ وانظر كذلك: سورة الحديد، ١٤/٥٧.

أنه أشركهم في أحكام الدنيا وخالفهم[١] في أحكام الآخرة. وعلى[٢] ذلك اشتراء الضلالة بالهدى، على معنى اختيارهم ما فيه الهلاك على ما فيه نجاتهم.

وعلى ذلك يخرج تأويل من صرف [الآية] إلى أهل الكتاب، لأنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، إذ آمنوا بكتبهم وقد كان فيها نعته الشريف.[٣] فلما وصلوا إلى منافع الإيمان بالبعث إليهم وشاهدوا كفروا به، فعوقبوا بحرمان منافع كتبهم وإيمانهم عند معاينة الجزاء، كما ردوا إيمانهم به عند المشاهدة. *والله أعلم*.

و[الثالث] روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه ضم تأويل هذه الآية والتي[٤] تتلوها من قوله: أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ، إلى قوله وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ.[٥] وذلك -والله أعلم- أنهم قوم لا يعرفون الله حق المعرفة[٦] فيعبدونه بحق الربوبية له قِبَلَهم، ولا يؤمنون بالآخرة فيكون عملهم للعواقب، ولا يعرفون غير الدنيا ومنافعها، فجعلوا دينهم وعبادتهم ثمنا لها. فإذا رأوا في دين الإسلام الغنائم والسَّلْوَة رأوا[٧] تجارتهم مربّحة فاطمأنوا بها، واجتهدوا بالسعي فيها. وإذا أصابتهم الشدة والبلايا رأوا تجارتهم مخسّرة فصرفوا إلى غير ذلك الدين. فمثلهم مثل المستوقد نارًا، إنه يجتهد في الإيقاد ما دام يطمع في نور النار ومنافع حرّها لمصالح[٨] الأطعمة. فإذا ذهب نور بصره أبغض النار بما يخشى من الاحتراق بالدنوّ منها، وما[٩] يذهب من منافع خفية إن لم يكن استوقد؛ كالمنافق فيما استقبله المكروه في الإسلام تمنى أن لم يكن أسلم قط. وذلك كقوله:[١٠] وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ،[١١] وقوله:

---

[١] ك: خالفهم.

[٢] ك ن ع – وعلى.

[٣] ك ن – الشريف.

[٤] ع: التي.

[٥] ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ (سورة الحج، ١١/٢٢).

[٦] م: معرفته.

[٧] ع م: أو.

[٨] ع: المصالح.

[٩] ع: ربما؛ ن م: بما.

[١٠] جميع النسخ: قوله.

[١١] ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يَوَدُّوا لو أنهم بادُون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ (سورة الأحزاب، ٢٠/٣٣).

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا،[1] وقوله:[2] قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ،[3] وقوله: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا،[4] وكذلك البرق الذي يضيء يمشي المرء في ضوئه، وكذلك المنافق إذا رأى خيرًا في الإسلام مشى إليه، وإذا أظلم عليه قام متحيرًا حزينًا أن لا يكون اختار[5] المسلوك. **والله الموفق**.

وقال[6] أبو بكر الأصم:[7] مَثَل من يظهر الإيمان فيما يتزين بنوره في الناس مثل مستوقد النار فيما يستضيء حول النار بنورها، ثم يُذهِب الله نوره في الآخرة، كما أذهب هو في السر [إيمانه]، وكذلك أذهب الله نور المستوقد، فيذهب به التزين بالنور حول النار. قال: وقيل: ذا لعنُ [من الله]، كما يقال: أذهب الله نوره، أي الذي كان يظهره، فيبقى المنافق في ظلمات الآخرة، والمستوقد في ظلمات العَمَى والليل. ثم قال: جعل[8] الدعاء إلى الإسلام كالصيّب، وما فيه من الجهاد كظلمة[9] الليل، وما فيه من الغنيمة كالبرق، وجعل أصابعهم في الآذان[10] من سماع ما في الإسلام من الشدائد نحو جعل ذلك من الصواعق.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١٨]

[٧و س٢٥] *وقوله عز وجل: **صم بكم عمي فهم لا يرجعون** يحتمل وجهين. أحدهما: صم،

---

[1] سورة آل عمران، ٣/١٥٤.

[2] جميع النسخ : وقولهم.

[3] ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ (سورة التوبة، ٩/٥٠).

[4] ﴿وإنّ منكم لَمن لَيُبَطِّئَنَّ فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤/٧٢).

[5] ع م: اختيار.

[6] ع: قال.

[7] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كَيْسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسّر. وله «تفسير»، و «مقالات» في الأصول، و«مناظرات» مع العلّاف. وله أيضًا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٣/٥١٩.

[8] ك – جعل.

[9] ن ع م: وكظلمة.

[10] ع: آذانهم.

* العبارة من هذه الآية وتأويلها حتى نهاية تأويل الآية رقم ١٩ قد وقعت في جميع النسخ بعد تأويل الآية رقم ٢٠، ربما لخلل في لوحات نسخة الأصل التي نُسخ منها النسخ التي بين أيدينا. فوضعناهما مكانهما رعاية لترتيب الآي. انظر: نسخة م، ورقة ٧و/سطر٢٥ – ورقة ٧ظ/سطر٢٩.

لأنه ختم على آذانهم وعلى سمعهم وعلى قلوبهم، فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون. ويحتمل أنهم[١] صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بأسماعهم وأبصارهم وقلوبهم.

ثم اختلف في جواز إضافة لفظ الاستهزاء إلى الله تعالى. فأجازه قوم وإن كان ذلك قبيحًا من الخلق، لما قبح منهم بما لا أحد يستهزئ بأحد إما لجهله[٢] أو لقبح[٣] في الخلقة[٤] إلا والمستهزئ [ب]نحو هذه قد يحتمل ذلك لولا إنعام الله عليه الذي قد أغفل عنه[٥] باشتغاله بما ذكر، مع ما[٦] لعل الإغفال من هذا أوحش وأقبح[٧] من حال المستهزَإ[٨] به. ولذلك قال عز وجل: لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ،[٩] الآية. وذلك نحو التكبر،[١٠] إنه قبيح من الخلق، بما لهم أشكال في الحدث وآثار الصنعة، واحتمال كل منهم بما احتمل غيره. وجائز إضافته إلى الله تعالى لتعاليه[١١] عن الأشباه والأشكال،[١٢] وإحالة[١٣] احتمال ما احتمل غيره؛ وبه يقول الحسين[١٤] النجار.

وأبى قوم ذلك[١٥] إلا على إثر أحوالٍ تصرف[١٦] فهم السامع إلى معنى الاستهزاء، نحو أن يذكر على إثر فعل له جزاءً، فيفهم[١٧] منه جزاء الاستهزاء، كذكر السيئة في الجزاء والمكر ونحو ذلك.[١٨]

---

[١] ع م: أنه.
[٢] ن ع م: إما بجهله.
[٣] م: أو بقبح.
[٤] ك + أو لزيادة في الخلق؛ ن + أو الزيادة في الخلق.
[٥] ك + أو لدناءة في الخلق.
[٦] ك ن: مما لعل.
[٧] ن ع م + به.
[٨] جميع النسخ: المستهزئ.
[٩] سورة الحجرات، ٤٩/١١.
[١٠] ع: التكبير.
[١١] ن ع: تبعا إليه.
[١٢] ن: عن الأشكال والأشباه.
[١٣] ع م: وإحاطة.
[١٤] جميع النسخ: حسين. هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجّار الرازي، (ت نحو ٢٢٠هـ/٨٣٥م): رأس الفرقة النجارية، وإليه نسبتها. انظر: *مقالات الإسلاميين* للأشعري، ١/٢١٦، ٣٣٤، ٥٤١؛ *والفهرست* لابن النديم، ١/٢٢٩؛ *والتبصير في الدين* للإسفراييني، ١/١٠١؛ *والفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢١٧-٢١٨؛ *والملل والنحل* للشهرستاني، ١/٧٥.
[١٥] أي أبى جواز إضافة لفظ الاستهزاء إلى الله تعالى.
[١٦] ن: التصرف.
[١٧] م: ففيهم.
[١٨] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٧)، وقوله: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٥٤).

ثم يخرج ما نحن[1] فيه على أوجه. أحدها ما بيّنّا. والثاني ما ينسب إليه فعل المأمور،[2] نحو قول المؤمنين للمنافقين في الآخرة:[3] اِرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ،[4] وقول أهل الجنة ودعائهم أهل النار بالخروج لو ثبت ما ذكره الكلبي، وقول الملائكة: فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ،[5] وغير ذلك.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[١٩]

ثم ما ذكر من الظلمات يخرج على وجوه ثلاثة. أحدها ظلمات كفرهم بقلوبهم، إذ[6] أظهروا الإيمان أولاً. والثاني المتشابه في القرآن، وهو الذي تعلق به كثير من المشركين، حتى نزل قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ،[7] الآية. والثالث ما في الإسلام من الشدائد / والأفزاع [٥٧ظ] من الجهاد والحدود وغير ذلك.

وأمكن صرف الأول والآخر إلى الفريقين –الكافر[8] والمنافق– وصرف تأويل المتشابه إلى الكافر. على أنا بيّنّا أن لكل من ذلك حظا.[9] ويدل آخر الآية –وهو قوله: **والله محيط بالكافرين**– على أن المَثَل لهم،[10] لأن[11] المنافق[12] شريكهم في الكفر. ***والله الموفق.***

---

[1] جميع النسخ: فيما نحن.

[2] لعل الإمام رحمه الله يقصد فعل الذي يُسأل منه شيء ويُرجى، فيجيب بأسلوب السائل وكلماته؛ فيقول مثلا لمن سأل وأراد أن يقتبس من نوره: ارجع وراءك فالتمس نورا ولا تلتمسه مني.

[3] ع: الآخر.

[4] ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ (سورة الحديد، ١٣/٥٧).

[5] ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٩–٥٠).

[6] جميع النسخ: إن.

[7] ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ (سورة آل عمران، ٧/٣).

[8] ع: والكافر.

[9] ن م: خطاء.

[10] أي للكل.

[11] ن ع: إلا أن.

[12] ك: المنافقين.

وجائز أن يكون المثل المضروب بالآية إنما هو للقوم الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا قبل بعثه صنفين. صنف ينتحل الكتاب الذي هو عندهم مما[١] جاء به[٢] الرسل، لكن[٣] أئمتهم قد غيروا ما في كتبهم من دين الله وأحكامه، حتى عطّلوا[٤] ذلك، وأبدعوا غير الذي جاءت به الرسل من الدين والأحكام. بيّن ذلك قوله: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا،[٥] الآية، وقوله: قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ،[٦] وقوله: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ،[٧] الآية. ومنهم من أبدع الكتاب ونسبه[٨] إليهم،[٩] كقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ،[١٠] الآية، تُبيّن[١١] ما ظهر من التفرق فيهم ومن القول في أنبيائهم وفي الله[١٢] سبحانه. ومعلوم أن دين الرسل واحد غير مختلف. وبما كان من الفترة اندرست الكتب، وذهبت الرسوم، فصاروا في ظلمة الضلالة وحيرة الزيغ، وتاهوا في سبيل الشيطان، وانقطع من بين أظهرهم[١٣] الأئمة الذين يوثق بهم في الدين، بما ليس لأحد برهان يشهد له بالتمسك بسبيل الأنبياء والاعتصام بكتبهم، إذ كلهم يدّعي ذلك، وقد ظهر فيهم القول المختلف والمتناقض الذي لا تحتمله[١٤] الحكمة، ولا يصبر[١٥] عليه العقل.

---

[١] ع: بما.
[٢] ع – به.
[٣] ع م: لكنهم.
[٤] ع م: غلطوا.
[٥] ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولٰئك لهم عذاب عظيم﴾ (سورة آل عمران، ١٠٥/٣).
[٦] ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ (سورة المائدة، ١٥/٥).
[٧] ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ (سورة الأنعام، ١٥٩/٦).
[٨] ن ع م: نسب.
[٩] ع: إليكم. أي إلى الرسل.
[١٠] ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٧٨/٣).
[١١] أي هذه الآيات.
[١٢] ع: والله.
[١٣] م: أظهر.
[١٤] ن ع: يحتمله.
[١٥] ع: يصير.

وصنف لا ينتحل[1] الكتاب، ولا يؤمن بنبي[2] من الأنبياء، بل يعبدون الأوثان والنيران والأحجار، وما يهوون مما لا يملك[3] الضرر ولا النفع. وليس[4] لهم شرع، بل هم حَيارَى، لا يعرفون معبودًا، ولا يبصرون طريقًا، وليس فيهم من إذا فزعوا إليه دلّهم على المحجة، وأطلعهم[5] على الحق، بل هم في الضلالة تائهون،[6] وفي الظلمات متحيرون.[7]

فأحوج الفريقين جميعًا ما حلّ بهم من الحيرة والتيه إلى من يَشفيهم من داء الضلالة بنور الهدى، ومن ظلمة الاختلاف بضياء[8] الائتلاف، ويخرجهم من سبيل الشيطان إلى سبيل الله، ويدلهم على معرفة المعبود الحق، لئلا يتخذوا من دونه أربابًا. فبعث إليهم عند شدة حاجتهم رسولًا، وأكرمهم بما أراهم من الآيات التي يُعْلمهم [بها] أنه أنعم به عليهم ليستنقذهم من الضلالة إن هم أطاعوه وشكروا نعمة الله.

فكانوا كقوم بُلُوا بظلمات الليل والسحاب، فتحيروا فيها بما حالت الظلمة بينهم وبين حاجاتهم، وتعذر عليهم الوجه في وضع أقدامهم، فتاهوا، فدفعهم التيه[9] إلى استيقاد النار ليبلغوا حوائجهم ويأمنوا العطب في وضع الأقدام. وكقوم بُلوا في شدة الجوع والعطش لضيق الزمان وجَدْبِه، فاستغاثوا بمن يملك كشف ذلك عنهم، فأغاثهم بالمطر. ثم منهم من عرف نعمة من أنعم عليهم بالوُقود، وأغاثهم بالمطر، فتلقوا نعمه[10] بالشكر، فنجَوا بذلك، فما خَشُوا من الهلاك، ووصلوا إلى حوائجهم بالنار والمطر. وذلك مَثَلُ من اتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم، وعرف نعم الله فشكره.[11] ومنهم من تلقى نور النار بالكفران والجهل بالمنعِم به عليه، ونسي ما كان عليه،[12] وهو قوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ،[13]

---

[1] ن ع: لا يحمل.
[2] ن: برسول.
[3] ن: أحد.
[4] ن: ليس؛ ع – وليس؛ م: ولا.
[5] جميع النسخ: لا أطلعهم.
[6] ن ع م: تائهين.
[7] ن ع م: متحيرين.
[8] م: بصيت.
[9] ن: البتة.
[10] ع: نعمة؛ م: نعمته.
[11] ن ع م: وشكره.
[12] ع م – ونسي ما كان عليه.
[13] ك: الضر. ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبًا إليه ثم إذا خوّله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادًا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٨).

آياتٌ فيها ذكر ما بينت؛[١] وقوله: وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ،[٢] الآية، فأذهب الله نوره، فلم ينتفع بنور النار، ولا وصل إلى حاجته التي بها تقضَى. وذلك مثل الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لم ينتفعوا به، ولا قضوا حاجاتهم،[٣] بل زادهم ذلك ظلمة وحيرة، كمستوقد النار إذا ذهب بصره. وكذلك قوم بُلوا بالسلوك[٤] في الطريق عند شدة الظلمة، ولم يتلقوا النعمة بالشكر من الوجه الذي جُعل لهم لوضع أقدامهم[٥] بنور البرق، فأُذهب نوره وسكن لمعان البرق، فعاد الغياث له هلاكًا، والمطر الذي [هو] رحمة[٦] عليه بلاء. فمثله من كابر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرض[٧] عن الاستماع إليه. **ولا قوة إلا بالله**.* ٧ظ س٢٩

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٠]

يكاد البرق يخطف أبصارهم، أي ما في الإسلام من الغنيمة يدعوهم إليه. **وإذا أظلم** / **عليهم** بالشدائد قَامُوا وصُدّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. **ولو شاء الله لذهب** [٧و] بما ذكر، أي أصمّهم وأعماهم. وروي عن الضحاك[٨] عن ابن عباس رضي الله عنه: إن ضوء البرق والنار ليسا بدائمين، فشبه به إيمان المنافق أنه عن سريع يزول.

وقال القُتَبي:[٩] كان المنافق[١٠] في ظلمة الكفر فاهتدى بما أُعطي من النور، كمستوقد النار

---

[١] ع: ثبت؛ ن: يثبت.

[٢] ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ (سورة الإسراء، ٦٧/١٧).

[٣] ك: حاجتهم.

[٤] ع: في الشكوك؛ م: في السلوك.

[٥] ن – أقدامهم.

[٦] ك: وجهه.

[٧] ع م: اعترض.

[٨] ع م – عن الضحاك. هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني (ت ١٠٥هـ/٧٢٣م)؛ مفسّر، روى عن كثير من الصحابة، وقيل: لم يثبت سماعه لأحد من الصحابة. له كتاب في التفسير. انظر: *ميزان الاعتدال* للذهبي، ٣٢٥/٢-٣٢٦؛ وسير *أعلام النبلاء* له أيضا، ٥٩٨/٤-٦٠٠.

[٩] القُتَبي نسبة إلى قتيبة. وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)؛ من أئمة الأدب ومن المصنفين في ميادين شتى. له مؤلفات في الأدب، والتفسير، والحديث، والسياسة، وغيرها من العلوم. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٨٥-٨٦؛ و*اللباب* لابن الأثير، ١٥/٣؛ و*إنباه الرواة* للقفطي، ١٤٣/٢-١٤٧؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٤٢/٣-٤٤.

[١٠] م – المنافق؛ ع – أنه عن سريع يزول وقال القتبي كان المنافق.

[المستنير] بنوره في ظلمة الليل. وكذلك السالك في ظلمة الليل، فلما ذهب نوره أو سكن لمعان البرق رجع إلى ما فيه من الظلمة.[1]

والأصل في هذا الباب أن الله تعالى خلق هذه الدار لمحنة[2] أهلها وجعل لهم دارا يجزيهم فيها، مما لولا هي لكان يكون خلق هذه الدار بما فيها عبثًا، إذ يكون خلق الخلق للفناء بلا عواقب لهم، وذلك عبث في العقول؛ لأن كل ساع[3] فيما لا عاقبة له عابث، وفيما لا يريد معنى يكون[4] في العقل هازل. ولذلك قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[5] فإذا كان كذلك صارت هذه الدار دليل الأخرى؛ فعلى ذلك ضرب للأخرى مثلاً بالمعروف من هذه، إذ بهذه عرفت تلك، ولهذا خلق الله الممتحَنين بحيث يألمون ويتلذذون، ليعرفوا قدر الآلام التي بها أُوعدوا، واللذات التي فيها رُغّبوا.

فعلى ذلك ضرب الله مثَلَ من عَمِيَ عن الآخرة وصَمَّ عن سماع ما يرغَّب فيها أو عمى عن أمر الله ونهيه، بأن[6] ألحق بالأعمى والأصم والميت ونحو ذلك لذهاب منافع البصر والسمع والحياة، إذ هي مخلوقة لِيُعرَف بها ما غاب[7] عنها بالتأمل والتدبر. فإذا غفل[8] عن ذلك سمي بالذي ذكرنا، وبيّنا أنه لولا الآخرة ودار الجزاء لم يكن[9] لِخلْق[10] شيء من ذلك حكمة نعقلها نحن.

فعلى ذلك ضرب [المثل] لذهاب نور القلب الذي به يبصر العواقب وينتفع بها[11] بذهاب نور البصر في زوال منافع الدنيا مما يتصل بنوره. وكذلك أمر السمع وغيره. فكان على ذلك أمكن إخراج المثَلَيْن جميعًا على الكفرة والمنافقين.

---

[1] *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ٣٦٢.
[2] ك: لأجل محنة.
[3] ن ع: سارع.
[4] ن ع م: يكون معنى.
[5] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[6] جميع النسخ: أو.
[7] ن: غابت.
[8] ك ن ع: أغفل.
[9] ع: لم يخلق كل.
[10] ن: يخلق.
[11] جميع النسخ: فيها.

أما المنافق فإذا ذهب نور حقيقته عنه، وهو نور البصر، لم ينتفع بنور النار[١] على قيام النار بنورها لكل ذي بصر، وكذلك سائر منافع النار. فمثْله إذا ذهب عنه نور بصر القلب وحياتُه لم ينتفع بنور الآخرة وجزائها. وكذلك الذي ذهب عنه ضوء البرق يبقى متحيرًا، إذ به يبصر الطريق، كمن يذهب عنه بصر القلب، إذ به يبصر عواقب الأشياء. بل الذي قصد[٢] السلوك[٣] بالبرق،[٤] والاستضاءة[٥] بنور النار، إذا[٦] ذهب[٧] كان أعظم حسرة وأشد خوفًا من النار وشدة المطر وخبث الطريق من الذي لم يعرف في الابتداء نفع النار أو البرق، ويكره المطر على شدة رغبته فيه، والنار بما ذهب منه. وكذلك المنافق في الآخرة إن لم يكن منه ما أظهر، إذ به يُرَدُّ إلى درك الأسفل [من النار].[٨] ***ولا قوة إلا بالله***.

وكذلك الكافر لم يبصر بما أعطاه من البصر عواقب البصر الظاهر، ولم[٩] يسمع بما أنعم عليه من السمع عواقب السمع، إذ حق ذلك أن يؤدي[١٠] ما أدركه إلى العقل ليعتبر به، أنه لم يُخلَق شيء من ذلك بالاستحقاق، ولا[١١] يحتمل عقله[١٢] الإحاطة بكنه ما فيه من الحكمة، فيعلم عظم نعمة الله وخروج مثله عن العبث،[١٣] فيقوم بأداء شكره، وبذلك يصير به إلى الجزاء في[١٤] العواقب. ***ولا قوة إلا بالله***.* [٧و س٢٥]

---

[١] ك: النور.

[٢] ك + قصد.

[٣] ن ع: السلول.

[٤] ع: والبروق؛ م: بالبروق.

[٥] ك: أو الاستضاءة.

[٦] ك ن ع: وإذا.

[٧] أي كل من البرق وإضاءة النار.

[٨] لعل الماتريدي يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا﴾ (سورة النساء، ٤/١٤٥).

[٩] جميع النسخ: ولا.

[١٠] ك ع م + ذلك.

[١١] ع م: لا.

[١٢] ك: بعقله.

[١٣] ع: من العبث.

[١٤] ك: به و.

* ورد تأويل الآية ١٨ والآية ١٩ في جميع النسخ هنا، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ٧و/سطر ٢٥- ورقة ٧ظ/ سطر ٢٩.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢١]

وقوله: **يا أيها الناس اعبدوا ربكم**، فالخطاب[١] يحتمل الخصوص والعموم.[٢]

وقوله: **اعبدوا**، وحّدوا[٣] ربكم. جعل العبادة عبارة عن التوحيد، لأن العبادة التي هي لله لا تكون ولا تخلص[٤] له إلا بالتوحيد. ويقال: **اعبدوا**،[٥] أي[٦] اجعلوا عبادتكم لله، لا تعبدوا غيره. [والخطاب] في كلا التأويلين يرجع إلى الكفرة. ويقال: أُعْبُدُوا، أي أطيعوا له. والعبادة[٧] جعل العبد كليته لله قولاً وعملاً وعقداً، وذلك[٨] التوحيد والإسلام.[٩] والطاعة ترجع[١٠] إلى الائتمار، لأنه يجوز أن يطاع غير الله ولا يجوز أن يعبد غير الله، لأن كل من عمل بأمرِ آخرَ فقد أطاعه، كقوله: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ،[١١] ولا كل من عمل بأمر آخر فهو عابد له. ***وبالله نستعين.***

ثم بين الذي أمر بالتوحيد إياه[١٢] وبالعبادة[١٣] له خالصًا فقال: **الذي خلقكم والذين من قبلكم**. والذين تعبدونهم[١٤] لم يخلقوكم،[١٥] ولا خلقوا،[١٦] الذين من قبلكم،[١٧] فكيف تعبدونهم دون الذي خلقكم؟ ***وبالله***[١٨] ***التوفيق.***

---

[١] ك ن م: فالخطاب يا أيها الناس.

[٢] «فإن كان المراد من العبادة التوحيد يكون خطابا في حق الناس كافة. وإن كان المراد منها الأعمال المعروفة فذلك خطاب في حق المؤمنين البالغين الذين استجمعوا شرائط التكليف خاصة، إذ الكفار غير مخاطبين بالعبادات» (شرح *التأويلات*، ورقة ١٤و).

[٣] ع – وحدوا.

[٤] ن ع م: يخلص.

[٥] ك م + أي أطيعوا له.

[٦] ع + أطيعوا له والعبادة جعل العبد أي.

[٧] ن + له.

[٨] ن ع م: كذلك.

[٩] ن – التوحيد والإسلام.

[١٠] ن ع م: يرجع.

[١١] سورة النساء، ٥٩/٤.

[١٢] ع م – إياه.

[١٣] ن ع م: العبادة.

[١٤] ن ع م: تعبدونه.

[١٥] ن ع م: لم يخلقكم.

[١٦] ن ع م: ولا خلق.

[١٧] ك – والذين تعبدونهم لم يخلقوكم ولا خلقوا الذين من قبلكم.

[١٨] ع م: بالله.

وقوله: **لعلكم تتقون** يحتمل وجهين. يحتمل: تتقون[١] المعاصي والمناهي والمحارم التي حرم الله عليكم؛ فإذا كان هذا[٢] هو المرادَ فذلك راجع إلى المؤمنين. ويحتمل قوله: **تتقون** الشرك وعبادة غير الله، فذلك راجع إلى الكفرة.

{قال الشيخ:[٣]} الأحسن في الأمر بالتقوى والتوحيد أن يجعل عامًا، وفي الخبر عن التقوى خاصًا.

لعلكم أي كي **تتقون**.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٢]

وقوله: **الذي جعل لكم الأرض فراشا**، بيّن ذات[٤] الذي أمر بالتوحيد له، وتوجيه العبادة / إليه، وإخلاص النية له،[٥] فقال: الذي فرش لكم الأرض لتنتفعوا[٦] بها وتقضوا حوائجكم فيها [٨و] من أنواع المنافع: من المنام عليها واتخاذ المستقر والمسكن فيها. **والسماءَ بناء**، أي رفع السماء بناء.[٧] والسماء كل ما علا وارتفع، كما[٨] يقال لسقف البيت سماء، لارتفاعه. وسمي[٩] السماء بناء، وإن كان لا يشبه بناء[١٠] الخلق، حتى يعلم أن البناء ليس اسم ما يبني[١١] الناس خاصة.

ثم بين بقوله: **وأنزل من السماء ماء**، أي وجِّهوا العبادة إلى الذي ينزل لكم من السماء ماء عند حوائجكم، ولا تعبدوا من تعلمون أنه لم يخلقكم ولا أنزل لكم من السماء ماء ولا أخرج لكم من ذلك الماء ثمرات تكون رزقًا لكم؛ بل هو الله الواحد الذي لا شريك له، ولأنه يخلقكم ويرزقكم ويخرج لكم من ذلك الماء المنزل من السماء رزقًا تأكلونه، وماءً عذبًا تشربونه.

---

[١] ع م: يتقون.
[٢] ن – هذا.
[٣] ك – قال الشيخ.
[٤] ك: اتقاء؛ ن ع: أنه.
[٥] ك: إليه.
[٦] جميع النسخ: فتنتفعوا.
[٧] ع م – أي رفع السماء بناء.
[٨] م + كما.
[٩] ن ع: وسماء؛ م: وسما.
[١٠] ك: ببناء.
[١١] ك ع: يسمي.

وفي الآية دلالة أن المقصود في خلق السماء والأرض وإنزال الماء منها[1] وإخراج هذه الثمرات وأنواع المنافع بنو آدم، وهم الممتَحنون فيها،[2] بدلالة قوله **جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء**، وما ذكر من المُخْرَج والمنزل منها، وما ذكر في آية[3] أخرى: وَسَخَّرَ لَكُمْ [مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ]مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ؛[4] ومنه سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ،[5] وسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ،[6] مما يكثر ذلك من الآيات، أضاف ذلك كله إلينا.

ثم جعل عز وجل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الأرض على بعد ما بينهما من المسافة، حتى لا تُخرج[7] الأرض شيئًا إلا بما ينزل من السماء من الماء، ليعلم أن منشئ السماء هو[8] منشئ الأرض، لأنه لو كان منشئ هذا غير منشئ الآخر لكان لا معنى لاتصال منافع هذا بمنافع الآخر على بُعد ما بينهما، ولَتُوُهِّم كون الاختلاف من أحدهما للآخر. فإذا كان كذلك، دل على[9] أن[10] مُنشئهما واحد، لا شريك له ولا نِدّ.

ثم زعم قوم أن الأشياء كلها حِلّ لنا طِلْق، غير محظور علينا، حتى يجيء ما يُحظَر؛[11] فاستدلوا بظاهر هذه الآية بقوله: **[فأخرج به من الثمرات] رزقا لكم**، وبقوله: كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا.[12] وقال آخرون: لا يدل ذلك على الإباحة،[13] وذلك أن الأشياء لم تصر لنا من كل الوجوه، فهو على الحظر حتى تجيء الإباحة؛ ولأن الأشياء لا تحل إلا بأسباب تتقدم، فظهر الحظر قبل وجود الأسباب، فهو على ذلك، حتى يجيء[14] ما يُحل ويبيح. أو أن يقال: خلق هذه الأشياء لنا محنة امتُحنّا بها، أو فتنة فُتنا بها، كقوله:

---

[1] م: فيها.
[2] ع م - فيها.
[3] ع: آية.
[4] سورة الجاثية، ١٣/٤٥.
[5] سورة إبراهيم، ٣٣/١٤؛ وسورة النحل، ١٢/١٦.
[6] سورة إبراهيم، ٣٢/١٤.
[7] ع م: يخرج.
[8] ع: من.
[9] ن - على.
[10] ع م - أن.
[11] قال السمرقندي: «وهو قول المعتزلة تعلقا بهذه الآية» (*شرح التأويلات*، ورقة ١٤ظ).
[12] سورة البقرة، ١٦٨/٢.
[13] وقد نسب السمرقندي هذا القول إلى عامة متكلمي أهل الحديث وفقهائهم. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ١٥و.
[14] ع: تجيء.

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ،[١] وكقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ،[٢] الآية. ولأن في العقل ما يدفع حمل الأشياء كلها على الإباحة، لما في ذلك فساد الخلق وتفانيهم. فبين لكل[٣] منهم مِلكًا على حِدَة بسبب يكتسب به، لئلا يحملهم على التفاني والفساد. *وبالله نستعين*.

وقوله: **فلا تجعلوا لله أندادا**، أي أعدالاً وأشكالاً في العبادة، وكله واحد؛ نِدّ الشيء هو عِدله، وشكله هو مثله.

وقوله: **وأنتم تعلمون**، أن لا نِدَّ [له] ولا عِدْل ولا شكل لما أراكم من إنشاء هذه الأشياء، ولم تروا [من] ذلك ممن تعبدونه شيئًا. والثاني **وأنتم تعلمون** لما أنشأ فيكم من الأشياء[٤] ما لو تدبرتم وتفكرتم وتأملتم علمتم أنه لا ندَّ له ولا شكل له، كقوله: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ.[٥]

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا من القرآن**، أنه مختلَق مفترًى، وأنه ليس منه[٦] [تعالى]، كقولهم:[٧] إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[٨] وقولهم: مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[٩] وَمَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ.[١٠]

وقوله: **فأتوا بسورة من مثله**، أي ائتوا[١١] أنتم بمثل ما أتى هو، إذ أنتم وهو سواء في الجوهر والخلقة واللسان، ليس[١٢] هو أولى بذلك منكم، أعني في الاختلاق.

---

[١] ك + فُتنا لها. سورة الأنفال، ٨/٢٨؛ وسورة التغابن، ٦٤/١٥.
[٢] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٥).
[٣] ن ع م: بكل.
[٤] ك: الإنشاء.
[٥] سورة الذاريات، ٥١/٢١.
[٦] ن ع م: منهم.
[٧] ع: كقوله.
[٨] سورة ص، ٣٨/٧.
[٩] سورة سبأ، ٣٤/٤٣.
[١٠] سورة القصص، ٢٨/٣٦.
[١١] ع: ائتوني.
[١٢] ع م – ليس.

وقوله: **وادعوا شهداءكم من دون الله [إن كنتم صادقين]**، أي استعينوا بآلهتكم الذين تعبدون من دون الله، حتى تعينكم[1] على إتيان مثله إن كنتم صادقين في مقالتكم أنه مختلق مفترى. ويقال: وادعوا شهداءكم، يعني شعراءكم وخطباءكم ليعينوكم على إتيان مثله. ويقال: وادعوا[2] شهداءكم [من أهل الكتاب ليشهدوا] من التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة على الرسل السالفة [على] أنه مختلق مفترى.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[٢٤]

وقوله: **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا**، يحتمل وجوهًا. يحتمل أنهم أقروا[3] على إثر ذلك[4] بالعجز[5] عن إتيان مثله من غير تكلف ولا اشتغال كان منهم، لما دفع عز وجل عن أطماعهم إتيان مثله نظمًا، لا اجتهدوا كل جهدهم و[لا]تكلفوا كلَّ طاقتهم على إطفاء النور، ليخرج قولهم على الصدق بأنه مختلق مفترى، ويظهرَ كذب الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كلام[6] رب العالمين. فدل إقرارهم بالعجز عن إتيان مثله وترك اشتغالهم بذلك أنه كلام رب العالمين منزل على نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة**، الوَقود بالنصب هو الحطب، وبالرفع هو النار. أخبر عز وجل أن حطبها الناس، كلما احترقوا أعيدوا وبُدّلوا، كقوله: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا.[7] والحجارة فيه وجهان. قيل: هي الكبريت. وقيل: الحجارة بعينها لصلابتها وشدتها، [فهي] أشد احتراقًا وأكثر إحماءً.

وقوله: **أعدت للكافرين**، في الآية دلالة أنها لم تُعدّ لغير الكافرين. وهي تنقض على المعتزلة قولهم، حيث خلدوا صاحب الكبيرة في النار و لم يطلقوا له اسم الكفر،[8] وفي زعمهم[9]

---

[1] جميع النسخ: تعين لكم.
[2] ن م: ادعوا.
[3] ك: أروا؛ م: افتروا.
[4] أي على إثر تحدي النبي صلى الله عليه وسلم إياهم بذلك.
[5] ن ع م: العجز.
[6] ك: ككلام.
[7] سورة النساء، ٥٦/٤.
[8] ن ع م: الكفرة.
[9] ع م – وفي زعمهم.

أنها أعدت / للكافرين أيضًا، وإن كان تعذيب المؤمن بمعاص يرتكبها، وأوزارٍ حملها، وفواحشَ [٨ظ] تَعاطاها. وذلك أن الله يعذب من يشاء بما شاء، وليس إلى الخلق الحكم في ذلك لقوله:[١] وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.[٢] فإن قالوا: إن[٣] أطفال المشركين في الجنة، والجنة لم تُعَدَّ لهم وإنما أعدت للمؤمنين، ثم جاز دخول غيرهم فيها وتخليدهم، وكذلك النار، وإن كانت[٤] معدة للكافرين، جاز لغير الكافر التعذيب والتخليد فيها، كقوله: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ،[٥] الآية، شَرَط الكفر بعد الإيمان. ثم من نشأ[٦] على الكفر، والذي كفر بعد الإيمان سواءٌ في التخليد. فكذلك مرتكب الكبيرة والكافر سواءٌ في التخليد.

فيقال لهم: إن كل كافر تشهد[٧] خلقته على وحدانية[٨] ربه،[٩] فإذا ترك النظر في نفسه واختار الاعتياد[١٠] فصار [حاله] ككفر بعد الإيمان لأنه لم يكن مؤمنًا ثم كفر. وأما قولهم في الأطفال فإنهم إنما أُخلِدوا [في] الجنة جزاءً لهم من ربهم. ولله أن يعطي الجزاء من شاء بلا فعل ولا صنع كان منه فضلاً وكرامةً، وذلك في العقل جائز: إعطاء الثواب بلا عمل[١١] على الإفضال والإكرام. وأما[١٢] التعذيب فإنه غير جائز في العقل بلا ذنب يرتكبه. ***والله أعلم.***

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٥]

وقوله: **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات،** الآية تَنقض قول من جعل جميع الطاعات إيمانًا، لما أثبت لهم اسم الإيمان دون الأعمال الصالحات، غير أن البشارة لهم وذهاب الخوف عنهم

---

[١] ك ن ع: كقوله.
[٢] سورة الكهف، ٢٦/١٨.
[٣] ع – إن.
[٤] ك: كان.
[٥] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.
[٦] ع م: ينشأ.
[٧] ن ع: يشهد.
[٨] ك: وحدانيته.
[٩] ن: الله.
[١٠] ك: الاعتناد؛ ن: الاغتياد.
[١١] ك ن: فعل؛ ع – عمل.
[١٢] جميع النسخ : فأما.

إنما أثبت بالأعمال الصالحات. ويحتمل الأعمال الصالحات عملَ القلب، وهو أن يأتي بإيمان خالص لله، لا كإيمان المنافق بالقول دون القلب.

وقوله: **أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار** يعني بساتين.

وقوله: **من تحتها الأنهار**، قيل فيه بوجوه. قيل: إن البساتين ليست هي اسم الأرض والبقعة خاصة، ولكن ما يجمع من الأشجار، وما ينبت[1] فيها من ألوان الغروس[2] المثمرة، فعند[3] ذلك يسمى بستانًا.

وقوله: **جنات تجري من تحتها الأنهار**، أي من تحت أشجارها وأغراسها الأنهار. وقيل: **من تحتها** مما يقع البصر عليها، وذلك أنزه[4] عند الناس وأجلى[5] وأنبل.[6]

وقيل أيضًا: **من تحتها**، أي من تحت ما علا منها من القصور والغرف،[7] لا تحت الأرض مما يكون في الدنيا في بعض المواضع يكون الماء تحت الأرض. دليله ما روي[8] «إن[9] تحت كل شعرة جنابة»،[10] أي تحت ما علا منها،[11] لا تحت الجلد، فكذلك الأول من تحت ما علا من القصور والغرف. *والله أعلم*.

وقوله: **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**، قيل فيه[12] بوجوه. [قيل:] **رزقنا من قبل** في الدنيا. وقيل: **رزقنا من قبل**[13] أي هذا الذي وُعدنا في الدنيا أن[14] في الجنة هذا. وقيل: **رزقنا من قبل** في[15] الجنة قبل هذا.

---

[1] ن ع: نبت.
[2] ع: العروس.
[3] ع م: ضد.
[4] ع: ارة.
[5] ن ع: أحلى.
[6] ن ع: ابناث.
[7] ك ن – من القصور والغرف.
[8] م – دليله ما روي؛ + كقوله عليه السلام.
[9] ك م + كل.
[10] الحديث أخرجه أحمد بن حنبل، ١/٩٤، ١٠١، ١٣٣، و ٦/١١١، ٢٥٤؛ وابن ماجة، الطهارة ١٠٦؛ وأبو داود، الطهارة ٩٧؛ والترمذي، الطهارة ٧٨.
[11] ك م – منها؛ ع – منها من القصور والغرف لا تحت الأرض مما يكون في الدنيا في بعض المواضع يكون الماء تحت الأرض دليله ما روي ان تحت كل شعرة جنابة أي تحت ما علا منها.
[12] ع م: هو.
[13] ع م – وقيل رزقنا من قبل.
[14] ع م: أي.
[15] ن ع م + هم في.

وقوله: **وأتوا به متشابها**، قيل فيه بوجوه.[١] قيل: **متشابها**[٢] في المنظر، مختلفًا في الطعم. وقيل:[٣] **متشابها** في الطعم، مختلفًا في رأي العين والألوان، لأن من الفواكه ما يستلذ بالنظر إليها دون التناول منها. وقيل: **متشابها** في الحسن والبهاء.

وقوله: **ولهم فيها أزواج مطهرة**، قيل فيه بوجوه. مطهرة من سوء الخُلق والدناءة، ليس كنساء الدنيا لا يسلمن عن ذلك. وقيل: **مطهرة** من الأمراض والأسقام وأنواع ما يبلى به في الدنيا من الدَّرَن والوسخ والحيض. وقيل: **مطهرة**، لصفاء جوهرها، كما يقال: «يُرى مُخّ ساقَيها من كذا وكذا».[٤] وقيل: **مطهرة** مختارة مهذَّبة.

وقوله: **وهم فيها خالدون**، أي مقيمون[٥] أبدًا. فالآية ترد على الجهمية قولهم، لأنهم يقولون بفناء الجنة وفناء ما فيها؛ يذهبون إلى أن الله تعالى هو الأول والآخر والباقي، ولو كانت الجنة باقية غير فانية لكان ذلك[٦] تشبيهًا. لكن ذلك وهمٌ عندنا، لأن الله تعالى هو الأول بذاته والآخر بذاته والباقي بذاته،[٧] والجنة وما فيها باقية بغيرها. ولو كان فيما ذكر تشبيه لكان في العالِم والسميع والبصير تشبيه، ولكان[٨] في الخلق أيضًا في حال البقاء تشبيه. فإذا لم يكن[٩] فيما ذكرنا تشبيه لم يكن فيما تقدم تشبيه. وأيضًا فإن الله تعالى جعل الجنة دارًا[١٠] مطهرة من المعايب كلها، لما سماها «دار قدس» و«دار سلام».[١١] ولو كان آخرها للفناء

---

[١] جميع النسخ: وجوها.

[٢] ع م – قيل متشابها.

[٣] ن ع م: قيل.

[٤] هذا القول مضمون حديث رواه البخاري ومسلم وسائر الكتب. ومن لفظ البخاري: «... ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن...». انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٦/١؛ و*صحيح البخاري*، بدء الخلق ٨؛ و*صحيح مسلم*، الجنة ١٤. وقال السمرقندي في *شرح التأويلات*، ورقة ١٧ظ: «أي مصفى جوهرها حتى قيل يرى مخ ساقها من وراء حللها».

[٥] ك: يقيمون.

[٦] ك ن: في ذلك.

[٧] م – بذاته.

[٨] ن: ولو كان.

[٩] ن ع م: تكن.

[١٠] ن ع م: دار.

[١١] لا يوجد في القرآن بين أسماء الجنة اسم «دار قدس». ولكن ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... ولا يتركها (أي الخمر) من مخافتي إلا سقيته من حياض القدس يوم القيامة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٥٧/٥، ٢٦٨). وانظر لاسم «دار سلام»: سورة الأنعام، ١٢٧/٦؛ وسورة يونس، ٢٥/١٠.

كان فيها أعظم المعايب، إذ المرء لا يهنأ بعيش إذا نُغّص[1] عليه بزواله؛ فلو كان آخره للزوال كان نعمة منغَّصة على أهلها. فلما نُزّه عن العيوب كلها، وهذا أعظم العيوب، لذلك[2] كان التخليد لأهلها أولى بها.

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[٢٦]

وقوله: **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها**، قيل:[3] هذا، والله أعلم، يخرج جوابًا على إثر قول قاله الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما ذكره بعض أهل التأويل،[4] فقالوا: أما[5] يستحيي ربك أن يذكر البعوض والذباب ونحوها مما يصغر[6] في نفسه، وملوك الأرض لا يذكرون ذلك ويستحيون؟ فقال عز وجل جوابًا لقولهم: **إن الله لا يستحيي**، الآية، لأن[7] ملوك الأرض إنما ينظرون إلى هذه الأشياء بالاستحقار لها والاستذلال، فيستحيون ذكرها على الإنكاف[8] والأنفة. والله عز وجل لا يستحيي عن ذلك، لأن الأعجوبة في الدلالة على وحدانية الله تعالى وربوبيته في خلق[9] الصغير من الجثة[10] والجسم أكبر من الكبار منها والعظام، لأن الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض والذباب، وتركيب ما يحتاج إليه من[11] الفم، والأنف، والرجل، واليد، والمدخل، والمخرج ما قدروا. ولعلهم يقدرون [على] ذلك في العظام من الأجسام والكبار منها. فأولئك لم ينظروا إليها لما فيه من الأعجوبة واللطافة، ولكن نظروا / للحقارة والخساسة أنفًا منهم وإنكافًا. [٩و]

---

[1] نَغَّص عليه، أي كدَّر عيشه. ونُغِّص عليه عيشه على البناء للمفعول كذلك (*لسان العرب*، «نغص»).

[2] ع م: كذلك.

[3] جميع النسخ: كان.

[4] ممن قال بذلك ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم. وصوّبه ابن جرير. انظر: *تفسير الطبري*، ١/١٧٧؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٦٥.

[5] ع: ما.

[6] ن ع م: ما يصغر.

[7] ع: أن.

[8] الإنكاف الانصراف والعدول عن الشيء.

[9] ع: الخلق.

[10] ع: الجنة.

[11] ن ع م - من.

ثم اختلف أهل الكلام في إضافة الحياء إلى الله تعالى. فقال قوم: يجوز ذلك بما روي في الخبر أن الله تعالى يستحيي أن يعذب مَن شَاب في الإسلام،[١] ولأنه يجوز كالتكبر والاستهزاء والمخادعة، وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم.[٢] وقال آخرون: لا يجوز إضافته إلى الله تعالى، لأن تحته الإنكاف والأنفة،[٣] وذلك عن الله تعالى منفي، ولكن الحياء هو الرضاء هاهنا؛ والحياء الترك، أي لا يترك ولا يدع.[٤]

وقوله: **فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم**، أي علموا[٥] أن ضرب المثل بما ذكر من صغار الأجسام والجثة حق، لما نظروا إلى ما فيها من الأعجوبة والحكمة واللطافة.

وقوله:[٦] **وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا**، [لأنهم] لم ينظروا فيها لما فيها من الأعجوبة والحكمة، ولكن نظروا للخساسة والحقارة.

وقوله: **يضل به كثيرا [ويهدي به كثيرا]**، الآية تنقض على المعتزلة قولهم، لأنه جواب قولهم:[٧] **ماذا أراد الله بهذا مثلا**، فقال: أراد[٨] أن يضل بهذا المثل كثيرًا، وأراد أن يهدي به كثيرًا. أضل به من علم منه أنه يختار الضلالة، ويهدي به من علم أنه يختار الهدى، أراد من كل ما علم منه أنه يختار ويؤثر. ***والله أعلم***. وهم يقولون: بل[٩] أراد أن يهدي به الكل، ولكنهم لم يهتدوا. والثاني[١٠] **يضل به كثيرا**، أي خلَق فعل الضلالة من الضال، وخلق فعل الاهتداء من المهتدي وقد ذكرنا[ه] فيما تقدم.[١١]

---

[١] روي عن أنس مرفوعًا: «إني لأستحيي من عبدي وأمَتي، يشيب رأسهما في الإسلام، ثم أعذبهما بعد ذلك...». وقال ابن حبان: باطل لا أصل له؛ وله طرق أوردها صاحب اللآلي، كلها هباء. انظر: *الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة* للشوكاني، ٤٨٠.

[٢] قد تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥).

[٣] ن – الأنفة؛ م: الأنف.

[٤] انظر: *المحرر الوجيز* لابن عطية، ١/١١٠.

[٥] ع: عملوا.

[٦] ن ع – وقوله.

[٧] أي قول الذين كفروا.

[٨] ع – الله بهذا مثلا فقال أراد.

[٩] ك – بل.

[١٠] يقول السمرقندي: «قال الفقيه: هذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم في المسألتين: مسألة الإرادة، ومسألة خلق الأفعال، حيث قالوا: إن الله لا يريد فعل الضلال، وإنما يريد هداية الكل، لكن اهتدى البعض بحسن اختياره وضل البعض بسوء اختياره». انظر ذلك مفصلاً في شرح *التأويلات*، ورقة ١٧ظ.

[١١] قد تقدم عند تأويل قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (سورة الفاتحة، ١/٦).

وقوله: **وما يضل به إلا الفاسقين**، أي ما يضل بهذا المثل إلا الفاسق الذي لا ينظر إلى ما فيها من الأعجوبة واللطافة في الدلالة.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٢٧]

قوله:[١] **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه**؛ عهد الله يكون على وجهين: عَهدَ خلقة، لما يشهد خلقة كل أحد على وحدانية الرب، كقوله: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ،[٢] وكقوله: أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ،[٣] الآية، إنه إن نظر في نفسه وتأمل عرف أن له صانعًا، وأنه[٤] واحد لا شريك له؛ وعَهدَ رسالة على ألسنة[٥] الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله: وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[٦] الآية، وكقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[٧] الآية، فنقضوا العهدين جميعًا عهد الخلقة وعهد الرسالة.

وقوله: **ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل**، يحتمل وجهين: يقطعون الإيمان ببعض الرسل وقد أمروا بالوصل، كقوله، نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ.[٨] وقيل: يقطعون ما أمر الله به[٩] أن يوصل من صلة الأرحام.

وقوله: **ويفسدون في الأرض**، قيل فيه[١٠] بوجهين: يفسدون بما يَأمرون[١١] في الأرض بالفساد،[١٢] كقوله:[١٣] يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ.[١٤] وقيل: **ويفسدون**،

[١] ك ع م: وقوله.
[٢] سورة الذاريات، ٢١/٥١.
[٣] سورة الروم، ٨/٣٠.
[٤] ن: وأن له واحدا.
[٥] ع م - على ألسنة.
[٦] سورة المائدة، ١٢/٥.
[٧] سورة آل عمران، ١٨٧/٣.
[٨] سورة النساء، ١٥٠/٤.
[٩] ن ع م - به.
[١٠] ع م - فيه.
[١١] ن: يومرون.
[١٢] ك ع م - بالفساد.
[١٣] ك ع م: وكقوله.
[١٤] سورة التوبة، ٦٧/٩.

أي يتعاطون بأنفسهم في الأرض بالفساد، كقوله:[١] وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.[٢]

وقوله: **أولئك هم الخاسرون**، يحتمل أيضًا وجهين: خسروا لما فات[٣] عنهم وذهب[٤] من المني والأماني في الدنيا. وروي عن الحسن أنه قال في قوله: **هم الخاسرون**، أي قذفوا أنفسهم باختيارهم الكفر بين أطباق النار، فذلك هو الخسران المبين.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢٨]

وقوله: **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم**، يحتمل وجوهًا. **كيف**، من أين ظهرت لكم الحجة أن تعبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها [و]أنه حق، ولم يظهر لكم منها الإنشاء بعد الموت، ولا الإماتة بعد الإحياء؟[٥]

وقيل:[٦] **كيف تكفرون**[٧] بالبعث[٨] بعد الموت، **وكنتم أمواتا**، يعني نُطَفًا، **فأحياكم**؛ وأنتم لا تنكرون إنشاء الأول، فكيف تنكرون البعث والإحياء بعد الموت؟

وقيل: **كيف**[٩] **تكفرون** بالإحياء والبعث بعد الموت، وفي العقل[١٠] أن خلق الخلق للإفناء والإماتة من غير قصد العاقبة عبث ولعب، لأن كل بانٍ بني للنقض[١١] فهو عابث، وكذلك كل ساعٍ فيما لا عاقبة له[١٢] فهو عابث هازل،[١٣] فكيف تجعلون فعله عز وجل [عبثًا]، إذ لو[١٤] لم يجعل للخلق[١٥] دارًا للجزاء والعقاب كان في خلقه[١٦] إياهم عابثًا هازلًا خارجًا من الحكمة.

---

[١] ع م: وكقوله.
[٢] سورة المائدة، ٣٣/٥.
[٣] ع م - فات.
[٤] م: ذهب.
[٥] ع - ولا الإماتة بعد الإحياء.
[٦] ع + وقيل و.
[٧] ع + بالإحياء.
[٨] ع: والبعث.
[٩] جميع النسخ: وكيف.
[١٠] ع: الفصل.
[١١] ن م: النقض.
[١٢] ك ن - له.
[١٣] ك: الأزل.
[١٤] ك ن ع - لو.
[١٥] ك: الخلق.
[١٦] ك ن ع: خلقهم.

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وقوله: **ثم إليه ترجعون**، أي تعلمون أنكم ترجعون إليه، وكذلك المصير والمآب. والثاني: ترجعون إلى ما أعد لكم من العذاب. احتج عليهم بما أخبرهم[1] أنه أنشأهم بعد الموتة الأولى، [و]أنه[2] يبعثهم بعد الموتة الأخرى؛ **ثم إليه ترجعون**، كأنه يقول: ثم اعلموا أنكم إليه ترجعون.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢٩]

قوله:[3] **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا**، قيل: إنه صلة قوله: **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا**، أي كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الأرض: ما يدلكم على وحدانيته،[4] لأنه ليس شيء من الأرض إلا وفيه دلالة وحدانيته.[5] ويحتمل: كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الأرض نعيمًا من غير أن كان وجب لكم عليه حق من ذلك، لتشكروا له عليها. فكيف[6] وجّهتم أنتم الشكر فيها إلى غيره؟ ويحتمل: **خلق لكم ما في الأرض** محنة يمتحنكم[7] بها في الدنيا، كقوله: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا،[8] ثم لِتُجْزَوْن في دار أخرى، فكيف أنكرتم البعث؟ وفي[9] بيان حكمة خلق الخلق في الدنيا للفناء والإحياء للآخرة حكمة، وفي إنكارها ذهاب الحكمة.

وقوله: **ثم استوى إلى السماء**، قيل فيه بوجوه.[10] قيل: استوى الدخانُ، كقوله: اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ.[11] وقيل: **استوى** تم، كقوله: بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى،[12] أي تم. وقيل: **استوى**، أي استولى.

---

[1] ع م + الله.

[2] ن ع: أن.

[3] ن ع + وقوله.

[4] ن: وحدانية الله.

[5] ع م - لأنه ليس شيء من الأرض إلا وفيه دلالة وحدانية.

[6] ع م - فكيف.

[7] ن: ممتحنكم.

[8] ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (سورة الملك، ٢/٦٧).

[9] ن: في.

[10] جميع النسخ: وجوها.

[11] ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾ (سورة فصلت، ١١/٤١).

[12] ﴿ولما بلغ أشُدَّه واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا﴾ (سورة القصص، ١٤/٢٨).

والأصل عندنا في قوله: **ثم استوى إلى السماء**، وإِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[١] وغيرها من الآيات من قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ،[٢] الآية، وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[٣] الآية، من الآيات التي / ظنّت المشبهة أن فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يستحق كثير من الخلق الوصف به على [٩ظ] التشابه. [و]في الحقيقة أنها تحتمل وجوهًا. أحدها أنْ نصفه[٤] بالذي جاء به التنزيل على ما جاء، ونعلم أنه لا يشبه على ما ذكر من الفعل فيه بغيره، لأنك بالجملة تعتقد أن الله ليس كمثله شيء، وأنه لا يجوز أن يكون له مثل[٥] في شيء، إذ لا يوجد حدثه فيه، أو قدم ذلك الشيء من الوجه الذي أشبه الله. وذلك مدفوع بالعقل والسمع جميعًا. مع ما لم يجز أن يُقدَّر الصانع عند الوصف بالفعل كغيره، وأنه حي قدير سميع بصير [مع] ما[٦] عليه أمر الخلق لما يصير بذلك أحد الخلائق. وإذا بطل هذا بطل التشابه وانتفى، ولزم أمر السمع والتنزيل على ما أراد الله. *وبالله التوفيق*.

والثاني أن يمكن فيه معان تُخَرّج الكلامَ مخرجَ الاختصار والاكتفاء بمواضع [فيها] إفهام[٧] على تمام البيان، وذلك نحو قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ،[٨] أي بالملك، وكقوله:[٩] إِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ أي بربك فَقَاتِلَا،[١٠] إذ معلوم أنه يقاتل بربه، ففهم منه[١١] ذلك. وكذلك معلوم أن الملائكة يأتون، فكأنه بيّنَ ذلك؛ يدل عليه قوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ،[١٢] وكذلك [قوله]: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[١٣] الآية.

---

[١] انظر: الأعراف، ٧/٥٤؛ وغيرها.

[٢] ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).

[٣] سورة البقرة، ٢/٢١٠.

[٤] ن: يصفه.

[٥] ك ن ع: مثلا.

[٦] ن ع م: نفي ما.

[٧] جميع النسخ + في تلك المواضع.

[٨] ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ (سورة الفجر، ٨٩/٢٢).

[٩] جميع النسخ + ذلك كقوله.

[١٠] ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٤).

[١١] ك: من.

[١٢] سورة الأنبياء، ٢١/٢٧.

[١٣] ﴿هل ينظرون إلا ن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٠).

ومما[1] يوضح أنه لم يكن أحد اعتقد أو تصور في وهمه[2] النظر لإتيان الرب ومجيئه، ولا كان بنزوله[3] وعد بنظر؛[4] و[أنه] كان بنزول[5] الملائكة،[6] كقوله تعالى: يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى،[7] الآية، وقوله: مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ،[8] [و]فيما ذكرنا [دلالة على] عظيم[9] أمرهم وجليل شأنهم.

ومثله في قوله: اَلرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى،[10] مع ما له وجهان.[11] أحدهما أن يكون معنى العرش المُلْك، والاستواءِ [الاستواءُ] التامُّ الذي لا يوصف بنقصان في ملك، أو الاستيلاء عليه،[12] وأن لا سلطان[13] لغيره ولا تدبير لأحد فيه. والثاني أن يكون العرش أعلى الخلق وأرفعه، وكذلك تقدّره الأوهام؛ فيكون موصوفًا بعلوه على التعالي عن الأمكنة، وأنه على ما كان قبل كون الأمكنة، وهو فوق كل شيء، أي بالغلبة والقدرة والجلال عن الأمكنة. *ولا قوة إلا بالله.*

وأصل[14] ما ذكرنا أن لا نقدّر فعله بفعل الخلق ولا وصفه[15] بوصف الخلق، لأنه أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.[16]

وقوله: **فسواهن سبع سماوات**، مرةً قال: **فسواهن سبع سماوات** ، ومرةً[17] قال:

---

[1] ن: مما.

[2] ع م: وجه.

[3] ج س: ينزل.

[4] ن: ينظر.

[5] ن ع: ينزل.

[6] أي وكان بنزول الملائكة وعد.

[7] ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرًا محجورًا﴾ (سورة الفرقان، ٢٢/٢٥).

[8] سورة الحجر، ٨/١٥.

[9] ن: عظم.

[10] سورة طه، ٥/٢٠.

[11] ع: وجها.

[12] ك – عليه.

[13] ع: وأن سلطان.

[14] م: وأصله.

[15] ع: وصف.

[16] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[17] ع + وقال.

خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[1] ومرةً قال: فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ،[2] الآية،[3] ومرةً قال: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ،[4] وكله يرجع إلى واحد.

[﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾][٣٠]

{قال الشيخ رضي الله عنه:} القول[5] فيما يتوجه إليه [الكلام] مما تضمن قصة آدم عليه السلام من سورة البقرة والكشفُ عما قال فيها أهل التفسير [هو ما يقال فيه] من غير شهادة لأحد منا لإصابة جميع ما فيه من الحكمة أو القطع على تحقيق شيء، و[من غير الحكم بما] وجّهوا إليه بالإحاطة.[6] ولكن الغالب مما يحتمله تدبير[7] البشر، ويبلغه مبلغ علمنا مما يَجوز أن يوصف به أهل المحنة، وإن كان تنزيه الملائكة عن كل معنى فيه وحشة أولى؛ بما[8] وصفهم الله من[9] الطاعة له بقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[10] وقوله: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا إلى قوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[11] الآية، وقوله: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[12] الآية، وقوله: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ؛[13] وما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وصف[14] طاعتهم لله ومواظبتهم على العبادة،[15]

---

[1] سورة الطلاق، ١٢/٦٥؛ وسورة الملك، ٣/٦٧.

[2] سورة فصلت، ١٢/٤١.

[3] ن – الآية.

[4] سورة البقرة، ١١٧/٢؛ وسورة الأنعام، ١٠١/٦.

[5] أي الرأي المصيب.

[6] أي لا نشهد بأن أهل التفسير أولوا هذه الآيات بالإحاطة وفهموها كما هي.

[7] ك: تذير.

[8] ك: بها.

[9] ن: عن.

[10] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[11] ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ (سورة الأنبياء، ٢٦/٢١-٢٧).

[12] سورة النحل، ٥٠/١٦.

[13] سورة الأنبياء، ١٩/٢١.

[14] ع م – وصف.

[15] ن: في العبادة. ومما روي في هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أطّت السماء وحُقّ لها أن تئطّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد» (*مسند أحمد ابن حنبل*، ١٧٣/٥)؛ انظر حول الأحاديث =

وما لا يذكر عن أحد[1] من الرسل وصف ملك بالمعصية، بل إنما ذلك يذكر عن بعض السلف مما لا لوم في مخالفته في فروع الدين، فضلاً من أن يبسط اللسان في ملائكة الله سبحانه. *وبالله المعونة والعصمة*.[2]

قال الله تعالى لملائكته: **إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** الآية. زعم قوم أن هذا زلة منهم، لم يكن ينبغي لهم أن يقابلوا قوله: **إني جاعل في الأرض خليفة** بهذا، لما يخرج مخرج الاستعتاب[3] بقولهم: أ تفعل ونحن نفعل كذا؟ كالمنكرين لفعله. وأيدوا ذلك بقوله عز وجل: **إني أعلم ما لا تعلمون**، أنه لولا كان في ذلك طرف من الجهل يُحذِّر عن مثله قائلُه لم يُتبع قولهم بهذا، ومعلوم عندهم أن يكون هو يعلم ما لا يعلمون. وأيد ذلك بما امتحنهم بالإنباء عن أسماء[4] الأشياء مقرونًا بقوله: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. ولولا أنه سبق منهم ما استحقوا[5] عليه التوعد[6] لم يكن لذلك الشرط –عند القول بـأَنْبِؤُنِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ–[7] فائدة، مع ما يوضع موضع التوبيخ والتهديد.

ومنهم من قال: إن قوله: **أ تجعل فيها من يفسد فيها** قول إبليس، هو الذي تعرض بهذا القول، وإن كان الكلام مذكورًا باسم الجماعة، لأنه جائز خطاب الواحد على إرادة الجماعة وذكر الجماعة على إرادة الواحد، وإن كان خطاب الله تعالى لجملة[8] ملائكته حيث قال:[9] **وإذ قال ربك للملائكة**، الآية. [و]قوله: **أنبئوني** بكذا، وهو يعلم أنهم لا يعلمون ذلك، ولا يحتمل أن يأمرهم بذلك وهم لا يعلمون. ولو تكلفوا الإخبار لَلَحقهم الكذب في ذلك؛

= الواردة في أوصاف الملائكة: *المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى* لفنْسنْك، مادة «ملك». و أطَّ يَئطُّ أطًّا وأطيطًا: بمعنى صوَّت. و «أطَّت السماء...»: أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت. وهذا مَثَل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمَّ أطيط (*لسان العرب*، «أطّ»).

[1] ن ع: من أحد.

[2] ع: وبالمعونة والعصمة؛ م: بالمعونة والعصمة.

[3] الاستعتاب: طلبك إلى المسيء الرجوع عن إساءته (*لسان العرب* لابن منظور، «عتب»).

[4] ع م: من أسماء.

[5] ع م: لما استحقوا.

[6] ع م – التوعد.

[7] ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٣١).

[8] ن ع م: بجملة.

[9] ع م + ربك.

ثبت أن ذلك على التوبيخ والتهديد لما فَرَط منهم. ويكشف عن ذلك أيضًا عند اعترافهم بأن لا علم لهم إلا ما علّمهم الله، [وبدليل قوله تعالى] أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[1] الآية؛ ولو لم يكن منهم ما استحقوا به التأديبَ والتنبيه عن غفلة سبقت منهم لم يكن لذلك[2] كثير معنى، إذ لا يخفى على الله عز وجل علم[3] ما ذكر من الكفرة الأشقياء، فضلاً عن الكرام[4] البررة. ولكن قد يعاتَب الأخيار عند الهفوة والزلة بما يحل من خوف التنبيه والتوبيخ، نحو قوله: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[5] وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ،[6] / الآية، وللملائكته:[7] وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ.[8] [١٠و]

واستجازوا[9] إمكان العصيان عند المحنة. ودليل المحنة ما بيّنّا من الفعل بالأمن والخوف المذكور، وما مُدحوا بعبادتهم لله تعالى، وما أُوعدوا لو ادّعَوا الألوهية، ولما لم يحتمل أن يُحمَدوا على العبادة والطاعة فيما كان فعلهم على الجبر والقسر،[10] ولا تعظم[11] المحنة فيما لا يمكن المعصية[12] ولا تحتملها[13] البنية، إذ الطاعة هي في اتقاء[14] المعصية. وقال أيضًا: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ،[15] ولا يقال مثله لمن لا يحتمل فعل[16] المعصية. فثبت أن المعاصي منهم ممكنة، ولذلك[17] خَطُر طاعاتهم وعظم قدر عباداتهم. والممتحَن مخوف منه الزلة والهفوة بل المعصية وكل بلاء

---

[1] سورة البقرة، ٣٣/٢.

[2] ن – لذلك.

[3] جميع النسخ: يعلم.

[4] ع م: من الكرام.

[5] سورة آل عمران، ١٣١/٣.

[6] ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرًا﴾ (سورة الإسراء، ٧٤/١٧-٧٥).

[7] ن ع م: وملائكته.

[8] ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ (سورة الأنبياء، ٢٩/٢١).

[9] ك ن م: استجاز. أي أجاز قوم إمكان معصية الملائكة. وانظر أيضا: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠و.

[10] ن ع م: الخير والشر.

[11] ن ع م: يعظم.

[12] ن ع م: للمعصية.

[13] ن ع م: يحتملها.

[14] ع م: اتقاء.

[15] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[16] ع: فعله.

[17] ع: كذلك.

إلا أن يعصمه الله تعالى ويحفظه، وذلك من الله إفضال وإحسان لا يُستحق [إلا من] قِبله ولا يَلزمه أحد من خلقه، فجائز الابتلاء به. مع ما في زلة أمثالهم من أعظم[1] الرجاء للخلق[2] وقطع الإياس، والحثِّ على الفراغ[3] إلى الله تعالى بالعصمة والمعونة؛ إذ[4] لم يقم لطاعته أحد -وإن جل قدره- [وهو] عند ما وُكِل إلى نفسه [مخوف عليه] بما يعلم الله أنه يختار في شيء الخلافَ، إلا[5] أنه[6] يفزع إليه ويتضرع إليه.[7] وعلى ذلك معنى زلات الرسل عليهم الصلاة والسلام.[8]

وزعم قوم أن ذلك ليس منهم بالزلة، بل الله تعالى عصمهم عنها. ولكن قوله: **أ تجعل فيها من يفسد فيها** يخرج على وجهين. أحدهما على السؤال بعد أن أعلمهم الله أنهم يفعلون،[9] فقالوا: كيف يفعلون[10] ذلك[11] وقد خلقتهم ورزقتهم وأكرمتهم بأنواع النعم، ونحن إذ[12] خلقتنا نسبحك بحمدك[13] ونقدس لك؟ أو كيف تحتمل[14] عقولهم عصيانًا مع عظم نعمتك عليهم، ونحن معاشرَ[15] الملائكة تأبى[16] علينا العقول ذلك؟ فقال الله عز وجل: **إني أعلم ما لا تعلمون**، أي أمتحنهم مع ما رُكّب فيهم الشهوات التي لغلبتها على أنفسهم

---

[1] جميع النسخ: ترك.

[2] جميع النسخ: بالخلق.

[3] أي القصد والتوجه.

[4] ن: إذا.

[5] م: لا.

[6] ن م: إله.

[7] ك ن – إليه.

[8] يقول علاء الدين السمرقندي: «على أن في زلة أمثالهم من العاقبة الحميدة وهو أن في وجود الزلة منهم ثم التجاوز عنهم عند العذر من أعظم الرجاء لغيرهم من أصحاب الخطايا والزلات عند العذر أو بلا عذر وتوبة فضلا منه تعالى وإحسانا. وكذلك في ذلك الحث والتحريض على الفزع إلى الله تعالى بالعصمة عن الذنوب وطلب المعونة على فعل الخيرات وليعرف الخلق أن أحدا لا يقوم بطاعته وإن جل قدره إلا بمعونته وتوفيقه فيصير ذلك حاملا لكل عاقل على التضرع والفزع إلى الله تعالى في كل حال. والله الموفق. وعلى هذا معنى زلات الأنبياء عليهم السلام» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٠و).

[9] أي بنو آدم يفعلون الإفساد.

[10] ن ع: تفعلون.

[11] م – ذلك.

[12] ك: إذا.

[13] ن ع م: بذلك.

[14] ن ع م: يحتمل.

[15] ك: معشر.

[16] ن ع: يأتي؛ م: يأبى.

تعتريهم[1] أنواع الغفلة ويَصعُب عليهم التيقظ لكثرة الأعداء لهم وغلبة[2] الشهوات؛ فَلِما عظمت المحنة عليهم يكون منهم ذلك. وهذا الوجه يخرج على سؤال الحكمة في خلق من يعصيه، فأخبر أنه يعلم ما لا يعلمون؛[3] إذ بذلك بيان الأولياء والأعداء، وبيان أن الله لا يخلق من يخلق لحاجة[4] له أو لمنفعة له، إذ لو كان كذلك لم يكن ليخلق[5] من يخالفه[6] في الفعل[7] الذي أمر به. وإنما خلق الخلق [ليكون] بعضهم لبعض عبرًا وعظةً، فيكون في عقوبة العصاة ووعيدهم مَزجر[8] لغيرهم وموعظة، ولغير ذلك من الوجوه.

والوجه الآخر أن يكون المعنى من قوله: **أ تجعل فيها** على الإيجاب،[9] أي أنت تفعل ذلك، إذ ليس عليك في خلق من يعصيك ضرر، ولا لك في خلق من يطيعك نفع، جل ثناؤك من أن يكون فعلك لأحد هذين. وذلك كقوله: أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ،[10] الآية، على إيجاب ذلك لا على الاستفهام.[11] مع ما يحتمل أن الألف زائدة كقوله: [أَ تُرِيدُ] أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ،[12] وقوله: أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ،[13] بمعنى إنكم، وتريد،[14] وذلك يرجع إلى الأول.

{قال}:[15] ومعنى قوله: **إني أعلم ما لا تعلمون**، أن الله قد كان أخبرهم عن الذين يفسدون، ولم يكن أعلمهم ما فيهم من الرسل والأخيار، فهو يعلم ما لا يعلمون[16]

[1] ع م: تغيرهم على.
[2] ن ع م: وغلبت.
[3] ك: تعلمون.
[4] ع م: لحاجته.
[5] ع م: لم يخلق.
[6] ع م: يخالف.
[7] ع م: القول.
[8] ع: من جر.
[9] ك: على في بجاب.
[10] سورة النور، ٢٤/٥٠.
[11] جميع النسخ: استفهام.
[12] سورة القصص، ٢٨/١٩.
[13] سورة فصلت، ٤١/٩.
[14] م: تريدون.
[15] ك: وقال.
[16] ن ع م – أن الله قد كان أخبرهم عن الذين يفسدون و لم يكن أعلمهم ما فيهم من الرسل والأخيار فهو يعلم ما لا يعلمون.

من الأخيار[1] فيهم، ولذلك ذكرهم عند سؤال الإنباء[2] بما أعلمهم من عظيم[3] امتنانه على آدم أن جعله بمعنى نبيّ إلى الملائكة بما علّمه[4] الأسماء. و لم يكن بلغ توهمهم أن في البشر ما[5] يحتاج [إليه] المخلوقون من النور الذي هو سبب رفع الأستار عن الأشياء وجَلَاء[6] الأشياء به، ثم يحتاجون في اقتباس العلم إلى من هو مِن جوهر[7] التراب والماء الذي هو أصل الستر والظلمة. فأراهم الله بذلك ليعلموا أن ليس طريق المعرفة والعلم بالأشياء الخِلْقة، ولكن لطف[8] الله وامتنانه. *ولا قوة إلا بالله*.

وقال قوم: كان منهم من استحق[9] العتاب من طريق الخطر بالقلوب، لا من طريق[10] الزلة التي هي العصيان، ولكنهم يعاتَبون على أمثال ذلك وإن لم تبلغ بهم المعصية، لعلو شأنهم ولعظم قدرهم. كما قد عاتب الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام في أشياء، وإن لم يكن ذلك من[11] معصية، كقوله[12] تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ،[13] الآية، وقوله: وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ،[14] وقوله: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ،[15] الآية، ولم يكن إثم في ذلك، وقال: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ،[16] الآية،[17] من غير أن كان منه عصيان، فمثل ذلك أمر الملائكة.

---

[1] ن ع: الاختيار.
[2] ك: الأنبياء.
[3] ن: عظم.
[4] جميع النسخ: علمهم.
[5] ك: من.
[6] ك: وجلو.
[7] ك ع: جوهر.
[8] ك ن م: لطفه.
[9] ك: يستحق.
[10] ك: ظهور.
[11] ن: منهم؛ ع: منه.
[12] جميع النسخ: وكقوله.
[13] ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكذبين﴾ (سورة التوبة، ٤٣/٩).
[14] سورة النساء، ١٠٧/٤.
[15] ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ (سورة الأحزاب، ٣٧/٣٣).
[16] سورة التحريم، ١/٦٦.
[17] ن – الآية؛ ع: لانه.

ثم تكلموا في معنى ذلك. فمنهم من يقول: ظنوا أنهم أكرم الخلق على الله، وأنه لا يفضِّل أحدا عليهم. ومنهم من يقول: ظنوا أنهم أعلم من جميع من يُخلق من جوهر النار أو التراب، من حيث ذكرت من جوهرهم، أو لعظم[1] عبادتهم لله، وعلمهم بأن في الجن والإنس عصاة. فلهذا امتحنهم بالعلم ثم بالسجود لإظهار علو البشر وشرفه وعظم ما أكرموا [به] من العلم. ومنهم من قال[2] بقوله: **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.**[3]

[١٠ظ س٦] *وقوله: **إني جاعل في الأرض خليفة.** قال[5] قوم: يريد به آدم عليه السلام، يخلف الملائكة في الأرض ومن[6] تقدمه من الجان. وذلك بعيد، لأنهم[7] قالوا: **أتجعل فيها من يفسد فيها،** ولم يكن آدم عليه السلام بالذي كان يفسد[8] في الأرض ويسفك الدماء، بل كان يسبح بحمده ويقدس[9] له. ولكن يحتمل أن يريد آدم وولده إلى يوم القيامة أن يجعل بعضهم خلفاء لبعض، كقوله: وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ،[10] أو يجعلهم خلفاء[11] من ذكروا، إن صح الذي قالوا. وجائز أن يكونوا على وجه الأرض، إذ هي مخلوقة لهم قرارًا ومهادًا ومعادًا، وهم جُعلوا سكانها وعمّارها، أن يكونوا خلفاء في إظهار أحكام الله تعالى ودينه، كقوله لداود عليه السلام: إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ،[12] فجعله كذلك ليحكم بين أهلها بحكم الله ولا يتبع[13] الهوى،وبذلك أمر بنو آدم.* [١٠ظ س١٢]

---

[1] ك: لعظيم.

[2] جميع النسخ: قالوا.

[3] أي ظن الملائكة أنهم أكرم الخلق على الله بسبب تسبيحهم وتقديسهم له.

* في النسخ التي بين أيدينا تقدم وتأخير في تأويل أجزاء الآية على خلاف الترتيب القرآني، حيث بدأ بذكر تأويل قوله تعالى: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾، ثم أتبعه بتأويل قوله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، ثم تأويل قوله: ﴿وعلم آدم الأسماء﴾. فأعدنا الترتيب وفق الترتيب القرآني دون إحداث أي تغيير في التفسير، كما ستراه في العبارات التالية.

[5] ك ن م: وقال.

[6] ن: أومن.

[7] ع: كأنهم.

[8] ع: يفسده.

[9] ع: نقدس.

[10] ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٦٢).

[11] ع – أو يجعلهم خلفاء.

[12] سورة ص، ٣٨/٢٦.

[13] ن ع: تتبع.

[١٠و س٣٣] *[١]وقوله: **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؛**[٢] قيل: بأمرك؛ وقيل: بمعرفتك؛ وقيل: بالثناء عليك، إن كانوا أضافوا ذلك إلى أنفسهم دون أن يذكروا عظيم[٣] منة الله عليهم بذلك واختصاصه إياهم بالتوفيق له؛ أو[٤] كيف ذكروا من نعوت البشر شر ما فيهم دون[٥] أن يحمدوا الله بما وُفِّقوا له، أو يدعوا[٦] للبشر بالعصمة أو المغفرة مما ابتلوا. ولذلك[٧] -والله أعلم- صرفوا شغلهم من بعد إلى الاستغفار [لـ]ـمن[٨] في الأرض،[٩] ونصر أولياء الله.[١٠] ***ولا قوة إلا بالله.***

ومن الناس من أخبر في ذلك أن إبليس سألهم لو فُضل آدم عليهم وأمروا بالطاعة له ما يصنعون؟ فأظهر الله عز وجل أنه علم ما كتم[١١] إبليس من العصيان، و[ما] أظهروا هم من الطاعة. وهذا شيء لا يعلم حقيقته، لأن المعاتبة كانت في جملة الملائكة، والمخاطبة بالإنباء وما ألحق به؛ والأمر[١٢] بالسجود كان في غيره.[١٣] ولم يحتمل أن يكونوا يؤخذون[١٤] / بسؤال[١٥] [١٠ظ] إبليس اللعين.[١٦] ولكنه يحتمل وجوه العتاب الإخبار فيما لم يبلغوا العصيان. ***والله الموفق.**** [١٠ظ س١]

---

[١] ن + ومنهم من قالوا بقوله ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.
[٢] ع - وقوله: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾.
[٣] ن: عظم.
[٤] جميع النسخ: إذ.
[٥] ع - دون.
[٦] ع: ويدعوا.
[٧] ع: كذلك.
[٨] ك ع م: من؛ ن - لمن.
[٩] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وَسِعتَ كلَّ شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧).
[١٠] يقول علاء الدين السمرقندي موضحا ما في المتن من الخلل: «وقيل: إنما امتحنوا بالإنباء عن أسماء هؤلاء بالسجود لآدم عليه السلام لأجل قولهم: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾، أي لما أضافوا ذلك إلى أنفسهم دون أن يذكروا عظيم منة الله عليهم بما خصهم بالتوفيق [إلى] التسبيح والتحميد، وعصمهم عن ذلك. ومن الواجب عليهم أن يحمدوا الله لما وفقهم على الطاعة وعصمهم عن المعصية، أو لأجل ما ذكروا من صفات البشر شر ما فيهم، وعيّروهم بذلك. ومن رأى مبتلى بالمعصية فالحق عليه أن يدعو له بالعصمة أو بالمغفرة دون أن يعيّره بما فرط منه. ولذلك -والله أعلم- صرفوا شغلهم من بعد ذلك إلى الاستغفار لمن في الأرض، والنصر للأولياء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٠ظ).
[١١] ن: كتم.
[١٢] ك ن ع: وأمر.
[١٣] أي في غير هذا الموضع من الآيات.
[١٤] ن: يؤاخذون.
[١٥] ك ن: بسوء.
[١٦] ن: عليه اللعنة.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣١]

*وقوله: **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة** يحتمل[١] أن يكون **علم**: ألهم.[٢] [١٠ظ س١٢
ويحتمل أن يكون العلم بإرسال مَلَك من غير الذين[٣] امتُحنوا به. وفي ذلك تثبيت[٤] أحد وجهين: إما أن يكون العلم بأشياء[٥] حقيقةً ضرورةً، يقع عند النظر في الأسباب التي هي أدلة وقوعه عند التأمل فيها، نحو وقوع الدرك بالبصر عند النظر وفتح العين؛ وإما أن كان الله تعالى خلق فعل التعلم الذي يُعلِّم المرءَ فيما يضاف فيه إلى الله تعالى أنه علّم. وكذا قوله: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ،[٦] وكذا قوله: وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ.[٧] ولا يحتمل هذه الأسبابَ لما كانت له كلها،[٨] ولم يكن[٩] تعلُّم[١٠] حقيقة ليؤذنها،[١١] وكذلك قول الملائكة: لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا.[١٢] *والله الموفق*.* ١٠ظ س١٧]

*وقوله: **أنبئوني بأسماء هؤلاء**، ظاهره أمر، ولكنه يحتمل التوعد والمعاتبة على ما بيّنا، [١٠ظ س١
وذلك في القرآن كثير. وإن كان في الحقيقة أمرا[١٤] ففيه دلالة جواز الأمر فيما لا يعلمه المأمور، إذا كان بحيث يحتمل العلم به إلى ذي العلم،[١٥] يتبين[١٦] له إذا طلب واستوجب رتبة التعلم والبحث. ويحتمل أن يكونوا نُبِّهوا حتى لا يسبِق إليهم -عند إعلام آدم-

[١] م: ويحتمل.
[٢] م: لهم.
[٣] ن: الذي.
[٤] ع: تثبت.
[٥] ع: بالأشياء.
[٦] ن - علمه البيان. سورة الرحمن، ٥٥/٤.
[٧] سورة يس، ٣٦/٦٩.
[٨] أي لا يحتمل العلم الذي علمه الله تعالى آدم عليه السلام أن يكون من جنس ما يحصل بالحواس الخمس، أو بالبديهة، وهذا العلم مشترك بين آدم و بين الملائكة.
[٩] أي القسم الأول من الوجهين المذكورين.
[١٠] ع: يعلم.
[١١] جميع النسخ: ليؤذنه.
[١٢] سورة البقرة، ٢/٣٢.
[١٣] انتهى الجزء المنقول من مكانه.
[١٤] جميع النسخ: أمر.
[١٥] ك ن + به.
[١٦] جميع النسخ: تبين.

أن ذلك من حيث يدركونه لو تكلفوا، أو أراد أن يريهم آية عجيبة تدل على نبوته، ذكَرهم[1] عجزهم عن ذلك، وألزمهم الخضوع لآدم عليه السلام في إفادة ذلك العلم له، كما قال عز وجل: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى،[2] ذكَّره أولا حاله وحال عصاه، ليعلم[3] [أن] ما[4] أراه مما في يده من آية نبوته، على نبينا وعليه السلام.* [١٠ظ س٦]

وقوله: **إن كنتم صادقين** في المعاني التي ذُكرتْ،[5] أو إن[6] كنتم –من خلقتكم–[7] موصوفين بالصدق، أو على تحذير القول بلا علم؛ وكأنه قال: واصدُقوا واحذَروا القول بالجهل. وفي ذلك أنهم لم يُتكلفوا بالقول في شيء، ولم يعلّمهم الله تعالى.

قال أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان: هذا يبطل قول المنجمة والقافة[8] بدعواهم على الغيب بلا تعليم ادعوه[9] من الله تعالى.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٣٢]

وقول الملائكة: **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** يشبه أن يكون السابق إلى وهمهم معنى[10] أو خَطَرَ فِعْلٍ[11] مما كان بالله خرج من أن يعقلوا حكمته، إما بما لم يبلغهم العلم بها، أو يخطر ببالهم أنه تعالى كيف يأمرهم وهو يعلم أنهم لا يعلمون بها، أو خطر ببالهم[12] من غير تحقيق ذلك،[13] ولكن على ما يبلى به الأخيار،[14]

---

[1] م: ذكر.
[2] سورة طه، ١٧/٢٠.
[3] ع: يعلم.
[4] ع: من.
[5] جميع النسخ: ذكروا.
[6] جميع النسخ: إذ.
[7] ك ن: خلقتم؛ ع: خلقتهم.
[8] القافة جمع قائف، وهو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف النسب بفراسته ونظره إلى أعضاء المولود. (*لسان العرب* لابن منظور، «قيف»).
[9] جميع النسخ: ادعوهم.
[10] ع: مني.
[11] يقول علاء الدين السمرقندي: «وإنما قال سبحانك في جواب قوله ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ لأحد وجوه. إما سبق إلى وهم الملائكة وخطر ببالهم بإيقاع الله تعالى أنه جل وعلا لما ذا يأمرنا بالإخبار عن أسماء هؤلاء مع علمه أنا لا نعلم ذلك، ولم يعقلوا حكمته... » (شرح *التأويلات*، ورقة ٢١و).
[12] ع م – أنه تعالى كيف يأمرهم وهو يعلم أنهم لا يعلمون بها أو خطر ببالهم.
[13] أي من غير أن يعتقدوا ذلك بقلوبهم.
[14] أي بما يبلى به الأخيار من الوساوس.

كقوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى،[١] الآية؛ أو كما لا يخلو به الممتحن من[٢] الخواطر التي تبلغ المحنة بهم المجاهدة[٣] بها في دفعها، وإن لم يكن لهم[٤] بما يخطر ببالهم صنع. فقالوا: **سبحانك**، نزّهوه[٥] عما خطر ببالهم وسبق إلى وهمهم، ووصفوه[٦] بأنه **عليم** لا يخفى عليه شيء، حكيم لا يخطئ[٧] في شيء، ولا يخرج فعله عن الحكمة. ***وبالله التوفيق والعصمة.***

وفي الآية منع التكلم في الشيء إلا بعد العلم به، والفزعُ[٨] إلى الله عن القول به إلا بعلم، وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله. وبه أمر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، فقال: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ،[٩] الآية.

وسئل أبو حنيفة رضي الله عنه عن الإرجاء ما بدؤه؟ فقال: فعل الملائكة، إذ سئلوا عن أمر لم يعلموا [ف]فوّضوا ذلك إلى الله تعالى.[١٠]

ومعنى الإرجاء نوعان. أحدهما محمود، وهو إرجاء أصحاب[١١] الكبائر ليحكم الله تعالى فيهم بما يشاء، ولا يُنزلهم نارا ولا جنة، لقوله تعالى: إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.[١٢] والإرجاء المذموم هو الجبر،[١٣] [وهو] أن يُرجِئ[١٤] الأفعال إلى الله،

---

[١] ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾ (سورة الحج، ٥٢/٢٢).

[٢] ن ع م: عن.

[٣] ع: المجاهد.

[٤] ن: هم.

[٥] جميع النسخ : نزهوا.

[٦] جميع النسخ: ووصفوا.

[٧] جميع النسخ: لا يخطر.

[٨] جميع النسخ + به.

[٩] سورة الإسراء، ٣٦/١٧.

[١٠] يقول علاء الدين السمرقندي: «كان أبو حنيفة يرجئ أمر الصحابة [مع] الكبائر، وهو تأخير الحكم إلى مشيئة الله تعالى فيقول: هم في مشيئته إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة بلا تعذيب، وإن شاء أدخلهم النار وعذّبهم بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة. ولا يقطع الحكم فيهم بالجنة وبمغفرة ذنوبهم بسبب الإيمان من غير عقوبة أصلاً كما قالت الجبرية -وهم المرجئة المبتدعة- ولا يقطع بالنار كما قالت القدرية بتخليدهم في النار. فسئل أبو حنيفة عمن أخذت هذا الإرجاء... الخ.» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢١و).

[١١] ك ن ع: صاحب.

[١٢] سورة النساء، ٤٨/٤، ١١٦.

[١٣] ع: جبر.

[١٤] ن ع م: يرجا.

لا يجعل للعبد فيه فعلا ولا تدبير شيء من[1] ذلك.[2] وعلى ذلك المروي حيث قال: «صنفان من أمتي لا ينالهم شفاعتي: القدرية، والمرجئة».[3]

والقدرية هي التي لم تر لله[4] في فعل الخلق تدبيرًا، ولا له عليه قدرة التقدير. والمرجئة هي التي لم تر للعبد فيما ينسب إليه من الطاعة والمعصية فعلاً ألبتة، فأبطلت الشفاعة لهما[5] وجعلتها[6] للمذهب الأوسط بينهما، وهو الذي يحقق[7] للعبد فعلاً ولله تقديرًا، ومن العبد تحركًا[8] بخير أو شر،[9] ومن الله خلقة،[10] وذلك على المعقول مما عليه طريق العدل والحق، إنه بين الإفراط[11] والتقصير. وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير الأمور أوساطها».[12] وكذلك قال الله تعالى: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا،[13] الآية. **ولا قوة إلا بالله.**

﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٣٣] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٤]

وعن[14] ابن جريج[15] قال: سجود الملائكة لآدم إيماء، ولم يكن يحل[16] وضع الوجه بالأرض لأحد.

---

[1] ع – من.

[2] ن – من ذلك.

[3] الخبر قال فيه الشوكاني: رواه الجوزقاني عن أنس مرفوعا، وهو موضوع. انظر: *الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة* للشوكاني، ٤٥٢.

[4] ن: الله.

[5] أي الرواية السابقة المنسوبة إلى النبي عليه السلام.

[6] ك ن ع: وجعلت.

[7] ع م: تحقق.

[8] جميع النسخ: تحرك.

[9] ك: وشر.

[10] م: خلقه.

[11] ن ع م: التفريط.

[12] ع م: أوسطها. الحديث رواه البيهقي معضلا، وذكره الشوكاني في *الأحاديث الموضوعة* بلفظ «خير الأمور أوسطها». انظر: *السنن الكبرى* للبيهقي، ٣/٢٧٣؛ *والفوائد المجموعة* للشوكاني، ٢٥١.

[13] سورة البقرة، ٢/١٤٣.

[14] ك ع م: قال؛ ن – وعن.

[15] هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م)؛ إمام أهل الحجاز وفقيه الحرم المكي في عصره، رومي الأصل. وهو أول من صنّف التصانيف في العلم بمكة. ولد وتوفي فيها. انظر: *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ١٠/٤٠٠-٤٠٧؛ *وصفوة الصفوة* لأبي الفرج، ٢/٢١٦؛ *وتذكرة الحفاظ* للذهبي، ١/١٢٧.

[16] ك: كل.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان[١] سجود الملائكة سجود تحية و لم يكن سجود عبادة. وعن قتادة[٢] قال: كانت الطاعة لله والسجدة لآدم عليه السلام إكرامًا له به.[٣] ***والله أعلم.***

ثم اختلف في إبليس.[٤] قال بعضهم:[٥] هو من الملائكة. وقال آخرون: لم يكن من الملائكة، وهو قول الحسن والأصم، ذهبوا [في] ذلك إلى وجوه.[٦] أحدها ما ذكر عز وجل عن طاعة الملائكة له بقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ،[٧] الآية، وقال: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[٨] الآية، وقال: لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[٩] الآية، وصف الله[١٠] عز وجل طاعتهم[١١] له وائتمارهم إياه، فلو كان اللعين الرجيم منهم لأطاعه[١٢] كما أطاعوه.[١٣] والثاني قوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ،[١٤] والملائكة إنما خلقوا من النور. والثالث قوله تعالى: كَانَ مِنَ الْجِنِّ،[١٥] و لم يقل من الملائكة، فدلت[١٦] هذه الآيات أنه لم يكن من الملائكة. ثم قال في قوله: **فسجدوا إلا إبليس؛** إنه قد يجوز الاستثناء من غير نوع المستثنى منه، نحو ما يقال: دخل أهل الكوفة هذه الدار إلا رجلاً من أهل المدينة، وذلك جائز في اللغة. ويستدل بالاستثناء أن الأمر كان عليهم

---

[١] ن – كان.

[٢] هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، السدوسي البصري (ت ١١٨هـ/٧٣٦م)؛ مفسر، حافظ، وضرير أكمه. وكان رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. كان يرى القدر، ويدلّس في الحديث. انظر: *معجم الأدباء* لياقوت الحموي، ١٧/٩-١٠؛ *ووفيات الأعيان* لابن خلكان، ٤/٨٥-٨٦؛ *تذكرة الحفاظ* للذهبي، ١/٩٢-٩٣.

[٣] ن م – به. *تفسير الطبري*، ١/٢٢٩.

[٤] ن + اللعين.

[٥] ك ن + كان.

[٦] انظر في ذلك: *تفسير الطبري*، ١/٢٢٦-٢٢٧؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/٧٨، ٨٩.

[٧] سورة التحريم، ٦٦/٦.

[٨] ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٢٧).

[٩] سورة الأنبياء، ٢١/١٩.

[١٠] ن – الله.

[١١] ن + طاعتهم.

[١٢] ع: لإطاعة.

[١٣] جميع النسخ + له.

[١٤] سورة الأعراف، ٧/١٢.

[١٥] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (سورة الكهف، ١٨/٥٠).

[١٦] ع: فدل.

جميعًا في الأصل، وكان الأمر بالسجود له وللملائكة[1] جميعًا، كقوله: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ.[2] دلّ أن كان هنالك أمر للناس بالإفاضة،[3] فكذلك[4] الأول.[5] **والله أعلم**.

وذهب من قال: إنه من الملائكة [إلى] أنه لما لم يذكر في قصة من القصص –مع كثرة التكرار لها في القرآن وغيره من الكتب السالفة– أنه ليس منهم، وليس فيما ذكر من الآيات ما يدل [على] أنه لم يكن منهم، لأن قوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[6] [دليل عليه]، ولو[7] لم يتوهم / منهم العصيان والخلاف لله تعالى لم يكن للمدح بالطاعة والخضوع له معنى. [١١ظ] ألا ترى إلى قوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[8] الآية، مع ما ذكرنا أنهم[9] يمتحنون[10] بأنواع المحن، وكل ممتحن في شيء يجوز كون المعصية منه والخلاف لديه. وأما قوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ،[11] يحتمل: أي صار من الجن.[12] وقيل: الجن أراد به الملائكة، سُمّوا جنًّا لاستتارهم عن[13] الأبصار، كقوله: وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ.[14] وأما قوله: خلق الملائكة من النور وإبليس من النار، فهو واحد، لأنه أخبر عز وجل أنه خلقه من مارج من نار.[15] وقيل: المارج هو لهبها.[16] مع ما ليس في القرآن ولا في الخبر أنهم إنما خلقوا من النور ولم يخلقوا من غيره.

---

[1] ع: للملائكة.
[2] سورة البقرة، ٢/١٩٩.
[3] ع م: بالإضافة.
[4] ك ن ع: فكذا.
[5] يقول الماتريدي عند تأويل الآية ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾: «قيل: إن أهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات، ويقولون: نحن أهل حرم الله لا نفيض كغيرنا عن قصدنا، فأنزل الله فيهم يأمرهم بالوقوف بعرفات والإفاضة عنها من حيث أفاض غيرهم من الناس. وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش ومن كان على دينهم يقفون بالمزدلفة ولا يقفون بعرفة، فأنزل الله: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾» (*تأويلات القرآن* للماتريدي، ورقة ٤٥ظ). انظر كذلك: صحيح *البخاري*، الحج ٩١.
[6] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[7] ك ن: لو.
[8] سورة الأنبياء، ٢١/٢٩.
[9] أي الملائكة.
[10] ن ع م + المتحنون.
[11] سورة الكهف، ١٨/٥٠.
[12] ع م – يحتمل أي صار من الجن.
[13] ن: على.
[14] سورة النجم، ٥٣/٣٢.
[15] ﴿وخلق الجانّ من مارج من نار﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/١٥).
[16] المارج الخلط، والمارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد. وقيل: المارج اللهب المختلط بسواد النار (*لسان العرب* لابن منظور، «مرج»).

✓ ثم اختلف في إبليس أنه لِمَ كفر بالله؟ قيل: إنه كفر لما[1] لم ير الأمر بسجود مَن فوقه لمن هو دونه حكمة. وقيل: كفر لما[2] رأى[3] أن الله تعالى وضع الأمر في غير موضع الأمر، ورآه جورًا،[4] فكفر به. وقيل: كفر لما أبى الائتمار بالسجود واستكبر فكفر. وقيل: كفر لما أضمر إضلال الخلق. وقيل: أبى الطاعة فيما أمر[5] به، واستكبر[6] على آدم لما رأى لنفسه فضلا عليه بقوله: خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.[7]

وقوله: **وكان من الكافرين**، أي صار؛ كقوله: إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً،[8] وكقوله: فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ،[9] أي صار. وقيل: كان في علم الله تعالى أنه سيكفر.

✓ وفي قصة آدم عليه السلام دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ[10] أخبر نبينا[11] محمد صلى الله عليه وسلم[12] -بما عُلِّم- بما[13] في غير القرآن من الكتب السماوية، من غير أن عُرِف بالاختلاف إليهم، أو معرفةِ الألسن التي بها ذكرت في كتبهم. ذكرَها على ما لم[14] يدَّع أحد -له العلمُ بها- النكيرَ عليه، ليُعلَم أنه بالله علم ذلك.

✓ وفيها دلالة فضل آدم عليه السلام أبي البشر، إذ أحوج ملائكته إليه لاقتباس أصل الأشياء، وهو العلم الذي[15] كل خير له كالتابع، وبه تصلح[16] وتنفع.[17] ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] ك م - لما.
[2] ك: بم.
[3] ن ع + في؛ ك: لما أبى في.
[4] ك ع: مأجورا.
[5] جميع النسخ: أمره.
[6] ك: فاستكبر.
[7] سورة الأعراف، ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨.
[8] ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ (سورة الأعراف، ١٧٥/٧).
[9] ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٥/٧).
[10] ك ع: إذا.
[11] ك - نبينا.
[12] ن - إذ أخبر نبينا محمد صلى الله عليه و سلم.
[13] ك - بما.
[14] ع - لم.
[15] ن + هو أحق شيء يحتمل الخير.
[16] م: به وتصلح.
[17] جميع النسخ: يصلح وينفع.   أي بالعلم تصلح الأشياء وتنفع.

وفيها دلالة محنة الملائكة بوجهين. أحدهما تعلُّمهم العلم الذي هو أحق شيء يحتمل الخير، إذ قد يُلهَم المرءُ ربما من غير تكلف، وهم قد أمروا به مع ما تقدم[1] ما يخرج مخرج التهدد في القول، من قوله: **أنبئوني** وذلك -فيما لا محنة- فاسد، مع ما سبق من دليل المحنة. والثاني فيما أمرهم بالسجود لآدم عليه السلام، حتى صيَّر من أبى كافرًا إبليسا. وفي ذلك أيضًا دليل فضل آدم عليه السلام، إذ جُعل موضعَ عبادة[2] خيار خلق الله لله. ***وبالله التوفيق.***

✓ وفي ذلك أن السجود ليس بنفسه عبادة، إذ قد يجوز السجود لأحد من الخلق، كما أمر به لآدم عليه السلام، كقوله: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ،[3] ولم يجز الأمر بالعبادة لآدم؛ واللهُ اسم المعبود، ولو جاز لأحد ذلك لكان غير الله آلهة. دليل ذلك تسمية العرب كل شيء يعبدونه إلٰهًا. ***ولا قوة إلا بالله.***

✓ ثم السجود[4] يحتمل الخضوع، كما قال الله تعالى: يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[5] الآية، وقوله: وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ.[6] فإن كان المراد منه الخضوع له[7] والتعظيم، فذلك يحتمل وجهين. أحدهما أن الله تعالى إذ[8] فضله عليهم، بما أطلعه على علوم خصه بها أمرهم بالخضوع والتعظيم. وذلك [هو] الحق على كل محتاج[9] إلى آخر بما به رجاء النجاة، أو درك العلو والكرامة: أن يعظمه ويبجّله ويخضع له. والثاني أنه امتحنهم بوجه يُظهر قدرَ الطاعة، لأن الخضوع لمن يعلو أمره ويَجِلّ قدره أمر سهل، عليه طُبع الخلق، فإذا كان في تقدير المأمور بالخضوع أنه دونه في الرتبة أو شكلُه، أو لم يكن بينهم كثير تفاوت اشتدت المحنة في مثله بالطاعة له والخضوع. فامتحنهم الله به حتى ظهر الخاضع لله والمستسلم لحقّه، والمتكبر في نفسه وهو إبليس. وعلى[10] ذلك[11] الغالبُ من أتباع الأنبياء عليهم السلام.

---

[1] ن: تقدمها؛ ع: قدم.
[2] ن ع: عباده.
[3] سورة البقرة، ٣٤/٢.
[4] أي سجود الملائكة لآدم.
[5] سورة الحج، ١٨/٢٢.
[6] سورة الرحمن، ٦/٥٥.
[7] أي لآدم.
[8] جميع النسخ: إذا.
[9] ن: يحتاج.
[10] ن ع: على.
[11] ع + على.

والذين يأبون ذلك [ف]إن الذي يحملهم على الإباء عِظَمُهم[١] في أنفسهم،[٢] وظنُّهم أنهم أحق بأن يكونوا متبوعين. **والله أعلم**.

✓ والوجه الثاني[٣] أن يكون المراد من ذكر السجود [حقيقة السجود][٤] فهو مخرَّج[٥] على وجهين. أحدهما أن يجعل السجود[٦] تحية أُلزم الملائكة تحية آدم به. وهو ابتداء ما أكرم به أصل الإنس، وإليه مرجع جملة[٧] المؤمنين في الجنة أن يأتيهم الملائكة بالتحيات والتحف، وإن اختلفت[٨] أنفس التحيات.[٩] وفي ذلك دليل بيّن [على] أن السجود ليس بعبادة / في نفسه،[١٠] [١١و] إذ قد يؤمر به للبشر ولا يجوز الأمر بعبادة غير الله، فيكون السجودُ لغيره من حيث الفعل، والعبادةُ به لله، كغيره من المعروف يصنع إلى الخلق.[١١] ومثله أمر سجود[١٢] يعقوب وأولاده ليوسف عليه السلام.[١٣] **والله أعلم**.

✓ والثاني أن يكون السجود له بمعنى التوجه إليه، وهو[١٤] في الحقيقة لله تعالى، نحو السجود -إلى [جهة] الكعبة- لله تعالى تعظيما له وتبجيلاً للكعبة وتخصيصاً من بين البقاع. كذلك أمْر السجود لآدم عليه السلام تعظيما له وتبجيلا[١٥] من بين سائر البشر، كلاهما سِيّانِ.

---

[١] ع + في نفسه؛ ع + الغالب من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والذين يأبون ذلك إن الذي يحملهم على الإباء عظمهم في نفسه.

[٢] ع: نفسهم.

[٣] أي الوجه الثاني من وجهي المراد بسجود الملائكة لآدم.

[٤] قارن: شرح *التأويلات*، ورقة ٢١ظ.

[٥] ك ن: يخرج.

[٦] ك – السجود.

[٧] ك – جملة.

[٨] ن ع م: إختلف.

[٩] فالآيات القرآنية كثيرة في هذا الباب. منها ما في سورة الرعد (١٣/٢٣-٢٤): ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾. انظر: *المعجم المفهرس* لمحمد فؤاد عبد الباقي، «سلام».

[١٠] ك: بنفسه.

[١١] أي يصنع للخلق ويقصد به التقرب إلى الله.

[١٢] ع: بسجوده؛ م: بسجود.

[١٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجّداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقّاً﴾ (سورة يوسف، ١٢/١٠٠).

[١٤] جميع النسخ: وهي.

[١٥] ن – له وتبجيلا.

✓ ثم قد ثبت نسخ السجود[1] للخلق بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو كان يَحِلّ لأحد أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد[2] لزوجها»،[3] ولِمَا جعل السجود في العبادة عبادة للمسجود له واعترافًا [بحقه] بعرف الأشرار بعبادة عظمائهم ومن يعبدونه من دون الله،[4] فيصير ذلك المعنى هو السابق في القلوب، وذلك مما لا يُحتمل لأحد دون الله، فنهى [عنه] لذلك،[5] وإن لم يكن بنفسه عبادة للمسجود له في الحقيقة؛ كما نهى عن أشياء بما يتصل بها من الوحشة [والقبح] وإن لم يكن ذلك في الحقيقة محتملا[6] له، فكذلك الأمر الأول. [و]كما نهى عن سبّ من يعبد من دون الله خوفا لسب الله.[7] ويؤمر بأمور ليست بنفسها بقربة ليتوصل بها إلى القربة، كالسعي إلى الحج والجمعة[8] ونحو ذلك.

وفيه أن السنة تنسخ الكتاب، لأن السجود لآدم عليه السلام [ثبت] في الكتاب، ومثله السجدة[9] ليوسف، ثم نهى[10] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فحرم،[11] فدل أن السنة تنسخ الكتاب.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣٥]

وقوله: **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أن الجنة

---

[1] ن – السجود.

[2] ع: يسجد.

[3] روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة، وفي سنن أبي داود: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق». (*مسند أحمد ابن حنبل*، ٣٨١/٤، ٢٢٨/٥، ٧٦/٦؛ وسنن *ابن ماجة*، النكاح ٤؛ وسنن *أبي داود*، النكاح ٤١؛ وسنن *الترمذي*، الرضاع ١٠).

[4] «أي على هذا عرف الكفار والأشرار بعبادة عظمائهم والأصنام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٢و).

[5] ن ع م: كذلك.

[6] ع: يحتمل.

[7] لعله يقصد قوله تعالى: ﴿ولا تَسُبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عَدوًا بغير علم﴾ (سورة الأنعام، ١٠٨/٦).

[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأذِّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (سورة الحج، ٢٧/٢٢)، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذَرُوا البيع﴾ (سورة الجمعة، ٩/٦٢).

[9] ن ع: السجود.

[10] ع: نمى.

[11] ع: محرم.

هي اسم البقعة التي حُفَت بالأشجار والغروس وأنواع النبات. دليله قوله: **وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة**، وذلك[١] أيضًا ظاهر معروف عند الناس أن لا يسمى[٢] كل بقعة من الأرض بستانًا ولا جنة حتى يجتمع فيها[٣] ما ذكرنا.

ثم لا يُدرَى ما تلك الجنة التي أُمر آدم وحواء بالكون والمُقام فيها: أهي التي وُعد المتقون، أو جنة من جنات الدنيا؟ إذ ليس في الآية بيان ذلك. وفي الآية[٤] دلالة أن الشرط في الذكر قد يضمر ويكون شرطا بلا[٥] ذكر، لأنه قال: أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى،[٦] ثم قد جاع وعرى حين عصى،[٧] فدل أن ترك المعصية كان شرطًا فيه.

ثم معنى الأمر من الله تعالى لآدم وزوجته بالسكنى في الجنة والمُقام فيها، وأمرِهما بالتناول من جميع ما فيها إلا شجرة نُهيا عن التناول منها وأُمرا بالاجتناب عنها بقوله:[٨] **ولا تقربا هذه الشجرة**، [يخرج على] صورة[٩] الممتحَن: أن يؤمر بشيء ويُنهى[١٠] عن شيء.

وقوله: **رغدا**، أي سَعة؛ يقال: أَرغد فلان إذا وسع عيشه[١١] وكثر ماله.

وقوله: **ولا تقربا هذه الشجرة**، أي لا تأكلا. دليله قوله: وَكُلَا مِنْهَا؛ ولأنه بالقربان ما يوصل إلى التناول، واللغة لا تأبى[١٢] تسمية الشيء باسم سببه.

ثم اختلف في تلك الشجرة. فقال[١٣] بعضهم:[١٤] هي شجرة العنب، ولذلك[١٥] جعل للشيطان فيها حظا لما عصيا ربهما بها. وقيل: إنها كانت شجرة الحنطة، ولذلك جعل غذاء آدم

---

[١] ن ع: كذلك.
[٢] ك: تسمى.
[٣] ك م: في. وفيها: أي في البقعة.
[٤] ع م – بيان ذلك. وفي الآية.
[٥] ك: بما.
[٦] ﴿إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى﴾ (سورة طه، ١١٨/٢٠).
[٧] م – عصى.
[٨] ن ع: فقوله.
[٩] جميع النسخ: وذي صورة.
[١٠] ع: نهي.
[١١] ن ع م: عليه.
[١٢] ن ع: يأبى؛ م: يأتي.
[١٣] ن: فقيل.
[١٤] ك ن – بعضهم.
[١٥] ع م: كذلك.

وحواء عليهما السلام وغذاء أولادهما منها[1] إلى يوم القيامة، ليقاسوا[2] جزاء العصيان[3] والخلاف له. وقيل: إنها شجرة العلم، لما علما[4] من ظهور عورتهما، ولم يكونا يعلمان قبل ذلك، وهو قوله: بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا.[5] *والله أعلم*. والقول في ماهيتها[6] لا يجوز إلا من طريق الوحي، ولا وحي في تأويلها،[7] ولا يجوز القطع على شيء من ذلك.

[١٢ظ س٢٦ *وقوله تعالى: **فتكونا من الظالمين** أي تصيران منهم. وكذلك القول في إبليس: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[8] أي صار منهم. ويحتمل ممن يكونون[9] كذلك، إذ[10] في علم الله أنهم يصيرون ممن [هم] في علم الله كذلك، مع جواز القول بلا تحقيق آخَر، كقوله: فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ،[11] لا أن ثم[12] خالق غيره.* ١٢ظ س٢٨]

ثم احتمل معنى النهي عن التناول منها وجوها. أحدها[14] إيثارًا لآخر[15] عليه؛ وقد يكون هذا أن ينهى الرجل عن التناول من[16] شيء إيثارا لآخر عليه. ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لداء يكون فيه، لما يخاف الضرر به، لا على جهة الإيثار ولكن إشفاقًا عليه ورحمة. ويحتمل أيضًا النهي[17] عن التناول من الشيء على جهة الحرمة. فإذا كان ممكنًا هذا محتملا،

---

[1] ن ع: منه.
[2] ن: لينقاسوا.
[3] ن: الإساان.
[4] ن: علمنا؛ ع: علموا.
[5] ﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ (سورة الأعراف، ٢٢/٧).
[6] ن ع م: فيما بينا.
[7] ك ن ع: تلاوتهما.
[8] سورة البقرة، ٣٤/٢.
[9] ك: يكفرون.
[10] ع: إن.
[11] سورة المؤمنون، ١٤/٢٣.
[12] ن: ثمه.
* العبارة التي تبدأ من: «وقوله تعالى: ﴿فتكونا من الظالمين﴾» إلى «لا أن ثم خالق غيره.» ذكرت في أثناء تأويل الآية ٣٦ في أواسط ورقة ١٢ظ/سطر٢٦ فنقلناها إلى هنا.
[14] ك: إحداها.
[15] ك: لغير؛ ع: الضر.
[16] ك ن ع: عن.
[17] ك ع م – النهي؛ ن: نهى.

حَملَ آدمَ وحواء على التناول منها لما اشتبه عليهما، ولم يعرفا معنى النهي بأنه نهي حرمة، أو نهي إيثار غيره عليهما،[١] أو نهي داء، لأنهما لو كانا يعلمان أن[٢] ذلك النهي نهي حرمة[٣] لكانا[٤] لا يأتيان ولا يتناولان. *وبالله التوفيق.*

ثم في الآية دلالة على أن الحال التي يكون فيه الإنسان[٥] في سعة ورغد يشتد على الشيطان اللعين، لأنه إنما تعرض لآدم وحواء بالوسوسة التي وسوس إليهما ليزيل تلك الحال عنهما. وإنما[٦] نُبلَى[٧] بالسعة والرخاء، ثم ما لحقنا[٨] من الشدائد والبلايا[٩] [إنما هو] مما كسبت أيدينا، لقوله: وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ.[١٠]

ثم[١١] الآية ترد على بعض المتقشفة[١٢] قولهم بتحريم الطيبات والزينة.

وقوله: **فتكونا من الظالمين**، أي الضارين،[١٣] لأن كل ظالم ضار نفسه في الدارين جميعًا.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٣٦]

وقوله: **فأزلهما الشيطان عنها**، أي دعاهما وزيّن لهما الطريق[١٤] إلى سبب الزلة والإخراج منها، لا[١٥] أن تولى إخراجهما وإزلالهما. وقد ذكرنا أن الأشياء تسمى[١٦] باسم أسبابها،[١٧] أو الأسبابَ باسم الأشياء، وذلك ظاهر معروف في اللغة، غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه.

---

[١] ع: عليها.
[٢] م – أن.
[٣] ع م – نهي حرمة.
[٤] ع م: لكان.
[٥] ن ع م: للإنسان.
[٦] ن + يبلى المرء أولا إنما.
[٧] ن ع: يبلى.
[٨] ن م: لحقته؛ ع: لما لحقته.
[٩] ك – ليزيل تلك الحال عنهما وإنما نبلي بالسعة والرخاء ثم ما لحقنا من الشدائد والبلايا.
[١٠] سورة الشورى، ٤٢/٣٠.
[١١] ع – ثم.
[١٢] لعل الماتريدي رحمه الله تعالى يعني بالمتقشفة المتصوفة.
[١٣] جميع النسخ: ضارين.
[١٤] ن – الطريق.
[١٥] ن ع م: إلى.
[١٦] ك ن: تذكر؛ ع – تسمى.
[١٧] ك ن ع: أسبابهم بها.

✓ ثم تكلموا فيما أصاب آدم من الشجرة،[1] وفي جهة النهي عنها. فقال قوم: أكل منها وهو ناسٍ لعهد الله نسيان ترك الذكر،[2] وأبى ذلك قوم. واحتج الحسن بأن نسيانه نسيان تضييع،[3] واتباع الهوى، لا نسيان الذكر بأوجه: أحدها ما جرى في حكم الله تعالى من العفو عن النسيان الذي هو ترك الذكر، وأن لا يلحق صاحبه اسم العصيان،[4] وقد عوقب هو به ونسب إلى العصيان[5] بقوله: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى،[6] مع ما تقدم القول فيه أن يكونا من الظالمين.

والثاني أن عدوه قد ذكَّره[7] لو كان ناسيًا، حيث قال: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ،[8] الآية، وقوله: وَقَاسَمَهُمَا،[9] وقوله: فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ.[10] ولو كان نسيانَ الذكر لم يكونا لِيَغْتَرَّا[11] بالقَسَم والإغراء عن ذلك، ولا وُصفا بأن استزلهما الشيطان ونحو ذلك، فثبت أنه كان نسيان تضييع، / وذلك كقوله: وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى،[12] وقوله: فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا،[13] وغير ذلك مما ذكر فيه النسيان، ومعناه التضييع. سمى به لما كان كل منسى متروكًا،[14] وترك اللازم تضييع. [١٢و]

[والثالث: أن يكون] بما[15] ينسى به ويغفل عن ما حل[16] به من نقمة الله، فسمي به،

---

[1] ك ن + وفيما بينهما.

[2] لعلهم قد استدلوا بقول الله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا﴾ (سورة طه، ١١٥/٢٠).

[3] ع م: تضيع.

[4] لعله يشير إلى حديث: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (*سنن ابن ماجة*، الصلاة ١٦).

[5] ع + وقد عوقب هو.

[6] سورة طه، ١٢١/٢٠.

[7] ع: ذكر.

[8] ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الأعراف، ٢٠/٧).

[9] ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، ٢١/٧).

[10] سورة الأعراف، ٢٢/٧.

[11] ن ع : ليغيروا.

[12] ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ (سورة طه، ١٢٦/٢٠).

[13] سورة الأعراف، ٥١/٧.

[14] جميع النسخ: متروك.

[15] ك ن ع : أو بما.

[16] ن ع م: يحل.

كما وصف ذنب المؤمن[١] بجهالة[٢] لجهله[٣] بما يحل به لا بجهله[٤] بحقيقة فعله، أو سمي به من حيث لا يقصد بذلك عصيان الرب أو طاعة الشيطان. وإلى ذلك يصرف بعض وجوه النسيان لا [إلى] حقيقته.[٥]

ومن يقول بأنه كان على النسيان فهو يخرّج النسيان على وجوه. أحدها أنه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه من التراجع[٦] اشتغل قلبه بوجوه الدفاع له والفكرِ[٧] في الأسباب التي بها نجاته والتخلص[٨] من مكائده حتى أنساه ذلك ذكر[٩] العهد. والسبب الذي يرفع[١٠] الأشياء عن الأوهام في الشاهد كثرة الاشتغال. وإنما كان النسيان عذرًا في الأمور وسببًا للعفو لأنه لا يخرج الأخذ به عن الحكمة، وذلك معلوم في الشاهد أن من أقبل على أمر[١١] وأخذ في تحفظه وتذكّره سَهُل عليه ذلك، وإذا أحب ذلك مع الاشتغال بغيره من الأمور صَعُب عليه، بل الغالب في مثله الخفاء.

وجائز معاتبة آدم مع ذلك وتسميته عصيانًا بأوجه. أحدها أنه لم يكن امتُحِن بأنواع مختلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك. وإنما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة بالإشارة إليها، فجائز أن لا يُعذَر في مثله. وكذلك النسيان فيما يُعذر[١٢] في الشاهد، إنما يعذر[١٣] في النوع الذي يبلى به وتكثر[١٤] به النوازل. ألا ترى أنه يعذر بالسلام في الصلاة، وتركِ[١٥] التسمية في الذبيحة ونحو ذلك، ولا يعذر في الأكل في الصلاة، وفي الجماع في الحج ونحو ذلك؛ فمثله الأمر الذي نحن فيه.

---

[١] ك ن + كله.

[٢] لعله يريد قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم﴾ (سورة النساء، ١٧/٤). وانظر ايضًا: سورة الأنعام، ٥٤/٦؛ وسورة النحل، ١١٩/١٦.

[٣] ك ع م: الجهلة؛ ن: الجهاله.

[٤] ك ن: لجهله؛ ع: بجهلة.

[٥] ع: حقيقة.

[٦] ك: التواجع.

[٧] ك: والفك.

[٨] جميع النسخ: ويتخلص.

[٩] جميع النسخ: عن ذكر.

[١٠] م: يدفع.

[١١] ع – أمر؛ م: شيء.

[١٢] ن ع م: تعذر.

[١٣] ن ع م: تعذر.

[١٤] ن ع م: يكثر.

[١٥] ع: نزول.

والثاني أنه جائزٌ أخذ الأخيار ومُعاتبة الرسل[1] بالأمر الخفيف اليسير الذي لا يؤخذ بمثل ذلك[2] غيرهم،[3] لكثرة نعم الله عليهم وعظم[4] مننه عندهم، كما أُوعِدوا التضاعف في العذاب على ما كان من غيرهم؛[5] وعلى ما ذكر في أمر يونس عليه السلام من العقوبة بما[6] لعل ذلك من عظيم خيرات غيره إذ[7] فارق قومه بما[8] عاين من المناكير فيهم، وفعل[9] مثله مِن أحمد[10] ما يوصف به غيره. وكذلك ما عوتب محمد صلى الله عليه و سلم فيما خطر بباله تقريب أجِلّة الكفرة إشفاقا عليهم وحرصا على إسلامهم ومن يتبعهم على ذلك مما لعل[11] مَن دونه لا يعدل شيء من خيراته بالذي عوتب به. **وبالله التوفيق.**

والثالث أنه لِمَا عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به، ولمثله خَلَقه، حيث قال للملائكته: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً،[12] لكنه[كان] بكرمه وبالذي عوّد خلقه من تقديم إحسانه وإنعامه في الابتداء على الشدائد والشرور،[13] وإن كان له التقديم بالثاني؛[14] وذلك في جملة[15] قوله: وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ،[16] وقوله: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.[17] **وبالله التوفيق.**

---

[1] جميع النسخ: الرسول.

[2] م – ذلك.

[3] جميع النسخ: غيره.

[4] ك: وعظيم.

[5] جميع النسخ: من غيره.

[6] ع م: بماء. لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المُدحَضِين فَالْتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبّحين للبث في بطنه إلى يوم يُبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يَقْطِين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٣٩-١٤٦).

[7] ن: إذا.

[8] ن ع: عما.

[9] م: وجعل.

[10] ن ع م: أحد.

[11] ع م – لعل.

[12] سورة البقرة، ٢/٣٠.

[13] ع: والسرور.

[14] يعني وإن وقع أحيانًا الابتداء بالشدائد والشرور.

[15] ن: حالة.

[16] ﴿وقطّعناهم في الأرض أمَما منهم الصالحون ومنهم من دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٨).

[17] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.

وعلى ما في[1] ذلك[2] من مبالغة لغيره،[3] والزجر[4] عن المعاصي وتعظيم خطرها[5] في القلوب، إذ جوزي أبو البشر وأول الرسل منهم -على ما فضله بما امتحن ملائكته بالتعلم منه والسجود- بذلك القدر من الزلة،[6] ليعلم الخلق أنه ليس في أمره هوادة ولا في حكمه محاباةٌ، فيكونون أبدًا على حذر من عقوبته، والفزع إليه بالعصمة عما يوجب مقته، و[يرجون] أن لا يَكِلَهم إلى أنفسهم، إذ علموا بابتلاء مَن الذي ذكرت محله في قلوبهم بذلك القدر من الزلة.[7] *ولا قوة إلا بالله*.

والثاني:[8] أن يكون حَفِظ النهي عنه،[9] لكنه خطر بباله [أن] النهي على وجه[10] لا يلحقه فيه وصف العصيان، أو نسي قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. وقد ذكرنا [أن] النهي في وقت الفعل، ولكن يسمى الوصف بالفعل من الظلم.[11] والنهي لعله سبق إلى وهمه[12] [أنه على] غير جهة التحريم؛ إذ يكون النهي على أوجه. أحدها للحرمة. والثاني نهيٌ[13] لما فيه من الداء، وعليه في أكله ضرر. وهذا معروف في الشاهد بما عليه الطباع [من] نهي قوم عن أشياء محلَّلَةٍ هي لهم، [فيها] ما يؤذي[14] ويضر. فيحتمل أن يسبق إلى وهمه ذلك، لما وَعد[15] له في ذلك من عظيم[16] النفع. [و]يحتمل[17] ما خُوّف به ليصل إلى ما وعد،[18]

---

[1] ع م - في.
[2] أي وأيضا جاز معاتبة آدم بناء على ما في ذلك.
[3] ع: غيره.
[4] ن ع م: الزجر.
[5] جميع النسخ: خطره.
[6] ك: بالذلة.
[7] ك: الذلة.
[8] أي والوجه الثاني من الوجوه التي يخرّج النسيان عليها، في قول من يقول بأنه كان على النسيان. والوجه الأول منها هو الذي سبق ذكره عند قوله: «أحدها أنه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه... الخ.».
[9] ن: منه. أي عن القرب من الشجرة.
[10] ع م - النهي على وجه؛ ك: عن وجه.
[11] ن ع م - الظلم.
[12] ع: وهميته.
[13] ك: ينهى؛ ن ع: منهي.
[14] ن: يؤدي.
[15] أي وعد إبليس.
[16] ك ن: عظم.
[17] ن ع: تحمل.
[18] لعله يشير إلى قول الله تعالى: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠-٢١).

على ما[1] سبق وجه النهي إلى ما وُجِّه من حيث الضرر والمشقة، ونسي قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ؛ أو ذَكَرا وعرفا أن الظلم قد يقع على الضرر،[2] كقوله: كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا،[3] [أي] لم تنقص[4] منه، والنقصان في النفس ضرر. وعلى ذلك فسّر عامة أهل التفسير الظلم في القرآن أنه الضرر، واسم الضرر يأخذ ضرر[5] الداء وضرر[6] المأثم، وإن كانت[7] حقيقته وضع الشيء في غير موضعه. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقد[8] يحتمل النهي أن يخرج مخرج المنع، ليكون غيره هو الذي يبدأ به ويخصّ ذلك لغيره لا على التحريم، نحو الأمر [في] المعروف[9] فيما يمنع الرجل ولده عن التناول مما يريد به غيرَه لا على التحريم. وإذا احتمل ذا، ثم بُيِّن له عظيمُ[10] ما في ذلك[11] من البركة، من غير أن عاين عدوَّه[12] ليعلم أن ذلك صنيعه.

وجائز أن يسبق[13] إليه أن ذلك[14] إشارة مَلَك، أو إلهام[15] في النفس على ما يكون لكثير[16] من الأخيار، لا[17] أنه من وحي عدوه، فدعته نفسه إلى الأكل، فيكون كالناسي والجاهل بحقيقة وجه النهي، وإن كان تعمد أكله. ***ولا قوة إلا بالله***.

والأصل في هذا أن فعله عليه السلام إن كان على نسيان العهد أو على الذكر له

---

[1] ن ع – ما.
[2] ك + الضرر والمشقة ونسي قوله فتكونا من الظالمين أو ذكرا وعرفا أن الظلم قد يقع على الضرر.
[3] سورة الكهف، ٣٣/١٨.
[4] جميع النسخ: لم ينقص.
[5] ك: ضرب.
[6] ك: وحرن.
[7] ع: كان.
[8] ك – قد.
[9] ك ن ع: بالمعروف.
[10] ن: عظم.
[11] لعل الإشارة هنا إلى الممنوع، وهو أكل الشجرة.
[12] أي الشيطان.
[13] ع م: سبق.
[14] أي الذي خطر على قلب آدم عليه السلام.
[15] ك: وإلهام.
[16] ع: لكثرة.
[17] جميع النسخ: إلا.

فإن الذي أصابه[1] عقوبة. وإن كان بالذي يكون به المحنة،[2] فلولا أن الله / يعاقبه[3] على ما فعله [١٢ظ] لم يكن ليغيّر[4] عليه نِعَمه [التي أنعمها عليه] بعذاب،[5] وقد قال إنه لا يغير[6] نعمه[7] التي أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.[8] وما لا يحتمل العقوبة بالتغيير[9] لم يكن ليفعل بعد وعده ذلك. مع ما قد اعترفا بالظلم، إذ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا،[10] الآية. وقد قال الله تعالى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى،[11] وقد كان قال لهما:[12] فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ.[13] فكان فيما بُلي به وجهان. أحدهما أن ذلك لم يُزل عنهما اسم الإيمان، ولادُعيا[14] إليه بعد لفعلهما ذلك. ثبت أنه لا كل ذنب يزيل اسم الإيمان، وأن الذنوب لا تحقق فيه الكذبَ فيما اعتقد أن لا يعصي الله في شيء. وفي ذلك فساد أهل الخوارج والمعتزلة، وبيان أن قوله: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا،[15] ليس على كل عصيان، ولا الوعيد بالظلم المطلق يُوَجَّه[16] [إلى] كل ظلم وكل عصيان وغواية، بل يلزم به تقسيم هذه الحروف على ما يليق به. ومن يريد بها الجمع في كل الآثام،[17] [فهو] خارج عن[18] المعروف من أحكام الله في أهل المآثم.

---

[1] ن: أصاب له.
[2] ع: المحنة.
[3] ك ن: أن يعاقبه.
[4] ن: لتغير.
[5] جاءت هذه العبارة في جميع النسخ كالآتي: «لم يكن ليغيّر عليه نعمه بعذاب أنعم عليه»، والتصحيح منا.
[6] ك ن ع: يغيره.
[7] ع: نعمة.
[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد، ١١/١٣). وانظر: سورة الأنفال، ٥٣/٨.
[9] ك: بالتغير.
[10] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٢٣/٧).
[11] سورة طه، ١٢١/٢٠.
[12] ن: لهما قال.
[13] سورة البقرة، ٣٥/٢.
[14] ع: زعيا.
[15] ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين﴾ (سورة النساء، ١٤/٤).
[16] ن: توجه؛ ع: بوجه.
[17] ن ع م: الأيام.
[18] ك ن ع: على.

والثاني أنه قد عوقب بوجه لا يوجب[١] جزء منها بما يسميه المعتزلة كبيرة، بل يزيل[٢] به[٣] اسم الإيمان من نحو شرب قطرة من الخمر أو قذف[٤] محصنة، أو أخذ عشرة دراهم من مالِ آخرَ، وكذلك فعل أولاد يعقوب.[٥] ثم لم يجترئ[٦] أحد على دعوى خروج من ذكرت[٧] من دين الله؛ لزم[٨] بطلان قولهم. مع ما كان من قولهم:[٩] إن الصغيرة لا يجوز في الحكمة التعذيب عليها، ولا الكبيرة العفو عنها. وقد كان عذب آدم[١٠] عليه السلام بأنواع العذاب، لِمَا لو لم يكن سوى ما أظهر فعلهما على رؤوس الخلائق لكان عظيمًا.

ثم اختلف في الوجه الذي بُلي.[١١] منهم من يقول: لِما كان من صلبه من الكفرة، وهم ليسوا بأهل الجنة.[١٢] وقيل: رحمة للخلق لئلا ييأسوا، ولا تزول[١٣] الولاية بكل ذنب.[١٤] وقيل بُلِيا لتنبئة[١٥] الخلق بهما أن لا يقومُ أحد[١٦] بتعاهد نفسه عما[١٧] يُذَمّ إليه إذا وُكل نفسَه؛[١٨] فيكون ذلك سببا لزجر الخلق عن النظر إلى أنفسهم في شيء من الخير، والفزع[١٩] إليه [تعالى]

---

[١] ك ن: يجب.

[٢] أي المعتزلة.

[٣] ن ع م - به.

[٤] م: وقذف.

[٥] أي فعل أولاد يعقوب بيوسف حيث ألقوه في غيابة الجب. انظر: سورة يوسف، ١٢/١٥-١٧.

[٦] ك: لم يجرؤ.

[٧] ع م - من ذكرت.

[٨] ن: لزمت.

[٩] م - مع ما كان من قولهم.

[١٠] ك - آدم.

[١١] ك: بُلّ.

[١٢] يقول السمرقندي: «إذ هي دار الأولياء فابتلي آدم بذلك ليظهر ما علم على ما علم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤و).

[١٣] ك ن ع: ولا يزيل.

[١٤] «وقال بعضهم: إن للذنوب قدرًا عظيمًا في القلوب، فابتلي الأنبياء بالوقوع في الزلات وبقي عليهم اسم الإيمان وحقيقته مع عظم قدر عصيانهم في القلوب لئلا ييأس العصاة بسبب غلبة الشهوات، مع قيام الخوف والرجاء، وثبوت الاعتقاد على رحمة الله تعالى، ولا توهموا أنهم صاروا من أعداء الله تعالى، فيكون سببًا للكفر، إذ اليأس عن رحمة الله تعالى كفر» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤و).

[١٥] ع ن م: لتنبه.

[١٦] ك: أن لا أحد يقوم.

[١٧] ن: مما.

[١٨] جميع النسخ + إليه.

[١٩] أي ويكون سببا للفزع إليه.

بالعصمة عن كل شيء. وقيل[١] بُلي بحق[٢] المحنة، إذ هي ترد صاحبها بين اللذات والآلام، وبين أحوال مختلفة لا يحتمل أن[٣] يصير بحيث يأمن الزلل، وإنما ذلك بحفظ الله ومنه، لا بتدبير أحد وجهده،[٤] وإن كان الله تعالى يوفق[٥] على قدر الجهد، ويعصم على قدر الرغبة إليه والاعتصام به.[٦] *ولا قوة إلا بالله*.

وليس بنا حاجة إلى ذكر حكمة الزلة، إذ[٧] كانت نفسه[٨] مجبولة على حبه باعثة إلى مثله، لولا نعمة الرب، كما قال يوسف عليه السلام: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[٩] الآية،[١٠] وقال: وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا.[١١]

ثم اختلف في ماهية الشجرة.[١٢] قيل بأنها شجرة العنب، وجعل للشيطان فيها نصيبًا لما[١٣] بُلي[١٤] به أبو البشر وأمهم. وقيل: حنطة؛ فيها[١٥] جعل غذاء ولده، ليبدل[١٦] بالراحة الكد، وبالنعمة[١٧] البؤس. وقيل: شجرة العلم، إذ بدت لهما سوآتهما، فعلما بذلك ما لم يسبق لهما في ذلك، وفزعا إلى ما يستران به من الورق.[١٨]

---

[١] ك – وقيل.

[٢] ن: يحق.

[٣] ك: إذ.

[٤] ك: وجهد.

[٥] ك: وفق.

[٦] يقول السمرقندي: «إنما بلي بذلك تنبيها للخلق بأن أحدًا لا يقوم بحفظ نفسه عما يذم عليه إذا وَكَلَه الله تعالى مع نفسه ورفع عنه عصمته، حتى يكون الكل على قدر الرغبة إليه والاعتصام به، وينزجروا عن النظر إلى أنفسهم في شيء من الخيرات» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤و).

[٧] ع: إذا.

[٨] أي نفس الإنسان.

[٩] سورة يوسف، ٥٣/١٢.

[١٠] ن – الآية.

[١١] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.

[١٢] هذا القسم من الكلام مكرر، إذ هو تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾.

[١٣] ن ع م: بما.

[١٤] ك: تل.

[١٥] جميع النسخ: فيما.

[١٦] ع: ليدل.

[١٧] ن ع م: وبالنعم.

[١٨] ك: من الرزق.

فالأصل[1] أن هذا نوعُ ما يعلم بالخبر من عند عالم الغيب، وليس بنا إلى تعرف حقيقته حاجة، وإنما علينا معرفة قدر المعصية[2] فنعتصم بالله عنها، والطاعةِ فنرغب[3] فيها. *وبالله العصمة.*

والأصل فيه أن الله تعالى فرق بين دار المحنة ودار الجزاء، إذ الجمع بينهما يزيل البلوى، ويكشف الغطاء؛ فجعل اللذيذ لا راحة فيه والمؤلم الذي لا تنغيص[4] فيه جزاء، والترددَ بينهما[5] محنة. *ولا قوة إلا بالله.**

ثم اختلف في الوجه الذي أوصل إبليس إليه الوسوسة. فقال الحسن: كان آدم عليه السلام في السماء وإبليس في الأرض، ولكنه أوصل إليه بالسبب الذي جعله[7] الله لذلك.[8] وقال قوم: كان خاطبه في رأس الحية. وقيل: كان تصوّر بغير الصورة[9] [التي] كان [عليها] عند قوله: إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ،[10] الآية، فاغترّ به، ولو عرفه لما اغتر[11] به بعد أن حذّره الله منه.[12] والله أعلم كيف كان ذلك.

وعلى ذلك،[13] اختلف[14] في الوجوه التي يوسوس إلى بني آدم. منهم من يقول: يجري بين الجلد واللحم كما يجري الدم، فيقابل وجه بصره بقلبه فيقذف فيه.[15] ومنهم من يقول: هو بحيث جعلت له قوة إيصال الخطر بباله، والقذف في قلبه من الوجه الذي جعل له، وذلك لا يعلمه البشر. ومنهم من يقول: إن النفس كأنها سيالة في الجسد دائرة في جميع الآفاق،

---

[1] ك ن: والأصل.

[2] ن: المسببة.

[3] ن ع: فرغب.

[4] ك ن ع: نغيض؛ م: نقيض.

[5] ك: منهما؛ ن ع م: منها.

* العبارة التي تبدأ من «وقوله تعالى: ﴿فتكونا من الظالمين﴾» إلى «لا أن ثم خالق غيره.» (انظر: ورقة ١٢ظ / سطر ٢٦-٢٨) ذكرت هنا بعد عبارة «والتردد بينهما محنة. ولا قوة إلا بالله»، فنقلناها إلى تفسير الآية ٣٥/٢ مراعاة لمكانها من التأويل.

[7] ك ن ع: جعل.

[8] ك: كذلك.

[9] ن: صورة.

[10] ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ (سورة طه، ١١٧/٢٠).

[11] ن: ما اغتر.

[12] ك ن ع: عنه.

[13] ع م - وعلى ذلك.

[14] ن : أخلف.

[15] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». (*صحيح البخاري*، الأحكام ٢١، وبدء الخلق ١١؛ وصحيح مسلم، السلام ٢٣-٢٥).

لولا الجسد الذي يحبسه لكان له الانتشار، على ما يظهر[1] في حال النوم عند سكون جسده. ومن ذلك سلطان فكرة[2] الرجل [علي] من في أقصى بقاع الأرض حتى يصير له كالمعايَن.[3] ففي ذلك يكون قدحه وقذفه.[4]

ونحن نقول، وبالله التوفيق: إنا لا نعلم حقيقة كيفية ذلك، لكن الله تعالى جعل للحق أعلاما، وكذلك للباطل. وكل معنى يدعو[5] إلى الباطل ويحجب عن الحق فهو عمل الشيطان، يجب التعوذ منه والفزع إليه، وإن لم يعلم حقيقة كيفية ذلك، قال الله تعالى: وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[6] وقال الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا.[7]

وقال الحسن في قوله: مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا / مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ:[8] قد[9] علم آدم أن الملائكة أفضل، وقد علم أن لا خلود يكون معه، وقد أخبر أنه يموت، وقد علم أنه لا يكون ملكا، وقد خلق من طين والملائكة من نور، ولكن يكون على فضل الملائكة. وَقَاسَمَهُمَا[10] حلف لهما في وسوسته[11] أنه يقول ذلك عن نصيحة،[12] فتابعاه في الأكل، لا على القبول عنه ما ذكر، إذ لو كان عن قبول لكان[13] أعظم من الأكل، ولكن أكلا على الشهوة واتباع الهوى. ولو صدَّقاه في ذلك لكفرا وكان هذا أعظم من الأكل، ولم يقل لهما ذلك[14] فيها[15] لأجل ذلك الشيء.[16] وذلك كما يقول الرجل لآخر في شيء [١٣ر]

---

[1] م: ظهر.
[2] ن ع: فكره.
[3] ع: المغاين.
[4] أي وسوسته، والضمير راجع إلى الشيطان.
[5] ك: يدعى.
[6] سورة الأعراف، ٧/٢٠٠.
[7] سورة الأعراف، ٧/٢٠١.
[8] سورة الأعراف، ٧/٢٠.
[9] ن م: وقد.
[10] ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢١).
[11] م: وسوسة.
[12] ن ع م: نصحه.
[13] جميع النسخ: كان ذلك.
[14] لعله يشير إلى قول إبليس: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠).
[15] ع ن م: فيهما. أي في الوسوسة.
[16] ع م: شيئ. أي لأجل أن يصدقاه ويكونا من الظالمين.

يُقتل عليه أو يُقطع [له]: لو فعلت لا يُفعل[1] بك ذلك،[2] فيُقدِم عليه، إنه يقدم لشهوته لا على التصديق له في ذلك. وكذا من يذكِر أحدًا مثل امرأة بحبها[3] وإيثارها إياه، فيأتيها بشهوة لا بتصديق الآخر، فمثله أمر آدم فيما وسوس إليه الشيطان.

وهذا الذي يذكر الحسن يوجب أن يكون آدم كان يعلم أن ذلك كان من الشيطان عدوه.[4] وذلك[5] إقدام على إثر ما ذكر، على ما يصف أنه كان يعلم [أنه] أمر فظيع[6] يوجب فعله –على العلم بالنهي– أنه لا ينال[7] به خيرًا، ولا يصل بذلك إلى فضل، بل اتبع الشيطان بما هوى[8] واشتهى. وهذا لو كان شهده كان فظيعا[9] أن يدعيه على أبي البشر ومَن قد فضّله الله بالذي سبق ذكره.[10]

بل لو قيل له:[11] إنه لم[12] يكن علم أنه من عدوه، أو [ظن أنه] إلهام[13] على ما يكون للأخيار، أو كان أُسمع على[14] ما يكون للأخيار، أو كان أُسمع[15] على[16] غير الصورة التي أُراها[17] من قبل لكان[18] أقرب وأحقّ أن ينطق[19] به من أن يَذكر الذي ذَكر. ومتى يكون الإقدام

---

[1] ن ع م: تفعل.
[2] ن م: ولك. أي لو ارتكبت هذا الجرم لا يجرى عليك جزاؤه.
[3] ن ع: يحبها.
[4] ع: عدوة.
[5] ك ع+ الإقدام؛ ن + وذلك الأقدام.
[6] ن ع م: قطع.
[7] ع:ينال.
[8] ك: هو.
[9] ن ع: قطيعا.
[10] انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤ظ.
[11] أي للحسن [البصري].
[12] ع م + لو.
[13] ذكر السمرقندي أن الماتريدي رحمه الله قال: «يحتمل أنه لم يكن علم أن المخبر عدوه، بل يحتمل أنه ظنه ملكا لما رآه على غير الصورة التي كان من قبل، أو لم يسمع كلامًا لكنه وقع في قلبه شيء فظنه أنه إلهام من الله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٤ظ).
[14] ك: عن.
[15] ن ع م – على ما يكون للأخيار أو كان أسمع.
[16] ك ن: عن.
[17] ك: أداها.
[18] جميع النسخ: كان.
[19] ن ع م: يظن.

لجهة بخير[١] لا على طمع في ذلك؟ بل لا يُنكِر أن يكون له ولكن على ما بينا، وليس من ذلك الوجه الوحشةُ في الدين.

ثم قد ذكر ملكين،[٢] والكلام في الفضل وغير الفضل -على قوله-[٣] لا معنى له؛ لأنه يجعل فعلهم جبرًا،[٤] ومَن فعْله جبر[٥] لا ترتفع[٦] درجته ولا يعلو قدره. ثم يجعل الفضل لهم بالخلقة، فكيف كان يطمع في ذلك ولم يكن هو بخلقتهم. ولهذا أنكر[٧] أن يكون منهم عصيان، إذ خلقوا من نور. ومن لا[٨] يعصي بالخلقة فإنه لا يحمد. ولو كان يجب الحمد به[٩] لوجب[١٠] في كل موات وكل حيوان لا يعصي بالخلقة، وذلك بعيد.[١١]

وجائز أن يكون آدم عليه السلام طمع أن يكونا ملكين، بأن يُجعل على ما عليه صنيعهم من العصمة أو الاكتفاء بذكر الله وطاعته عن جميع الشهوات. والله قادر على أن يجعل البشر على ذلك، وذلك على ما يوجد فيهم من معصوم ومخذول ليعلم أن الخلقة لا توجب شيئًا مما ذكر. ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم الأصل أن معرفة موت[١٢] البشر وما عنه خَلْق كل شيء إنما هو سمعي، ليس هو حسيًا،[١٣]

---

[١] ن ع م: بخير.

[٢] أي ذكر الشيطان في قوله لآدم وزوجه: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الأعراف، ٢٠/٧).

[٣] أي على قول الحسن.

[٤] ع م: خيرا.

[٥] ع م: خير.

[٦] ع م: يرتفع.

[٧] م: أنكرا.

[٨] ن: لا من.

[٩] ع م - به.

[١٠] جميع النسخ: ليجب.

[١١] يقول علاء الدين السمرقندي: «قال الشيخ: قوله في الفضل لا معنى له، لأنه جعل فضلهم من حيث إنهم خلقوا من نور، فيكون -على قوله: مع وجود الطاعة منهم عن طبع- جبرًا. ومن كان فعله عن جبر لا ترتفع درجته، ولا يعلو قدره، ولا يحمد عليه؛ إذ لو كان يجب الحمد به لوجب في كل موات وكل حيوان، إذ كل ذلك يوصف بالانقياد والسجود. قال الله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض﴾ (سورة النحل، ٤٩/١٦)؛ ولأن الفضل إذا كان عنده بالخلقة من النور، فكيف يصح عنده أن يطمعا في أن يجعلهما في معنى الملائكة بأن يجعل غذاءهما طاعته وعبادته، وأن يكون ذكره تعالى كفاية لهما من الغذاء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٤ظ).

[١٢] ك - موت.

[١٣] جميع النسخ: حسي.

ولا في الجوهر[1] دليل الفناء، ولله أن يميت[2] من شاء ويبقى من شاء.[3] فقول الحسن: إنه علم ذلك، ثبت بثبات الخبر عن الله ينتهي إليه أنه كان بلغه في ذلك الوقت. وكذلك أمر الملائكة وحال الغذاء[4] ومحبة[5] الذكر، وظهور العصمة تعرف بالمحبة والمشاهدة بمننها.[6] *ولا قوة إلا بالله*.

ثم ذكر الحسن في خلال ذلك أن آدم عليه السلام قد علم أن الملائكة لا يموتون؛ لا أدري ما هذا؟ أ هو عقد اعتقده،[7] أو جرى على لسانه، لأن[8] مثله لا يُعلَم إلا بما لا يرتاب فيه[9] أنه جاء عن الله. *ولا قوة إلا بالله*.[10]

وقوله: **[فأخرجهما] مما كانا فيه** من الخصب والسعة والنعم[11] التي أنزلهما الله تعالى فيها وأباح[12] لهما التناول مما[13] فيه.

ثم اختلف في وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام فيم كان، ومن أين كان، ولماذا كان؟ قيل: إنه كان في السماء، فوسوس إليهما من رأس الحية، حسدًا منه لما رآهما يتقلبان في نعم الله ويتنعمان فيه، فاشتد ذلك عليه. وقيل: إنه كان في الدنيا، فوسوس لهما من بعد. *والله أعلم*.

ثم اختلف في الشيطان أ له[14] سلطان على القلوب أو يوسوس في صدورهم من بعد؟ فقال بعضهم: له سلطان على القلب على ما جاء أنه يجري في الإنسان بين الجلد واللحم مجرى الدم.[15] وقيل: إنه لا سلطان له على القلوب، ولكنه يقذف فيهم من البعد،

---

[1] ن: الجواهر.

[2] ع: يمت.

[3] ع م – ويبقى من شاء.

[4] ك: الإغذاء؛ ن ع م: الأضداد.

[5] م: محبة.

[6] جميع النسخ: بمنها.

[7] جميع النسخ: اعتقد.

[8] ع م: لأنه.

[9] جميع النسخ: في ذلك.

[10] ك + وقوله فأزلهما الشيطان عنها أي دعاهما وزين لهما إلى سبب الزلة والإخراج منها لا أن تولى هو إخراجهما وإزلالهما وقد ذكرنا أنه قد تسمي الأشياء باسم أسبابها والأسباب باسم الأشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه والله أعلم. هذه العبارة قد ذكرت في جميع النسخ ومنها نسخة كوبريلي هذه في بداية تأويل الآية رقم ٣٦.

[11] ع م: والنعيم.

[12] ع: أبارح.

[13] ع: بما؛ م: فيما.

[14] ك: له.

[15] لعله يشير بذلك إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (*صحيح البخاري*، الأحكام ٢١، الأدب ١٢١؛ و *صحيح مسلم*، السلام ٢٣-٢٥).

ويدعوهم إلى الشر بآثار[1] ترى في الإنسان من الأحوال، من حال الخير والشر، وكأن تلك الأحوال ظاهرة من أثر الخير والشر. فإذا رأى ذلك، فعند ذلك يوسوس ويدعوه إلى الشر. وعلى ذلك قوله عز وجل: وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ،[2] أخبر أنه لا سلطان له علينا سوى الدعاء لنا، وهو الأشبه.[3] *والله أعلم*.

ثم قيل فيمن عصى ربه: أليس قد أطاع الشيطان؟ قيل: بلى. فإن قيل: فإذا أطاع ألا يكفر؟[4] قيل: [لا]، لأنه ليس يقصد قصد طاعة الشيطان، وإنما يكفر بقصد طاعة الشيطان، وإن كان في عصيان الرب طاعته.[5] وكذلك روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه سئل عن[6] ذلك، فأجاب بمثل هذا الجواب.[7]

والأصل أن الفعل الذي يبلى به[8] ليس هو لنفسه فعل الطاعة للشيطان ليصير به مطيعًا [له]، إنما يجعله طاعةً القصدُ بأن يجعله[9] طاعة له، وقد زال ذلك،[10] وإن سُرَّ هو به وفرح كما[11] سر بزوال السرور عنهما[12] واللذة، وإن كان ذلك بفعل من لا يجوز وصف مَن فَعَلَه[13] بطاعة الشيطان.[14] *ولا قوة إلا بالله*.

---

[1] ك: بابار.

[2] ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لِيَ عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بِمُصْرِخِيَّ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (سورة إبراهيم، ٢٢/١٤).

[3] ع م: لا شبه.

[4] جميع النسخ: أن لا يكفر.

[5] ع: طاعة.

[6] ع: من.

[7] «والمؤمن إذا عصى الله تعالى ليس ما يكون بمعصيته تلك مطيعًا للشيطان، طالبًا لمرضاته بتعمد ذلك، وإن وافق عمله للشيطان طاعة ورضًا؛ ولا يكون لله عدوًا، وإن ركب جميع الذنوب بعد أن لا يدَعَ التوحيد. وذلك بأن العدو يبغض عدوه ويتناول عدوه بالمنقصة. والمؤمن قد يرتكب العظيم من الذنب، والله تعالى في ذلك أحب إليه مما سواه؛ وذلك أنه لو خيّر بين أن يُحرَق بالنار أو يفتري على الله من قلبه لكان الاحتراق بالنار أحب إليه» (*الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة* لبياضي زاده، ١٠٦).

[8] جميع النسخ: له.

[9] ك: جعله.

[10] أي زال القصد عن فعل آدم.

[11] ن ع م: كلما.

[12] ك: منهما.

[13] جميع النسخ: من فعل ذلك.

[14] يقول السمرقندي: «ألا ترى أن الشيطان سُرّ وفرح بإخراج آدم من الجنة وذلك حصل بإذن الله تعالى، ولا يجوز وصف فعل الله تعالى بأنه طاعة للشيطان وإن كان هو فعلا تعلق به السرور للشيطان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٥و).

وقوله:[١] **وقلنا اهبطوا**، قيل الهبوط هو[٢] النزول في موضع، كقوله تعالى: اِهْبِطُوا مِصْرًا،[٣] أي أنزلوا فيه. ويحتمل الهبوط منها هو النزول من المكان المرتفع إلى المنحدر والدون من المكان.

و[٤]قوله: **بعضكم لبعض عدو**؛ قيل: يعني إبليس وأولاده وآدم وأولاده،[٥] بعضهم لبعض عدو؛ والعداوة / فيما بيننا وبينهم ظاهرة. وقيل:[٦] بيننا وبين الحية التي حملت إبليس حتى وسوس لهما من ذؤابتها.[٧] فهذا لا يعلم إلا بالسمع، إذ ليس في الكتاب ذلك. غير أن العداوة[٨] بيننا وبين الحيات عداوة طبع، والعداوة التي بيننا وبين إبليس عداوة اختيار[٩] وأمر، إذ الطبع ينفر عن كل مؤذ ومضر.[١٠] *وبالله التوفيق*. [١٣ظ]

وقوله: **ولكم في الأرض مستقر** تَقِرّون فيها، كقوله: جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا.[١١]

وقوله:[١٢] **ومتاع إلى حين**، أي **متاع**[١٣] لكم إلى انقضاء آجالكم. ويحتمل متاعًا لكم لانقضاء الدنيا وانقطاعها.

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٣٧]

قوله:[١٤] **فتلقى آدم من ربه كلمات**، أي أخذ.

وقوله[١٥] تعالى: **من ربه كلمات فتاب عليه**، قيل: فيه وجوه.[١٦] قيل:[١٧] فتاب عليه أي

---

[١] ع: قوله.
[٢] ع – هو.
[٣] سورة البقرة، ٢/٦١.
[٤] ع م – و.
[٥] ك + إبليس وأولاده.
[٦] ع م – بيننا وبينهم ظاهرة. وقيل.
[٧] ن: رأسها.
[٨] م – وبين الحية التي حملت إبليس حتى وسوس لهما من ذؤابتها فهذا لا يعلم إلا بالسمع إذ ليس في الكتاب ذلك غير أن العداوة.
[٩] ع م: واختيار.
[١٠] ن: مضر.
[١١] سورة المؤمن، ٤٠/٦٤.
[١٢] ن ع م: قوله.
[١٣] جميع النسخ: متاعا.
[١٤] ك ن م: وقوله.
[١٥] جميع النسخ: وقيل.
[١٦] جميع النسخ: وجوها.
[١٧] ك – قيل.

وفَّق له التوبة وهداه إليها فتاب، كقوله: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا،[١] أي وفَّق لهم التوبة فتابوا. وقيل: خلق فعل التوبة منه فتاب، كما قلنا في قوله:[٢] "هداه"،[٣] أي خلق فعل الاهتداء منه[٤] فاهتدى. وقيل: تاب عليه، أي تجاوز. وقيل: إن التوبة هي الرجوع؛ رجع آدم عن[٥] عصيانه، فرجع هو إلى الغفران والتجاوز. وبعضه[٦] قريب من بعض.

وفي الآية أنه إنما تاب عليه لكلمات تلقاها من ربه. والآية تنقض على المعتزلة قولهم، لأنهم يقولون: إن من ارتكب صغيرة فهي مغفور له، لا يحتاج إلى الدعاء ولا إلى التوبة. فآدم عليه السلام دعا بكلمات تلقاها[٧] منه[٨] فتاب عليه. ولو كان مغفورًا له ما ارتكب لكان الدعاء فضلا وتكلفا.[٩] *وبالله التوفيق*.

والكلمات هي ما ذكر[١٠] في سورة أخرى: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا،[١١] الآية.

وقوله: **إنه هو التواب الرحيم**، أي قابل التوبة. وقيل:[١٢] موفق التوبة وهاد لها،[١٣] كقوله: غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ،[١٤] وقد ذكرنا في قوله: **فتاب عليه** ما احتمل فيه. **الرحيم** بالمؤمنين، ورحيم بالتائبين.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣٩]

وقوله: **قلنا اهبطوا منها جميعا**، ذكر هبوطهم جميعًا، فإذا هَبَطوا فرادى لم يخرجوا من الأمر،

---

[١] سورة التوبة، ١١٨/٩.
[٢] ك + اهدنا.
[٣] ع م + إليها فتاب.
[٤] ع - منه.
[٥] ع م: من.
[٦] ك: وبعض.
[٧] ن: فتلقاها.
[٨] ع م: عنه.
[٩] ن ع م: فضل وتكلف.
[١٠] ع م: ذكرت.
[١١] سورة الأعراف، ٢٣/٧.
[١٢] ك م + أي.
[١٣] ن ع م - بها.
[١٤] سورة المؤمن، ٣/٤٠.

بل كانوا في الأمر،[1] فدل أن الجمع في الأمر[2] والذكر لا يُصيِّر الجمع في الفعل شرطًا.

وقوله:[3] **فإما يأتينكم مني هدى**، أي ليأتينكم، وهذا جائز في اللغة.

فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أي من تبع هداي ودام عليه حتى مات، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وكذلك قوله: فمن اتبع هداي فلا يضل –في الدنيا– ولا يشقى في الآخرة إذا مات عليه.[4]

وهذه الآية والتي تليها –وهو قوله:[5] **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون**– تنقض[6] على الجهمية، لأنهم يقولون بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما. فلو كانت الجنة تفنى وينقطع[7] ما فيها لكان فيها خوف وحزن، لأن من[8] خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه وينغّصه ذلك؛ ولهذا وصف الدنيا بالخوف والحزن لما يزول نعيمها[9] ولا يبقى؛ فأخبر عز وجل أن لا خوف عليهم فيها، [أي] خوف النعمة،[10] ولا حزن، أي حزن فوات النعمة.

ولا هم يحزنون، دل أنها باقية وأن نعيمها دائم[11] لا يزول.

وكذلك أخبر عز وجل أن الكفار في النار خالدون وأن عذابها أليم شديد. فلو كان لهم رجاء النجاة منها لَخَفّ ذلك العذاب عليهم وهان، لأن من عوقب في الدنيا بعقوبة وله رجاء النجاة منها[12] هان ذلك عليه وخَفّ.[13] *وبالله التوفيق*.

---

[1] ن – بل كانوا في الأمر.

[2] ع م – فدل أن الجمع في الأمر.

[3] م: قوله.

[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (سورة طه، ١٢٣/٢٠).

[5] ع م – وهو قوله.

[6] ن ع م: ينقض.

[7] ن ع م: تنقطع.

[8] ن + كان فيها.

[9] ع م – نعيمها.

[10] ن – خوف النقمة؛ ع م: التبعة.

[11] جميع النسخ: دائمة.

[12] ن ع م – خف ذلك العذاب عليهم وهان لأن من عوقب في الدنيا بعقوبة وله رجاء النجاة منها.

[13] ع م – وخف.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٤٠]

قوله:[1] **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**، يحتمل وجوهًا. يحتمل قوله: **اذكروا نعمتي التي** خَصصتُ لكم دون غيركم، من نحو ما جعلت[2] منكم الأنبياء والملوك، كقوله: وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[3] ويحتمل: **اذكروا نعمتي**، يعني النجاة من فرعون، حيث كان يستعبدكم ويستخدمكم، [يقتل أبناءكم] ويستحيي نساءكم، كقوله تعالى: يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ،[4] الآية. ويحتمل: **اذكروا نعمتي** من نحو ما أعطاهم -عز وجل- المنّ والسلوى وتظليل الغمام[5] وغير ذلك من النعم ما لم يُؤتِ أحدا من العالمين، خُصّوا بذلك[6] من دون غيرهم.

وقيل نعمته محمد صلى الله عليه وسلم بعث وقت اختلافهم في الدين وتفرقهم فيما كان عليه مَن مضى من النبيين، ليدلهم على الحق من ذلك ويؤلّف بينهم بالبينات، كما أحوجهم الاختلافُ إلى من يقوم[7] بذلك، من وجه يعلم صدقه في ذلك؛ فبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمةً منه عليهم، إذ بطاعته نجاتهم. ***ولا قوة إلا بالله***.

ويحتمل **اذكروا نعمتي**، أي وجّهوا شكر نعمتي إليّ، ولا توجهوها إلى غيري. فإن كان هذا [هو] المراد فهم وغيرهم فيه سواء،[8] إذ على[9] كل منعَم عليه أن يوجّه شكر نعمه إلى ربه. وكان الأمر بذكر النعمة -والله أعلم- أمرا[10] بعرفانها في القلب أنها منه، لا الذكرَ باللسان؛

---

[1] ك ن ع: وقوله.

[2] جميع النسخ: جعل.

[3] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

[4] ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (سورة الأعراف، ٨/١٤١).

[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا، قد علم كل أناس مشربهم، وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٠).

[6] ع م – من النعم ما لم يؤت أحدا من العالمين، خصوا بذلك.

[7] ع م: يقول.

[8] ع – سواء.

[9] ك – على.

[10] ن ع م: أمر.

إذ لا سبيل إلى ذكر كل ما أنعم [الله] عليه، سوى الاعتراف بالعجز عن أداء شكر واحدة منها طول عمره.

وقوله:[1] **وأوفوا بعهدي**، قد ذكرنا فيما تقدم[2] أن عهد الله على وجهين:[3] عهد خلقة،[4] لما جعل في خلقة[5] كل أحد دلائل تدل على معرفته وتوحيده، وأنه لم يخلقه للعبث، ولا يتركه سدى؛ وعهد رسالة على ألسن الرسل، كقوله تعالى: إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي،[6] الآية،[7] وكقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[8] الآية، وقوله: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ.[9]

وقوله:[10] **أوف بعهدكم** الذي وعدتكم، وهو الجنة، كقوله: لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ،[11] الآية.

ويقول:[12] **وأوفوا بعهدي**، أي أدّوا ما فرضت عليكم من فرائض، ووجهوا إليّ شكر نعمتي، ولا تشكروا غيري. ويكون[13] **وأوفوا بعهدي**، الذي أخذ على[14] النبيين بقوله:

---

[1] م: قوله.
[2] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧).
[3] ن: بوجهين؛ م: توجهين.
[4] ع: خلقه.
[5] ع: خلقه.
[6] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضًا حسنًا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ (سورة المائدة، ٥/١٢).
[7] ع – الآية.
[8] يقول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٨٧).
[9] ع + الآية. ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٣). جاء ذكر الآيات الثلاثة في المخطوطات مضطربا بتقديم وتأخير في الآية الواحدة، و أسقطت آية البقرة حيث ألجأنا إلى هذا الترتيب.
[10] ع م: قوله.
[11] سورة المائدة، ٥/١٢.
[12] ع م: يقال.
[13] ع م – وأوفو بعهدي أي أدوا ما فرضت عليكم من فرائض ووجهوا إليّ شكر نعمتي ولا تشكروا غيري ويكون.
[14] ن – على.

وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ،[١] الآية، [وقوله:] وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ،[٢] فيكون عهدُه تبليغ ما بيّن في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم والإقرار به، والنصرَ له إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله:[٣] **وإياي فارهبون**، أي اخشوا سلطاني وقدرتي. وقيل: اخشوا عذابي ونقمتي. وقيل: اخشوا نقض عهدي وكتمان نعت محمد،[٤] نبيي[٥] صلى الله عليه وسلم.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[٤١]

وقوله: **وآمنوا بما أنزلت**، وآمنوا بما أنزلت على نبيي محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن. **مصدقا لما معكم**، أي موافقًا لما معكم من الكتب من التوراة والإنجيل وغيرهما. وهم قد عرفوا موافقته كتبهم، إذ لم يتكلفوا[٦] جمع هذا[٧] إلى كتبهم، ومقابلة بعضه[٨] ببعض.[٩] أو[١٠] يحتمل قوله: **مصدقا**، أي موافقًا لما معكم من الكتب، وليس كما قال صنف من الكفرة -وهم الصابؤن-: إن الإنجيل نزل بالرُّخَص، والتوراة نزلت بالشدائد،[١١] فقالوا باثنين لما لم يروا نزول الكتب -بعضها على الرخص وبعضها على الشدائد- من واحدٍ حكمةً. فقال عز وجل: مُصَدِّقًا، أي موافقًا للكتب، وأنها إنما نزلت[١٢] من واحد لا شريك له، وإن كان فيه شدائد ورخص؛

---

[١] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ (سورة آل عمران، ٣/٨١).

[٢] سورة آل عمران، ٣/١٨٧.

[٣] ع: قوله.

[٤] ك ن - محمد.

[٥] ع: نبي محمد؛ م - نبي.

[٦] م: لو يتكلفوا.

[٧] أي جمع القرآن.

[٨] ن ع م: بعض.

[٩] «ولو كان مخالفا عندهم لفعلوا حيث يظهر الخلاف فيظهر الكذب في قول النبي صلى الله عليه وسلم فينجوا من تعرضه إياهم، فإذا لم يفعلوا دل أنهم قد عرفوا أن القرآن موافق لكتبهم. فكان في هذا الخطاب دلالة واضحة وحجة لائحة على حقية رسالة محمد عليه السلام وحقية كتابه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧ظ).

[١٠] ع: إذ.

[١١] م: بالشديد.

[١٢] ن: نزل.

[١٤و] / إذ لله أن ينهى هذا عن شيء ويأمر آخر [به]، وينهى [عنه] في وقت ويأمر به في وقت.[١] وليس فيه خروج عن الحكمة. إنما الخروج عن الحكمة[٢] أن يأمر أحدًا وينهاه[٣] في وقت واحد، وفي[٤] حال واحدة، وفي شيء واحد.

ثم في الآية دلالة أن المنسوخ موافق للناسخ غير مخالف له، لأن من الأحكام والشرائع ما كانت في كتبهم، ثم نسخت لنا، فلو[٥] كان فيها خلاف،[٦] لظهر القول منهم أنه مخالف وأنه غير موافق. وكذلك في القرآن ناسخ ومنسوخ، فلم[٧] يكن بعضه مخالفًا لبعضه،[٨] كقوله: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[٩]

وقوله: **ولا تكونوا أول كافر به**، قيل فيه بوجهين. قيل:[١٠] ولا[١١] تكونوا أول قُدوة يُقتدَي بكم في الكفر. وقيل: أي لا تكونوا أول كافر بما[١٢] آمنتم به، لأنهم كانوا آمنوا به قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به. وقيل: هم أول من التقوا[١٣] برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ظهر بين أظهرهم، فلو كفروا لكانوا[١٤] أول من يكفر به،[١٥] فيلحقهم ما يلحق مَن سَنَّ الكفر لقومه.[١٦] مع ما يكونون هم بمعنى الحجة لغيرهم، إذ كانوا[١٧] أعرف به، وأبصر بما معه من الأدلة والبراهين، فيَقتدي بهم من لم يشهد ولا علم. فيكون عليهم

---

[١] ع – ويأمر به في وقت.
[٢] ع م – إنما الخروج عن الحكمة.
[٣] ع م: أو ينهاه.
[٤] م: في.
[٥] ع + لا.
[٦] جميع النسخ: خلافا.
[٧] ع م: فلو لم.
[٨] ع م: لبعض.
[٩] سورة النساء، ٨٢/٤.
[١٠] ك + فيه.
[١١] ع م:لا.
[١٢] جميع النسخ: فيما.
[١٣] ك ن: لقوا.
[١٤] ك ن: فيكونوا.
[١٥] ع م – وقيل هم أول من التقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ظهر بين أظهرهم فلو كفروا لكانوا أول من يكفر به.
[١٦] ع: السن القوم؛ ن م: السن لقوم.
[١٧] ك: لكانوا.

-لو كفروا- ما على أول من كفر. *ولا قوة إلا بالله*. مع ما يلحقهم فيه وصف التعنت والتمرد. *والله الموفق*.

وقوله: **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا**، قيل: بحجتي. قال الحسن: الآيات في جميع القرآن هي الدين، كقوله: إِشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى.[١] وأما عندنا فهي الحجج، وقد ذكرنا أن اسم الشراء قد يقع من[٢] اختيار شيء بشيء،[٣] وإن لم[٤] يتلفظ بلفظ الشراء.[٥]

وقوله تعالى: **وإياي فاتقون**، أي اتقوا عذابي ونقمتي، ويحتمل سلطاني وقدرتي، وقد ذكرناه.[٦]

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤٢]

وقوله: **ولا تلبسوا الحق بالباطل**[٧] يحتمل وجوهًا. يحتمل: لا تشتروا بالحق الباطلَ.[٨] ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تلبسوا[٩] تلبيس[١٠] الحق بالباطل. ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تخلطوا.[١١] ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تشتبهوا[١٢] الحق بالباطل. ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تكتموا. ويحتمل **لا تلبسوا**، أي لا تمحوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ولا تثبتوا[١٣] غيره. وكله يرجع إلى واحد. ثم **الحق** يحتمل وجوهًا. يحتمل محمدًا صلى الله عليه وسلم، ونعته،[١٤] ويحتمل **الحق** القرآن، ويحتمل **الحق** الإيمان. والباطل هو الظلم والكفر. *والله أعلم*.

---

[١] انظر: سورة البقرة، ١٦/٢، ١٧٥.
[٢] ك - من.
[٣] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ (سورة البقرة، ١٦/٢).
[٤] ع م: إن لم.
[٥] ك: الشيء.
[٦] انظر تأويل الآية السابقة من سورة البقرة، (٤٠/٢)، في قوله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾، أي اخشوا سلطاني وقدرتي. وقيل: اخشوا عذابي ونقمتي. وقيل: اخشوا نقض عهدي وكتمان نعمة محمد، نبيي صلى الله عليه وسلم.
[٧] ن ع م - الحق بالباطل.
[٨] ع م: بالباطل.
[٩] ك ع م + هو.
[١٠] ك: إبليس.
[١١] ع م - ويحتمل لا تلبسوا أي لا تخلطوا.
[١٢] ع: يتشبهوا
[١٣] ع: يثبتوا.
[١٤] ك - ونعته. قال السمرقندي: «أي ولا تكتموا نعوته ولا تلبسوا بالتأويل الباطل أن المراد به عيسى دونه» (شرح *التأويلات* ورقة ٢٦و).

وقوله: **وأنتم تعلمون**، لما ذُكر هو ونعته في كتابهم أنه حق[1] إن كان محمدًا -عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات- أو القرآن، أو الإيمان، لكن تعاندون وتكابرون.[2]

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٤٣]

وقوله: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** يحتمل وجوهًا. يحتمل [أن يكون] الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أمرًا بقبول الصلاة[3] المعروفة[4] والزكاة المعروفة[5] المدعوة إليهما، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[6] ليس هو إخبارًا[7] عن إقامة فعلهما، ولكن القبول لهما والإيمان بهما. *والله أعلم*.

ويحتمل أن يكون الأمر بإقامة الصلاة و[إيتاء] الزكاة أمرًا بكونهم على حال تكون صلاتهم صلاة، وزكاتهم زكاة؛ كأنه[8] قال: كونوا في حال تكون صلاتكم صلاة وزكاتكم زكاة[9] في الحقيقة، لأن الآية نزلت في بني إسرائيل، وهم كانوا أهل كتاب، وكانوا يصلون ويتصدقون،[10] ولكن صلاتهم وزكاتهم لم تكن لله، لما لم يأتوا بإيمانهم، فأمروا أن يأتوا بالإيمان لتكون[11] صلاتهم تلك صلاة في الحقيقة. ويحتمل [أن يكون] الأمر بإقامة الصلاة و[إيتاء] الزكاة أمرًا[12] بإقامتها بأسبابها وشرائطها من نحو الطهارة واللباس وإخلاص النية له. وذلك راجع إلى المؤمنين. ويحتمل [أن يكون] الأمر بالصلاة والزكاة أمرا[13] لمعنى فيهما، وهو الخضوع والطاعة له[14]

---

[1] م: أحق
[2] ع: تكابروا.
[3] ن م: الصلوات.
[4] ع: المعرفة.
[5] ع - والزكاة المعروفة.
[6] سورة التوبة، ٥/٩.
[7] جميع النسخ: إخبار.
[8] ك م - كأنه.
[9] ك - قال كونوا في حال تكون صلاتكم صلاة وزكاتكم زكاة.
[10] ع م: ويصدقون.
[11] ع: يكون؛ ن م: ليكون.
[12] ك ن ع: أمر.
[13] ع م - بإقامتها بأسبابها وشرائطها من نحو الطهارة واللباس وإخلاص النية له وذلك راجع إلى المؤمنين ويحتمل الأمر بالصلاة والزكاة أمرًا.
[14] ع م - له.

والثناء عليه، وذلك على أجمع المؤمنين؛[١] على[٢] كل أحد أن يخضع لربه ويطيعه ولا يعصيه. وكذلك الزكاة؛ على كل أحد[٣] أن يزكي نفسه عن جميع القاذورات، ويحفظها ويصونها[٤] عن جميع ما يضر[٥] به، وذلك فرض على كل واحد.[٦] ***وبالله التوفيق.***

وقوله: **واركعوا مع الراكعين**، قيل فيه[٧] بوجوه. قيل: إن اليهود كانوا يصلون ولا يركعون، فأمروا أن يصلوا لله، ويركعوا فيها على ما يفعله المسلمون. وقيل: إنهم كانوا يصلون[٨] وُحْدانًا لغير الله، فأمروا[٩] بالصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالجماعة. وفيه أمر بحضور الجماعة.[١٠] وقيل: **واركعوا مع الراكعين**، أي كونوا من المصلين، يعني المسلمين، ولا تخالفوهم في الدين والمذهب، أي اعتقادًا.[١١]

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٤٤]

وقوله: **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**، قيل فيه بوجوه. قيل: **أتأمرون الناس**، يعني الأتباع[١٢] والسَّفَلة[١٣] باتّباعكم وتعظيمكم لعلمكم[١٤] وتلاوتكم الكتاب؛[١٥] **وتنسون أنفسكم**، ولا تأمرونها باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لعلمه ولنبوته،[١٦] ولفضل[١٧]

---

[١] ن ع م – على أجمع المؤمنين.
[٢] ك – على.
[٣] ع م – أحد.
[٤] جميع النسخ: ويصون.
[٥] ك: يفوق؛ ن: بغرق؛ ع: يفرقه؛ م : يغرقه.
[٦] م: أحد.
[٧] ع م: هو.
[٨] ن ع م – ولا يركعون فأمروا أن يصلوا لله ويركعوا فيها على ما يفعله المسلمون وقيل إنهم كانوا يصلون.
[٩] ع: فأمر.
[١٠] ع – وفيه أمر بحضور الجماعة.
[١١] ك ن – أي اعتقادا.
[١٢] ن ع: لأتباعه.
[١٣] ك: والقلة؛ ع: الثفلة.
[١٤] ع: ولعلمكم.
[١٥] «فيكون هذا خطابا للرؤساء والقادة منهم؛ أي إنكم تأمرون الأتباع والسفلة باتباعكم وتعظيمكم لعلمكم وتلاوتكم الكتاب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦ظ).
[١٦] ع م: ونبوته.
[١٧] ع: كفضل.

منزلته عند الله. **وأنتم تتلون الكتاب**، أي تجدون في كتابكم أنه كذلك. **أ فلا تعقلون** أن ذا لا يصلح؟

وقيل: **أ تأمرون الناس**، يعني الفقراء والضعفة[١] بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولا تأمرون الأغنياء وأهل الثروة[٢] بالإيمان به، لما تخافون فوت[٣] المأكلة والبِر،[٤] وانقطاعه عنكم. ويحتمل [أن] ذا[٥] الخطاب لهم ولجميع المسلمين، أن لا يأمر أحدٌ أحدا بمعروف إلا[٦] ويأمر نفسه بمثله،[٧] بل الواجب أن يبدأ بنفسه ثم بغيره، فذلك أنفع وأسرع إلى القبول. [ويحتمل] **أفلا تعقلون** أن[٨] ذلك[٩] في العقل لازم، أن يجعل أول السعي في إصلاح نفسه، ثم الأمر لغيره. *والله أعلم*.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٤٥]

وقوله: **واستعينوا بالصبر والصلاة**، يحتمل وجوهًا. يحتمل أن استعينوا[١٠] بالصبر على ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا، لأن الخطاب كان للرؤساء منهم بقوله: أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ إلى قوله: وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ. *والله أعلم*. ويحتمل: أن اصبروا على ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد والخضوع له، لما بيّن لكم من الثواب في الآخرة لمن آمن به وأطاعه وترك الرياسة له.[١١] ويحتمل أن اصبروا على المكاره وترك الشهوات، بأن الجنة لا تدرك إلا بذلك، لما جاء: «حُفت الجنة بالمكاره، والنارُ بالشهوات».[١٢] ويحتمل أن استعينوا بالصوم والصلاة على[١٣] أدائهما. لكن هذا يرجع إلى المؤمنين، والآية نزلت في رؤساء بني إسرائيل؛

---

[١] ن ع م: أو الضعفة.
[٢] ك: المروءة.
[٣] ك: خوف.
[٤] أي العطية والمنفعة.
[٥] ن – ذا؛ م: إذ.
[٦] م: الأمر.
[٧] ك: مثله.
[٨] ع م + في.
[٩] ن – ذلك.
[١٠] ن ع م: أي استعينوا.
[١١] ن – له.
[١٢] مسند *أحمد ابن حنبل*، ٣٣٣/٢، ٣٥٤؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ١؛ وسنن *أبي داود*، السنة ٢١.
[١٣] ن: وعلى.

دليله قوله: وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ، وإنما يصلح هذا التأويل في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا،[1] الآية.

وقوله عز وجل: **وإنها لكبيرة** يخرج -والله أعلم- على ما ذكرنا من ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا إنها لكبيرة عليهم إلا على الخاشعين، فإنها غير كبيرة ولا عظيمة عليهم.[2] ويحتمل أن ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد له والخضوعَ لثقيلٌ / إلا على الخاشعين، [١٤ظ] فإنه لا يثقل ذلك عليهم، ولا يكبر.[3] ويحتمل أن يقال: إن الصبر على الطاعة وأداء هذه الفرائض لكبيرةٌ على المنافقين، إلا على المؤمنين خاصة، فإنه لا يتعاظم ذلك عليهم. وقيل: إن تحويل القبلة إلى الكعبة لثقيلٌ على اليهود. ***والله أعلم.***

وقوله: **إلا على الخاشعين،** قيل[4] فيه بوجوه. قيل: الخاشع هو الخائف بالقلب. وقيل: الخاشع المتواضع. وقيل: الخاشع هاهنا المؤمن. وقال الحسن: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب.[5]

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٤٦]

وقوله: **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم،** يعني يعلمون ويستيقنون أنهم ملاقوا ربهم بكسبهم وصنيعهم. **وأنهم إليه راجعون،** أي سيعلمون يومئذ أنهم راجعون إليه. قال صاحب المنطق:[6] الظن[7] هو الوقوف[8] على أحد طرفي اليقين، والشك[9] هو الوقوف[10] بين طرفي الظن، والوهم[11] بين هذين.

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٣/٢).

[2] ع م - إلا على الخاشعين فإنها غير كبيرة ولا عظيمة عليهم.

[3] ن: كبيرة؛ ع م + وقيل إن تحويل القبلة إلى الكعبة لثقيل.

[4] ع م - قيل.

[5] ن ع م: بالقلب.

[6] لعله يقصد علماء المنطق، لا منطقيا بعينه.

[7] «الظن: هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان» (*التعريفات* للجرجاني، ١٨٧).

[8] جميع النسخ: الوقف.

[9] «الشك:هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك. وقيل: الشك ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين» (*التعريفات* للجرجاني، ١٦٨).

[10] ع + على أحد طرفي اليقين والشك هو الوقوف على؛ ن م + على أحد.

[11] ن ع م: الهمة.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٤٧]

وقوله: **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم،**[١] يحتمل وجوهًا. يحتمل: **أنعمت عليكم** بمحمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الناس كانوا على فترة من الرسل، وانقطاع من الوحي، واختلاف من الأديان والمذاهب، فبعث الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم ليجمعهم ويدعوهم إلى دين الله، ويؤلف بينهم ويخرجهم من الحيرة والتِيه. وذلك من أعظم نعمه[٢] [التي] أنعمها عليهم.[٣] *وبالله التوفيق.*

وذلك أيضًا يحتمل فيما تقدم من الآيات، كقوله:[٤] يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي،[٥] الآية، وقوله: وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ،[٦] يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم. وعهدُه في الأرض رسولُه، كقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ إلى قوله: وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي،[٧] أي عهدي. وعلى ذلك قوله: وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ،[٨] يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقوله: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ،[٩] يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم. وكذلك قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ؛[١٠] أمكن[١١] تخريج هذه الآيات كلها على محمد صلى الله عليه وسلم.

ويحتمل أيضًا قوله: **نعمتي التي أنعمت عليكم** الوجوه[١٢] التي ذكرنا.[١٣] أحدها[١٤]

---

[١] ن + الآية.

[٢] جميع النسخ: نعمة.

[٣] ك ن: عليه.

[٤] ك ن م: وقوله.

[٥] سورة البقرة، ٢/٤٠.

[٦] سورة البقرة، ٢/٤١.

[٧] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أ أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري﴾ (سورة آل عمران، ٣/٨١).

[٨] سورة البقرة، ٢/٤١.

[٩] سورة البقرة، ٢/٤٣.

[١٠] سورة البقرة، ٢/٤٣.

[١١] ك – أمكن.

[١٢] ع: الوجود.

[١٣] انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٤١).

[١٤] ك ع: أحدهما.

أن جعل منكم الأنبياء[١] والملوك، كقوله: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا.[٢] كما قيل: إن كل نبي من لدن يعقوب إلى زمن عيسى عليه السلام كان من بني إسرائيل. ويحتمل ما آتاهم عز وجل من أنواع النعم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، كقوله: وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ،[٣] من المن والسلوى، وتظليل الغمام، وامتداد اللباس على قدر القامة والطول. كما قيل: إن ثيابهم كانت تزداد وتمتد عليهم على قدر ما[٤] تزداد قامتهم، وكانت لا تَبْلَى عليهم ولا تتوسخ، وذلك مما[٥] لَمْ يُؤْتَ أحدًا سواهم. ويحتمل أيضًا قوله: **نعمتي**، أي النجاة من فرعون وآله، كقوله: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ،[٦] الآية.

وقوله: **وأني فضلتكم على العالمين**، قيل: فُضِّلوا على جميع من على وجه الأرض: على الدواب بالجوهر، وعلى الجن بالرسل، وعلى البشر بالإيمان. ويحتمل تفضيلهم على العالمين وجوهًا أيضًا. [يحتمل] ما ذكرنا من بعث الأنبياء منهم، والنجاةَ من أيدي العدو وإهلاكَ العدو وهم يرونه، وفَرْق البحر بهم والنجاة منه وإهلاك العدو فيه، وذلك من أعظم النعم: أن ترى عدوك في الهلاك وأنت بمعزل منه، آمنٌ.

وقوله: **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم** إلى قوله: **فضلتكم على العالمين**، يحتمل فضل أوائلهم.[٧]

وفي الآية وجهان على المعتزلة. أحدهما[٨] قوله: **اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**؛

---

[١] ك ع م: أنبياء.
[٢] سورة المائدة، ٢٠/٥.
[٣] ع + وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين؛ م + كقوله. سورة المائدة، ٢٠/٥.
[٤] ع – تزداد وتمتد عليهم على قدر ما.
[٥] ع: ما.
[٦] ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ (سورة البقرة، ٤٩/٢).
[٧] يقول علاء الدين السمرقندي: «وهذا الخطاب وإن كان للموجودين منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فالتفضل كان لآبائهم، فإن بني إسرائيل كانوا أفضل عالمي زمانهم في وقت موسى عليه السلام، لكن مثل هذا جائز في استعمال كلام العرب وهو متعارف عندهم» «ويحتمل أن الخطاب لبني إسرائيل الموجودين في زمن موسى عليه السلام لكن هذا إخبار لمحمد عن إخوانهم وعما خاطبهم بذلك حال كونهم ووجودهم ليخبرهم النبي عليه السلام بذلك ليكون ذلك دلالة رسالته » (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٦ظ).
[٨] ع: أحدها.

وعندهم أن جميع ما فَعل مما عليه الفعل؛[1] ولو فعل غيَره لكان يكون به[2] جائزًا.[3] فإذا كان تركه بفعله جائزًا،[4] ففعله[5] حق عليه.[6] ولا أحد يكون بفعلٍ[7] ما لا يجوز له الترك منعمًا على أحد؛ فثبت أن كان ثم منه معنى زائد[8] خصهم به،[9] وأن ليس التخصيص محاباة كما زعمت المعتزلة، ولا ترك الإنعام بخلاً[10] كما قالوا.

والثاني قوله: **فضلتكم على العالمين**؛ فلو لم يكن منه[11] إليهم فضلُ معنًى[12] لم يكن لهم تفضيل على غيرهم، فثبت أن كان فيهم ذلك. ومن قول المعتزلة: أن ليس لله أن يخص أحدًا بشيء إلا باستحقاق بفعله، وبذلك هم فَضلوا أنفسهم على العالمين لا هو، فكيف يمنّ عليهم بذلك؟[13] *ولا قوة إلا بالله*. مع ما لا يخلو تفضيله إياهم على غيرهم من[14] أن يكون لهم الفضل في الدين أولاً. فإن لم يكن فليس ذلك بتفضيل.[15] وإن[16] كان،[17] ثبت أن ليس من الحق عليه التسويةُ بين الجميع في أسباب الدين.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**، الآية -والله أعلم-

---

[1] أي جميع ما فعل الله هو مما يجب عليه فعله.
[2] ع م - به.
[3] ك ن م: جايزا؛ ع: جائز.
[4] جميع النسخ: جايزا.
[5] ن : وفعله.
[6] أي واجب عليه.
[7] ن: يفعل.
[8] ن ع م: زائدًا.
[9] جميع النسخ: بهم.
[10] جميع النسخ: بخل.
[11] جميع النسخ: منهم.
[12] أي زيادة نعمة.
[13] أي بإخباره أنه فضله على العالمين.
[14] ع م: ومن.
[15] أي فإن قال المعتزلة: لم يكن ذلك الفضل، يصير الله تعالى كاذبًا في خبره أنه فضلهم على العالمين.
[16] ك ن م: فإن.
[17] ع م: كانت.

كأنها مؤخَّرة في المعنى وإن كانت في الذكر مقدَّمة؛ لأنه قال: وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، ثم ذكر الإفضال والمنن، فقال: وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ،[1] الآية؛ وقال:[2] وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ،[3] وقال:[4] وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.[5] ذكَّرهم عز وجل عظيم[6] نعمه ومننه عليهم ليشكروا له وليعرفوا أنها منة وأنه فضل منه. ثم حذَّرهم عز وجل فقال: **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**، الآية، ليكونوا على حذر، [و]لئلا يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة من الهلاك وأنواع العذاب بعد الأمن والتوسيع[7] عليهم، كقوله: فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إلى قوله فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ،[8] الآية.

ثم في الآية دليل لقول[9] أبي حنيفة وأصحابه: إن الولد يصير مشتومًا مقذوفًا بشتم والديه، لِما عيَّرهم عز وجل بصنع آبائهم بقوله: ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ،[10] وهم لم يتخذوا العجل، وإنما اتخذ[11] ذلك[12] آباؤهم. وكذلك ذكر عز وجل صنعه ومننه عليهم، من نحو النجاة من الغرق، وإخراجهم من أيدي / العدو، وفَرْق البحر بهم، وإهلاك العدو؛ وإنما كان ذلك لآبائهم دونهم،[13] [١٥و] لكن ذكَّرهم عز وجل عظيم منه[14] على[15] آبائهم ليشكروا له على ذلك. وكذلك عيَّرهم بصنيع[16] آبائهم من اتّخاذ[17] العجل وإظهار الظلم ليكونوا على حذر من ذلك. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة البقرة، ٢/٤٩.
[2] جميع النسخ: وقوله.
[3] ع + وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم. سورة البقرة، ٢/٥٠.
[4] جميع النسخ: وقوله.
[5] فهي دوام الآية السابقة (سورة البقرة، ٢/٥٠).
[6] ك: عظم.
[7] جميع النسخ: والتوسع.
[8] ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٤٣-٤٤).
[9] ع: لقوله.
[10] ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥١).
[11] ن ع م: اتخذوا.
[12] ن - ذلك.
[13] ع م - دونهم.
[14] ك: منته.
[15] ك: بمكان.
[16] ك: بصنع.
[17] ك: اتخاذه.

وفي قوله: **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم**، أي بما[1] كان [من] إنعامي[2] عليهم باتّباعهم الرسول موسى عليه السلام، وطاعتهم له، فاتّبِعوا[3] الرسول محمدًا[4] صلى الله عليه وسلم وأطيعوا له، ولا تتركوا اتّباعه.

وقوله: **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا**، قيل: أي لا تؤدي[5] نفس عن نفس شيئًا، كقوله، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ،[6] الآية.

وقوله: **ولا يقبل منها شفاعة**، قيل فيه بوجهين. قيل: لا يكون لهم شفعاء يشفعون [لهم]، كقوله:[7] فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[8] وكقوله: مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ.[9] وقيل: لو كان لهم شفعاء لا تقبل شفاعتهم، كقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[10] أي لا يؤذن لهم بالشفاعة، كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[11]

وقوله: **ولا يؤخذ منها عدل [ولا هم ينصرون]**؛ والعدل هو الفِداء، إما من المال وإما من النفس، وذلك أيضًا يحتمل وجهين. يحتمل[12] أن لا يكون لهم الفداء على ما ذكرنا في الشفيع. ويحتمل أن لو كان لا يقبل منهم، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ.[13]

ثم الوجوه التي تُخلّص المرء في الدنيا إذا أصابته نَكبة ثلاث:[14] إما بفداء يفدى عنه مالاً أو نفسًا، وإما بشفعاء يشفعون[15] له، وإما بأنصار ينصرون له، فيتخلص من ذلك.

---

[1] ك: مم.
[2] ك: العامر.
[3] جميع النسخ + اسم.
[4] ن ع م: محمد.
[5] ن ع م: يؤدي.
[6] سورة عبس، ٨٠/٣٤-٣٥.
[7] ك: كقولهم.
[8] سورة الشعراء، ٢٦/١٠٠.
[9] سورة السجدة، ٣٢/٤.
[10] سورة المدثر، ٧٤/٤٨.
[11] سورة الأنبياء، ٢١/٢٨.
[12] ع م - يحتمل.
[13] سورة المائدة، ٥/٣٦.
[14] جميع النسخ: بثلاث.
[15] ع: فيشفعون.

فقطع[١] عز وجل عنهم جميع وجوه التخلص في الآخرة. والآية نزلت -والله أعلم- في اليهود والنصارى، وهم كانوا يؤمنون بالبعث والجنة والنار، كقوله: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[٢] وقوله: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً؛[٣] ولذلك ذكر اسم الفداء، والشفيع، وما ذكر. وأما من لم يؤمن بالآخرة فلا معنى لذكر ذلك.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٤٩]

وقوله: **وإذ نجيناكم من آل فرعون**، قيل: آل الرجل شيعته، ولذلك قيل: آل رسول الله قرابته. وقيل: كل مؤمن فهو من آله، وعلي ذلك الأمر بالصلاة عليه وعلى جميع من آمن به.

وقوله: **يسومونكم سوء العذاب**، قيل فيه بوجهين. قيل: يقصدونكم [ب]أشد العذاب، وذلك يرجع إلي الاستعباد والاستخدام بأنفسهم. وقيل: **يسومونكم**، يذيقونكم أشد العذاب. وذلك يرجع إلي ما يسوؤهم من تذبيح الأبناء وتقتيلهم، كقوله: **يذبحون أبناءكم**، أي يقتلون أبناءكم.

وقوله: **ويستحيون نساءكم**، يحتمل أيضا وجهين. يحتمل[٤] يستحيون من الحياء،[٥] أي استحيَوا قتل[٦] النساء لما لا يخافهن. ويحتمل [يستحيون] من الإحياء، أي تركوهن أحياءً، فلم يقتلوهن.[٧]

وقوله: **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**. قيل: البلاء -ممدود- هو النعمة، كأنه قال: فيما ننجيكم[٨] من فرعون وآله نعمة عظيمة. وقيل: البلا -مقصور-[٩] هو الابتلاء والامتحان،

---

[١] ن ع م: يقطع.

[٢] سورة البقرة، ٢/١١١.

[٣] سورة البقرة، ٢/٨٠.

[٤] ن ع م + أيضا.

[٥] «وقيل: إن الاستحياء هنا من الحياء الذي هو ضد القِحة، ومعناه أنهم يأتون النساء من الأعمال بما يلحقهم منه الحياء» (*تفسير أبي حيان*، ١/١٩٤).

[٦] ك: قبل.

[٧] ع م: تقتلوهن. أي واسترقوهن.

[٨] ك: نجيتكم؛ ن: تنحيكم؛ م: ينحيكم.

[٩] ومن الجدير بالذكر أن الإمام أبا منصور الماتريدي يجعل الاختلاف في المعنى مبنيا على الاسم «بلاء»؛ ممدودا ومقصورا. وبالرجوع إلي المعاجم اللغوية لا تفرق بين الممدود والمقصور، وإنما «البلاء والبلا» يعني الخير كما يعني الشر. ذهب المفسرون إلي التفريق بين الخير والشر في هذه الآية بقوله تعالي ﴿ذلكم﴾؛ فإذا كان المشار إليه هو تذبيح البنين واستحياء النساء كان البلاء مقصودا به الشر، وإذا كان المشار إليه هو التنجية من هذه المحن كان البلاء مقصودا به الخير. انظر: *تفسير الطبري*، ١/٢٧٥؛ و*تفسير أبي حيان*، ١/١٩٤.

كأنه قال: في استعباده إياكم واستخدامه امتحان عظيم.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[٥٠]

وقوله: **وإذ فرقنا بكم البحر،**[1] قيل: فرقنا أي جعلنا لكم البحر فِرَقًا، أي طرقًا تمرون فيه. وقيل: **فرقنا،**[2] أي جاوزنا بكم[3] البحر.

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٥١]

و قوله عز و جل: **وإذ واعدنا موسى أربعين،** كان الوعد لهم -و الله أعلم- وعدين.[4] أحدهما من الله عز و جل بصرف موسى إليهم مع التوراة، كقوله: أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا،[5] أي صدقًا. ووعد[6] آخر كان من موسى بانصرافه إليهم بالتوراة علي رأس أربعين ليلة، كقوله: فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي.[7]

وقوله: **ثم اتخذتم العجل من بعده،** يحتمل وجهين.[8] يحتمل[9] **اتخذتم،** أي عبدتم؛ فاستوجبوا ذلك التعيير[10] واللائمة بعبادة العجل، لا باتخاذه نفسه. ويحتمل **اتخذتم العجل** إلٰهًا، فاستوجبوا ذلك باتخاذهم إلٰهًا، كقوله وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ،[11] [وقوله:] فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى،[12] وهذا كأنه أقرب. وقيل: **اتخذتم،** أي صنعتم. *والله أعلم*.

وقوله: **وأنتم ظالمون،** قيل في الظلم بوجوه. قيل: إن كل فعل يستوجب به[13] الفاعل عقوبة

---

[1] ن + فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون.

[2] ك م: وإذ فرقنا.

[3] ك ن: جاوزناكم.

[4] ك: وعدان؛ ع: دعوان.

[5] ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا. قال ياقوم ألم يعد كم ربكم وعدًا حسنًا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحِلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾ (سورة طه، ٨٦/٢٠).

[6] م: وعد.

[7] فهي دوام الآية السابقة (سورة طه، ٨٦/٢٠).

[8] ن ع م - يحتمل وجهين.

[9] ك - يحتمل.

[10] ن ع م: التغيير.

[11] سورة الأعراف، ١٤٨/٧

[12] ﴿فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى فنسي﴾ (سورة طه، ٨٨/٢٠).

[13] ن ع م: له.

فهو ظلم. وقيل: إن كل عمل لم يُؤذَن له فهو ظلم.[١] وهاهنا -حيث فعلوا ما لم يؤذن لهم- نسبهم إلى الظلم، لأنهم ظلموا أنفسهم. وقيل: إن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه؛ فسُمُّوا بذلك لأنهم وضعوا الألوهية في غير موضعها. وهذا كأنه -والله أعلم- أقرب.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ثم عفونا عنكم من بعد ذلك**؛ الآية[٢] تنقض على المعتزلة قولهم،[٣] لأنهم يزعمون أن الله إذا علم من أحد أنه يؤمن به[٤] في آخر عمره[٥] وإن طال، أو يكون من نسله من يؤمن إلى آخر الأبد، لم يكن له أن يميته، ولا له أن يقطع نسله. فإذا[٦] كان على الله أن يبقيهم ولا يقطع نسلهم، لم يكن للامتنان عليهم ولا للإفضال وطلب الشكر منهم معنى، إذ فَعَل عز وجل ما عليه أن يفعل. وكل من فعل ما عليه أن يفعل[٧] لم يكن فعلُه فعلَ امتنانٍ ولا فعلَ إفضال، لأنه عز وجل منَّ عليهم بالعفو عنهم، حيث لم يستأصلهم، وتركهم حتى تناسلوا وتوالدوا. ثم وجه الإفضال والامتنان على هؤلاء، وإن كان ذلك العفو[٨] لآبائهم، لأنه لو أهلك آباءهم وقطع تناسلهم لانقرضوا[٩] وتفانوا، ولم يتوالدوا. فالمنّة عليهم حصلت، لذلك طلبهم بالشكر له. *والله أعلم*. فإذا كان هذا ما وصفنا دل أن ليس على الله أن يفعل الأصلح[١٠] لهم في الدين. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **لعلكم تشكرون**، أي لكي تشكروا؛ وكذلك قوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[١١] أي لكي يوحدونِ. وذلك يحتمل وجوهًا. يحتمل[١٢] أن يشهد خلقةُ[١٣] كل أحد

---

[١] ع + وقيل إن كل عمل لم يؤذن له فهو ظلم.
[٢] ن ع م: لأنه.
[٣] أي قولهم في وجوب الأصلح علي الله.
[٤] ن - به.
[٥] ن - عمره.
[٦] ج: فإن.
[٧] ع - وكل من فعل ما عليه أن يفعل.
[٨] ع م - عنهم حيث لم يستأصلهم وتركهم حتى تناسلوا وتوالدوا ثم وجه الإفضال والامتنان على هؤلاء وإن كان ذلك العفو.
[٩] جميع النسخ: انقرضوا.
[١٠] ع: الأصح.
[١١] سورة الذاريات، ٥١/٥٢.
[١٢] ع م - يحتمل وجوهًا.
[١٣] ن ع م: خلقته.

على وحدانيته، وكذلك يشكر[1] خلقة[2] كل أحد له.

[١٥ظ] ويحتمل عبادة الاختيار[3] بوحدانيته، / والشكرَ له بما أنعم وأفضل عليهم،[4] وذلك يرجع إلى من يعبد ويوحّد.[5] ويحتمل أن خلَقهم ليأمرهم بالعبادة والشكر له من احتمل منهم الأمر[6] بذلك.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٥٣]

وقوله: **وإذ آتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة. والكتاب اسم كل مكتوب.

وقوله: **والفرقان**؛ قيل: سميت فرقانًا لما فرّق وبيّن فيها الحلال والحرام. وكل كتاب فُرق فيه بين الحلال والحرام فهو فرقان. وقيل: يسمى فرقانًا لما فرق فيه بين الحق والباطل، وهما واحد. وقيل: سميت التوراة فرقانًا لما فيها المخرج من الشبهات.

وقيل:[7] الآية[8] على الإضمار، كأنه قال: **وإذ آتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة، ومحمدًا صلى الله عليه وسلم **الفرقان**، كقوله: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ.[9]

وقوله: **لعلكم تهتدون**؛[10] فالكلام فيه كالكلام[11] في قوله: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ،[12] وقد[13] ذكرنا فيه ما أمكن.[14] *والله أعلم*.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم [باتخاذكم العجل]**،

---

[1] ع م: نشكر.
[2] ك: لخلقة؛ ع: خلقه.
[3] ع: أخيار؛ م: الإخبار.
[4] ن: عليه.
[5] قارن: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧ظ.
[6] ن ع م: لأمر.
[7] ع: قيل.
[8] ن ع م: لأنه.
[9] سورة الفرقان، ١/٢٥.
[10] ن + الآية.
[11] ن – فيه كالكلام.
[12] ن: تهتدون.
[13] ن: قد.
[14] تقدم قريبا.

قيل: أي ظلمتم أنفسكم[1] بعبادتكم[2] العجل. وقيل: ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلٰهًا.

وقوله عز وجل: **فتوبوا إلى بارئكم**، قيل: ارجعوا عن[3] عبادة[4] العجل إلى عبادة ربكم. وقيل: ارجعوا عن[5] اتخاذ العجل إلٰهًا إلى اتخاذ خالقكم إلٰهًا.

وقوله عز وجل: **فاقتلوا أنفسكم**؛ {قال الفقيه أبو منصور رحمه الله:}[6] لولا إجماع[7] أهل التأويل والتفسير على صرف ما أمر الله تعالى إياهم بقتل أنفسهم على حقيقته،[8] وإلا لم نكن[9] نصرف[10] الأمر بقتل أنفسهم[11] على حقيقة القتل، وذلك لأن الأمر بالقتل كان بعد التوبة[12] ورجوعهم إلى عبادة الله، والطاعة[13] له والخضوع. دليله قوله عز وجل: وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛[14] ظهر بهذا أنهم تابوا قبل أن يؤمروا بالقتل. وقد شرع على ألسن الرسل قتل[15] الكفرة حتى يسلموا، فلا يجوز ذلك إن أسلموا، فيحصل الإرسال للقتل خاصة، لا للدين.[16] *والله أعلم*. ولأن القتل هو عقوبة الكفر لا عقوبة الإسلام، وخاصة قتل استئصال، علي ما روي في الخبر أنْ قتل سبعون ألفا في يوم واحد.[17] وذلك استئصال وإهلاك، ولم يهلك الله قومًا إلا في حال الكفر والعناد؛

---

[1] ن - أي ظلمتم أنفسكم.
[2] ك ن: باتخاذكم.
[3] ع م - قيل أي ظلمتم أنفسكم بعبادتكم العجل وقيل ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلٰها وقوله عز وجل فتوبوا إلى بارئكم قيل ارجعوا عن.
[4] ع م: بعبادتكم.
[5] ك: من.
[6] ك - قال الفقيه أبو منصور رحمه الله.
[7] ن ع م: اجتماع.
[8] جميع النسخ: حقيقة.
[9] ن: تكن.
[10] ن: يصرف.
[11] ع م - بقتل أنفسهم.
[12] ك: التورية.
[13] ك: في الطاعة.
[14] سرة الأعراف، ١٤٩/٧.
[15] ن م: قتال.
[16] ن ع م: الدين. أي لو كان المقصود بالقتل حقيقته لكان إرسال الرسل للقتل وليس للدعوة إلي الدين. وقد ذكر أبو حيان نحو هذا عن ابن عباس وإسحاق. انظر: *تفسير أبي حيان*، ٢٠٧/١.
[17] *تفسير الطبري*، ٢٨٦/١.

إذ الإسلام سبب درء القتل وإسقاطه، [و]لأن من يُقتل لكفره[١] إذا أسلم سقط القتل عنه وزال. وكذلك إذا أسلم وتاب[٢] ومات عليه لم يعاقب في الآخرة لكفره في الدنيا. فعلى[٣] ذلك يجب أن لا يعاقب هؤلاء في الدنيا بالقتل بعد التوبة والرجوع إلي عبادة الله وطاعته. ونصرف الأمر بالقتل، إلي إجهاد[٤] أنفسهم بالعبادة لله والطاعة له، واحتمال الشدائد والمشقة، لتفريطهم في عصيان ربهم باتخاذهم العجل إلٰهًا، وبعبادتهم إياه دون الله. وذلك جار في الناس، يقال: فلان يقتل نفسه في كذا، لا يعنون حقيقة القتل،[٥] ولكن إجهاده[٦] نفسه في ذلك، وإتعابه إياها، واحتمال الشدائد والمشقة فيه. فعلى[٧] ذلك يصرف الأمر بقتل أنفسهم إلي ما ذكر بالمعني الذي وصفنا. ***والله أعلم.***

ثم صرف[٨] ذلك إلى حقيقة القتل احتمل[٩] وجهين.[١٠] أحدهما أن يجعل ذلك ابتداء محنة من الله تعالى لهم بالقتل، لا عقوبة لما سبق من العصيان؛ ولله أن يمتحنهم ابتداء بقتل أنفسهم، كقوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ،[١١] الآية، على تأويل كثير من المتأولين في ذلك، إذ له أن يميتهم بجميع[١٢] أنواع الإماتة. فعلى[١٣] ذلك له أن يأمر بقتل أنفسهم، وفيه إماتة. مع ما فيه الاستسلام لعظم[١٤] ما دُعوا إليه، من بذل النفس لله، مما في مثله جُعل وفاءُ إبراهيم الأمرَ بالذبح، وبذل ولده النفسَ له.[١٥]

---

[١] م: الكفرة.
[٢] م – وتاب.
[٣] ن ع م: فعل.
[٤] ن ع م: اجتهاد.
[٥] ع م: الأمر.
[٦] ن ع:اجتهاده.
[٧] ن ع م: فعل.
[٨] ك:لصرف؛ ع م: اصرف.
[٩] ن: إذ احتمل؛ ع م: إن احتمل.
[١٠] جميع النسخ: وجهان.
[١١] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا﴾ (سورة النساء، ٤/٦٦).
[١٢] ع م: في جميع.
[١٣] ن ع م: فعل.
[١٤] ع م: لعظيم.
[١٥] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٠٢-١٠٦).

فيكون في ذلك القدر[١] وفاء وتوبة، لا حقيقة القتل. ***والله أعلم.***

والثاني يجوز ذلك، لأنه عقوبة الدنيا. وعقوبات الدنيا[٢] وثوابها محنة؛ فجاز الامتحان بعد التوبة والرجوع إلى طاعة[٣] الله، لأنها دار محنة. وأما عقوبات الآخرة وثوابها فليستا[٤] بمحنة، لأنها ليست بدار امتحان؛ لذلك جاز التعذيب في الدنيا بعد التوبة، و لم يجز في الآخرة إذا مات على التوبة. ***والله أعلم.***

ثم قيل في قوله: **فاقتلوا أنفسكم** بوجوه. قيل: أمروا ببذل الأنفس للقتل[٥] والتسليم له، فصاروا كأن قد قتلوا أنفسهم. ويجوز أن يكون الأمر بقتل أنفسهم أمرًا[٦] بمجاهدة الأعداء، وإن كان فيها تلفهم، على ما قال: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ،[٧] الآية، مذكور ذلك في التوراة. وكذا قوله: لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ،[٨] نهى عن القتل الذي فيه قتل أنفسهم. وقد قيل في قوله: وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ،[٩] بمعنى لا تقتلوا مَنْ تقتلون،[١٠] فكأنما قد[١١] قتلتم أنفسكم. وعلى هذا التأويل خرّج أبو بكر[١٢] قوله: وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ.[١٣] ***والله الموفق.***

---

[١] أي الاستسلام لعظم ما دعوا إليه من بذل النفس.

[٢] ع م – وعقوبات الدنيا.

[٣] م: على طاعة.

[٤] ك: ليستا؛ ن – ليست المحنة؛ ع – ليستا بمحنة لأنها؛ م: ليست.

[٥] ع م: بالقتل.

[٦] ك ن ع: أمر.

[٧] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).

[٨] م – كأن قد قتلوا أنفسهم ويجوز أن يكون الأمر بقتل أنفسهم أمرًا بمجاهدة الأعداء وإن كان فيها تلفهم على ما قال إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية مذكور ذلك في التوراة وكذا قوله لا تسفكون دماءكم. ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون﴾ (سورة البقرة، ٢/٨٤).

[٩] ك ن ع + أي. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم﴾ (سورة النساء، ٤/٢٩).

[١٠] ن: يقتلون.

[١١] ن ع م – قد.

[١٢] لعل الإمام يقصد بذلك أبا بكر الأصم.

[١٣] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا﴾ (سورة النساء، ٤/٦٦).

وقيل: أمر بعضًا بقتل بعض، كقوله: سَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً،[1] أي يسلم بعضهم على بعض. وقيل: أمر كل من عبد العجل بقتل نفسه.[2] *والله أعلم*.

وقوله: **ذلكم خير لكم عند بارئكم**؛ قيل: إن التوبة خير لكم عند خالقكم. وقيل: قتلكم[3] أنفسكم خير لكم من لزوم عبادة العجل. ويحتمل: عبادة الرب[4] عز وجل خيرٌ لكم من عبادة العجل. *والله أعلم*.

وقوله: **فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم**؛ وقد ذكرنا المعنى في ذلك فيما تقدم.[5]

وفي بذل أنفسهم للقتل والصبر عليه، وكف أيديهم عن الدفع، والممارسة فيه وجهان. أحدهما أنه كأنهم طبعوا[6] على أخلاق البهائم والدواب. وذلك أن موسى عليه السلام استنقذهم من خدمة فرعون وآله، ونجّاهم من الشدائد التي كانت عليهم ولحوقِ الوعيد بهم، وأراهم الآيات[7] العجيبة، من آية[8] العصا، واليد البيضاء، وفرق[9] البحر، وإهلاك العدو فيه، وتفجير[10] الأنهار من حجر واحد،[11] وغير ذلك من الآيات ما يكثر ذكرها، أن لو كانت واحدةٌ منها لكفَتْهم ودلتهم على صدق نبوته.[12] ثم –مع ما أراهم من الآيات– إذا فارقهم[13] دعاهم السامري إلى عبادة العجل واتخاذه إلٰهًا، كقوله: هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ،[14] فأجابوه إلى ذلك وأطاعوه. وكان هارون –صلوات الله على نبينا وعليه– فيهم يقول: يَا قَوْمِ [١٦و] / إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي،[15] فلم يجيبوه ولا صدقوه

---

[1] ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلِّموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٦١/٢٤).
[2] ع م – نفسه.
[3] ع م: قتل.
[4] م + العجل.
[5] انظر عند قوله تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٣٧/٢).
[6] م: أطيعوا.
[7] جميع النسخ: من الآيات.
[8] ن: آلة.
[9] ن ع م: وخرق.
[10] ع: تعجيز.
[11] ك: واحدة.
[12] ك ن ع: صدقه ونبوته.
[13] ك: فارهم.
[14] ﴿فأخرج لهم عجلاً جسدًا له خوار فقالوا هذا إلٰهكم وإلٰه موسى فنسي﴾ (سورة طه، ٨٨/٢٠).
[15] سورة طه، ٩٠/٢٠.

ولا اكترثوا[١] إليه، مع ما كان هارون من أحب الناس إليهم. فلولا أنهم كانوا مطبوعين على أخلاق البهائم والدواب، وإلا ما تركوا إجابته ولا عبدوا العجل، مع ما أُروا من الآيات التي ذكرنا. فإذا كان إلى هذا يرجع أخلاقهم لم يبالوا ببذل[٢] أنفسهم للقتل. ***والله أعلم***. ونحو ذلك قوله: قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.[٣] وعلى ذلك جعلت آيات موسى كلها حسية لا عقلية، إذ عقولهم كادت تَقصُر عن[٤] فهم المحسوس ودركه، فضلاً عن[٥] المستدَل عليه.[٦] ***والله أعلم***.

والثاني: يحتمل أنهم[٧] أُرُوا[٨] ثواب صبرهم على القتل[٩] في الآخرة، وجزيل جزائهم، وكريمَ مآبهم، فهان ذلك عليهم وخفّ، كما روي أن امرأة فرعون لما علم فرعون –لعنه الله–[١٠] بعبادتها[١١] ربها وطاعتها له أمر أن تعاقب[١٢] بأشد العقوبات، فَفُعل بها، فضحكت في تلك الحال، لما أُريت[١٣] مقامها في الجنة وكريمَ مآبها، فهان ذلك عليها، وسهل. فعلى ذلك يحتمل بذل هؤلاء أنفسهم للقتل،[١٤] والصبر عليه[١٥] لذلك. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[٥٥]

وقوله: **وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة**؛ قال بعضهم: قال الذين

---

[١] ن ع م: اكترووا.
[٢] ع م: إلى بذل.
[٣] ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلٰهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾ (سورة الأعراف، ١٣٨/٧).
[٤] ع: من.
[٥] ن ع م: من.
[٦] أي فضلاً عن المعقول الذي يستدل عليه.
[٧] جميع النسخ: أن.
[٨] ع م: رأوا.
[٩] ع م – على القتل.
[١٠] ع م – لما علم فرعون لعنه الله.
[١١] ع م: بعبادة.
[١٢] ع: يعاقب.
[١٣] ع م :رأت.
[١٤] ع م – للقتل.
[١٥] ع م: عليهم.

اختارهم موسى [وكانوا] سبعين رجلاً:[1] لن نصدقك بالرسالة والتوراة حتى نرى الله جهرة، فيخبرنا[2] أنه أنزلها[3] عليك. ويحتمل: لن نؤمن لك أنه إلٰه، ولا نعبده حتى نراه جهرة عيانًا. فاحتج بعض من ينفي الرؤية في الآخرة بهذه الآية،[4] حيث أخذهم الصاعقة بما[5] سألوا الرؤية. قالوا: فلو كان يجوز أن يُرى لكان لا تأخذهم الصاعقة ولا[6] استوجبوا بذلك العذاب والعقوبة.

وأما عندنا فإنه ليس[7] في الآية دليل نفي الرؤية، بل فيها إثباتها. وذلك أن موسى عليه السلام لما سُئل[8] الرؤية، لم ينههم عن ذلك ولا قال لهم: لا تسألوا هذا. وكذلك سأل[9] هو ربه الرؤية، فلم ينهه عنها، بل قال: فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي.[10] وذا حرف الوعد، [و]لا يجوز ذلك لو كان لا يحتمل لأنه كفر، ومحال ترك النهي عنه.[11] وكذلك ما روي في الأخبار من سؤال[12] الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قالوا: أ نرى[13] ربنا؟[14] لم يأت عنه النهي عن ذلك ولا الرد عليهم، فلو[15] كان لا يكون لَنُهُوا عن ذلك ومُنعوا.

وإنما أخذ[16] هؤلاء الصاعقةُ بسؤالهم[17] الرؤية، لأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد،[18]

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ (سورة الأعراف، ١٥٥/٧).
[2] جميع النسخ: يخبرنا.
[3] ع م: أنزل.
[4] وهم المعتزلة على ما أوضح السمرقندي في شرحه، انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ.
[5] ن ع م: لما.
[6] ك: لا.
[7] ع م: فليس.
[8] ك – لما سئل الرؤية؛ ن ع م: سألوا.
[9] ع م: سألوا.
[10] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.
[11] ع: منه.
[12] ع: رسول؛ م: سئل.
[13] ع م: نرى.
[14] عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما، أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترون ربكم كذلك». (*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ١٥؛ *وصحيح مسلم*، الإيمان ٢٩٩–٣٠٣).
[15] ع: فلولا.
[16] ك ن ع: وأما ما أخذ.
[17] ن م: لسؤلهم؛ ع: ليسوا لهم.
[18] ك: استشهاد.

وإنما سألوا سؤال تعنّت. دليل التعنت فيما جاء من الآيات من وجه الكفاية لمن ينصف،[١] لذلك أخذهم الصاعقة. *والله أعلم*. أو أن يقال:[٢] [إنما] أخذهم الصاعقة بقولهم: **لن نؤمن لك**، لا بقولهم: **حتى نرى الله جهرة**. وسنذكر هذه المسألة في موضعها إن شاء الله تعالى.

وقوله: **[فأخذتكم] الصاعقة**، قيل: الصاعقة كل عذاب فيه هلاك. لكن الهلاك على ضربين: هلاك الأبدان والأنفس، وهلاك العقل والذهن، كقوله: وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا،[٣] قيل: مغشيًا، وفيه هلاك الذهن والعقل. وكذلك قوله: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ،[٤] أي غُشي. *والله أعلم*. وقيل: الصعقة صياح شديد.

وقوله: **وأنتم تنظرون**، قيل فيه[٥] بوجهين. قيل: تعلمون[٦] أن الصاعقة قد أخذتهم وأهلكتهم، بقولهم الذي[٧] قالوا، فكونوا أنتم على حذر من ذلك القول. وقيل: **وأنتم تنظرون**، الخطاب لأولئك الذين أخذتهم الصاعقة، أي تنظرون إلى الصاعقة وقت أخذها[٨] لكم؛ أي لم تأخذكم فجأة[٩] ولا بغتة، ولكن عيانًا جهارًا. *والله أعلم*.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥٦] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٥٧]

وقوله: **ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** يذكّرهم[١٠] عز وجل عظيم[١١] مننه[١٢] عليهم وجزيل عطائه لهم، ببعثهم بعد الموت، وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المن والسلوى من السماء لهم، وذلك مما خُصّوا به دون غيرهم. ثم ما كان لنا من الوعود[١٣] [في الآخرة و]في الجنة،

[١] أي جاءهم موسى عليه السلام بالآيات الحسيات التي لا تخفى ولا ينكرها إلا المتعنت.
[٢] ك + دليل التعنت.
[٣] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.
[٤] ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ (سورة الزمر، ٦٩/٣٩).
[٥] ن ع م - فيه.
[٦] ن ع م: يعلمون.
[٧] ك: الذين.
[٨] ن ع: أخذتها.
[٩] ك: فجاءة.
[١٠] ك: فذكرهم.
[١١] ن: عظم.
[١٢] ك: منته.
[١٣] م: الموعود.

فكان ذلك لهم في الدنيا معاينة، من نحو البعث بعد الموت، ومن الظل[1] الممدود، والطير المشويّ، والثياب التي كانت لا تَبلى عليهم، ولا تتوسخ؛ فذلك كله مما وُعد لنا في الجنة، وكان لهم في الدنيا معاينة يعاينون.

مع ما كان لهم هذا لم يجيبوا إلى ما دُعوا، ولا ثبتوا على ما عاهدوا،[2] وذلك لقلة عقولهم، وغلظ أفهامهم، ونشوئهم[3] على أخلاق البهائم والدواب. *والله أعلم*.

وقوله: **كلوا من طيبات ما رزقناكم**، يحتمل وجهين. يحتمل ما لم يحل لهم الفضل على حاجتهم، فأباح لهم القدر الذي لهم إليه حاجة، وسماه طيبات. ويحتمل أنه سماه طيبات،[4] لما لا يشوبه[5] داء يؤذيهم، ولا أذًى يضرُّ[6] بهم، ليس[7] كطعام الدنيا مما لا يَسلم عن ذلك. *والله أعلم*. وقد قيل: الطيب هو المباح الذي يستطيبه الطبع وتتلذذ[8] به النفس.

وقوله: **وما ظلمونا[9] [ولكن كانوا أنفسهم يظلمون]**؛[10] قد[11] ذكرنا معنى الظلم فيما تقدم.[12] وقد يحتمل وجهًا آخر، وهو النقصان، كقوله: كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا،[13] أي لم تنقص[14] منه. وحاصل[15] ما ذكرنا أن الظلم هو[16] وضع الشيء في غير موضعه، وكل ما ذكرنا يرجع[17] إلى واحد.

---

[1] ك: منته؛ ع م: الظلل.
[2] ك: عهدوا.
[3] ك: نشوتم؛ ن ع: نشوهم؛ م: يشوهم.
[4] ن – ويحتمل أنه سماه طيبات.
[5] ع م: يشوبهم.
[6] ع: يصير.
[7] م – ليس.
[8] ع م: يتلذذ.
[9] ن ع م: ظلمناهم الآية.
[10] الزيادة بين القوسين من حاشية ن.
[11] ك ن ع: وقد.
[12] انظر: تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥١).
[13] سورة الكهف، ١٨/٣٣.
[14] ن ع م: ينقص.
[15] جميع النسخ: وحاصله.
[16] ك – هو.
[17] ع م – يرجع.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٨]

وقوله: **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية**؛ اختلف في تلك القرية. قيل: إنها بيت المقدس، كقوله: أُدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ،[١] أمروا بالدخول فيها، والمُقام هنالك لسعة عيشهم فيها ورزقهم، إذ هو الموصوف بالسعة والخصب. وقيل: إن تلك القرية[٢] التي أمروا بالدخول والمقام هنالك هي قرية على انقضاء التيه[٣] والخروج منها. غير أنْ ليس لنا إلى معرفة تلك القرية حاجة، وإنما الحاجة إلى تعرف الخلاف الذي[٤] كان منهم وما يلحقهم بترك الطاعة له والائتمار. *والله أعلم*.

وقوله: **فكلوا منها حيث شئتم رغدا**[٥] قد ذكرنا فيما تقدم أنه سعة العيش وكثرة المال.[٦]

وقوله: / **وادخلوا الباب سجدا**، يحتمل المراد من الباب حقيقة الباب؛ وهو باب القرية [١٦ظ] التي أمروا بالدخول فيها. ويحتمل المراد[٧] من الباب القرية نفسها، لا حقيقة الباب، كقوله: **وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية**، ذكر القرية و لم يذكر الباب، وذلك في اللغة شائع[٨] جائز. يقال: فلان دخل في باب كذا، لا يعنون حقيقة الباب، ولكن كونه في أمر هو فيه.[٩]

وقوله: **سجدا**، يحتمل المراد من السجود حقيقة السجود، فيخرج على وجوه. يخرج على التحية لذلك المكان. ويحتمل على الشكر[١٠] له [تعالى] لما أهلك أعداءهم الذين كانوا فيها،

---

[١] سورة المائدة، ٢١/٥.
[٢] ع م + حاجة.
[٣] أي في آخر المفازة التي سميت «التيه» كانوا فيها، وهذه القرية تسمى «أريحا». انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ.
[٤] ن – الذي.
[٥] ن ع م + والرغد.
[٦] ن – المال. انظر: تأويل قوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما﴾ (سورة البقرة، ٣٥/٢).
[٧] ن ع م – المراد.
[٨] ك: سائغ.
[٩] يقول السمرقندي: «ويحتمل أن يكون المراد من الباب هو الأمر والحال، لا حقيقة الباب؛ يقال: فلان عالم في باب كذا، أي أمر كذا. ويذكر الدخول ويراد به الكون على ما فيه من الحال؛ يقال: فلان دخل في باب كذا، لا يعنون حقيقة دخول الباب، ولكن يراد به كونه في أمر هو فيه. فعلى هذا تقدير قوله: ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾، أي كونوا في الحال التي أنتم فيها من سعة العيش سجدًا، شكرا لما أنعم الله تعالى عليكم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ).
[١٠] م: الفكر.

كقوله:[1] إنَّ[2] فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ.[3] ويحتمل حقيقة السجود،[4] لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إن بني إسرائيل أمروا بالدخول سجدًا، فدخلوا منحرفين».[5] فما أصابهم إنما أصاب بخلافهم أمر الله. ويحتمل الكناية عن الصلاة؛ إذ العرب قد تسمي السجود صلاة، كأنهم أمروا بالصلاة فيها.[6] ويحتمل [أن يكون] الأمر بالسجود لا حقيقة السجود والصلاة، ولكن الأمر[7] بالخضوع له والطاعة والشكر على أياديه التي أسدى[8] إليهم وبذل[9] من سعة العيش[10] والتصرف فيها في كل حال. *والله أعلم*.

وقوله: **وقولوا حطة**؛ قيل [فيه] بوجهين. قيل: الحطة هو قول لا إله إلا الله؛ سميت حطة لأنها تَحُطّ كل خطيئة كانت من الشرك وغيره، فكأنهم أمروا بالإيمان والإسلام. وقيل:[11] **وقولوا حطة**، أي اطلبوا[12] المغفرة والتجاوز عما ارتكبتموه[13] من المآثم والخطايا، والندامةَ على ما كان منكم.[14] فكأنهم أمروا أن يأتوا بالسبب الذي به يغفر الذنوب، وهو الاستغفار والتوبة والندامة على ذلك. *والله أعلم*. وذلك يحتمل الشرك والكبائر وما دونهما.[15]

---

[1] ك: كقولهم.
[2] م - فيها كقوله إن.
[3] ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٢).
[4] ع - السجود؛ ك ع + فيخرج على وجوه يخرج على التحية لذلك المكان ويحتمل على الشكر له [تعالى] لما أهلك أعداءهم الذين كانوا فيها كقوله إن فيها قومًا جبارين ويحتمل حقيقة السجود.
[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدًا، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم. فبدلوا، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، فقالوا: حبة في شعيرة» (*صحيح البخاري*، التفسير ٥).
[6] ك: بها.
[7] جميع النسخ: أمر.
[8] ن: أهدى؛ م: أسند.
[9] ك: وأذل؛ ن ع م: وأزل.
[10] ك: التعيش؛ م: الصلاة.
[11] ن: قيل.
[12] ع م: طلبوا.
[13] ك: ارتكبوا؛ ن ع م: ارتكبوه.
[14] جميع النسخ: منهم.
[15] ن ع م: دونها.

[**نغفر لكم خطاياكم**]؛ ذكر عز وجل مرة خَطَايَا،[١] ومرة خَطِيئَاتٍ،[٢] ومرة قال: أُدْخُلُوا،[٣] ومرة قال: أُسْكُنُوا،[٤] ومرة قال: فَأَنْزَلْنَا [عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا]،[٥] ومرة قال: فَأَرْسَلْنَا،[٦] والقصة واحدة حتى يعلم أن ليس في اختلاف الألفاظ والألسن تغيير المعنى والمراد، [و]أن الأحكام والشرائع التي وضعت لم توضع للأسامي والألفاظ، ولكن للمعاني[٧] المدرجة والمودعة فيها.[٨] *والله أعلم*.

وقوله: **وسنزيد المحسنين**، يحتمل المراد من المحسنين المسلم[٩] الذي كان أسلم قبل ذلك. ويحتمل الذي أسلم بعد قوله: **وقولوا حطة**، وكان كافرًا إلى ذلك الوقت. والزيادة تحتمل[١٠] التوفيق بالإحسان من بعد،[١١] كقوله: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى،[١٢] الآية.[١٣] ويحتمل الثواب على ما ذكر من قوله: أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا،[١٤] الآية.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٥٩]

---

١ ن: بخطايا.

٢ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدًا نغفر لكم خطيئاتكم﴾ (سورة الأعراف، ١٦١/٧).

٣ يريد به الآية السابقة (سورة البقرة، ٥٨/٢).

٤ يريد به الآية السابقة (سورة البقرة، ٥٨/٢).

٥ لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (سورة البقرة، ٥٩/٢)

٦ يقول الله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٦٢/٧).

٧ ع م: المعاني.

٨ يقول السمرقندي: «فيكون هذا حجة لنا على الخصوم في مسائل ثلاث: منها جواز الصلاة بكل لفظ (أي من القراءات المشهورة) يؤدي معنى القرآن، والثانية نقل الحديث بالمعاني، والثالثة جواز القياس وتعدية الأحكام من ظواهر النصوص إلى غير المنصوص باعتبار المعاني» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ).

٩ ع م: المعلم.

١٠ ن ع م: يحتمل.

١١ لعل في عبارة السمرقندي زيادة وضوح، حيث يقول: «والمراد من قوله: سنزيد، يحتمل زيادة التوفيق للإحسان في المستقبل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٨ظ).

١٢ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (سورة الليل، ٩٢/٥-٧).

١٣ ع - الآية.

١٤ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (سورة القصص، ٥٤/٢٨).

وقوله: **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم**؛ قوله: **بدل**، يحتمل إحداث ظلم بعد أن لم يكن، والخلافَ لما أمرهم به عز وجل. ويحتمل نشوءهم على غير الذي قيل لهم. ولم يبيّن ما ذلك القول الذي بدّلوا، وليس لنا إلى معرفة ذلك القول حاجة؛ إنما الحاجة إلى معرفة ما يلزمهم[1] بالتبديل وترك[2] العمل بأمره وإظهار الخلاف له، فقد تولى الله بيان ذلك بفضله. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء**؛ قيل: الرجز هو العذاب المنزل من السماء على أيدي الملائكة، لأن من العذاب ما ينزل على أيدي الملائكة[3] كعذاب قوم لوط[4] وغيره. و[منه] عذاب[5] ينزل من السماء لا على أيدي أحد، من نحو الصاعقة والصيحة ونحوها.

وقوله: **بما كانوا يفسقون**؛ مرة ذكر **يفسقون**، ومرة ذكر يظلمون،[6] وهو واحد.

وفي هذه الآيات التي ذكرناها والأنباء التي وصفنا[ها] دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات نبوته. وذلك أن أهل الكتاب كانوا عرفوا هذه الأنباء بكتبهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك بمشهدهم كما في كتابهم، ولم يكن ظهر منه اختلاف إليهم ولا درس كتابهم. فدلّ أنه[7] بالله عرف.[8] وكان فيها تسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصبر[9] عليه، لظهور الخلاف له من قومه وترك[10] طاعتهم إياه، وأن ذلك[11] ليس بأول خلاف كان له من قومه ولا أولِ تكذيب، بل كان من الأمم السالفة[12] لأنبيائهم ذلك،

---

[1] ع: يكونهم؛ م: يكون.

[2] ع: نزل.

[3] ع م – لأن من العذاب ما ينزل على أيدي الملائكة.

[4] انظر مثلا قوله تعالى: ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين. إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٣٣-٣٤).

[5] ع – عذاب.

[6] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٦٢).

[7] ن + ليس إلا أنه.

[8] ن: عرف بالله.

[9] ك: والتبصر؛ ن م: التصبير.

[10] ع: نزل.

[11] ع م – ذلك.

[12] ع م + لا.

فصبروا عليه، فاصبر أنت كما صبروا هم، كقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ،[١] الآية.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٦٠]

وقوله: **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر**،[٢] يعني طلب الماء لقومه عند حاجتهم إليه، فأوحى الله تعالى إليه أن **اضرب بعصاك الحجر**.[٣] قد ذكرنا فيما تقدم أن الله عز وجل[٤] قد أراهم مِن عصاه آيات عجيبة،[٥] من نحو الثعبان الذي كان يَتلقّف ما يأفكون، كقوله: فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ،[٦] وقوله: فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ،[٧] ومن ضربه[٨] البحر[٩] بها حتى انفلق، كقوله: فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ،[١٠] أو من[١١] ضربه[١٢] الحجر بها[١٣] وانفجار العيون منه، وغير ذلك من الآيات، مما[١٤] يكثر ذكرها، [فجعلها] عز وجل من آيات رسالته وآيات نبوته. وفيما أُرى منها من عجيب آياته دلالة حدث العالم وإبداعه لا من شيء، لأنه عز وجل قد أخرج بلطفه من حجر يصغر في نفسه -مما يحمل من مكان إلى مكان- من الماء ما يكفي خلقًا[١٥] لا يُحصِي عددَهم إلا الله،[١٦] وفجّر منه أنهارًا لكل فريق نهر على حِدَة.

---

[١] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.

[٢] ع - فقلنا اضرب بعصاك الحجر.

[٣] ك - يعني طلب الماء لقومه عند حاجتهم إليه فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك الحجر.

[٤] ك + إن الله.

[٥] راجع تفسير سورة البقرة، ٤٧/٢.

[٦] سورة الشعراء، ٤٥/٢٦.

[٧] سورة الأعراف، ١٠٧/٧؛ انظر كذلك: سورة الشعراء، ٣٢/٢٦.

[٨] ع م: ضربة.

[٩] ك: الحجر.

[١٠] ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ (سورة الشعراء، ٦٣/٢٦).

[١١] ك ن: كذا ومن.

[١٢] ن ع: ضربة.

[١٣] ك - بها.

[١٤] م: ما.

[١٥] ك: لخلق؛ ن ع م: الخلق.

[١٦] ن ع م - إلا الله.

ثم لا يحتمل كون ذلك الماء بكليته فيه لصغره وخفته، ولا كان نبع[1] ذلك من أسفله.[2] فإذا كان هذا[3] كما ذكرنا ظهر[4] أن الله عز وجل كان ينشئ ذلك الماء فيه، ويُحدثه[5] من لا شيء، لأن ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من أصله. فإذا كان قادرًا على هذا [كان] قادرًا[6] على إنشاء العالم لا من شيء سبق ولا أصلٍ تقدم. وكذلك ما أراهم[7] عز وجل من العصا الثعبانَ والحيةَ لم يكونا[8] من جوهرها[9] ولا من أصلها[10] ولا تولُّدهما[11] منها، بل أنشأ ذلك وأبدع بلطفه. *والله الموفق*.

وقوله: **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**؛ قيل: كانوا اثني عشر سبطًا، بقوله: إِثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا،[12] وهم بنو يعقوب، فجعل لكل سبط نهرًا / على حدة، فانضم[13] كل فريق [منهم] إلى أبيهم[14] الذي كانوا منه، ولم ينضموا إلى أعمامهم وبني أعمامهم. [١٧و]

ففيه دلالة[15] أن المواريث لا تصرف إلى غير الآباء إلا بعد انقطاع أهل الاتصال بالآباء.[16] وفيه دلالة أن القوم في الصحارى والبوادي[17] ينزلون[18] مجموعين غير متفرقين،

---

[1] جميع النسخ: ينبغي.
[2] أي إذ النبع من أسفله على هذه الصورة من المحال.
[3] ع م – هذا.
[4] ع م: أظهر.
[5] جميع النسخ: و يحدث.
[6] ك ن م: لقادر؛ ع: القادر.
[7] ع م: راهم.
[8] ع م: لم يكن.
[9] ك: جوهرهما.
[10] ك: أصلهما.
[11] ع م: تولدها.
[12] ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).
[13] م: فانقسم.
[14] ع م: أيهم.
[15] م – دلالة.
[16] قال السمرقندي: «وفيه دلالة وجوب صلة الأرحام وحرمة القطع، فإن الاختلاف بين ذوي الأرحام والأقرباء سبب القطعية؛ فصانهم عن ذلك ببيان مورد كل واحد على حدة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩و).
[17] ن ع م: البراري.
[18] ع م: يتولون.

ولا متباعدين بعضهم عن[١] بعض بحيث يكون بعضهم[٢] عونا لبعض وظهيرًا؛ لأنهم[٣] نزلوا جميعًا في موضع واحد مجموعين، مع كثرتهم وازدحامهم، غير متفرقين ولا متباعدين، وإن كان ذلك أنفع لهم وأهون عليهم من جهة الرعي والرَّبع[٤] وسعة المنازل.[٥]

وقوله: **قد علم كل أناس مشربهم**، أي موردهم. وفيه دلالة قطع التنازع والاختلاف[٦] من بينهم، لما بيّن لكل فريق منهم موردًا على حدة. ولو كان مشتركًا لخيف وقوع التنازع والاختلاف بينهم، وفي وقوع ذلك بينهم قطع الأنساب والأرحام. ***وبالله التوفيق.***

وقوله: **كلوا**، يعني المن والسلوى. وقوله: **واشربوا**، من الماء الذي أخرج لكم[٧] من الحجر. وكلاهما **رزق الله** الذي ساقه إليهم،[٨] من غير تكلف ولا مشقة.

وقوله: **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**؛ قيل: لا تسعوا في الأرض بالفساد. ويحتمل **لا تعثوا**، أي لا تفسدوا، لان العَثْو هو الفساد نفسه؛ كأنه قال: لا تفسدوا في الأرض فتكونوا[٩] مفسدين.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[٦١]

قوله:[١٠] **وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد**؛ قيل فيه بوجوه.[١١] قيل:

---

[١] ن: من.
[٢] ع م – بحيث يكون بعضهم.
[٣] ك: لأنه.
[٤] يقال: ربعتِ الإبل، أي سرحت في المرعى وأكلت كيف شاءت وشربت (*لسان العرب* لابن منظور، «ربع»).
[٥] ن ع م + وفي الأول سبق المعنى الذي وصفنا والله أعلم.
[٦] ن ع م: رفع الاختلاف.
[٧] ك ن م: لهم.
[٨] ن – إليهم.
[٩] ن ع م: وتكونوا.
[١٠] ك ع م: وقوله.
[١١] أي أخبر في الآية السابقة أنه أنزل عليهم المن والسلوى، ولكنهم سموا ذلك طعامًا واحدًا، فما التأويل فيه؟

أول ما أنزل[1] المن، فعند ذلك قالوا: لن نصبر على طعام واحد؛ ثم أنزل السلوى. وقيل: كانوا يتخذون من المن القرص فيأكلون مع السلوى، فهو طعام واحد، فقالوا: لن نصبر عليه. ويحتمل أن يكون طعامهم في اليوم مرة [واحدة]، فطلبوا الأطعمة المختلفة.[2] *والله أعلم*.

وقوله: **فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها**. {قال الشيخ}:[3] يبين لنا معنى إضافة خصوصية الأشياء إلى الله عز وجل، [وذلك] يخرج[4] مخرج التعظيم لذلك الشيء المخصوص.[5] من ذلك قوله:[6] بَيْتُ اللهِ[7] ورَسُولُ اللهِ[8] ونَاقَةُ اللهِ؛[9] هذا كله يخرج مخرج التعظيم[10] لهذه[11] الأشياء. وإضافة كلية الأشياء[12] إلى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم[13] الرب وإجلاله، نحو ما قال: رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ،[14] وخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ،[15] ورَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[16] و"خالق السماوات والأرض"،[17] ونحوه؛ هذا كله وصف تعظيم الرب وإجلاله.[18] وقد اختلف في الفوم؛ قيل: الفوم هو الثوم. وكذلك روي في قراءة عبد الله أنه قرأ ﴿وثومها﴾. وقيل: الثوم[19] هو البُرّ.

---

[1] ن + أنزل.

[2] أي الأطعمة المختلفة مرارًا.

[3] ن ع – الشيخ.

[4] ن ع م + لنا.

[5] قارن بما ورد في شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩و.

[6] م – قوله.

[7] انظر مثلا: سورة إبراهيم، ١٤/٣٧.

[8] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٧/١٥٨؛ وسورة التوبة، ٩/٦١؛ وسورة الفتح، ٤٨/٢٩.

[9] انظر مثلا: سورة الأعراف، ٧/٧٣؛ وسورة هود، ١١/٦٤.

[10] ك – ذلك الشيء المخصوص من ذلك قوله بيت الله ورسول الله وناقة الله هذا كله يخرج مخرج التعظيم.

[11] ع م: بهذه.

[12] ع م – وإضافة كلية الأشياء.

[13] ن – لهذه الأشياء وإضافة كلية الأشياء إلى الله تعالى يخرج مخرج التعظيم.

[14] سورة الأنعام، ٦/١٦٤.

[15] سورة الأنعام، ٦/١٠٢.

[16] انظر: سورة الرعد، ١٣/١٦؛ و سورة الأنبياء، ٢١/٥٦.

[17] وهي لا توجد كآية في القرآن الكريم، ولكنه ورد بلفظ ﴿خلق السماوات والأرض﴾؛ انظر مثلاً: سورة الأنعام، ٦/١؛ وبلفظ ﴿فاطر السماوات والأرض﴾؛ انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/١٤؛ و سورة يوسف، ١٢/١٥١.

[18] ع م – نحو ما قال رب كل شيء وخالق كل شيء ورب السماوات والأرض وخالق السماوات والأرض ونحوه هذا كله وصف تعظيم الرب وإجلاله.

[19] ن ع م: لفوم.

وقوله: **[قال] أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**؛ قيل في **أدنى** بوجوه. قيل: أدنى في القيمة، وقيل: أدنى في الخطر والرغبة، وقيل: أدنى في المنافع، وقيل: أدنى لما لا يصل هذا إليهم إلا بالمؤنة والمشقة، وذلك لهم بلا مؤنة ولا مشقة، فهو خير. وكل يرجع إلى واحد. *والله أعلم*. ويحتمل **أدنى**، أي أدون وأقل، ولا شك أن ما طلبوا وسألوا دون الذي كان لهم. ويحتمل **أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**، قد[1] أُعْطُوا.[2] ولو كان ذلك أصلح لهم في الدين لم يكن[3] موسى ليلومهم عليه؛ ثبت أنه لم يكن،[4] ثم أعطوا ذلك. ثبت أن الله تعالى قد يجوز له في الحكمة فعل ما كان غيره[5] أصلح لهم في الدين. ***ولا قوة إلا بالله***.

قوله:[6] **اهبطوا مصرا**، قيل:[7] مصر[8] المعروف، وقيل: مصر من الأمصار، لأن ما طلبوا لا يوجد إلا في الأمصار. ***وبالله التوفيق***.

وقوله: **فإن لكم ما سألتم**، من الأطعمة المختلفة إن كان المراد منه[9] المرار،[10] وإن كان الأطعمة المختلفة فهو كما قال.

وقوله: **وضربت عليهم الذلة**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: الذلة ذلة احتمال المؤنة والشدائد لما سألوا من الأطعمة المختلفة. وقيل: الذلة ذلة الجزية والصغار بعصيانهم ربهم.[11] وقيل: ذلة الكسب والعمل، لان الأول كان يأتيهم من غير كسب ولا مؤنة.

وقوله:[12] **والمسكنة**؛ قيل: هي[13] الفقر والحاجة. وقيل: [هي] قطع رجائهم عن الآخرة لما عصوا ربهم.

---

[1] ع: وقد.
[2] أي أعطوا الذي هو أدنى.
[3] ع – يكن.
[4] أي لم يكن أصلح لهم في الدين.
[5] م: غير.
[6] ك ع م: قيل.
[7] ك – قيل.
[8] جميع النسخ: المصر.
[9] أي المراد من الذين سألوا.
[10] ع م: المراد.
[11] م: ذلهم.
[12] ن ع م – وقوله.
[13] ك ع م: ذي؛ ن + ذي.

وقوله: **وباؤوا بغضب من الله**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: **باؤُوا**، رجعوا. وقيل: استوجبوا. وقيل: أقروا.[1] وكله يرجع إلى واحد.

وقوله: **ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أن الآيات هي الحجج التي أعطى الرسل وأجراها على أيديهم.[2] وقال الحسن: هي دين الله.

وقوله: **ويقتلون النبيين بغير الحق**؛ يحتمل أن يكون هذا في غيرهم، لأنه لم يكن في زمن موسى نبي سوى هارون، وهم لم يقتلوه؛ إلا أن يقال: إن ذلك كان من أولادهم بعد موسى، أو كان ذلك من غيرهم سوى هؤلاء وأولادهم. على أن قتل الأنبياء في بني إسرائيل كان ظاهرًا، حتى قيل: قتل في يوم كذا كذا نبيًا. ولم يذكر قتل رسول من الرسل، وذلك والله أعلم لقوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[3] ولقوله:[4] إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ.[5] أخبر أنه لم ينصرهم وأنهم منصورون.[6] ومن كان الله ناصره فهو المنصور أبدًا؛[7] لأن[8] الرسل هم الذين أوتوا الآيات المعجزة،[9] فلم يكن لهم استقبال الرسل بذلك للآيات[10] التي كانت معهم. وأما الأنبياء فلم يكن معهم تلك الآيات المعجزة،[11] وإنما كانوا يدعون الخلق إلى دين الله بالآيات[12] التي كانت معهم؛ لذلك[13] كان ما ذكر. *والله أعلم*.

---

[1] ن: وقيل: أقروا، وقيل: استوجبوا.

[2] انظر تأويل الآية رقم ٤١ من سورة البقرة.

[3] سورة المؤمن، ١٥/٤٠.

[4] ع م: لقومه.

[5] سورة الصافات، ١٧٢/٣٧.

[6] أي لم ينصر الأنبياء ولكن نصر الرسل.

[7] هذا بداية أحد جوابين، رواهما الإمام الماتريدي عن العلماء ردًا على ما اعترض به الملحدة، «وقالوا: إنكم تقولون إن الله تعالى أخبر أن الكفار قتلوا النبيين عليهم السلام. وقد قال في موضع آخر: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾، وقال: ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾؛ ومن كان الله تعالى ناصره فهو المنصور، فما بالهم قتلوا في أيدي الكفار، وهذا تناقض. قال الإمام: ذكر العلماء الجواب عن هذا من طريقين. أحدهما أنه لم يثبت في الكتب ولا في المتواتر من السنة قتل رسول من الرسل عليهم السلام، وإنما ثبت قتل الأنبياء عليهم السلام، فلا تثبت المناقضة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٢٩ظ).

[8] ن ع م: ولأن.

[9] ع م: من المعجزة.

[10] ن ع م: الآيات.

[11] ك – فلم يكن لهم استقبال الرسل بذلك للآيات التي كانت معهم وأما الأنبياء فلم يكن معهم تلك الآيات المعجزة.

[12] ك + التي كانت للرسل والحجج.

[13] ع م: بذلك.

قال قوم: لم يقتل أحد من الرسل،[١] وإنما قتل الأنبياء أو رسل الرسل. فإن كان[٢] كذلك، فعلى ذلك يخرج ما ذكرنا من الآيات. وإن لم يكن فالنصر كان بالحجج والآيات،[٣] فكانت تلك للكل. وعلى ذلك لا دلالة في كون الآيات مع الأنبياء وغيرِ كونِها، فإن لم يكن فَلِمَا لم يكنْ[٤] لهم[٥] ابتداءُ شرع ولا نسخ، بل على الدعاء[٦] إلى ما سبق من الشرائع، وكانت آياتهم كآيات الرسل[٧] أو دلالاتِ العصمة،[٨] مع ما كان بهم حفظ الكتب السماوية بلا تبديل.[٩] والله أعلم بالحق في ذلك، ونعتصم بالله من[١٠] بسط اللسان في ذلك بالتدبر،[١١] دون [الاعتماد على] شيء ظهر على ألسن الرسل، أو القول فيهم بشيء[١٢] أن كانت آيةٌ لكل أو لا؛ لكن الله تعالى / قد أقام حجته لكل على قدر الكفاية والتمام. [١٧ظ]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦٢]

وقوله: **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى،** الآية؛ قيل: إن اليهود[١٣] والنصارى؛ وهؤلاء جاز أن يكون لهم تعلق بظاهر هذه الآية، لأنهم كانوا[١٤] يقولون: إنا آمنا بالله

---

[١] ذكر السمرقندي أن الإمام الماتريدي روى هذا القول عن العلماء. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩ظ.

[٢] ك - كان.

[٣] انظر في ذلك شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩ظ.

[٤] ن ع م - لم يكن فلما لم يكن. أي فإن لم يكن دلالة في كون الآيات مع الأنبياء فلسبب أنه لم يكن لهم ابتداء شرع ولا نسخ.

[٥] ك: فإن لم يكن فلما لم يكن لهم.

[٦] أي بل كان يقوم تبليغهم على الدعوة.

[٧] أي كانت آياتهم عبارة عن آيات الرسل الذين عاشوا في زمانهم أو فيما قبل.

[٨] أي وكانت آياتهم ما شوهد في الأنبياء من الأفعال الجميلة التي تشير إلى أنهم صادقون معصومون عن الكذب.

[٩] أي ولهذا كان حفظ الكتب السماوية بلا تبديل بواسطة هؤلاء الأنبياء معجزة في حق بعضهم، وهو عزير عليه السلام، حتى سماه اليهود ابن الله لخروج ذلك عن طوق البشر لكثرتها. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٢٩ظ.

[١٠] جميع النسخ: عن.

[١١] ن - بالتدبر؛ ع م: بالتدبير.

[١٢] م: فبشيء.

[١٣] ك ع م: لليهود.

[١٤] ن ع م - كانوا.

وآمنا باليوم الآخر، فليس علينا خوف ولا حزن.[1] لكن الجواب لهذا وجوه. أحدها: أنه ذكر المؤمنين بقوله: **إن الذين آمنوا**، وإيمانهم ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ.[2] وهم قد فرقوا بين الرسل بقولهم: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ؛[3] وفرقوا بين الكتب أيضًا، آمنوا ببعض وكفروا ببعض.[4] فهؤلاء الذين ذكرهم عز وجل في هذه الآية هم الذين آمنوا بجميع الرسل وآمنوا[5] بجميع الكتب[6] أيضًا؛[7] فإذا كان هذا إيمانهم لم يكن عليهم خوف ولا حزن.

والثاني ذكر الإيمان بالله. والإيمان بالله[8] هو الإيمان بجميع الرسل وبجميع الكتب؛ ولكنهم[9] لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه[10] في الحقيقة.

أو أن يقال:[11] ذكر عمل الصالحات؛ والكفر ببعض الرسل ليس من عمل الصالحات. لذلك بطل[12] تعلقهم بهذا. *والله أعلم*.

وقيل: ذلك[13] على التقديم والتأخير، كأنه قال: "إن الذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر[14] والذين آمنوا" الآية.[15]

---

[1] قال السمرقندي: «قال الإمام: تعلقت اليهود والنصارى والصابئة بهذه الآية، وقالوا: إنا آمنا بالله وباليوم الآخر وعملنا عملا صالحا، فليس علينا خوف ولا حزن بموجب هذه الآية وادعت التناقض علينا. وقالوا: إنكم ادعيتم أن في كتابنا أن اليهود والنصارى من أهل النار إذا ماتوا على الكفر، وفي كتابكم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وبمثل هذه الشبهة يتعلق الملاحدة في دعوى التناقض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠و).

[2] سورة البقرة، ٢/٢٨٥.

[3] سورة النساء، ٤/١٥٠.

[4] ك - وفرقوا بين الكتب أيضًا آمنوا ببعض وكفروا ببعض؛ ن + أحد من رسوله.

[5] م - آمنوا.

[6] ع م - الكتب.

[7] ن - أيضا.

[8] م - والإيمان بالله.

[9] ن: لكنهم.

[10] ن ع م: ولا يعرفون.

[11] هذا ابتداء الوجه الثالث من وجوه رد دعوى التناقض.

[12] ك: يطلق.

[13] ن ع م: في ذلك.

[14] ن + الآية.

[15] ك - الآية؛ ن - والذين آمنوا الآية.

وللمعتزلة تعلق أيضًا بظاهر قوله: **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**؛ [فقد قالوا:] وصاحب[١] الكبيرة عليه خوف وحزن،[٢] فلو كان مؤمنًا لكان لا[٣] خوف عليه ولا حزن، لأنه أخبر أن المؤمن لا خوف عليه ولا حزن. فدلّ أنه يخرج من إيمانه إذا ارتكب كبيرة. فيقال[٤] لهم: لم ينف عنهم[٥] الخوف والحزن في كل وقت،[٦] فيحتمل أن يكون عليه خوف في وقت ولا يكون عليه خوف[٧] في وقت آخر، لأن لكل[٨] مؤمن خوفَ البعث وفزعَه حتى الرسل بقوله: يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا،[٩] لشدة فزعهم من هول ذلك اليوم؛ فإذا دخلوا الجنة ونزلوا منازلهم ذهب[١٠] الخوف والفزع عنهم. فعلى ذلك المؤمن يكون له خوف في وقت ولا يكون عليه خوف[١١] في وقت آخر. *والله أعلم*.

واختلف في **الصابئين**؛ قيل: الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور. وقيل: إنهم قوم يعبدون الكواكب. وقيل: هم قوم بين المجوس والنصارى. وقيل: هم قوم بين اليهود والمجوس.[١٢] وقيل: هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة، يقولون[١٣] باثنين؛ ولا[١٤] كتاب لهم ولا علم لنا بهم.

---

[١] م + وصاحب.
[٢] ن: حزنا.
[٣] ع – لا.
[٤] ع م: فقال.
[٥] أي عن المؤمنين.
[٦] ع م: الوقت. يقول علاء الدين السمرقندي: «إن نفي الخوف والحزن ليس عمن آمن مطلقًا، ولكنه متعلق بمن آمن وعمل صالحًا؛ ولأن ارتكاب الكبيرة ليس بعمل صالح، كان المؤمن صاحب الكبيرة خارجًا من متعلق نفي الخوف والحزن». وقال في الجواب الثاني: «إن الخوف والحزن عام لا يمكن العمل بعمومه؛ فظاهر الآية نفي جميع الخوف والحزن عن المؤمن. ولا شك أن جميع أنواع الخوف والحزن لا يرتفع بالإيمان المطلق، لأن لكل مؤمن خوف البعث وفزعه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٠و).
[٧] ن ع م: لا خوف عليه.
[٨] م: كل.
[٩] سورة المائدة، ١٠٩/٥.
[١٠] ن ع م + ذلك.
[١١] ن ع م: ولا خوف عليه.
[١٢] ع م – هم قوم بين اليهود والمجوس.
[١٣] ك ن: يقول.
[١٤] ن م: لا.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٦٣]

وقوله: **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أن[١] ميثاق الله وعهده على وجهين:[٢] عهد خلقة وفطرة،[٣] وعهد رسالة ونبوة. فمعناه:[٤] وإذ أخذنا ميثاقهم[٥] في التوراة أن يعملوا بما فيها؛ فنقضوا ذلك العهد[٦] لما رأوا فيها [من] الحدود والأحكام والشرائع [و]كرهوا [ذلك] فرفع الله الجبل فوقهم، فقبلوا ذلك. ويحتمل ما ذكرنا من عهد خلقة وفطرة، فنقضوا ذلك.

وقوله: **خذوا ما آتيناكم بقوة**؛ قيل: خذوا التوراة بالجد والمواظبة؛ وقيل: **بقوة**، يعني بالطاعة له والخضوع.

ثم احتج بعض المعتزلة بهذه الآية على تقدم القدرة الفعلَ، لأنه أمرهم عز وجل بالقبول له والأخذ والعمل بما فيها. فلو لم[٧] يعطهم قوة الأخذ والقبول له قبل الأخذ له والفعل،[٨] لكان لا يأمرهم بذلك، لأنهم يقولون: لا قوة لنا على ذلك، فدلّ أنه قد أعطاهم قبل ذلك. لكنه غلط عندنا، لأنه لو كان[٩] أعطاهم القوة قبل الفعل ووقت الأمر به، ثم تذهب عنهم تلك القوة وقت الفعل، لكان الفعل بلا قوة، إذ من قولهم: إن القوة لا تبقى وقتين. فدلّ أنها تحدث بحدوث الفعل، لا تتقدم ولا تتأخر، ولكن تكون[١٠] معه.[١١] ولأنها سميت قدرة الفعل؛ فلو[١٢] كانت تتقدم الفعل، لم يكن لإضافة الفعل إليها معنى. *والله أعلم*.

---

[١] ع: وأن.
[٢] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢٧/٢).
[٣] جميع النسخ: وعهد فطرة.
[٤] جميع النسخ: وقوله.
[٥] ك ن ع: ميثاقكم؛ ن + قد ذكرنا فيما تقدم.
[٦] ك ن – العهد.
[٧] ع: لا.
[٨] ن ع: الفعل؛ م – الفعل.
[٩] ن ع م – كان.
[١٠] ن ع م: لا يتقدم ولا يتأخر ولكن يكون.
[١١] جميع النسخ: معًا.
[١٢] ع + لا.

والأصل في ذلك[١] أن الله تعالى قال: **خذوا ما آتيناكم بقوة**؛ ومعلوم أن المراد من ذلك الأخذ بقوة الأخذ.[٢]

ثم فيه وجهان. أحدهما أن للأخذ[٣] قوة غير التي[٤] للترك.[٥] والثاني أنه ذكر الأخذ بقوة؛[٦] فإذا لم تكن معه،[٧] لم يكن [وجود الفعل] بها، ألا[٨] يرى أن الوقت إذا تباعد لم يحتمل بما تقدم من القوة أوقاتا، فمثله وقت واحد.

وقوله: **واذكروا ما فيه [لعلكم تتقون]**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: **اذكروا**[٩] واحفظوا ما فيه من أمره ونهيه ولا تضيعوه،[١٠] لعلكم تتقون المعاصي[١١] والمآثم. ويحتمل **اذكروا** ما فيه من التوحيد والإيمان لعلكم تتقون الشرك والكفر. ويحتمل **اذكروا** ما فيه من الأحكام والشرائع. ويحتمل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد. وكله واحد.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٦٤]

وقوله: **ثم توليتم من بعد ذلك**، يعني من بعد القبول؛ دلّ هذا على أنهم كانوا قبلوا ذلك مرة قبل أن يأتيهم موسى عليه السلام بها. فلما أتاهم [و]رأوا التشديد والمشقة[١٢] أبوا قبولها[١٣] وتركوا العمل بما فيها من الأحكام والشرائع، فخُوّفوا برفع الجبل فوقهم،[١٤] فقبلوا ذلك. ***والله أعلم***.

وقوله: **فلولا فضل الله عليكم ورحمته**[١٥] **لكنتم من الخاسرين**. [قيل:] **فضل الله عليكم**

---

[١] م + في ذلك.
[٢] م - بقوة الأخذ.
[٣] ن ع م: الأخذ.
[٤] ن: الذي.
[٥] «فإن قوة الأخذ التوفيق، وقوة الترك الخذلان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٠ظ).
[٦] ع م - بقوة.
[٧] أي مع الفعل.
[٨] جميع النسخ: أن.
[٩] ج: ذكروا.
[١٠] ع: لا تضيعون.
[١١] ن: المعاني.
[١٢] ع: المشقة.
[١٣] ع: قبوها
[١٤] ك ع - فوقهم.
[١٥] ن ع م + يحتمل وجوها.

الإسلام، **ورحمته** القرآن. وقيل:[1] **فضل**[2] **الله عليكم** محمد[3] صلى الله عليه وسلم بعث إليكم رسولاً ليجمعكم ويؤلف بينكم ويدعوكم إلى دين الله الحق، بعد ما كنتم في فترة من الرسل وانقطاع من الدين والعمل. ويحتمل **فضل الله عليكم** لِما أنجى آباءكم من العذاب و لم يرسل عليهم الجبل، وإلا لما[4] توالدتم أنتم. وقيل: **فضل الله عليكم** لِما أعطاهم التوراة ووفقهم على قبولها، وإلا **لكنتم من الخاسرين**. وبعضه قريب من بعض.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٦٥]

[١٨و] وقوله: **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت**؛ فيه دلالة إثبات رسالة / محمد صلى الله عليه وسلم. كأنه[5] قال: **ولقد علمتم** أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم **الذين اعتدوا منكم في السبت**، ولا كان [له] علم ما فُعل بهم. ثم علم ذلك، فإنما علم بالله عز وجل لأنه لم يكن قرأ كتابكم، ولا كان يختلف[6] إلى أحد ممن يعرف ذلك؛ فبالله عز وجل عرف ذلك، وبه علم، فدل أنه رسول الله إليكم.

ويحتمل قوله: **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**، أي علمتم[7] ما أصاب أولئك باعتدائهم يوم السبت بالاصطياد، وكنتم تقولون: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[8] يعني [نحن] أبناء رسل الله وأحباؤه. فلو[9] كان كما تقولون لم يكن ليجعلهم قردة، وهي أقبح خلق الله وأوحشه، إذ مثل ذلك لا يفعل بالأحباء و[لا] بالأبناء.[10] أو أن يحمل على التحذير لهؤلاء، لئلا يكذّبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم ولا يعصوه في أمره، فيصيبهم[11] ما أصاب أولئك بتكذيبهم موسى وعصيانهم أمره. *والله أعلم*.

---

[1] ع م: قيل.
[2] ع - فضل.
[3] ن ع م: بمحمد.
[4] جميع النسخ: ما.
[5] ك - كأنه.
[6] ع م: تختلف.
[7] ك ع: علمت.
[8] سورة المائدة، ١٨/٥.
[9] ع + لا.
[10] ع م: والأبناء.
[11] جميع النسخ: فيصيبكم.

ثم سبب تحريم الاصطياد في السبت كان –والله أعلم– لما قيل: إن موسى عليه السلام أراد أن يجعل يوما لله، خالصًا للطاعة[١] له والعبادة[٢] فيه، وهو يوم الجمعة، فخالفوا[٣] أمره،[٤] وقالوا: نجعل ذلك يوم السبت، لأنه لم يخلق لعمل. فحرم الاصطياد في ذلك اليوم لذلك، وحُوّلوا قردةً، عقوبةً لهم لما نهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم فاصطادوا. وعلى ذلك تأويل قوله: إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ،[٥] يعني يوم الجمعة. وقيل: اِخْتَلَفُوا فِيهِ، يعني في الله.

ثم[٦] اختلف في قوله: **كونوا قردة**. قال قوم: قوله: **كونوا قردة** من الأصل على ذهاب الإنسانية منهم. وقيل: حوّل جوهرهم إلى جوهر القردة على إبقاء الإنسانية فيهم من الفهم والعقل، لأنه قيل: إن الذين كانوا ينهوهم عن الاصطياد في ذلك اليوم دخلوا عليهم، فقالوا[٧] لهم: ألم ننهكم عن ذلك ونزجركم؟، فأوموا،[٨] أي نعم، ودموعهم تفيض على خدودهم. فلو كان التحويل على ذهاب جميع الإنسانية[٩] منهم لكانوا لا يفهمون ذلك ولا حزنوا على ما أصابهم؛ لأن كل ذي جوهر راض بجوهره الذي خلقه الله سبحانه [و]يُسَرّ به، ولأن تحويله إياهم قردةً عقوبةٌ لتمردهم في التكذيب وجرأتهم على الله، [فأبقى الله تعالى فيهم بعض الإنسانية] ليعلموا ذلك ويروا أنفسهم أقبح خلق الله وأوحشه.

وفيه نقض قول المعتزلة، لأنهم يقولون: ليس في خلق الله قبيح.[١٠] فلو لم يكن في خلق الله قبيح،[١١] لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الإنسان إلى أقبح صورة معنًى، ليروا قبح أنفسهم، عقوبةً لهم بما عصوا أمر الله ودخلوا في تهيه.

---

[١] ن – للطاعة.
[٢] ن + والطاعة.
[٣] ن ع م: فخالفوهم.
[٤] ن ع م + ونهية.
[٥] سورة النحل، ١٢٤/١٦.
[٦] ك – ثم.
[٧] جميع النسخ: فيقولون.
[٨] أَوْمَوْا لغة في أومأوا أي أشاروا إليه (*لسان العرب* لابن منظور، «ومي»).
[٩] ك: الأزمنة.
[١٠] يقول السمرقندي: «إن المعتزلة يقولون: ليس في خلق الله تعالى من الأجسام قبيح، وإنما القبيح بعض الأفعال، وهو الكفر والمعاصي، فلا يجوز نسبتها إلى الله تعالى، ففرقوا بين الأجسام والأفعال» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣١و).
[١١] جميع النسخ: قبيحا.

[١٨و س٢١] *وقوله: **خاسئين**؛[٢] قيل: الخاسئ الصاغر، وقيل: الخاسئ الذليل، وقيل: البعيد. وكله يرجع إلى واحد. *والله أعلم*.*

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦٦]

وقوله: **فجعلناها نكالا**؛ قيل: الهاء[٣] راجعة إلى القرية التي كانوا فيها. وقوله: **لما بين يديها** [أي] من أهل القرية، **وما خلفها** [أي] حواليها. وقيل: أراد بالهاء القرية **لما بين يديها** من القرى،[٤] **وما خلفها** من القرى. وقيل: أراد بالهاء[٥] العقوبة والنكال، **لما بين يديها**، يعني لما مضى من الذنوب، **وما خلفها**، يعني ما بقي. *والله أعلم*.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٦٧]

وقوله: **وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**؛ قيل: قتيل قُتل في بني إسرائيل وأُلقي على باب غيرهم، فتنازعوا[٦] فيه واختلفوا، فأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يذبحوا[٧] بقرة، فقال: **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**، فاضربوا ببعضها ذلك الميت فيُحْيَى، فيقول من قتله.[٨]

قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. قال بعضهم: كفروا بهذا القول لأنهم سموه هازئا، ومن سمى رسولاً من الرسل هازئًا يكفر.[٩] ألا ترى أنهم قالوا في الأخير:[١٠] ﴿ٱلْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِ﴾، دل أن ما قال لهم أول مرة ليس بحق عندهم. وليس هذا بشيء،

* إن العبارة التالية: «وقوله: خَاسِئِينَ؛ قيل... والله أعلم.» قد وردت في النص بين الآيتين ٦٦ و ٦٧ من سورة البقرة؛ غير أنها جزء من آية ٦٥، لذلك نقلناها هنا.

[٢] ن ع م + يعني.
[٣] ن: إنها.
[٤] ن: القرية.
[٥] ن: بها.
[٦] ع: فسارعوا.
[٧] ن: تذبحوا.
[٨] جميع النسخ: من قتلني. والتصحيح من *شرح التأويلات*، ورقة ٣١و.
[٩] م: لكفر.
[١٠] ن ع م: الآخر.

ولا يحتمل ما قالوا.[١] ولكن يحمل على المجازاة، كأنهم قالوا: أ تجازينا بهذا لما مضى منا وسبق[٢] من العصيان[٣] والخلاف لك؟ لما لم يعلموا أنه من عند الله يأمر بذلك. وهذا وأمثاله[٤] على المجازاة جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء والمخادعة والمكر، كله على المجازاة جائز.[٥] وكقول[٦] نوح لقومه:[٧] فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ،[٨] على المجازاة،[٩] فكذلك الأول.

وأما الاستهزاء فيما بين الخلق فهو جهل، يسخر بعضهم ببعض لجهل بأحوال أنفسهم، إذ كلهم سواء من جهة الجوهر والخلقة وتركيب الجوارح وتصوير الصورة[١٠] وتمثيلها. ألا ترى أن موسى أجاب لهم عن الهزء بالجهل، فقال: **قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين**؛ دل أن[١١] الهزء في الخلق لجهل فيهم.[١٢] ***وبالله التوفيق.***

ثم استدل قوم بهذه الآية على عموم الخطاب وقت قرع السمع، لأنه أمرهم بذبح بقرة لم يبيّن لهم كيفيتها ولا ماهيتها وقت الخطاب، إلا بعد البحث والسؤال عنها، فثبت أنه على العموم.

---

[١] قال السمرقندي: «إنهم كانوا معتقدين للتوحيد، مقرين برسالة موسى عليه السلام، فيجب حمل كلامهم على وجه لا يفضي إلى الكفر ما أمكن، وهو الواجب في كلام كل مسلم. وقد أمكن ذلك من وجهين...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١و).

[٢] م: سبق.

[٣] جميع النسخ + بك.

[٤] م: مثاله.

[٥] تقدم الكلام عن الاستهزاء والمخادعة والمكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ (سورة البقرة، ١٥/٢).

[٦] ع م: كقوله.

[٧] ع: ولقومه؛ م: لقوله.

[٨] ﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ (سورة هود، ٣٨/١١).

[٩] ع م + جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء.

[١٠] م: الصور.

[١١] ع م: وأن.

[١٢] وقد ذكر السمرقندي وجها ثانيا لحمل كلامهم على وجه لا يفضي إلى الكفر فقال: «والثاني إن كان مرادهم الاستهزاء لا بحق المجازاة [فهو] لا يوجب الكفر، لأن قولهم: ﴿أتتخذنا هزوا﴾، هذا سؤال منهم واستفهام: إن ما أمر الله تعالى بذبح البقرة وضرب لحمها على القتيل ليحيي استهزاء، أم يكون ذلك حقيقة، واشتبه ذلك عليهم. وإن كان في اعتقادهم أن لله تعالى القدرة الكاملة لما أنه ورد الأمر بذبح بقرة مطلقة؛ وقد تقرر عندهم أن الآية تكون ناقضة للعادة بأن تكون في نفسها عجيبة، نحو خروج ناقة صالح من الحجر بلا أم تولد منها، فسألوا لإزالة الاشتباه والإشكال من غير أن اعتقدوا جواز الاستهزاء من الله تعالى ومن رسوله. والجهل بمثل هذا لا يكون كفرًا إذا وجد الإيمان بالجملة وكان إيمانه صحيحًا...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١و).

ألا ترى ما روي في الخبر: «لو عمدوا إلى أدنى بقرة لأجزأتهم،[1] لكنهم شدّدوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم».[2] لكن هذا لا يصح، لأنه دعوى على الله لحدوث شيء في أمره وبُدُوٍّ في حكمه، فذلك كفر لا يقوله مسلم، فضلاً عن أن يقوله رسول من الرسل.[3] [و]تأويل هذا أنه قال:[4] إنه يقول كذا؛ فلو كان الأول على غير ذلك لكان قد[5] بدا[6] له فيما عَمَّ، وفسّر بما لم يكن أراد. وذلك معنى البداء، بل[7] معنى الرجوع عن الأول مما أراد والتفسير[8] له بغيره.[9] **ولا قوة إلا بالله.**

ثم في الآية دليل خصوص الخطاب[10] من وجهين. أحدهما أخذ كل آية خرجت في الظاهر على العموم حتى [يأتي] الخصوص. والثاني جواز تأخير البيان على تقديم الأمر به، لما ذكرنا أنها لو حملت على العموم[11] -وهو مرادها- ثم ظهر الخصوص، فهو بدوّ وحدوث في الأحكام والشرائع؛ فذلك حال من جهل العواقب والنهايات، تعالى الله عن ذلك.[12]

---

[1] ن م: لجزتهم؛ ع: بجزتهم.

[2] روي عن مجاهد، أنه قال: لو أخذوا بقرة ما، كانت أجزأت عنهم. وقال ابن جريج: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليه، وايم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بين لهم آخر الأبد». ذكره ابن جريج، وهو مرسل لا تقوم به حجة. وذكر ابن كثير بنحوه، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. انظر: *تفسير الطبري*، ١/٣٤٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/١١١.

[3] ن – الرسل.

[4] ن م – أنه قال.

[5] م – قد.

[6] ع – بدا.

[7] ع م – معنى البداء بل.

[8] م: التفسير.

[9] وقد ذكر السمرقندي رأي الماتريدي في العموم، فقال: «وقلنا نحن في العموم الذي يمكن العمل بظاهره أنه يجب العمل به، ولا يعتقد فيه لا العموم ولا الخصوص لقيام الاحتمال. والمحتمل يجوز العمل به إذا ترجح، لكن لا يعتقد فيه بأحد الوجهين على اليقين تحرزًا عن الكذب على الله تعالى؛ ولأن هذا يؤدي إلى أن العموم مراد بظاهر الصيغة، ثم صار المقيد بالوصف مرادًا من غير أن تعلق بالأول غرض لضيق الزمان عن الاعتقاد، والتمكن من العمل كان بداءً من الله تعالى ورجوعًا عن الأمر الأول. وهذا فعل من يجهل العواقب، وإن جاز عند التراخي أن يكون نسخا ولا يكون بيانًا، وجاز أن يكون بيانًا. فدل أنه لا يجوز الاعتقاد لظاهر العموم عند النزول» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١ظ).

[10] ن: الكتاب؛ ن هـ: الخطاب.

[11] ن ع م – حتى الخصوص والثاني جواز تأخير البيان على تقدم الأمر به لما ذكرنا أنها لو حملت على العموم.

[12] ن + علوا كبيرا.

ومعنى سؤالهم / بدعاء الرب لهم البيان بما أريد جعل ذلك آية، فوقع عندهم أنْ لا كُلُّ [١٨ظ] بقرةٍ تصلح للآيات،[١] ولذلك[٢] لم يسألوا موسى عن تفسيرها، إذ الله تعالى هو الذي يعلم الآيات. والحرف الثاني هو الأول[٣] الذي قلنا، إليه انصرف المراد في الابتداء لما يوجبه، وأن الأمر بالذبح في الابتداء كان على ما آل أمرها إليه وظهر. لكنهم أمروا بالسؤال عنها والبحث عن أحوالها ليصلوا إلى المراد فيه، لا[٤] أنه أحدث لهم ذلك بالسؤال. وعلى ذلك ما روي في الخبر أن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[٥] أي[٦] لما علم من عبده أنه يصل رحمه جعل مدة عمره أكثر مما لو علم أنه لا يصل، لا أنه يجعل أجله إلى وقت، فإذا وصل رحمه[٧] زاد على ذلك، [و]لا على ما يقوله المعتزلة: إن الله تعالى يجعل لكل أحد أجلين، فإذا وصل رحمه[٨] أماته في[٩] أبعد الأجلين، وإذا لم يصل[١٠] جعل أجله الأول. فهذا أمر من يجهل العواقب. فأما من كان عالمًا بالعواقب فلا، لأنه بدوٌّ ورجوع عما تقدم من الأمر.

ثم من[١١] استدل بهذه الآية بقبول قول أولياء المقتول[١٢] وَهِم لأوجه. أحدها أنه[١٣] لا يقبل قول القتيل قبل خروج الروح منه: إن فلانًا قتلني، [لا] في قطع حق الميراث، و[لا في حق] إغرام الدية.[١٤] والثاني أن ذلك كان آية عظيمة لهم، لم[١٥] يكن ذلك لغيرهم. والثالث أن أولياء المقتول قد كانوا قبل أن يحيي يدَّعون عليهم القتل، فلو[١٦] كان لهم حق القبول لم يُحْتَج إلى تلك الآية.

---

[١] ك: الآيات.
[٢] ع: كذلك.
[٣] أي البقرة المقيدة هي نفسها البقرة المطلقة المذكورة أولاً.
[٤] ن ع م: إلا.
[٥] مسند *أحمد ابن حنبل*، ١/١٩٠؛ وصحيح *البخاري*، الأدب ١١؛ وسنن *أبي دواد*، الزكاة ٤٥.
[٦] ع م – أي.
[٧] ع – فإذا وصل.
[٨] ع م – رحمه.
[٩] ع – في.
[١٠] ع – يصل.
[١١] ن م – من.
[١٢] «أي قول من يستند في حكمه إلى أن الله حكم بقبول قول القتيل بعد الإحياء، والولي نائب عنه فيجب أن يقبل قوله» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣١ظ).
[١٣] جميع النسخ: ما.
[١٤] فكذلك حكم قول الولي النائب عنه.
[١٥] ع: ما.
[١٦] ع + لا.

والرابع أن قبول قول الميت أحق من قبول قول الولي، لأن الولي ينتفع بقوله، والميت لا ينتفع بقوله شيئًا.[1] ثم القتيل لا يقبل قوله في شريعتنا، فكذلك[2] الولي. *والله الموفق*.

ثم وجه حكمة[3] جعل البقرة آية دون غيرها من البهائم وجهان. أحدهما ما روي أن رجلاً كان بارًّا بوالديه، محسنًا[4] إليهما، عاطفًا[5] عليهما،[6] وكانت له بقرة على تلك الصفة والشبه. فأراد الله عز وجل أن يوصل إليه في الدنيا جزاء ما كان منه بمكان والديه.[7] والثاني أنهم كانوا يعبدون البُقُور[8] والعَجَاجيل، وحُبِّب ذلك إليهم، كقوله: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ،[9] ثم تابوا وعادوا إلى عبادة الله وطاعته، فأراد الله أن يمتحنهم بذبح ما حبب[10] إليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة، وانقلاع ما كان في قلوبهم من حب البقور[11] والعجاجيل. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾[٦٨]

وقوله: **لا فارض**، يقول: ليست بكبيرة؛ **ولا بكر**: ولا شابة،[12] **عوان بين ذلك**: بين الشابة والكبيرة.[13] وقيل: **لا فارض**: لا كبيرة[14] على ما ذكرنا، **ولا بكر**:[15] ولا ما تلد،

[1] ع - والميت لا ينتفع بقوله؛ م - والميت لا ينتفع بقوله شيئًا.
[2] ع: فلذلك.
[3] ك - حكمة.
[4] جميع النسخ: محسن.
[5] ك: معطفًا.
[6] ع م: إليهما.
[7] قال المفسر ابن كثير رحمه الله: «وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي وغيرهم في اختلاف. والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا نصدق ولا نكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا. والله أعلم». (*تفسير ابن كثير*، ١/١١١).
[8] ع: القبور.
[9] ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ (سورة البقرة، ٢/٩٣).
[10] ن: وجب.
[11] ع: القبور.
[12] م: شبابة.
[13] م: الشبابة والكبيرة.
[14] ن ع: بكبره؛ م: بكبيرة.
[15] ن ع م + أي.

عوان بين ذلك:[١] أي[٢] ولدت بطنًا أو بطنين.[٣]

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[٦٩]

وقوله: **صفراء** ؛ قيل: الصفراء[٤] الذي تضرب إلى السواد، وذلك لشدته. وقيل: الصفراء من الصفرة[٥] المعروف.

وقوله: **فاقع لونها**؛ قيل: صافٍ.[٦] **تسر الناظرين**، تعجب الناظرين. وقيل: **فاقع لونها**، صفراء الظِلْف[٧] والقرن. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾[٧٠]

*وقوله: **وإنا إن شاء الله لمهتدون**؛ إن[٩] قوم موسى، مع غلظ أفهامهم [١٨ظ س٢٥] وورقة عقولهم [كانوا] أعرف بالله[١٠] وأكمل[١١] توحيدًا من المعتزلة. لأنهم[١٢] قالوا: إن شاء الله لكنا من المهتدين. والمعتزلة يقولون: قد شاء الله أن يهتدوا وشاءوا هم أن لا يهتدوا، فغلبت مشيئتهم على مشيئة الله، على قولهم.[١٣] فنعوذ بالله من السرف في القول والجهل في الدين.* [١٨ظ س٢٨]

---

[١] م - ذلك.
[٢] ن ع: قد.
[٣] ع: وبطنين.
[٤] ن م: الصفر.
[٥] جميع النسخ: الصفر.
[٦] ن: صادق.
[٧] ن ع م: الظليف.
* تأويل هذه الآية من أول ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ إلى «والجهل في الدين» جاء بعد تأويل الآية التي بعدها (سورة البقرة ٧١/٢)، فنقلناه إلى هذا المكان كما فعل علاء الدين السمرقندي في شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢و.
[٩] جميع النسخ: وقوم.
[١٠] جميع النسخ: لله.
[١١] ك: وأجهل؛ ن ع م: أجمل.
[١٢] ك ن: لأن هؤلاء.
[١٣] ع م: قلوبهم.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[٧١]

وقوله : **لا ذلول تثير الأرض**؛ قيل: لم يذللها العمل،[١] أي لم يُزرع عليها، ولا هي مما يسقي[٢] عليها الحرث.[٣] وقيل: **لا ذلول تثير الأرض**، أي بقرة وحشية صعبة تثير الأرض، ولكن إثارة الأرض لم تذللها، لصعوبتها وشدتها.

وقوله: **وما كادوا يفعلون**؛ قيل فيه بوجوه. **ما كادوا يفعلون** خوفًا على أنفسهم أن يفتضحوا لظهور القاتل. وقيل: **وما كادوا يفعلون** لغلاء ثمنها. والأول أقرب. *والله أعلم*.

وقيل: إنهم استقصَوْا[٤] في[٥] تلك البقرة والسؤال عن أحوالها؛ والاستقصاء في الشيء ربما يكون للمدافعة.[٦] *والله الموفق*.

وفي قوله: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً،[٧] دليل لأبي حنيفة رضي الله عنه وأصحابه أن من حلف لا يأكل لحم بقرة، فأكل[٨] لحم ثور حَنِث، لأن الله تعالى ذكر البقرة، ثم بيّن في آخره ما يدل أنه أراد به الثور، بقوله:[٩] **لا ذلول تثير الأرض**؛ والثور هو الذي يثير الأرض ويسقي الحرث، دون الأنثى منها. لذلك كان الجواب على ما ذكرنا؛[١٠] إلا أن يكونوا هم كانوا[١١] يحرثون بالأنثى منها، كما يحرث أهل الزمان بالذكر، فحينئذ لا يكون فيه دليل لما ذكرنا. *والله أعلم*.*

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[٧٢]

في الآية دليل مراد الخصوص، وإن خرجت في الظاهر مخرج العموم،[١٣] لأنه قال عز وجل:

---

[١] ك ع : للعمل.
[٢] ن ع م: يبقى.
[٣] ن ع م + أي بقرة وحشية صعبة تثير الأرض ولا تسقي(ن – ولا تسقي) الحرث.
[٤] ع: استفضوا.
[٥] ك + صفة.
[٦] م: للموافقة. أي للمماطلة وعدم قضاءها.
[٧] سورة البقرة، ٦٧/٢.
[٨] ع: تأكل.
[٩] ن: لقوله.
[١٠] ك ن م: ذكر.
[١١] م – كانوا.
* في جميع النسخ جاء هنا تأويل الآية ٧٠، فنقلناه إلى موضعه. انظر: ورقة ١٨ظ/سطر٢٥-٢٨.
[١٣] ك: الخصوص العموم.

قتلتم، وإنما قتله واحد. و[كذلك] قال: **والله مخرج ما كنتم تكتمون**؛ وإنما كان كتمه الذي قتله. لذلك قلنا أن لا نصرف مراد الآية إلى العموم بلفظ العموم، ولا[1] إلى الخصوص بلفظ الخصوص، إلا بعد قيام الدليل والبرهان على ذلك.[2] ***والله الموفق.***

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٧٣]

وقوله: **فقلنا اضربوه ببعضها**؛ قال بعضهم: يعني[3] بفخذها الأيمن، لكن هذا لا يعلم إلا بخبر عن الله تعالى، ولكن يقال: **ببعضها**[4] بقدر ما في الكتاب.

وقوله: **كذلك يحيي الله الموتى**، أي هكذا يحيي الله الموتى من الوجه الذي لا يتوهمون إحياءه:[5] بضرب[6] بعض البقرة عليه. وكذلك قوله: وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذٰلِكَ النُّشُورُ.[7] فكما أحيا الأرض بعد موتها بالمطر المنزل من السماء، يقدر[8] على إحياء الموتى وبعثهم على الوجه الذي لا يظنون ولا يتوهمونه.[9] ***والله أعلم.*** ويحتمل إحياء ذلك القتيل هم لما لم يكونوا اطمأنوا على إحياء الموتى، فأراهم الله[10] عز وجل ذلك ليطمئنوا وليستقروا على ذلك / ولا يضطربوا فيه. ***والله أعلم.*** [١٩و]

ويريكم آياته؛ يحتمل يريكم آيات وحدانيته. ويحتمل يريكم آيات إحياء الموتى وآيات البعث. ويحتمل [يريكم] آياته فيما تحتاجون[11] إليه، كما أرى من تقدمكم عند حاجاتهم.[12] ويحتمل **ويريكم آياته**، آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ هو أخبر[13] عن[14] الغيب،

---

[1] ن: لا.
[2] ع - على ذلك.
[3] ك - يعني.
[4] ع - يقال ببعضها.
[5] م: إحياء.
[6] ن ع: يضرب.
[7] سورة فاطر، ٣٥/٩.
[8] ك: لقد.
[9] ن: لا يتوهمون.
[10] ك ن - الله.
[11] ع م: يحتاجون.
[12] ن: حاجته؛ ع: حاجتكم.
[13] ك ع م: خبر.
[14] ك: من.

وأوضحُ آيات الرسالة الخبر عن الغيب، وذكر القصة على الوجه الذي يعلم أن الاختراع لا يبلغ ذلك، ليعلموا أنه بالله علم؛ إذ[1] لم يذكر له خط كتاب ولا اختلاف إلى من عنده. على أنه لو كان مسموعًا منهم [لكان] يجري[2] على مثله القول بالزيادة والنقصان؛ ولكن منعهم الله تعالى عن ذلك -إذ علموا صدقه- إشفاقًا على أنفسهم أن ينزل عليهم نقمة الله.

وقوله: **لعلكم تعقلون**، لكي تعقلوا آيات وحدانيته، وتعقلوا[3] أنه قادر على إحياء الموتى بعد الموت.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٧٤]

وقوله: **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**؛ ضرب الله لقلوبهم مثلاً بالحجارة، وشبهها بها لقساوتها[4] وشدة صلابتها وأنها أشد قسوة من الحجارة؛ وذلك أن من الحجارة مع صلابتها وشدتها [و]مع فقد أسباب الفهم والعقل عنها[5] وزوال الخطاب منها [ما] تخضع له وتتصدع، كقوله:[6] لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،[7] وقوله: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ،[8] الآية. وقلب الكافر، مع وجود أسباب الفهم والعقل[9] وسعة سببية[10] القبول، لا يخضع له ولا يلين. وكذلك أخبر الله عز وجل عن الجبال أنها تلين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ؛[11]

---

[1] ع م: أنه إذا.
[2] ن ع م: ليجري.
[3] ك: تعقلون؛ ن ع م: يعقلون.
[4] ك ن ع: لتساويها.
[5] ع م – عنها.
[6] ع م – كقوله.
[7] سورة الحشر، ٢١/٥٩.
[8] ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا وخر موسى صعقًا﴾ (سورة الأعراف، ١٤٣/٧).
[9] ك ن – والعقل.
[10] ك: هيئة؛ ن: مسببية؛ ع: سيئة.
[11] سورة القارعة، ٥/١٠١.

وقلب الكافر لا يلين أبدًا. أو أن يقال: إن الله عز وجل[١] جعل من الجبال منافع[٢] للخلق مع صلابتها وشدتها، حتى يتفجر منه الأنهار و[تنبع منه] المياه. وقلب الكافر، مع احتمال ذلك وإمكانه لا منفعة فيه[٣] لأحد. *وبالله التوفيق*.

ثم وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلاً بالحجارة وتشبيهها بها، دون غيرها من الأشياء الصلبة من الحديد والصُفر[٤] وغيرهما، وذلك -والله أعلم- أنّ الحديد تُلِينه[٥] النار، وكذلك الصُفر حتى تضرب[٦] منهما الأواني. والحجر لا تلينه[٧] النار ولا شيء؛ لذلك شبه قلب الكافر بها. وهذا -والله أعلم- في قوم علم[٨] أنهم لا يؤمنون أبدًا.

وقوله: **وما الله بغافل عما تعملون**، خرج[٩] على الوعيد [لهم] أبلغ الوعيد والوعظ، حين ذكّرهم علمه[١٠] بما يعملون.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٧٥]

وقوله: **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**؛ قيل: الآية وإن خرجت على عموم الخطاب، فالمراد منها[١١] الخصوص، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. وإلى هذا يذهب أكثر أهل التفسير. وقيل: إن المراد منها بعموم الخطاب العموم، يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ وكأنها خرجت على النهي عن طمع الإيمان منهم، كأنه[١٢] قال: لا تطمعوا في إيمانهم، كقوله: أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ،[١٣]

---

[١] ع م - الجبال أنها تلين وتخضع لهول ذلك اليوم بقوله وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقلب الكافر لا يلين أبدا أو أن يقال إن الله عز وجل.

[٢] ك ن ع: منافعا.

[٣] ك ن م: منه.

[٤] الصفر: النحاس الأصفر.

[٥] ن ع: يلينه.

[٦] ن ع: يضرب؛ م: بضرب.

[٧] ن ع: يلينه.

[٨] ن ع + الله.

[٩] جميع النسخ: خرجت.

[١٠] م: عمله.

[١١] ن: منه.

[١٢] ع - منهم كأنه.

[١٣] ﴿أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أ فأنت تنقذ من في النار﴾ (سورة الزمر، ١٩/٣٩).

أي لا تنقذ،[1] وكقوله: أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ،[2] أي لا تسمع الصُّم.[3]

وقوله: **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه،** الآية؛ لقائل أن يقول: أي شيء[4] فيما كان -فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه- ما يجب أن يدفع الطمع عن إيمان هؤلاء؟[5]

فهو -والله أعلم- لوجهين. أحدهما أنهم كانوا أصحاب تقليد، كقوله: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ؛[6] فأخبر عز وجل أن هؤلاء، وإن رأوا الآيات العجيبة، فإنهم لا يؤمنون أبدًا، لأنهم[7] أصحاب تقليد، لا ينظرون إلى الحجج والآيات. والثاني أنهم -مع كثرة ما عاينوا من الآيات، وشاهدوا من العجائب في عهد رسول الله موسى[8] صلى الله عليه و سلم- لم يطمع في إيمانهم، فكيف تطمعون[9] أنتم في إيمان هؤلاء وهم أتباعهم؟ *والله أعلم.*[10]

ولهذا وجهان آخران. أحدهما كأنه قال: لا تطمع [يا محمد] في إيمانهم، لأنهم في علم الله على[11] ما عليه مَن ذكر. والثاني لأن أولٰئك كانوا خيرًا من هؤلاء وأرغب في الحق منهم، ثم لم يؤمنوا مع سماع الحجج و[ما] يجب به الإيمان، فكيف تطمع في إيمان[12] هؤلاء؟

وقوله: **ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون** أنه من عند الله، ويعلمون أنه رسول الله، وأنه حق.

---

[1] ع: ينقذ.

[2] ن ع م: الموتى. ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العُميَ ومن كان في ضلال مبين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٤٠).

[3] جميع النسخ: الموتى.

[4] ن ع م: أيش.

[5] لعل عبارة علاء الدين السمرقندي يوضح مقصد الإمام الماتريدي رحمه الله، حيث يقول: «فإن قيل: [إذا كان] تحريف من كان منهم قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم، [ف]من أين يوجد دفع الطمع عن إيمان الموجودين في زمنه؟ قيل من وجهين...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢و).

[6] سورة الزخرف، ٤٣/٢٣.

[7] م: أنهم.

[8] ن ع م - موسى.

[9] جميع النسخ: طمعتم.

[10] ك: الموفق.

[11] م - على.

[12] ع: إيمانه.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٧٦]

وقوله تعالى: **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا**؛ قد ذكرنا فيما تقدم أنها في المنافقين نزلت.[١]

وقوله: **وإذا خلا بعضهم إلى بعض**، يحتمل وجهين. يحتمل خلا بعض المنافقين إلى بعض، **قالوا أتحدثونهم** بكذا؟ ويحتمل خلا المنافقون إلى اليهود.

وقوله: **أتحدثونهم بما فتح الله عليكم**؛ قيل: **فتح الله**،[٢] قص الله. وقيل: **فتح الله** بيَّن الله،[٣] وقيل: **فتح الله**، قضى الله، وقيل: مَنَّ الله عليكم في التوراة. وكله يرجع إلى واحد.

وقوله: **ليحاجوكم به عند ربكم**، أي باعترافكم عند هؤلاء. ويحتمل على إضمار رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه قال: ليحاجوكم بإقراركم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويحتمل على معنى **ليحآجوكم به عند ربكم**، أي في ربكم؛ إذ العرب تستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض. ويحتمل **عند ربكم** ، أي يوم القيامة، ويكون **ليحآجوكم** بما عند الله، أي بالذي جاءكم من عند الله. لكن لقائل أن يقول: ما معنى ذكر المحاجة عند ربكم، والمحاجة يومئذ لا تكون[٤] إلا عنده، ولا تكون[٥] ليحاجوكم [إلا] بما[٦] عند الله، أي بالذي جاءكم من عند الله؟ قيل: لان ذلك أشد إظهارًا[٧] وأقل كتمانًا لما سبق منهم الإقرار بذلك؛ ولذلك[٨] نهوا عن ذلك، لانهم كانوا ينهون أولٰئك عن الإقرار بالإيمان عند المؤمنين، وإظهار ما في التوراة من نعت[٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته.[١٠]

---

[١] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤).
[٢] م – الله.
[٣] ع م – وقيل: فتح الله بين الله.
[٤] ن ع: يكون.
[٥] ن ع م: يكون.
[٦] جميع النسخ: بها.
[٧] ع: إظهارا.
[٨] ك ن: لذلك.
[٩] ك ع م: بعث.
[١٠] «يقول رؤساء اليهود للمنافقين الذين هم من جملة علمائهم: إنكم تحدّثون عند أصحاب محمد أنَ في كتابكم أن محمدا حق بنعته وصفته ثم لا تتبعونه في دينه، فيحتجون عليكم باعترافكم عند ربكم يوم القيامة. فإن قيل: ما معنى تأويل عند ربكم أي يوم القيامة والحاجة في كل حال يكون عند الرب؟ قيل فيه: ولكن رؤساءهم ينهونهم عن الإقرار بما فتح الله عليهم لئلا يحتجوا بذلك عليهم، ويظهرَ كذبهم في دعاويهم. وظهور ذلك ولزوم العار والفضيحة عليهم في القيامة أشد لأنهم في الدنيا ربما ينكرون ما أقروا فلم يظهر كذبهم لا من حيث الحجة والدليل، وفي القيامة يظهر كذبهم بطريق العيان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٢ظ).

وقوله: **أفلا تعقلون** أن هذه حجة لهم[1] عليكم، حيث تعترفون[2] به وتظهرون نعته وصفته، ثم لا تبايعونه.[3] ويحتمل **أفلا تعقلون** أنه حق؟

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٧٧]

وقوله: **أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون**؛ قيل: **ما يسرون** في الخلوة من الكفر به والتكذيب له، **وما يعلنون**[4] لأصحابه من التصديق له والإيمان به. وقيل: **ما يسرون** من كتمان نعته وصفته، **وما يعلنون** من إظهار نعته وصفته الذي في التوراة. ويحتمل ما يسر هؤلاء لهم،[5] من النهي عن إظهار ما في التوراة، وما يعلن هؤلاء للمؤمنين من إظهار نعته وصفته. *والله أعلم*.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٧٨]

وقوله: **ومنهم أميون لا يعلمون**، يقول: من اليهود من لا يقرأ التوراة ولا يعرفها، إلا أن يحدثهم / العلماء والرؤساء عنها. والأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ عن كتابة،[6] لكنه[7] يقرأ لا عن[8] كتابة،[9] كالنبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولا يقرأ عن كتابة، كقوله تعالى: وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ.[10] ويقال أيضًا: [الأمي] الذي لا يقرأ ولا يكتب لا[11] عن كتابة ولا[12] عن غير[13] كتابة. [١٩ظ]

[1] ع: لكم.
[2] ع: يعترفون.
[3] جميع النسخ: لا تبايعوه.
[4] ن ع م: تظهرون.
[5] أي ما يسر الأحبار لسائر اليهود.
[6] ن ع م: كتابه.
[7] ن ع م: لأنه.
[8] ك – عن.
[9] أي لكنه يقرأ عن حفظ.
[10] يقول الله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).
[11] ن: إلا.
[12] ع – لا عن كتابة ولا؛ م – لا عن كتابة و.
[13] ع: ولا غير.

وقوله: **إلا أماني**، قيل: أحاديث باطلة تُحَدَّث[١] لهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. وقيل: **إلا أماني**،[٢] يعني إلا كذبًا.[٣] وقال الكسائي:[٤] **إلا أماني**، إلا تلاوة، كقوله: إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ،[٥] يعني في تلاوته.

وقوله: **وإن هم إلا يظنون** ؛ يقول:[٦] ما هم إلا [في] ظن، يظنون في غير يقين. وأصله: أي لا يعلمون علم الكتاب، إنما عندهم أماني النفس وشهواتها، كقوله: لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ.[٧]

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٧٩]

وقوله: **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم**؛ قيل: الويل الشدة، وقيل: الويل وادٍ في جهنم، وقيل: الويل هو قول كل مكروب وملهوف، يقول:[٨] ويل له بكذا.

وقوله: **يكتبون الكتاب بأيديهم**، يحتمل وجهين. يحتمل **يكتبون**، يمحون نعته وصفته من[٩] التوراة. ويحتمل **يكتبون**، يُحدثون كتابة على خلاف نعته وصفته، **ثم يقولون هذا من عند الله**، فيكون الكتابة في هذا إثباتًا،[١٠] كقوله: كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ،[١١] والمثبَت هو ذلك الملحَق، ليظن أنه كذلك في الأصل.

وقوله: **ليشتروا به ثمنا قليلا**؛ قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٢]

---

[١] ك ع م: يحدث.
[٢] ك: الأماني.
[٣] *تفسير الطبري*، ٣٧٥/١.
[٤] هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الأسدي الكسائي (ت ١٨٩هـ/٨٠٤م)؛ إمام في اللغة والنحو والقراءة. أخباره مع علماء الأدب في عصره كثيرة. وله تصانيف غير قليلة. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٧٢-٧٣؛ *وتاريخ بغداد* للخطيب البغدادي، ٤٠٣/١١؛ *وإنباه الرواة* للقفطي، ٢٥٦/٢-٢٧٤.
[٥] ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ (سورة الحج، ٥٢/٢٢).
[٦] ع: بقولي.
[٧] سورة النساء، ١٢٣/٤.
[٨] ع م + له.
[٩] جميع النسخ: عن.
[١٠] ك: إثبات؛ ن: إثبات الرسالة.
[١١] ﴿أولٰئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ (سورة المجادلة، ٢٢/٥٨).
[١٢] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً﴾ (سورة البقرة، ٤١/٢).

وقوله: **فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**، ذكر لهم ثلاث ويلات: ويل بإحداث كتابة بنعت[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحوه[2] وتغييره. والثاني، بقولهم: هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ. والثالث **وويل لهم مما يكسبون** من المأكلة والهدايا.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨٠] ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨١]

وقوله: **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة**؛ أجمع أهل التفسير والكلام على صرف الأيام المعدودة المذكورة في هذه الآية إلى أيام عبادة العجل. وذلك لا معنى له لوجهين. أحدهما أن هؤلاء[3] لم يعبدوا العجل، وإنما عبد[4] آباؤهم، فلا معنى لصرف ذلك إلى هؤلاء. والثاني، لو صرف ذلك إلى آبائهم الذين عبدوا العجل لم يحتمل أيضًا، لأنهم قد تابوا ورجعوا عن ذلك؛ فلا معنى للتعذيب على عبادة العجل بعد التوبة والرجوع إلى عبادة الله، كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[5] *والله أعلم*.

وتصْرف[6] الأيام المعدودة إلى العمر الذي عصوا [الله] فيه. [وإنما قالوا ذلك] لما لم يروا التعذيب إلا على قدر وقت العصيان والذنب،[7] أو لما لم يكونوا يرون التخليد في النار أبدًا، أو لما هم عند أنفسهم كما أخبر الله عنهم بقوله: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[8] وكقولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.[9] يقولون: إنا لا نُعَذَّب أبدًا، إنما نعذب تعذيبَ الأب ابنه، أو[10] الحبيب حبيبَه،[11] يعذب[ه] في وقت قليل، ثم يرضى [عنه] ويدخل الجنة.

---

[1] ع م: يبعث. أي على خلاف نعته صلى الله عليه وسلم.
[2] ن ع م: ونحوه.
[3] أي الذين قالوا هذه المقالة.
[4] ن: عبدوا.
[5] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[6] ن ع م: يصرف.
[7] ك – والذنب.
[8] سورة البقرة، ١١١/٢.
[9] سورة المائدة، ١٨/٥.
[10] م – أو.
[11] م – حبيبه.

ولكن عقوبة الكفر أبدًا، والتخليد فيها لا لوقت، وكذلك ثواب الإيمان للأبد لا لوقت، لأن من اعتقد دينًا إنما يعتقده للأبد، لا لوقت [دون وقت]. فعلى ذلك [يكون] جزاؤه[١] للأبد، لا للوقت.[٢] وأما من ارتكب ذنبًا من المسلمين بشهوة[٣] تغلبه في وقت فيرتكبه ثم يتركه، فإنما يعاقب -إن عوقب- على قدر ما ارتكب في وقت، لأنه لم يرتكبه للأبد، لذلك افترقا. *والله أعلم*.

وقوله: **قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده**؛ والعهد يحتمل: هل عندكم خبر عن الله تعالى بأنكم لا تُعذبون أبدًا ولكن أيامًا معدودة؟ فإن كان لكم هذا فهولا يخلف عهده.[٤] والثاني،[٥] **أتخذتم عند الله عهدا**، أي [هل] لكم أعمال صالحة عند الله فوعدكم[٦] بها الجنة؟ فهو لا يخلف وعده؛ أي ليس لكم واحد من هذين، لا خَبر عن الله بأنه لا يعذبكم،[٧] ولا أعمال صالحة وعد لكم بها الجنة.

وقوله: **أم تقولون على الله ما لا تعلمون [بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون]**؛ هذا إكذاب من الله عز وجل إياهم بذلك القول، كأنه قال: بل تقولون على الله ما لا تعلمون. ألا ترى أنه قال: **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته**. يقول: **بلى من كسب سيئة** ، يعني شركا، **وأحاطت به [خطيئته]**، أي مات عليها. **فأولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون**، لا يموتون فيها ولا يخرجون منها. وقيل: **وأحاطت به**، بقلبه.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨٢]

وقوله: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات**، الآية؛[٨] قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٩]

---

١ ن ع م: جزاه.
٢ ن ع م: لوقت.
٣ ن: لشهوة.
٤ ن: وعده.
٥ ع + أي.
٦ ن: لكم.
٧ ك: لا يعذبهم.
٨ ن م: لأنه.
٩ انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُم مُعْرِضُونَ﴾[٨٣]

وقوله تعالى: **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل**؛ قد ذكرنا عهد الله وميثاقه أنه يكون على وجهين: عهد خلقة وفطرة، وعهد رسالة ونبوة.[١]

وقوله: **لا تعبدون إلا الله**، يحتمل وجهين. يحتمل: لا تجعلون الألوهية إلا لله.[٢] ويحتمل نفس العبادة، أي لا تعبدون غير[٣] الله من[٤] الأصنام والأوثان وغيرها.

وقوله: **وبالوالدين إحسانا**، برًّا بهما وعطفًا عليهما وإلطافًا لهما وخفض الجناح ولِينَ القول لهما، كقوله : فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ،[٥] الآية؛ وكقوله: وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا.[٦]

فإن قيل: إن الأمر بالإحسان فيما بين الخلق يخرج مخرج الإفضال والتبرع، لا على الوجوب واللزوم؟ غير أن الإحسان يجوز أن يكون الفعلَ الحسن نفسه، كقوله: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.[٧] استوجبوا هذا بالفعل الحسن لا بالإحسان إلى الله تعالى، وفعْل الحسن فرضٌ واجب على كل أحد. والثاني، أن الإحسان إليهم يجوز أن يكون من حق الله عليهم، وحق الله عليهم لازم. وعلى ذلك صلة القرابة والمحارم، والإنفاق عليهم من حق الله عليهم، وهو لازم.[٨]

---

[١] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢٧/٢)؛ وتأويل قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ (سورة البقرة، ٦٣/٢).

[٢] ن ع: الله.

[٣] ع م: إلا.

[٤] ع م: وتعبدوا.

[٥] سورة الإسراء، ٢٣/١٧-٢٤.

[٦] سورة لقمان، ١٥/٣١.

[٧] سورة الأعراف، ٥٦/٧.

[٨] يقول علاء الدين السمرقندي: «فإن قيل: العهد والميثاق سبب الوجوب فيكون البر بالإنفاق والإحسان واجبا على الابن وعليه إجماع الأمة؛ والأمر بالإحسان والبر فيما بين الخلق يكون بطريق الندب والاستحباب، إذ الإحسان من باب التبرع والإفضال، والإفضال لا يحتمل أن يصير لازما واجبا... قال الإمام: والجواب عن هذا من وجهين. أحدهما أن الله تعالى لما أوجب هذا لا يكون تبرعا وإفضالا والتبرع والإفضال إحسان لكن ليس كل إحسان يكون إفضالا، لأن الإحسان هي إتيان فعل الحسن نفسه قال الله تعالى ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ والإحسان =

فهذا ينقض على الشافعي قوله: إنه لا يوجب النفقة إلا على الوالدين، ولا يتكلم في الآباء والأمهات بالقرابة،[١] ولا سُمُّوا بهذا[٢] الاسم؛ فدل أنه أراد به غير الوالدين. *والله أعلم*.

وقوله: **واليتامى والمساكين**، يحتمل[٣] النفل من الصدقة والفرض جميعًا.

وقوله: **وقولوا للناس حسنا**، / يحتمل وجوهًا. يحتمل: لا تكتموا صدق[٤] محمد صلى [٢٠و] الله عليه وسلم ونعته وصفته، ولكن أظهروها. ويحتمل الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله. ويحتمل المراد به الكل، كل شيء وكل قول؛ أي لا تقولوا إلا حسنًا. *والله أعلم*.

وقوله: **وأقيموا الصلاة**، يحتمل الإقرار بها والقبول لها.[٥] ويحتمل إقامتها في مواقيتها بتمام ركوعها وسجودها وخشوعها. ويحتمل أن كونوا في حال تكون[٦] لكم الصلاة والتزكية.

وقوله: **وآتوا الزكاة**، يحتمل الوجوه التي ذكرناها في الصلاة.

وقوله: **ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون**،[٧] الآية ظاهرة.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[٨٤]

وقوله: **وإذ أخذنا ميثاقكم**؛ قد ذكرنا الميثاق والعهد في غير موضع.[٨]

وقوله: **لا تسفكون دماءكم**، يحتمل وجهين؛ أي لا تسفكون دماء غيركم فيسفك دماءكم،

= الذي هو تبرع وإفضال لا يتحقق من العبد في الله وإنما استوجبوا ذلك بإتيان الفعل الحسن وهو مايقبله العقل ويوافقه. فالحسن هو القول لغة والواجب والتبرع من جنس واحد من حيث قبول العقل له وتعلق العاقبة الحميدة به على أن إتيان الفعل الحسن فرض واجب على كل واحد وإنما يرخص بالترك لعذر ولحصول ذلك بغيره. والجواب الثاني أن الإحسان إلى الأب وهؤلاء المذكورين في هذه الآية يجوز أن يكون واجبا حقا لله تعالى عليهم وحق الله لازم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٣و).

[١] ك: فبالقرابة.

[٢] ع م: بهذه.

[٣] جميع النسخ + على.

[٤] جميع النسخ: صفة. والتصويب من *شرح التأويلات*، ورقة ٣٣ظ.

[٥] ع م - ويحتمل المراد به الكل كل شيء وكل قول أي لا تقولوا إلا حسنا والله أعلم وقوله وأقيموا الصلاة يحتمل الإقرار بها والقبول لها.

[٦] ن ع م: يكون.

[٧] ن ع م - وأنتم معرضون.

[٨] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٧)، وتأويل قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾ (سورة البقرة، ٢/٦٣).

فتصيرون كأنكم سفكتم دماءكم. ويحتمل لا يسفك بعضكم دماء بعض، كقوله: فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،[1] أي يسلّم بعضكم على بعض. وذكر نقض العهد في هؤلاء[2] وإن كان في أوائلهم، لوجهين.[3] أحدهما لِما رضي هؤلاء بفعل[4] آبائهم. والثاني بقوله:[5] إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ،[6] الآية.

وقوله: **ولا تخرجون أنفسكم من دياركم**، يحتمل أيضًا وجهين. يحتمل ولا يخرج بعضكم بعضًا. ويحتمل لا تخرجوا غيركم من ديارهم[7] فتُخرَجون من دياركم،[8] على ما ذكرنا في قوله: **لا تسفكون دماءكم**. *والله أعلم*.

وقوله: **ثم أقررتم وأنتم تشهدون**، يحتمل **ثم أقررتم**[9] بالعهد والميثاق، **وتشهدون** أنه[10] في التوراة.

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُم مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٨٥]

وقوله تعالى: **ثم أنتم هؤلاء**، يعني يا هؤلاء، **تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم**،[11] يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهما في قوله: لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ.

وقوله: **تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان**، أي تَعاوَنون عليهم، يعاون بعضكم بعضًا بالإخراج،

---

[1] ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ (سورة النور، ٢٤/٦١).
[2] أي اليهود الموجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
[3] ع م: بوجهين.
[4] م: بقول.
[5] ن ع م: بقولهم.
[6] سورة الزخرف، ٤٣/٢٢.
[7] ع: دياركم؛ ن ع + على ما ذكرنا.
[8] ع – فتخرجون من دياركم.
[9] ع م + وأنتم معرضون.
[10] ع م – أنه.
[11] م – وتخرجون فريقا منكم من ديارهم.

وهو الظلم والعدوان. **وهو محرم عليكم إخراجهم**،[١] أي ذلك الإخراج محرم عليكم.

وقوله: **وإن يأتوكم أسارى تفادوهم**، الآية، وإن كانت مؤخرة في الذكر فهي مقدمة، كأنه قال: لَا[٢] تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ، **وإن يأتوكم أسارى تفادوهم**.[٣]

وقوله: **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**، آمنوا بالمفاداة من الأسارى وكفروا بالإخراج وسفك الدماء. ويحتمل آمنوا[٤] ببعض ما في التوراة وكفروا ببعضها، وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته، إذ لم يكن على موافقة مرادهم. ويحتمل أن فادوا أُسَراهم[٥] من غيرهم، وسَبَوا[٦] ذَرارِي غيرهم.

وقوله: **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا**؛ قيل: الخزي في الدنيا إجلاء بنى النضير من ديارهم وإخراجهم إلى الشام. وقيل: مقاتلة بني قريظة وسبى ذراريهم، وذلك لحرب وقع بينهم. ***والله أعلم***. ويحتمل قوله: **فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا**، ولكن لا تعاقبون في الدنيا، بل تردون إلى أشد العذاب في الآخرة، وإن استوجبوا ذلك في الدنيا؛ كقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،[٧] الآية.

وقوله: **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد، قد ذكرنا ذلك[٨] فيما تقدم.[٩]

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[٨٦]

وقوله: **أولٰئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة**، يحتمل أنهم كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وبعثه. فلما بعث على خلاف مرادهم[١٠] كفروا به.

---

[١] ع م – إخراجهم.
[٢] ن ع م – لا.
[٣] ومعنى ﴿تفادوهم﴾، أي تطلبون الفدية من الأسير الذي في أيديكم من أعدائكم، وكان هذا محرمًا عليهم. انظر: *البحر المحيط* لأبي حيان، ٢٩١/١.
[٤] جميع النسخ: الإيمان.
[٥] م: أساراهم.
[٦] ن ع م: وسبى.
[٧] ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[٨] م – ذلك.
[٩] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفسًا فادّارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ (سورة البقرة، ٧٢/٢).
[١٠] أي بأن لم يكن من أولاد إسحاق.

فذلك اشتراء الحياة الدنيا بالآخرة. ويحتمل ابتداء اختيار الضلال على الهدى والحياة الدنيا على الآخرة من غير أن آمنوا به. ***والله أعلم.***

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[٨٧]

وقوله:[١] **ولقد آتينا موسى الكتاب**، يعني التوراة، وهو ظاهر.

وقوله: **وقفينا من بعده بالرسل**، قيل:[٢] **وقفينا**، أردفنا، وهو من القفا؛ قفا يقفو [قَفْوًا]. قيل أتبعنا رسولاً على أثر رسول،[٣] كقوله: فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا،[٤] واحدًا على أثر واحد.

وقوله: **وآتينا عيسى ابن مريم البينات**، قيل: **البينات** الحجج. وقيل: العجائب التي كانت تجري[٥] على يديه من خلق الطير،[٦] وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وإنباء ما يأكلون وما يدخرون.[٧] وقيل: **البينات**: الحلال والحرام.[٨]

ثم الرسل حفظوا في أنفسهم[٩] حججًا،[١٠] فلم يحتج كل[١١] قول يقولون [أن يكون مستندًا] بدليل وبيان على صدقهم، لأنهم في أنفسهم حجة. وأما سائر الناس[١٢] فليسوا بحجج في أنفسهم،[١٣] فلا بد لكل قول يقولون أن يأتوا [معه] بدليل يدل على صدقهم [فيه]

---

[١] ك م: قوله.
[٢] جميع النسخ: وقيل.
[٣] ك: الرسول؛ ع م + الله.
[٤] ﴿ثم أرسلنا رسلنا تَتْرَى كلما جاء أمةً رسولُها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعدًا لقوم لا يؤمنون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٤٤).
[٥] ع: يجري.
[٦] جميع النسخ: الطين.
[٧] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٩).
[٨] ن: الحرام والحلال.
[٩] ن ع م: في أنفسهم حفظوا.
[١٠] ن ع م: حجج.
[١١] جميع النسخ: إلى كل.
[١٢] ك: الرسل.
[١٣] أي يجوز الكذب عليهم، بخلاف الرسل.

وبيانٍ يُظهر الحق من الباطل، والصوابَ من الخطأ، والصدق من الكذب. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **وأيدناه**، قويناه، **بروح القدس**؛ اختلف فيه. قيل: **روح القدس**: جبريل. وفي الأصل القدس[1] القدوس، لكن طرحت الواو للتخفيف. وتأييده [به] هو أن عصمه وحفظه[2] حتى لم يَدْنُ[3] منه شيطان، فضلا أن يدنو[4] بشيء. *والله أعلم*.

وقيل: **وأيدناه بروح القدس**، يعني بالروح، روح الله. ووجه إضافة روح عيسى إلى الله عز وجل [أن تكون] تعظيمًا له وتفضيلاً.[5] وذلك أن كل خاص أضيف[6] إلى الله أضيف[7] تعظيمًا لذلك الشيء وتفضيلاً له، كما يقال لموسى «كليم الله»، ولعيسى «روح[8] الله»، ولإبراهيم «خليل الله» على التعظيم[9] والتفضيل. وإذا أضيف الجمل[10] إلى الله عز وجل، فإنما يضاف تعظيمًا له عز وجل وتنزيهًا، كقوله: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.[11]

وقوله: **أ فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون**؛ في ظاهر هذه الآية أنهم كذبوا فريقًا من الرسل وقتلوا فريقًا منهم. ويقول بعض الناس: إنهم قتلوا الأنبياء ولم يقتلوا الرسل، بقوله إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا،[12] وبقوله: إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ؛[13] أخبر أنه ينصرهم،[14] ومن كان الله ناصره فهو لا يُقْتل. ومنهم[15] من يقول:

---

[1] ك ع م – القدس.
[2] جميع النسخ: على حفظه.
[3] ك ن: لم يدنوا؛ ع: لم يدنو.
[4] جميع النسخ: يدنوا.
[5] جميع النسخ: وتخصيصًا.
[6] ن ع م: يضيف.
[7] ع م – أضيف.
[8] ك: نجى.
[9] ك ن + له.
[10] ن ع: الحمل.
[11] انظر لهذه الآية في سورة الرعد، ١٦/١٣؛ وسورة الإسراء، ١٠٢/١٧؛ وسورة الكهف، ١٤/١٨؛ وغير ذلك من الآيات الواردة في سور القرآن الكريم. جميع النسخ + أضيف جمل الأشياء إلى الله فهو يخرج على تعظيم الرب تعالى والتبجيل له. ك ن + أضيف ذلك إليه تعظيما وتنزيها والله الموفق والأصل في ذلك أن خاصية الأشياء إذا أضيف إليه أضيف تعظيما لتلك الخاصية وإذا.
[12] ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ (سورة المؤمن، ٥١/٤٠).
[13] سورة الصافات، ١٧٢/٣٧.
[14] ك: ينصره.
[15] ع م – ومنهم.

إنهم قتلوا الرسل والأنبياء.[١] فنقول: يحتمل قوله: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا في رسول دون رسول، فمن نصره الله فهو لم يقتل. أو كان ما ذكر من النصر[٢] لهم كان بالحجج والآيات.

[٢٠ظ] ثم في الآية / دلالة رسالة محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ونبوتِه، لأنه[٣] أخبرهم بتكذيب بعض الرسل وقتل بعضهم، فسكتوا عن ذلك، فلولا أنهم عرفوا أنه رسول[٤] -عُرِف ذلك بالله- وإلا لم يسكتوا عن ذلك.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾[٨٨]

وقوله: **وقالوا قلوبنا غلف**، يعني في أَكِنَّة عليها الغطاء،[٥] فلا نفهم[٦] ما تقول ولا نفقه ما تُحدِّث؛[٧] يدَّعون زوال الخطاب عن أنفسهم كراهية [منهم] لما سمعوا، فأكذبهم[٨] الله تعالى بقوله: **بل لعنهم الله**، أي طردهم الله[٩] لكفرهم[١٠] وعُتُوِّهم وتفريطهم في تكذيب[١١] الرسول واعتنادهم إياه، لا أن[١٢] قلوبهم بمحل لا يفقهون[١٣] [شيئًا] مما[١٤] يخاطبون [به] على ما[١٥] يزعمون، ولكن ذلك لترك التفكر والتدبر فيها.

وقيل في قوله:[١٦] **قلوبنا غلف**، يعني أوعية تفهم وتعي[١٧] ما يقال ويخاطب، ولكن

---

[١] سبق نقاش هذا الموضوع عند تأويل قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق﴾ (سورة البقرة، ٢/٦١).
[٢] ك ن ع: النصرة.
[٣] ن ع: لأنهم.
[٤] م: الرسل.
[٥] ع: ألفاظا.
[٦] ك: تفهم.
[٧] ن: يحدث.
[٨] ع م: وأكذبهم.
[٩] م - الله.
[١٠] ن ع: بكفرهم.
[١١] ع: من تكذيب.
[١٢] ن ع م: لأن.
[١٣] ك ن ع: لا يفهمون.
[١٤] جميع النسخ: على ما.
[١٥] ن ع م: كما.
[١٦] ع م - في قوله.
[١٧] ن: نعي.

لا نفهم[١] ما تقول ولا نفقه[٢] ما تحدث؛ فلو كان حقًّا وصدقًا لفهمنا[٣] ولفقهنا[٤] عليه. يدَّعون [بهذا] إبطال ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وذلك نحو ما قالوا لشعيب: مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ.[٥]

وقوله: **فقليلا ما يؤمنون**، قيل فيه بوجهين. قيل: **فقليلا**، أي بقليل ما يؤمنون من التوراة، لأنهم عرفوا نعته وصفته، وحرفوه فلم يؤمنوا به. وقيل: **فقليلا**،[٦] أي قليلاً منهم يؤمنون بالرسل عليهم السلام.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٨٩]

وقوله: **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم**؛ فلولا أنهم عرفوا أن هذا الكتاب هو موافق لما معهم من الكتاب غير مخالف له، وإلا لأظْهروا الخلاف لو عرفوا ذلك ولتكلفوا[٧] على إطفاء هذا النور ودفعه.[٨] فدل سكوتهم عن ذلك وترك اشتغالهم به[٩] أنهم عرفوا موافقته لما معهم من التوراة؛[١٠] ففيه آية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**؛ **يستفتحون**، يستنصرون،[١١] **على الذين كفروا**، قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم،[١٢] يقولون: اللهم انصرنا بحق نبيك الذي تبعثه. فلما لم يجئ[١٣] على هواهم[١٤] ومرادهم كفروا به؛ **فلعنة الله على الكافرين**.

---

[١] ك: تفهم؛ ع م: يفهم.
[٢] ك ع م: تفقه.
[٣] ك ن: لفهمت؛ ع م: ففهمت.
[٤] جميع النسخ: ولفقهت.
[٥] ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفًا﴾ (سورة هود، ٩١/١١).
[٦] ع م – أي بقليل ما يؤمنون من التوراة لأنهم عرفوا نعته وصفته وحرفوه فلم يؤمنوا به وقيل فقليلا.
[٧] ن ع م: وليكلفوا.
[٨] ن ع م: ورفعه.
[٩] جميع النسخ: بذلك.
[١٠] أي عرفوا أن الآتي به هو النبي الأمي الذي كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤و.
[١١] ن ع م: يستبصرون.
[١٢] ع + كفروا أن يبعث محمد صلى الله عليه و سلم.
[١٣] م: يجيئهم.
[١٤] م: هوائهم.

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٩٠]

وقوله: **بئسما اشتروا به أنفسهم [أن يكفروا بما أنزل الله]**؛ يقول: اشتروا[١] ما به[٢] هلاكهم بما به نجاتهم. وذلك أنهم كانوا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم،[٣] فكان إيمانهم به نجاتهم في الآخرة، فكفروا به، وذلك هلاكهم. *وبالله التوفيق*. وقيل: **بئسما اشتروا به**،[٤] باعوا به أنفسهم بعرض يسير من الدنيا بعذاب في الآخرة أبدًا.

وقوله: **بغيا**، قيل: حسدًا منهم، وذلك أنهم[٥] قد هووا أن يبعث محمد[٦] صلى الله عليه وسلم من أولاد إسرائيل، لأنهم[٧] كانوا أمته. فلما بعث من أولاد إسماعيل عليه السلام، والعرب كانت من أولاده[٨] كفروا به وكتموا نعته حسدًا منهم. **أن ينزل الله من فضله [على من يشاء من عباده]**،[٩] يعني النبوة والكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: **بغيا**، أي ظلمًا؛ ظلموا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم إياه. وقوله: **فباؤوا**، قد ذكرنا فيما تقدم.[١٠]

وقوله:[١١] **بغضب على غضب**، يحتمل وجهين. قيل: استوجبوا الغضب من الله بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على أثر غضب [استوجبوه] بكفرهم بعيسى عليه السلام وبما جاء به. وقيل: إنما[١٢] استحقوا اللعنة على أثر اللعنة،[١٣] بعصيان بعد عصيان، وبذنب على أثر ذنب.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] ع + به نقول ما اشتروا به ما هلاكهم؛ م + به يقول ما اشتروا به هلاكهم.
[٢] ن : به ما.
[٣] أي قبل مبعثه.
[٤] ن ع م – اشتروا به.
[٥] ع م – أنهم.
[٦] ن ع م: محمدا.
[٧] ع: أنهم.
[٨] ك: أمته.
[٩] ن هـ + على من يشاء من عباده.
[١٠] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد... وباؤوا بغضب من الله﴾ (سورة البقرة، ٢/٦١).
[١١] ع: قوله.
[١٢] ك ن – إنما.
[١٣] ن – على أثر اللعنة.
[١٤] ك: الذنب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٩١]

وقوله: **وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله**، على محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، **قالوا نؤمن بما أنزل علينا**، يعني التوراة؛ وهم لم يكونوا آمنوا بالتوراة، لأنهم لو كانوا آمنوا[١] بها لكان في الإيمان بها إيمان بمحمد[٢] صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه، وإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام والرسل، وبجميع ما أنزل عليهم؛[٣] لأن فيها الأمر بالإيمان بجميع الرسل وبكتبهم، لأنه قال: **مصدقا لما معهم** وموافقًا له. فالإيمان بواحد منهم إيمان بجميع الكتب، إذ بعضها موافق لبعض.

وقوله: **ويكفرون بما وراءه**، قيل: وراء التوراة، كفروا بالإنجيل والفرقان. كأنه قال: كفروا بالذي وراءه **وهو الحق**، إذ هما موافقان لما معهم، غير مخالفَين[٤] له. ويحتمل **ويكفرون بما وراءه**،[٥] يعني وراء موسى؛ [أي يكفرون] بعيسى وبمحمد صلوات الله عليهم وسلامه، كأنه قال: من وراءه صلى الله عليه وسلم.

وقوله: **قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين**؛ فإن قالوا: إنا لم نقتل الأنبياء[٦] ونحن مؤمنون. قيل لهم: إنكم وإن لم تتولوا القتل [بأنفسكم] فقد رضيتم بصنيع أولٰئك واتبعتم لهم.[٧] مع ما قد هموا بقتل محمد صلى الله عليه وسلم مرارًا،[٨] ولذلك[٩] أضيف إليهم. وقيل: أخبر عز وجل نبيه سيدنا محمدًا[١٠] صلى الله عليه وسلم غاية سفههم، وعُتُوِّهم ومكابرتهم في تكذيبه.[١١] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود إلى الإيمان به وبما أنزل عليه، فقالوا:[١٢]

---

[١] ع م – بالتوراة لأنهم لو كانوا آمنوا.
[٢] ع م: محمد.
[٣] ع م + عليهم السلام.
[٤] ك ن: مخالف.
[٥] ع م – وهو الحق إذ هما موافقان لما معهم غير مخالفين له ويحتمل ويكفرون بما وراءه.
[٦] أي وإنما قتلهم أسلافنا.
[٧] ك: له.
[٨] ع م – مرارًا.
[٩] ك ن: لذلك.
[١٠] ع م: محمد.
[١١] ن: تكذيب الرسول.
[١٢] ع – دعا اليهود إلى الإيمان به وبما أنزل عليه فقالوا.

ائتنا[١] بالآيات والقُربان،[٢] كما كانت الأنبياء من قبل يأتون بها قومهم. يقول الله عز وجل: قد كانت الأنبياء من قبل تجيء[٣] بما[٤] تقولون إلى آبائكم من الآيات والقربان،[٥] فكانوا يقتلونهم.[٦] فيقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن[٧] قل لهم: لم تقتلون؟[٨] يقول: لم[٩] قتل[١٠] آباؤكم أنبياء الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وقد جاءوا بالآيات والقربان إن كنتم صادقين بأن الله تعالى عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار؛[١١] وقد جاءوا به، فلم قتلوهم؟ فهو-والله أعلم- أنهم أخذوا هذه المحاجة من أوائلهم، وإن علموا بما ظهرت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم،[١٢] أنه مبعوث. وأنتم تقلدونهم، فتقلدونهم[١٣] لو أوتيتم كما قلدتموهم،[١٤] وإن علمتم بما عاينتم أن[١٥] لا حجة لكم. *والله أعلم.*

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٩٢]

وقوله: **ولقد جاءكم موسى بالبينات**، و**البينات** ما ذكرنا فيما تقدم[١٦] من الآيات المعجزة والحجج العجيبة والبراهين الظاهرة على رسالته ونبوته وصدق ما يدعوهم إليه،

---

[١] ع: غاية.
[٢] ك: والقرآن.
[٣] ع: يجيء.
[٤] ك: بها.
[٥] ك: والقرآن.
[٦] ك: يقبلونهم.
[٧] ع م - أن.
[٨] ع: يقتلون.
[٩] م - لم.
[١٠] ع: قبل.
[١١] لعله يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ (سورة آل عمران، ١٨٣/٣).
[١٢] ن ع م: وأنه.
[١٣] جميع النسخ: فيقلدونهم.
[١٤] أي فتقلدون آباءكم رغم ما أوتيتم من البينات كما قلدتموهم قبل مجيئها.
[١٥] ك ن ع: إذ.
[١٦] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾ (سورة البقرة، ٨٧/٢).

مما يدل كله أنه من عند الله. ثم مع ما[1] جاءهم موسى بها عبدوا العجل واتخذوه إلٰهًا وكفروا بالله؛ يُعَزِّي نبيه عليه الصلاة والسلام لئلا يظن أنه أول مكذَّب من الرسل وأول[2] من كُفِر به حتى لا يضيق صدره بما يقولون ويستقبلونه / بما يكره. *وبالله التوفيق*. [وذلك] كقوله: وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ.[3] [٢١و]

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٩٣]

وقوله: **وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة**؛ قد ذكرنا هذا فيما تقدم ما فيه مقنع إن شاء الله تعالى.[4]

وقوله: **واسمعوا**، يحتمل وجهين. يحتمل **اسمعوا**، أي أجيبوا. ويحتمل **اسمعوا**، أطيعوا؛ لكن هذا فيما بين الخلق جائز: السمع والطاعة.[5] وأما إضافة الطاعة إلى الله عز وجل [فإنه] لا يجوز أن يقال: أطاع اللهُ. وأما السمع فإنه يجوز لقوله:[6] «سمع الله لمن حمده».[7]

قَالُوا سمعنا قولك، **وعصينا** أمرك؛[8] لكن قولهم:[9] **وعصينا**[10] لم يكن على أثر قولهم **سمعنا**، ولكن بعد ذلك بأوقات، لأنه[11] قيل: لما أبوا قبول التوراة لما فيها من الشدائد والأحكام، رفع الله الجبل فوقهم،[12] فقبلوا خوفًا من[13] أن يرسل عليهم الجبل، وقالوا: أطعنا؛

---

[1] ن – مع ما.
[2] جميع النسخ: لا أولا.
[3] سورة هود، ١١/١٢٠.
[4] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ (سورة البقرة، ٢/٦٣).
[5] أي جائز في حق الخلق استعمال السمع في الطاعة.
[6] أي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[7] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». (*صحيح البخاري*، الأذان ٥١؛ و*صحيح مسلم*، الصلاة ٧٧).
[8] ع م – أمرك.
[9] ك ن م: قوله.
[10] ع – لكن قولهم وعصينا.
[11] ك: لأنهم.
[12] جميع النسخ: عليهم.
[13] جميع النسخ: عن.

فلما زال[1] الجبل وعاد إلى مكانه، فعند ذلك قالوا: **وعصينا**. وهو كقوله: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ؛[2] فالتولي منهم كان بعد ذلك بأوقات.

وقوله: **وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**، قيل: **أشربوا**، أي جُعل في قلوبهم حب عبادة العجل بكفرهم بالله عز وجل. وقيل: سُقوا حبّ العجل.[3] قيل:[4] إن موسى لما أحرق العجل ونسفه في البحر جعلوا يشربون منه لحبهم العجل. وقيل: لما أحرق ونسف في البحر جعلوا يلحسون الماء حتى اصفرت وجوههم. وقيل: إنهم لما رأوا في[5] التوراة ما فيها من الشدائد قالوا عند ذلك: عبادة العجل علينا[6] أهون مما فيها من الشرائع. وكله يرجع إلى واحد. وذلك كله[7] آثار الحب.

وقوله: **قل بئسما يأمركم به [إيمانكم إن كنتم مؤمنين]**. قيل: قل يا محمد، بئسما يأمركم[8] إيمانكم بالعجل: الكفرُ بالله عز وجل. وقيل: إن اليهود ادعوا[9] أنهم مؤمنون بالتوراة. فقال: **قل بئسما يأمركم [به إيمانكم]**، أي بالتوراة، إذ كفرتم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد وجدتم[10] فيها نعته وصفته.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٩٤]

وقوله: **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت**، وذلك أن أعداء الله تعالى كانوا يقولون: إن الجنة لنا في الآخرة، بقولهم: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[11] وكقولهم:[12] كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا،[13] وكقولهم:

---

[1] جميع النسخ: زايل.
[2] سورة البقرة، ٦٤/٢.
[3] ع م – بكفرهم بالله عز وجل وقيل سُقوا حبّ العجل.
[4] جميع النسخ: وقيل.
[5] ن – في.
[6] ع م – علينا.
[7] ك ن: كل.
[8] ع م + به.
[9] ع: وادعوا.
[10] جميع النسخ: وجدتموه.
[11] سورة البقرة، ١١١/٢.
[12] ك: كقولهم.
[13] سورة البقرة، ١٣٥/٢.

نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ،[١] فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم: إن كانت لكم الدار الآخرة كما تزعمون، وأنكم أبناء الله وأحباؤه[٢] كما تقولون،[٣] **فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**. وذلك أن المرء لا يكره الانتقال إلى داره وإلى بستانه، بل يتمنى ذلك؛ وكذلك المرء لا يكره القدوم على أبيه[٤] ولا على ابنه ولا على حبيبه، ولا يخاف نقمته ولا عذابه، بل يجد عنده الكرامات والأهدايا. فإن كان كما تقولون، **فتمنوا الموت** حتى تنجوا من غم الدنيا ومن تحمل الشدائد التي فيها **إن كنتم صادقين** في زعمكم بأن الآخرة لكم، وأنكم أبناء الله وأحباؤه.

فإن قيل: إنكم تقولون إن الآخرة للمؤمنين، ثم لا أحد[٥] منهم يتمنى الموت إذا قيل له: تَمَنَّ[٦] الموت. فما معنى[٧] الاحتجاج[٨] عليهم بذلك، وذلك على المؤمنين كهو عليهم؟

قيل: لوجهين؛ أحدهما أن المؤمنين لم يجعلوا لأنفسهم من الفضل والمنزلة عند الله[٩] ما جعلوا هم لأنفسهم،[١٠] فكان في تمنيهم صدق ما ادعوا لأنفسهم، وفي الامتناع عن ذلك ظهور صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١١] والثاني، ما ذكرنا أنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وفي تمنيهم الموت ردهم وصرفهم إلى الحبيب والأب الذي ادعوه، ولا أحد يرغب وينفر[١٢] عن حبيبه وأبيه؛ فدل امتناعهم عن ذلك على كذبهم في دعاويهم. *وبالله نستعين*.

---

[١] سورة المائدة، ١٨/٥.

[٢] ع م – فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم إن كانت لكم الدار الآخرة كما تزعمون وأنكم أبناء الله وأحباؤه.

[٣] ع: يقولون.

[٤] ع – على أبيه.

[٥] ك: أخذ.

[٦] ن ع م: تمنى.

[٧] م – معنى.

[٨] م: احتجاج.

[٩] ك ن + على؛ ع: عندهم.

[١٠] يقول السمرقندي: «بل المؤمن غير الأنبياء عليهم السلام –وإن جل قدره– لا يزول عنه خوف الخاتمة. ومن كان قد ابتلى بشيء من الخطايا فهو مفتقر إلى زمان يتدارك فيه الذي فاته؛ فلهذا لا يتمنى المؤمنون الموت. فأما اليهود فقد ادعوا أنهم من أهل الجنة، وليس فيها شيء من الشدة، والدنيا دار شدة وبلية، فلا معنى لامتناعهم عن تمني الموت لو كانوا صادقين في دعواهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٤ظ).

[١١] أي لأنه صلى الله عليه وسلم تحدّاهم بذلك عندما صرحوا بدعواهم تلك.

[١٢] ع م – وينفر.

فإن سألونا عن قوله: **فتمنوا الموت**، أنهم[1] إذا تمنوا ليس كان انقضاء عمرهم بدون الأجل[2] الذي جعل لهم. وفي ذلك تقديم الآجال عن الوقت الذي كان له.[3] وقال[4] تعالى: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[5]

قيل: إن الله علم منهم[6] في سابق علمه وأزليته أنهم لا يتمنون جعل أجلهم ذلك. ولو علم منهم أنهم يتمنون الموت لكان يجعل أجلهم ذلك في الابتداء. وكذلك [يقال] هذا الجواب لما روي أن «صلة الرحم تزيد في العمر»:[7] أنه كذلك يحتمل في الابتداء،[8] لا[9] أن يجعل أجله إلى وقت، ثم إذا وصل رحمه يزيد على ذلك الأجل أو ينقص.[10] فتمنى[11] الموت [لا يؤخر العمر] عن الأجل المجعول المضروب له. ***وبالله التوفيق.***

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٩٥]

وقوله: **ولن يتمنوه أبدا**؛ فيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه أخبر [عن الله] عز وجل أنهم لا يتمنون أبدًا، فكان كما قال. فدلّ أنه من عند الله علم ذلك.

وقوله: **بما قدمت أيديهم**، من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم والحسد له. وهم، والله أعلم، قد عرفوا من[12] صنيعهم وما لهم[13] عند الله من العذاب والجزاء،

---

[1] ع – إنهم.
[2] ك: أجلا.
[3] ن ع م: أجلا.
[4] ع + الله.
[5] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٤). أي فيكون بين الآيتين مناقضة، ويؤدي إلى القول بأجلين على ما هو مذهب المعتزلة. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥و.
[6] جميع النسخ: إن علم الله منهم.
[7] صحيح *البخاري*، الأدب ١٢؛ و صحيح *مسلم*، البر والصلة ١٦، ١٧؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٩.
[8] أي يحتمل كذلك أن الله تعالى علم منه في سابق علمه أنه لا يصل رحمه فيجعل أجله قصيرًا، أو أنه يصل رحمه فيجعل أجله ممتدًا، فهو أجل واحد كذلك.
[9] ن: إلا.
[10] ع: ينقض.
[11] ك: فيتمنى؛ ن ع م: يتمنى.
[12] جميع النسخ: عن.
[13] ك + من.

لكنهم قالوا ذلك على التعنت والمكابرة والسفه؛ لذلك لم يتمنوا[1] [الموت]. *والله الموفق.*

وقوله: **والله عليم بالظالمين**، هو على الوعيد، كقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ [تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ].[2] ويحتمل **عليم بالظالمين**، بما يفضحهم بالحجج ويُظهر كَذبهم في الدنيا، لئلا[3] يظن أحد أنه [خلقهم] عن غفلة بما يعملون، بل[4] خلقهم[5] على علم منه بما يعملون؛ خلقهم ليُعلَم أنه لا لنفع له بخلقهم،[6] وأن ذلك لا يضره.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٩٦]

وقوله: **ولتجدنهم** يعني اليهود **أحرص الناس على حياة**، وعلى كراهية الموت؛ فدل حرصهم على حياة الدنيا انهم كَذَبَة فيما يزعمون ويدّعون.[7]

وقوله: **ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر**، يعني المجوس، أي [و]هم أحرص الناس على حياة الدنيا من المجوس؛ لأن المجوس[8] لا يؤمنون بالبعث و[لا] بالقيامة. وهم يؤمنون بهما؛[9] فهم -مع إيمانهم بالبعث، وتصديقهم بالقيامة- أحرص على حياة الدنيا من المجوس الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالقيامة. وقيل: إنه على الابتداء، ولا يتناق[10] بقول: **ومن الذين أشركوا** -يعني المجوس- **يود أحدهم لو يعمر ألف سنة**، لأنهم يقولون فيما بينهم: **ألف سنة** تأكل النيروز والمهرجان؛ ويقولون[11] بالفارسية:[12] / هزار سال بده.[13] فأخبر الله تعالى أن طول العمر في الدنيا لا ينجيه من العذاب في الآخرة، [٢١ظ]

---

[1] ن: لن يتمنوا.

[2] سورة إبراهيم، ١٤/٤٢.

[3] ك ن: ولئلا.

[4] ك ع م - بل.

[5] ن: خلقهم بل.

[6] جميع النسخ + خلقهم.

[7] ن ع م: يدعون ويزعمون.

[8] م - لأن المجوس.

[9] ك ن: بها.

[10] ك: والايتناف؛ ن: يتناف؛ ع م: يتناف.

[11] ع: يقولون.

[12] أي وهم يقولون على سبيل الدعاء والتحية بينهم.

[13] جميع النسخ: بزه.

ولا يباعده عنه؛ وهو قوله: **وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر**. وهو كقوله: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ.[1]

وقوله: **والله بصير بما يعملون**، هو على الوعيد أيضًا.[2]

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٩٧]

وقوله: **قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا**؛ وذلك أن اليهود قالوا: لو كان الذي ينزل[3] على محمد بالوحي ميكائيل لتابعناه ولآمنا[4] به، لأن ميكائيل هو الذي ينزل بالغيث[5] والرحمة، وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب والشدائد، فهو عدو لنا، لذلك لا نتبعه. وفي جهة العداوة بينهم وبين جبريل وجه آخر، وهو أن قالوا: إن جبريل أُرسل بالوحي والرسالة في أولاد إسرائيل، لكنه أنزلها في[6] أولاد إسماعيل عداوة لنا وبغضًا. لذلك نصبوا العداوة بينه وبينهم -والله أعلم بذلك- فأكذبهم الله تعالى في زعمهم؛[7] فقال: **نزله على قلبك بإذن الله**، لا كما تقول[8] اليهود؛ وما ينزّل من العذاب والشدائد إنما ينزّل بأمره، لا من تلقاء نفسه وذاته.

ثم كان إظهارهم عداوة جبريل لاعتقادهم عداوة الله[9] عز وجل، لكنهم لم[10] يجترئوا[11] على عداوة الله بالتصريح،[12] فدل أنه على الكناية عن عداوة الله تبارك وتعالى. ويدل هذا على أن الروافض طعنوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث طعنوا.[13]

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٢٠٥-٢٠٧.

[2] م - أيضا.

[3] ن ع م: نزل.

[4] جميع النسخ: ونؤمن.

[5] ك ع: الغيث.

[6] م: على.

[7] جميع النسخ: بزعمهم.

[8] ن ع م: يقول.

[9] ع - الله.

[10] ع: لن.

[11] ك: يجرؤا.

[12] جميع النسخ: على التصريح.

[13] يقول علاء الدين السمرقندي: «وهم -يعني اليهود- في هذا كالغرابية من الروافض، طعنوا في جبريل عليه السلام أنه أمر بإنزال الوحي إلى علي رضي الله عنه، فغلط جبريل عليه السلام، لأن عليًا كان يشبه محمدًا شبه الغراب بالغراب، فانزله إلى محمد؛ فأبغضوه وطعنوا فيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك في الحقيقة لاعتقادهم عداوة الله وإنكار ربوبيته» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥و).

وقوله: **فإنه نزله على قلبك بإذن الله**، تقول[١] الباطنية: إن القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحرف التي نقرأها، ولكنه إلهام نزل على قلبه ثم هو يصوره ويرسمه[٢] ذا الحروف ويعبر[٣] به بالمعربة التي نقرأها.[٤] فلو كان على ما يقولون[٥] لزال[٦] موضع الاحتجاج عليهم بما أتى به معجزًا؛ كقوله:[٧] إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ،[٨] إذ[٩] كان لهم أن يقولوا: أنزل[١٠] على لسان العجمي[١١] لكنه غيّر ذلك إلى لسانه.[١٢] وكذلك قوله: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،[١٣] مخافة النسيان والذهاب. وكذلك قوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ؛[١٤] فدلت هذه الآيات[١٥] كلها على بطلان قولهم وفساد مذهبهم[١٦] وبعدهم عن دين الله المستقيم.

وقوله: **وهدى وبشرى للمؤمنين**، هدى من الضلالة، وبشرى للمؤمنين بالجنة.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[٩٨]

وقوله: **من كان عدوا لله وملآئكته ورسله وجبريل**، يحتمل وجهين.[١٧] يحتمل من كان

---

[١] ن ع م: يقول.
[٢] ن: يرسمه.
[٣] ع م + يعربه. قال السمرقندي: «تعلقت الباطنية بقوله ﴿نزله على قلبك باذن الله﴾ وزعمت أن القرآن لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم بالأحرف التي نقرأها نحن ولكنه إلهام، فأما الحروف والألفاظ فإنها تسمع بالآذان وتفهم بالقلوب إلا أن محمدا عليه الصلاة والسلام يصوره بهذه الحروف ويغيره بالعربية التي نقرأها، فكان القرآن هو الباطن دون ظواهر الألفاظ. قال الإمام: قولهم فاسد من وجوه...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٥و-ظ).
[٤] ع: تقرأها. أي مستدلين بقوله تعالى: ﴿نزَّله على قلبك﴾.
[٥] ن ع: تقولون؛ م: نقول.
[٦] ع م: لزوال.
[٧] ن: كقولهم.
[٨] سورة النحل، ١٠٣/١٦.
[٩] ك ع: إذا.
[١٠] ك ع: نزل.
[١١] ن: العجم.
[١٢] جميع النسخ: بلسانه.
[١٣] سورة القيامة، ١٦/٧٥.
[١٤] سورة طه، ١١٤/٢٠.
[١٥] ع: الآية.
[١٦] ك: مذاهبهم.
[١٧] ك - يحتمل وجهين.

عدوا لله أو ملائكته أو رسله.[1] ويحتمل[2] افتتاح العداوة به دون هؤلاء[3] على التعظيم لهم وفضل المنزلة عند الله وحسن المآب لديه، كقوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ؛[4] معنى إضافة ذلك إليه على التعظيم له والإفضال،[5] لا[6] على جعل ذلك لله[7] مفردًا.[8] فعلى ذلك معنى[9] افتتاح العداوة به، على ما ذكرنا. *والله أعلم*.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[٩٩]

وقوله: **ولقد أنزلنا إليك آيات بينات**، ما بيّن فيها من الحلال والحرام، وما يُؤْتى وما يُتّقَى، وما يُنْهَى وما يُؤْمَر. ويحتمل الآيات التي أنزلها عليه لينصر بها على المعاندين له والمكابرين. *والله أعلم*.

٢٢و س ٢٦ * وقوله: **وما يكفر بها [إلا الفاسقون]**، أي وما[11] يكفر بتلك الآيات إلا الفاسقون.[12]

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠٠]

وقوله:[13] **أوكلما عاهدوا عهدا [نبذه فريق منهم]**، يقول: كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم.

---

[1] وبقية كلام الماتريدي موضح في الشرح: «صار كافرًا بالله، والله تعالى عدو للكافرين؛ لأن عداوة الله وحده كفر، واستعمال لفظة الواو مكان [أو] سائغ في اللغة. فإن قيل: إن في ذكر الملائكة غنية عن ذكر جبريل وميكائيل، فإنهما يدخلان تحت اسم الملائكة. قلنا: لا يقال ذلك، فإن في ذكرهما زيادة فائدة، وهو أنه ربما يشكل أن عداوة جميع الملائكة سبب الكفر، دون عداوة الواحد، ويندفع ذلك الإشكال بذكرهما، مع أن في التصريح بالذكر دلالة الخصوص، وفي التكرار دلالة التأكيد» (*شرح التأويلات* ورقة ٣٥ظ).

[2] ك – من كان عدوا لله أو ملائكته أو رسله ويحتمل.

[3] أي بالله تعالى دون الملائكة.

[4] ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤١).

[5] ن ع: لله.

[6] ك – لا.

[7] م – لله.

[8] أي لا على جعل ذلك حقًا لله إذ له ملك السماوات والأرض فكذا هذا.

[9] ن ع م – معنى.

* «وقوله: ﴿وما يكفر بها [إلا الفاسقون]﴾، أي وما يكفر بتلك الآيات إلا الفاسقون.» هذه العبارة وردت في نهاية تأويل الآية ﴿أو كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾، فنقلناها إلى محلها.

[11] ن ع م: ما.

[12] ك – وقوله وما يكفر بها أي وما يكفر بتلك الآيات إلا الفاسقون.

[13] ن: قوله.

يحتمل العهود التي أخذت عليهم في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يكفروا به بعد الإيمان.[١] أو أخذ[٢] عليهم[٣] أن لا يكتموا نعته وصفته الذي في التوراة لأحد، فنبذوا ذلك ونقضوا تلك المواثيق والعهود التي أخذت عليهم.

ثم في الآية دلالة جعل القرآن حجة، لأنه قال: **نبذه فريق منهم**؛ ولو كان في كتبهم ما ادعوا من الحجة والاتباع،[٤] لأتوا به معارضًا لدفع ما احتج به عليهم. فثبت انهم كانوا كَذَبة في دعاويهم حيث امتنعوا عن معارضته.[٥]

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٠١]

وقوله:[٦] **ولما جاءهم رسول من عند الله**، يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم؛ **مصدق لما معهم** من الكتاب، أي نعته الذي كان[٧] في التوراة موافق لمحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: لَمّا جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة، فخاصموه بها،[٨] فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة والقرآن وأخذوا بكتاب السحر الذي كتبه الشياطين. ويحتمل أن محمدًا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم كان موافقًا لما مضى من الرسل غير مخالف لهم، لأن الرسل كلهم آمنوا به وصدق بعضهم بعضًا.

وقوله: **نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم**،[٩] يحتمل كتاب الله[١٠] التوراة، على ما ذكرنا. ويحتمل كتاب الله القرآن العظيم.[١١] ***والله أعلم.***

وقوله: **كأنهم لا يعلمون**، أي يعلمون، ولكن تركوا العمل به والإيمان بما معهم،

---

[١] لأنهم آمنوا بنبي منتظر قبل مبعثه.
[٢] ع: وأخذ.
[٣] أي ويحتمل أن أخذ عليهم.
[٤] أي لو كان في كتبهم أن القرآن ليس بحجة، ولا هو كتاب الله تعالى.
[٥] ك - في دعاويهم حيث امتنعوا عن معارضته.
[٦] ك - وقوله.
[٧] ع م - كان.
[٨] م - بها.
[٩] ن ع م - وراء ظهورهم.
[١٠] ن - يحتمل كتاب الله.
[١١] ك - العظيم.

[فصاروا] كأنهم لا يعلمون؛ [أو] لَمَّا لم ينتفعوا بعلمهم خرج فعلهم [على نهج] فعل من لا يعلم. أخبر انهم نبذوا نَبْذَ من لا يعلم، لا أنهم[1] لم يعلموا، ولكن نبذوه سفهًا وتعنتًا. *والله أعلم*.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١٠٢]

وقوله: **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**، قيل: **ما تتلوا** ما كتبت الشياطين من السحر. وقيل: **تتلوا** من التلاوة. وقيل: ما **تتلو** ما تروي[2] الشياطين من السحر؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنه،[3] وهو يرجع إلى واحد.

والآية[4] في موضع الاحتجاج على اليهود، لأنهم ادعوا أن الذي[5] هم عليه أُخذ عن سليمان عليه السلام؛ فإن كان كفرًا فقد كفر سليمان. فاخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن سليمان ما كفر، ولكن الشياطين كفروا بما علموا الناس من السحر. ويحتمل: لكن أتباع الشياطين كفروا باعتقادهم السحر وعملهم[6] به بتعليم الشياطين، فنسب[7] ذلك إلى الشياطين بما بهم كفروا، كما نسبت عبادة الأصنام إلى الشياطين بما بهم عُبِدوا. *والله أعلم*.

[٢٢و] وروي / عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان[8] يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه؛ فلما مات سليمان أخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرًا وكفرًا وكَذِبًا، فقالوا: هذا الذي كان يعمل به سليمان.

---

[1] ع: لأنهم.
[2] جميع النسخ: يروي.
[3] *تفسير البغوي*، ٩٨/١؛ و*تفسير أبي حيان*، ٣٢٦/١.
[4] ن ع م: ولأنه.
[5] ك: أن النبي صلى الله عليه وسلم.
[6] م: علمهم.
[7] ن ع م: فنسبت.
[8] ن م: فكان؛ ع – وكان.

فأكفره جهال الناس وسَبُّوه، ووقف علماؤهم،[١] فلم يزل جُهَّالهم يسبونه حتى أنزل[٢] عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم: **واتبعوا ما تتلوا الشياطين**، الآية.[٣]

وقال بعضهم: إن الشياطين ابتدعت كتابًا من السحر والأمر العظيم، ثم أفشته في الناس وعلمته إياهم؛ فلما سمع بذلك سليمان تَتَبَّع تلك الكتب، فدفنها تحت كرسيه كراهية أن يتعلمها الناس. فلما قُبض نبي الله[٤] سليمان عليه السلام، عمدت الشياطين إلى تلك الكتب فاستخرجتها من مكانها، وعلموها الناس، وأخبروهم أنه علمُ كان سليمان يكتمه ويستأثره. فعذر الله نبيه سليمان،[٥] وبرأه من ذلك على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر**،[٦] الآية.

وقيل: أيضًا: لما مات سليمان عليه السلام وقع في الناس أوصاب وأوجاع، فقال الناس: لو كان سليمان عليه السلام حيًّا[٧] لكان[٨] عنده من هذا[٩] فَرَج، فظهرت[١٠] الشياطين لهم،[١١] فقالوا: نحن ندلكم على ما كان[١٢] يعمل به سليمان عليه السلام، فكتبوا كتبًا، فجعلوها في البيوت،

---

[١] أي اجتنبوا عما فعله جهال الناس.

[٢] ن ع + الله.

[٣] *تفسير الطبري*، ١/٤١٩؛ و*تفسير ابن عطية*، ١/٣٦٧.

[٤] ن: الله نبيه.

[٥] ع م – من مكانها وعلموها الناس وأخبروهم أنه علم كان سليمان يكتمه ويستأثره فعذر الله نبيه سليمان.

[٦] ن هـ، م هـ (مع بعض اختلاف): وقيل معنى السحر الإزالة وصرف الشيء عن وجهه. تقول العرب: ما سحرك عن كذا؟ أي ما صرفك عنه؟ فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه. هذا أصله من حيث اللغة. وأما حقيقته فقد قيل: إنه عبارة عن التمويه والتخييل. ومذهب أهل السنة أن له وجودًا وحقيقة؛ والعمل به كفر. وذلك إذا اعتقد أن الكواكب هي المؤثرة في قلب الأعيان. وروي عن الشافعي رحمه الله أنه يخيل ويمرّض وقد يقتل، حتى أوجب القصاص على من قَتل به. وقيل: إن السحر يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الإنسان على صورة الحمار، والحمار على صورة الكلب، وقد يطير الساحر في الهواء. وهذا القول ضعيف عند أهل السنة، لأنهم قالوا: إن الله تعالى هو الخالق الفاعل لهذه الأشياء عند عمل الساحر لذلك، لا أن الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها. والأصح أن السحر تخييل، ويؤثر في الأبدان بالأمراض والجنون والموت. ويدل على ذلك أن للكلام تأثيرًا في الطبائع، فقد يسمع الإنسان ما يكره فَيُحَمّ؛ وقد مات قوم بكلام سمعوه. فالسحر بمنزلة العلل في الأبدان. انظر: *لباب ابن خازن*، نسخة نور عثمانية، ورقة ٢٢ظ.

[٧] ن – حيا.

[٨] ع م – لكان.

[٩] ن ع م – من هذا.

[١٠] ن ع م: وظهرت.

[١١] ع م – لهم.

[١٢] ن – كان.

فاستخرجوا الكتب التي كتبت لهم الشياطين من السحر والسجع، فقالوا: هذا ما كان يعمل به سليمان عليه السلام ، فأنزل الله عز وجل: **وما كفر سليمان.**[1]

فلا ندري كيف كانت القصة؛ غير أن اليهود تركت كتب الأنبياء والرسل، واتبعوا كتب الشياطين وما دعوهم إليه من السحر والكفر. ***وبالله التوفيق.***

وفيه[2] دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بما أخبرهم عن قصتهم على ما كان،[3] فدل أنه كان عرف ذلك بالله عز وجل. وفي ذلك أن قد نُسب إلى سليمان عليه السلام ما برّأه الله عنه[4] من غير أن يبين ماهيته.[5] ذكره الله عز وجل لوجهين: دلالةً لرسوله، وتكذيبًا للذين نحلوه[6] بما هو كفر.

وقوله: **على ملك سليمان**، أي في ملكه، إذ[7] كان ذلك الوقت هو وقت ظهورهم، ثم سخرهم الله[8] عز وجل لسليمان، فأمكن ذلك منهم، ألقاه على ألسن المعاندين لسليمان في السر، فرووه عنه بعد الوفاة،[9] فكذبهم الله عز وجل وبرأ نبيه عليه السلام عن ذلك، وبين كيف كان بدؤه. فإنما بينها للخلق لئلا يتبعوا في الرواية كلَّ من لقي النبي،[10] إذ قد يكون من أمثالهم اختراع الرواية، وإلزام السامعين الأمور المعتادة من الرسل، ورد ما لا يوافق ذلك من الرواية. ولذلك أبطل أصحابنا خبر الخاص فيما يبلى به العام.

وقوله: **وما أنزل على الملكين [ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر]**،[11] قيل: **وما أنزل** على النفي والجحد، معطوفًا على قوله: **وما كفر سليمان**. وقيل: **وما أنزل على الملكين ببابل**: والذي أنزل على الملكين ببابل.[12]

---

[1] ن ع م + الآية.
[2] أي وفي قول الله تعالى هذا.
[3] ن: دل.
[4] ع م – عنه.
[5] ع م: ما نيته.
[6] ك: يخلوه؛ ن ع: بخلوه.
[7] ن ع م: إذا.
[8] ع م – الله.
[9] ع م: الوفات.
[10] ن: السيئ؛ ع م: الشيء.
[11] ن هـ: ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.
[12] ع م – والذي أنزل على الملكين ببابل.

وقيل: سميت[١] بابل لما تبلبلت به الألسن، يعني اختلفت.[٢] فلا يعلم ذلك إلا بالسمع.

ثم اختلف في هاروت وماروت. فقال الحسن: لم يكونا ملكين، ولكنهما كانا رجلين فاسقين متمردين.[٣] وذلك أن الله عز وجل وصف ملائكته بالطاعة له والائتمار بأمره، بقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ،[٤] الآية، وكقوله: لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ،[٥] الآية. وكذلك يقول الحسن في إبليس:[٦] إنه لم يكن من الملائكة. وقد ذكرنا هذه المسألة فيما[٧] تقدم.[٨] ثم عارض نفسه بقولهما: **فلا تكفر**، فقال: إن المخبِر بمثله[٩] إذا عرف وُلوع السامع به،[١٠] وبما يعرض[١١] مثله -على العلم منه أنه يفعل ولا يرتدع عن ذلك- يقال ذلك له[١٢] ترغيبا منه.[١٣] ***والله أعلم***.

ومنهم من يقول: كانا مَلَكين، لكنهما علما الاسم الأعظم فيقضان به الحوائج إلى أن حل بهما ما حل. وبهذا يحتج في بَلْعَم[١٤] بقوله: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ،[١٥] الآية.

---

[١] ن ع م: سمي.

[٢] تَبَلْبَلت الألسن: اختلطت. والبَلْبَلة: اختلاط الألسنة (*لسان العرب*، «بلل»).

[٣] وهذا يستند على قراءة «ملكين» بكسر اللام، يعني رجلين من بني آدم. انظر: *تفسير الطبري*، ٤٥٩/١؛ *وتفسير القرطبي*، ٥٢/٢؛ و *تفسير ابن كثير*، ١٣٨/١.

[٤] سورة التحريم، ٦/٦٦.

[٥] سورة الأنبياء، ٢٧/٢١.

[٦] ع م – إبليس.

[٧] ع: بما.

[٨] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ (سورة البقرة، ٣٤/٢).

[٩] ك ن: عن مثله.

[١٠] ن م: له.

[١١] ك: يعترض.

[١٢] ع م – له.

[١٣] يقول علاء الدين السمرقندي: «تأول الحسن قولهما: ﴿فلا تكفر﴾ على أن ذلك منهما مبالغة في الاستدعاء إلى تعلم السحر، لا زجرًا ولا منعًا، جريًا على ما يفعله غلاة الأشرار، فإنهم متى علموا من إنسان ولوعه من قبيح من الأمور القبيحة، وميلانَ طبعه إليه جعلوا يمنعونه عن ذلك، ويقولون: لا تتبعنا فإنه سبب الفساد، قصدًا منهم بذلك إلى إغرائه عليه، فإن الممنوع عن الشيء وَلوع عليه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٦و).

[١٤] بلعم بن باعور، أو بلعم بن باعوراء، يروى أنه كان رجلا صالحا مجاب الدعوة ثم ارتد عن دين الحق، ففيه أنزلت قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ الآية. انظر: *تاريخ الطبري*، ٢٥٨/١-٢٥٩؛ *وتفسير الطبري*، ١١٩/٩؛ و Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Ansiklopedisi(DİA)، «Bel'am b. Bâûrâ»، ٣٨٩/٥-٣٩٠.

[١٥] ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ (سورة الأعراف، ١٧٥/٧).

ثم اختلف بعد هذا على أوجه. قال بعضهم: لم يكن ذلك منهما سحرًا،[١] بل هو تعويذ[٢] الفرقة[٣] يُقدَر عليه.[٤] وقال قائلون: إن ما أنزل[٥] على الملكين أنزل كلامًا حسنًا صوابًا، لكنه خُلط بالذي لقّنهم الشيطان فصار سحرًا. وقال آخرون: بلى كان هو في نفسه سحرًا[٦] يعلّمان الناس ذلك، لكنه لا يُنهَى عن تعليمه ولا يكفر الذي[٧] يتعلمه؛[٨] إنما ينهى عن الاعتقاد له، فكان كالكفر. [ف]الذي يُعلِّم لا ينهى عن ذلك، لأنه ما لم يُعلَّم لم يُعلَم قبحه وفساده، ولكن إنما ينهى عن الاعتقاد[٩] في تعلمه. *والله أعلم*.

ثم نقول: إن قولهما **لا تكفر**، على الاختيار[١٠] منهما،[١١] وكلمة السحر جارية[١٢] عليهما[١٣] في اللسان،[١٤] من غير صنع لهما فيه. *والله أعلم*.

وقوله: **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**، قيل: إلا بعلم الله وقضائه.[١٥] وقيل: بخذلانه وتخليته.[١٦] وقيل: بمشيئة الله وإرادته.[١٧] وأما ظاهر الإذن فهو يخرج على الإباحة، فالعقل يدفعه. وقيل: إنه لا يصل إلى هاروت وماروت أحد من بني آدم، وإنما يختلف بينهم شيطان في كل مسألة. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: سحر.
[٢] لعله يريد: تعويذ ينشئ الفرقة.
[٣] ع - الفرقة.
[٤] أي يقدر عليه من يسعى لمباشرته.
[٥] ع: وما أنزل؛ م: ما أنزل.
[٦] جميع النسخ: سحر.
[٧] ن ع م: التي.
[٨] ك: تعلم؛ ن ع م: يعلم.
[٩] ك + له، فكان كالكافر الذي.
[١٠] ج: اختيار.
[١١] ع م - منهما.
[١٢] جميع النسخ: جار.
[١٣] ع م - عليهما.
[١٤] أي جارية على لسان الملكين.
[١٥] ع م: بقضائه.
[١٦] م: وتخيله.
[١٧] ذكره الواحدي منسوبًا إلى المفسرين، قالوا: الإذن هاهنا إرادة التكوين، أي لا يضرون بالسحر إلا من أراد الله أن يلحقه ذلك الضرر. انظر: *تفسير الواحدي*، ١/١٢٢.

ثم السحر يكون على وجهين:[١] سحر يكفر به صاحبه؛[٢] فإن كان ذلك منه بعد الإسلام يقتل[٣] به صاحبه، لأنه ارتداد منه. وسحر لا يكفر به صاحبه،[٤] فلا يقتل به إلا أن يسعى في الأرض بالفساد مِن قتل الناس وأخذ الأموال، فهو كقاطع الطريق يحكم بحكمهم[٥] من القتل وسائر العقوبات؛ وإذا تاب قبلت توبته. ألا ترى أن سحرة فرعون لما رأوا الآيات آمنوا بالله تعالى وتابوا توبة لا يُطمَع [في] مثل[٦] تلك التوبة من المسلم الذي نشأ على الإسلام، حيث أوعدهم فرعون بقطع الأيدي[٧] والأرجل والصلب وأنواع العذاب،[٨] فقالوا: لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ.[٩]

وذكر عن أبي حنيفة رضي الله عنه في الساحرة أنها لا تقتل،[١٠] مرة؛[١١] وذكر عنه مرة أنها تقتل.[١٢]

---

[١] ع ه، م ه: والسحر على قسمين. أحدهما يكفر به صاحبه، وهو أن يعتقد أن القدرة لنفسه، وذلك هو المؤثر، أو يعتقد أن الكواكب هي المؤثرة الفعالة. فإذا انتهى به السحر إلى هذه الغاية صار كافرًا بالله، ويجب قتله، لما روي عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حد السحر ضربة بالسيف»، أخرجه الترمذي. والقسم الثاني من السحر هو التخييل الذي يشاكل النيرنجات والشعبذة، ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة، ولا أن الكواكب هي المؤثرة. ويعتقد أن القدرة لله تعالى، وأنه هو المؤثر. فبهذا القدر لا يكفر به صاحبه، ولكنه معصية، وهو من الكبائر، ويحرم فعله. فإن قتل بسحر قتل قصاصًا لما روي عن مالك، بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دونها، فأمرت بها فقتلت. أخرجه في *الموطأ*. انظر: *لباب ابن خازن*.

[٢] يقول السمرقندي: «وهو ما يتضمن إنكار ركن من أركان الإسلام ورده» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[٣] ن ع م: فقتل.

[٤] «والسحر الذي لا يكفر به صاحبه هو ما يتحقق بدون ارتكاب شيء من الكفر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[٥] ن: بحكم يحكمهم.

[٦] ن – مثل.

[٧] ن: الأيد؛ ع م: الأبد.

[٨] ﴿وأُلقِيَ السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لَأُقَطِّعَنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أجمعين قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٢٠-١٢٦). وانظر كذلك: سورة طه، ٢٠/٧٠-٧٦؛ وسورة الشعراء، ٢٦/٤٧-٤٩.

[٩] سورة الشعراء، ٢٦/٥٠.

[١٠] ع: تقبل.

[١١] قال السمرقندي: «وهي محمولة على ما إذا لم يكن سحرها قاتلًا فلا تقتل، وإن كان سحرها موجبًا للكفر، لأن ردة الأنثى لا توجب القتل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[١٢] قال السمرقندي: «وهي محمولة على ما إذا قتلت بسحرها فتكون ساعية في الأرض بالفساد فتقتل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[٢٢ظ] وقال في الساحر[1] بالقولين. فأما[2] ما روي عنه[3] / بالقتل بعمل السحر فهو على ما ذكرنا من قتله الناس بالسحر، فهو كالساعي في الأرض بالفساد، لا بعين[4] السحر؛ أو كفر بسحره بعد الإسلام، فيقتل كالمرتد عن الإسلام. وما ذكر عنه أنه لا يقتل، فهو إذا لم يكن سحره سحر كفر، ولا[5] يسعى بالفساد[6] في الأرض، فلم[7] يقتله به.[8]

ثم قوله[9] في الساعي[10] في الأرض بالفساد:[11] إنه إذا تاب قبل أن يُقدَر عليه سقط عنه القتل، فكذا الساحر. وأما الذي هو لأجل الكفر فيلزم[12] القتل [فيه] قبل التوبة [و]بعد القدرة عليه. وعلى هذا يخرج قوله في الساحرة أيضًا. ففيما قال: إنها لا تقتل، [فذلك] لما كان سحرها سحر كفر، والنساء لا يقتلن للكفر. وفيما قال: يقتلن، فلأنهن يقتلن للسعي في الأرض بالفساد كالرجل. *والله أعلم*.

وقال بعض الناس: لا تقبل[13] توبة الساحر، وهو غلط؛ وأحق من يقبل توبته الساحر، إذ هو أبلغ في تمييز[14] ما هو حجة مما ليس بحجة.[15] وهذا هو الأصل، أن المدعي لشيء على عهد الأنبياء إذا استقبلهم بمثله الأنبياء عليهم السلام، فهو أحق من يلزمهم الإيمان به لعلمهم بالحق منه. والعوامّ منهم[16] لا يعرفون إلا ظاهر ما يلزمهم من تصديق الحجج.[17] *والله أعلم*.

---

[1] ن: بالساحر.
[2] ع م: وأما.
[3] ن ع م + فيه.
[4] ع: بغير.
[5] ن: لا.
[6] جميع النسخ: بالقتل.
[7] ن ع: لم.
[8] ن – به.
[9] أي قول أبي حنيفة.
[10] ع: الساحر.
[11] م – لا بعين السحر أو كفر بسحره بعد الإسلام فيقتل كالمرتد عن الإسلام وما ذكر عنه أنه لا يقتل فهو إذا لم يكن سحره سحر كفر ولا يسعى بالفساد في الأرض فلم يقتله به ثم قوله في الساعي في الأرض بالفساد، صح هـ.
[12] ك ن م: يلزم.
[13] ع م: لا يقبل.
[14] ك ع م: تميز.
[15] جميع النسخ: لا حجة.
[16] م – منهم.
[17] م: الحج. «أي هم قلّما يميزون بين الحجة وما ليس بحجة؛ ثم يصح منهم الإيمان ويقبل منهم، فهذا أولى. ألا ترى أن سحرة فرعون لما رأوا الآيات آمنوا بالله تعالى، وتابوا توبة لا يُطمَع في مثلها من المسلم الذي نشأ على الإسلام، حيث أوعدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب وأنواع العذاب، فقالوا: ﴿لا ضَير إنا إلى ربنا منقلبون﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

وقوله: **ويتعلمون ما يضرهم** في الدنيا **ولا ينفعهم** في آخرتهم.

وقوله: **ولقد علموا**، يعني اليهود في التوراة، **لمن اشتراه**، يعني اختاره للسحر.[١] وقيل **يتعلمون ما يضرهم** في آخرتهم، ولا ينفعهم إن[٢] علموه. **ولقد علموا لمن اشتراه**، يقول: لقد علمت اليهود أن في التوراة آية لِمن اختار السحر.[٣] **[ما له] في الآخرة من خلاق**، يقول: نصيب في الثواب. وقيل: **ما له في الآخرة**، أي ما له عند الله[٤] وجه.

وقوله:[٥] **ولبئس ما شروا به أنفسهم [لو كانوا يعلمون]**، أي بئس ما باعوا به أنفسهم،[٦] يعني اليهود الذين يعلمون الفرقة والسحر. وقيل: **ما شروا به**، يقول: ما باعوا به أنفسهم من السحر والكفر، يعني من لا يقرأ التوراة، أو يعني أن لو كانوا يعلمون ما باعوا به أنفسهم،[٧] ولكنهم لا يعلمون؛ أي لو علموا أنهم[٨] باعوا أنفسهم من العذاب الدائم لعلموا أنهم بئس ما باعوا به.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١٠٣]

[قوله]: **ولو أنهم آمنوا** بتوحيد الله، **واتقوا** الشركَ والسحر،[٩] **لمثوبة [من عند الله خير]**؛ يقول: لو كان ثوابهم[١٠] عند[١١] الله،[١٢] لكان[١٣] خيرًا[١٤] من السحر والكفر، **لو كانوا يعلمون**. ولكنهم لا يعلمون[١٥] علم الانتفاع به، وهو كقوله: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ.[١٦] ليسوا بصم ولا بكم

١ ن ع م: في السحر.
٢ ع: أي.
٣ ن ع م + وقوله.
٤ ن + ماله.
٥ ك: قوله.
٦ ع – أي بئس ما باعوا به أنفسهم.
٧ ع م – من السحر والكفر يعني من لا يقرأ التوراة أو يعني أن لو كانوا يعلمون ما باعوا به أنفسهم.
٨ ن ع م + هم.
٩ ع م – والسحر.
١٠ ع + يقول لو كان ثوابهم.
١١ ن ع م: يقول.
١٢ ن م – الله.
١٣ ن م + ثوابهم عند الله.
١٤ ع م: خير.
١٥ ع – ولكنهم لا يعلمون.
١٦ ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧١).

ولا عمي في الحقيقة، ولكنهم صم من حيث لا ينتفعون به، إذ الحاجة من العلم والبصر والسمع الانتفاع به.[١] فإذا ذهبت المنافع بها،[٢] فكان كمن لا علم معه، ولا بصر له، ولا سمع، حيث لا ينتفع ولا يعمل[٣] به. *والله أعلم*.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٠٤]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا**. قيل: كانت الأنصار في الجاهلية يقولون هذا[٤] لرسول[٥] الله صلى الله عليه وسلم، فنهاهم الله تعالى أن يقولوها. وقيل: كانت اليهود تقول[٦] للنبي صلى الله عليه وسلم: **راعنا** من الرُّعونة، من قولك للرجل: يا أَرْعَن،[٧] وللمرأة: يا رَعْنَاء.[٨] وكان الحسن يقرؤها رَاعِنًا بالتنوين.[٩] وقال الكلبي: كان في[١٠] كلام اليهود رَاعِنَا سبًّا قبيحًا، يسب بعضهم بعضًا، وكانوا يأتون محمدًا صلى الله عليه وسلم، فيقولون: رَاعِنَا، ويضحكون، فنهى[١١] المؤمنين عن ذلك خلافًا لهم.

---

[١] ن ع م – به.

[٢] ن م: بهما.

[٣] جميع النسخ: ولا عمل.

[٤] «كانت الأنصار يقولون في بداية الإسلام: "يا رسول الله رَاعِنا سَمْعَكَ"، وكان هذا كلاما للعرب فيما بينهم، يقول الرجل لصاحبه: "أَرْعِنِي سَمْعَكَ". وكان "راعنا" بلسان اليهود سبا قبيحا يسب بعضهم بعضا يقول: "اسمع لا سمعتَ". فلما سمعته اليهود من الأنصار قال بعضهم لبعض: "كنا نسبّ محمدا سرا فيما بيننا فالآن أعلنوا له بالشتم". وكانوا يأتونه ويقولون: "يا محمد رَاعِنا سَمْعَكَ"، ويريدون به الشتم ويضحكون من ذلك. فسمعها منهم سعد بن معاذ الأنصاري، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: "يا أعداء الله! عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لإن سمعتُها من رجل يقولها لرسول الله بعد هذا المجلس لأضربَنَّ عنقه". فقالت اليهود: أ ولستم تقولونها له"، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ أي لمحمد صلى الله عليه و سلم، فيصير كأنكم تقولون بلغة اليهود "اسمع لا سمعت" وإن لم يكن بلغة العرب سبا، صيانة له عليه السلام عن شبهة الشتم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[٥] ن: الرسول.

[٦] ك – تقول؛ ن: يقول.

[٧] ع: راعن.

[٨] ك ع: رعنى. وفي *لسان العرب* لابن منظور: رجل أَرْعَنُ وامرأة رَعْناء بَيِّنا الرُّعُونة، أي الحمق والاسترخاء «رعن».

[٩] يقول الطبري: «وقد حكي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه «راعنًا» بالتنوين، بمعنى "لا تقولوا راعنًا" من الرعونة، وهي الحمق والجهل، وهذه القراءة مخالفة لقراءة المسلمين، فغير جائز لأحد القراءةُ بها لشذوذها وخروجها عن قراءة المتقدمين والمتأخرين، وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين» (*تفسير الطبري*، ٤٧٢/٢).

[١٠] ع: من.

[١١] ن ع م: فينهى.

وقوله: **وقولوا انظرنا**، قيل: فهِمنا؛ يقول: بيِّن لنا. وقال مقاتل:[١] أي اقصدنا.[٢]

وقيل: إن الأمر بالنظر[٣] يقع موقع التشفع[٤] لوجهين: بالصحبة مرة، وبالخطاب ثانيًا؛ فقولهم: **انظرنا**، لما لا يبلغ أفهامنا القدر الذي يعني ما يخاطبنا به.[٥] والثاني،[٦] قصور عقولهم[٧] عن ما تستحقه[٨] من الصحبة والإيجاب[٩] له صلى الله عليه وسلم. فأما الأمر[١٠] بـ**راعنا**، فهو استعمال في الظاهر بالمراعاة،[١١] وذلك يخرج على التكبر عليه وترك التواضع له[١٢] والخضوع.[١٣]

وقوله: **واسمعوا**، أي أجيبوا له.[١٤] وقيل: أطيعوا له. وقيل: **واسمعوا**، أي اسمعوا وَعُوا.

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١٠٥]

وقوله: **ما يود**، أي ما يريد[١٥] وما يتمنى، **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب**، اليهود والنصارى، **ولا المشركين**؛ ما يود هؤلاء **أن ينزل عليكم من خير من ربكم**، يحتمل وجهين. أحدهما انهم كانوا يَهْوَوْن[١٦] ويحبون أن يُبعث الرسول من أولاد إسرائيل، وهم كانوا من نسله.

---

[١] ن + اتينا.

[٢] ع: قصدنا.

[٣] جميع النسخ: بالأنظار.

[٤] ك: المتشفع. جميع النسخ + في النظرة.

[٥] «وقيل وانظرنا من النظر خرج مخرج التشفع به عليه السلام، أي انظر إلينا بعين الرحمة فلا تخاطبنا بما لا تحتمله أفهامنا، بل بيّن لنا ومكّنا من الفهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و- ٣٨ظ).

[٦] ن ع م + على.

[٧] ك: عقلهم.

[٨] ك: يستخقه؛ ن ع: يستحقه.

[٩] «أي قولوا: لا تطلب منا في الصحبة والمعاملة - على قصور عقلنا- ما يستحقه العقل، بل أنت اختر منا ما في وسعنا» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧ظ).

[١٠] ع م: فالأمر.

[١١] ع م: بالمراعات.

[١٢] ع م - له.

[١٣] «وقيل: إنه من المراعاة، فكانوا يطالبون رسول الله عليه الصلاة والسلام بالمراعاة لهم وصيانة حقوقه، فنهاهم عن ذلك لئلا يجعلوا لأنفسهم حقًا فيطالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمراعاته. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿يَمُنُّون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم﴾ (سورة الحجرات، ١٧/٤٩)» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧و).

[١٤] ع م - له.

[١٥] ك: مايرد؛ ع: ما يود.

[١٦] ع: بهودوه.

فلما بعث من أولاد إسماعيل عليه السلام على خلاف ما أحبوا وهَوُوا لم تَطِب[1] أنفسهم بذلك، بل كرهت وأبت[2] أشد الإباء والكراهية. والثاني لم يحبوا ذلك لما كانت تذهب منافعهم التي كانت لهم والرياسة بخروجه صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.

وقوله: **من خير**، قيل: الخير النبوة. وقيل: الخير الإسلام. وقيل: الخير الرسول هاهنا. *والله أعلم*.

وقوله:[3] **والله يختص برحمته من يشاء**؛ الآية تنقض[4] على المعتزلة قولَهم، لأنهم يقولون: إن على الله تعالى أن يعطي لكلٍّ[5] الأصلحَ في الدين في كل وقت وكل زمان.[6] فلو كان عليه ذلك لم يكن للاختصاص معنى ولا وجه. والثاني، قال: **والله ذو الفضل العظيم**؛ والمُفْضِل عند الخلق هو الذي يعطي ويبذل ما ليس عليه، لا [من يعطي] ما عليه، لان من عليه شيء فأعطاه أو قضى ما عليه من الدين لا يوصف بالإفضال. فدل أنه استوجب ذلك الاختصاص وذلك الفضل، لما لم[7] يكن[8] عليه ذلك. ولو كان عليه لكان يقول: ذو العدل، لا ذو الفضل. *وبالله التوفيق*.

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٠٦]

وقوله: **ما ننسخ من آية أو ننسها**؛ قال بعض أهل الكلام: **ما ننسخ** من اللوح المحفوظ،[9] **أو ننسها**[10] نَدَعها[11] في اللوح. وقيل: **ما ننسخ من آية**، أي نرفع[12] بآية أخرى،

---

[1] ن م: يطب؛ ع: يغب.

[2] ع: أنت.

[3] ع – وقوله.

[4] ن ع: ينقض.

[5] م: الكل.

[6] «أي وسموا الاختصاص محاباة، وأوجبوا التسوية بين المكلفين في الألطاف وسائر ما يتوصل به إلى مصالح الدين، وجعلوا ترك ذلك ظلمًا وجورًا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧ظ).

[7] ك ن ع – لم.

[8] ن: يمكن.

[9] «﴿ما ننسخ من آية﴾ عن اللوح المحفوظ، أي نكتب وننقل فننزلها إليكم ﴿أو ننسها﴾ في السماء نتركها إليكم أو ندعها في اللوح المحفوظ ﴿نأت بخير منها﴾ أي الذي نقل إليكم مثل ذلك أو خير» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٨و).

[10] ك: ننسيها.

[11] ع: تدعها.

[12] ع: ترفع.

أو نتركها[١] في الأخرى. وقيل: **ما ننسخ من آية**، فنرفع[٢] حكمها والعمل بها، **أو ننسها**،[٣] أي[٤] نترك قراءتها وتلاوتها. فيجوز رفع عينها؛ ويجوز رفع حكمها وإبقاء عينها لأوجه. أحدها ظهور النسخ.[٥] فبطل قول من[٦] أنكر النسخ، إذ وجد؛ ومن[٧] أنكر ذلك إنما[٨] أنكر لجهل[٩] بالنسخ،[١٠] لأن النسخ بيان الحكم إلى وقت، ليس على البداء[١١] على ما قالت اليهود.[١٢] والثاني أن للتلاوة فيها[١٣] فضلاً[١٤] كما للعمل، فيجوز رفع فضل العمل وبقاء فضل التلاوة.[١٥] والثالث على جعل الأول في حالة الاضطرار، والثاني في وقت السعة،[١٦] كقوله: / حُرِمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ.[١٧] [٢٣و]

---

[١] م: ونتركها.

[٢] ن ع: فترفع.

[٣] ك: ننسيها؛ ن ع م: ننساها.

[٤] ن ع – أي.

[٥] جميع النسخ: المنسوخ.

[٦] ع: عن.

[٧] ن م: وجدوا من؛ ع: وجد وأمن.

[٨] م: فإنما.

[٩] ن ع م: بجهل.

[١٠] جميع النسخ: بالمنسوخ.

[١١] ن: البدء.

[١٢] «قال الشيخ: لكن إنما قالت اليهود ذلك وأنكرت النسخ جهلا منهم بمعرفة تفسير النسخ وحدّه، ولو عرفوا ما النسخ ما نفوا نسخ الشرائع والأحكام. وأما النسخ [فهو] بيان منتهى الحكم إلى وقت لانتهاء المصلحة التي شرع الحكم لها وبيان حكم جديد لمصلحة أخرى في وقت آخر بعد انقضاء الأول مع بقاء الحكم الأول مشروعا ومصلحة في وقت كونه ووجوده، ليس على ما فهمت اليهود من البداء في الشاهد لمن بنا بناء ثم نقضه بما يبدوا ويظهر له أنه مخطئ وغالط في الغرض الذي بناه على ذلك الوجه؛ وليس النسخ نظير ذلك، بل نظير النسخ في الشاهد أمرُ الطبيب مريضا غلبت عليه الصفراء والحرارة بشرب المبردات القاطعة للصفراء، ثم متى علم بسكون الحرارة والصفراء واعتدال طبعه نهاه عن ذلك وأمره بالمعتدل من الشراب؛ لم يكن ذلك بداء عما أمره في ذلك الوقت الأول وإبطالا ونقضا له، بل بيان المصلحة في ذلك الوقت، وفي الحالة الثانية هذا مع بقاء المبرد مصلحة له في تلك الحالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦ظ).

[١٣] أي في الآية.

[١٤] جميع النسخ: فضل.

[١٥] «أي لأن القرآن كما يتلى لحفظ حكمه للعمل، يتلى لكونه كلام الله تعالى، فيثاب عليه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨و).

[١٦] الحكم الأول في الآية المستشهد بها هنا هو إباحة تناول الميتة، والحكم الثاني تناول الميتة ولحم الخنزير...

[١٧] ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به... فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ (سورة المائدة، ٥/٣).

ثم يجوز أن يرفع عينها فينسى ذكرها،[1] كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "كنا نعدل سورة الأحزاب بسورة البقرة، حتى رفع[2] منها[3] آيات، منها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا[4] فارجموهما ألبتة»".[5]

وأما قوله: **نأت بخير منها [أو مثلها]**، فاختلف فيه، قيل: **نأت بخير منها**، أي أخف وأهون على الأبدان، كقوله: وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ،[6] -إن الأمر بالصوم كان لوقت دون وقت- إذ رجع الحكم عن الإطاقة[7] إلى غير.[8] وكذا ما كان من الحكم في تحريم الأكل عند النوم والجماع،[9] وكذا تحريم الميتة، لو لم يرد فيهما[10] الإباحة والحل عند الضرورة لكنا[11] نعرفه بالحرمة، وذلك أخف وأهون. *والله أعلم*.

وقيل: **نأت بخير منها** في الثواب في العاقبة. وقيل: **نأت بخير منها** في المنفعة،[12] **أو مثلها** في المنفعة. وقيل: **نأت بخير منها**، وهو أن يظهر لكم به[13] الخير في حق الاتباع، والمثلُ في حق الأمر؛ فيشترك أصحاب المنكرين للنسخ [مع المثبتين] في حق الائتمار[14] بالمثل، ويَفضُلونهم بظهور الأخير.[15] وهو كالصلاة إلى بيت المقدس، كان لهم مثل ما لليهود في حق الائتمار،

---

[1] أي تنسخ تلاوتها وتبقى حكمها.

[2] ن: نرفع؛ م: يرفع.

[3] ع م - منها.

[4] ك - إذا زنيا.

[5] *صحيح البخاري*، الحدود ٢١، ٢٢، ٢٤؛ و*صحيح مسلم*، الحدود ١٢-٢٩؛ و*سنن أبي داود*، الحدود ٢٣؛ وانظر كذلك: *تفسير القرطبي*، ٢٤٣/٦.

[6] ﴿أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذي يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٨٤/٢).

[7] ك ن ع: الطاقة؛ م: عند الطاقة.

[8] وهو ﴿فدية طعام مسكين﴾.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ (سورة البقرة، ١٨٧/٢).

[10] ع م: فيها. أي في تحريم الأكل والجماع في ليالي رمضان وتحريم الميتة.

[11] ك: لكن.

[12] ن - وقيل نأت بخير منها في المنفعة أو مثلها في المنفعة، صح هـ.

[13] ع م - به.

[14] ن + ما كان ظهر لهم الأخير في وقت.

[15] ع م - في حق الاتباع والمثل في حق الأمر فيشترك أصحاب المنكرين للنسخ في حق الائتمار بالمثل ويفضلونهم بظهور الأخير. وظهور الأخير هنا هو الخير في حق الاتباع.

و لم يكن[1] ظهر لهم الأخيرُ في وقت ظهور الأمر، وأبهم[2] الخير، وظهر عنده فيمن[3] أبى أن اتباعه لم يكن لأجل حق المتابعة، بل لما كان عنده الحجة. فأما من جعله خيرًا على البدل[4] فاستبدل[5] بها الآخر رخصة وإباحة، والإباحة ورودها للتخفيف.[6]

ومن استدل على أن النسخ أبدًا يَرِد على ما هو أغلظ عورض[7] بقوله: فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ،[8] فأبدل[9] بعقوبة أشد من الأول، وهو الرجم، بقوله: «خذوا عني، خذوا عني».[10]

ويحتمل قوله: **نأت بخير منها** وجهًا آخر، وهو آية،[11] والآيات هي الحجج،[12] فيكون معناه: ما نرفع من حجة فننفيها[13] عن الأبصار إلا نأت بخير منها،[14] يعني أقوى منها

---

[1] جميع النسخ: ما كان.

[2] ع: أيهم.

[3] ك: فمن.

[4] ن ع م: البدن.

[5] ن م: فاستدل.

[6] ك ن ع: التخفيف. قال السمرقندي: «قوله ﴿نأت بخير منها﴾ على هذا التأويل يحتمل نأت بما هو خير من الأول في المصلحة للعبد أو مثله، ويحتمل أن يكون مثل ذلك في الترغيب والزجر أو أبلغ. وقيل: ﴿نأت بخير منها﴾ في المنفعة ﴿أو مثلها﴾ بأن يكون الناسخ أخف على البدن أو مثله لقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾، فإن الصوم في حق القادر نسخ بالفداء بالطعام، وكذلك الأكل والجماع كان حراما في ليالي رمضان ثم نسخ. وكذلك الميتة حرام، ورد الإباحة في حق المضطر. وقالوا: إن طريق النسخ هو الأخذ بالرخصة إذ الحكم الأول هو العزيمة والرخص أخف من العزائم. قال الإمام: ولكن هذا ليس بصحيح بل يجوز أن يكون أخف، ويجوز أن يكون أشق، فإن الإيذاء باللسان كان هو الحد في الزنا فصار منسوخا بما هو أشد منه وهو الإمساك في البيوت، ثم صار ذلك منسوخا بالجَلْد على ما روي في الخبر «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهم سبيلا البكر بالبكر الحديث» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨و).

[7] ك ع م: فعورض.

[8] ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ (سورة النساء، ٤/١٥).

[9] أي أبدل الإمساك في البيوت.

[10] عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني، خذوا عني؛ قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (صحيح *البخاري*، الكفالة ١؛ و صحيح *مسلم*، الحدود ١٢-٢٩؛ وسنن *أبي داود*، الحدود ٢٣؛ وسنن *الترمذي*، الحدود ٨).

[11] ن: أنه؛ ن + ذكر الآية.

[12] «وقيل: المراد هو نسخ الحجة، ورفع ما سبق من الآية الحسية الدالة على ثبوت الصانع وتوحيده وصفاته الحسنى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨و).

[13] ن: فنغيبها.

[14] ع م – وجهًا آخر وهو آية والآيات هي الحجج فيكون معناه ما نرفع من حجة فننفيها عن الأبصار إلا نأت بخير منها.

في إلزام الحجة أو مثلها. ولا شك أن ما يعترض [من الآيات] هو أقوى حالات[١] الاعتراض في لزوم الحجة على ما غاب[٢] عن الأبصار، فيكون قوله: **نأت بخير منها** على هذا الوزن،[٣] أي[٤] نأت بحجة هي أقوى وأكثر من الأولى[٥] أو مثلها في القوة.

فإن قيل: ما الحكمة في النسخ وما وجهه؟[٦] قيل: [إن النسخ] محنة يمتحن بها الخلق، ولله أن يمتحن خلقه بما يشاء في أي وقت شاء، يأمر بأمر في وقت، ثم ينهى عن ذلك ويأمر بآخر.[٧] فليس[٨] في ذلك خروج عن الحكمة، ولا كان ذلك منه لبداء يبدو[٩] له، بل لم يزل عالمًا بما كان ويكون، حكيمًا يحكم بالحق والعدل. فنعوذ بالله من السرف في القول.[١٠]

وقوله: **أ لم تعلم أن الله على كل شيء قدير**، يحتمل أن يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم،[١١] والمراد بالخطاب [كل من] الذين سبق ذكرهم في قوله:[١٢] مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، الآية، إنه قادر على إنزال الخير على من يشاء، واختصاص بعض على بعض وتفضيل بعضهم[١٣] على بعض. ويحتمل أن يكون المراد في الخطاب له عليه الصلاة والسلام على حقيقية العلم،[١٤] على التذكير والتنبيه؛[١٥] أي أنت تعلم[١٦] أن الله على كل شيء قدير. وهو كقوله:

---

[١] جميع النسخ: حالة.

[٢] ن ع م: ما غابت.

[٣] «لا شك أن ما يعاين من الحجة بالأبصار أبلغ من التي غائبة عنها». (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨و).

[٤] م – أي.

[٥] ن: الأول.

[٦] ع: وجه. «أي وما وجهه في القرآن وفي الآيات الحسية بتبديل البعض بالبعض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).

[٧] م: آخر. قال السمرقندي موضحًا: «ويكون ذلك بيان مدة انتهاء قضية وابتداء أخرى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).

[٨] جميع النسخ: وليس.

[٩] ن ع: يبدوا.

[١٠] «إن الله تعالى بحكمه أسس الشرائع والأحكام على حكم متقنة وضعها لمصالح العباد عاجلها وآجلها. وجائز تغير المصالح في العقول على اختلاف الأوقات والأحوال والأشخاص، فجائز تغير حكمها. والله المعين. وأما وجه النسخ في الآيات الحسية فلما لله تعالى الاحتجاج بأنواع الآيات ليعلم أن في كل خلقه آيةً ودلالةً على وحدانيته، وإن اختلف خلقه. والآيات من حيث الدلالة تستوي في الحقيقة، وإن كان بعض تلك الآيات أظهر وآخذ للقلوب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).

[١١] ك ن: له عليه السلام.

[١٢] م: قول.

[١٣] م: بعض.

[١٤] أي رغم كونه عليه السلام عالمًا به.

[١٥] قال السمرقندي: «كأنه ذكر هذا عند ضيق ذرعه تسكينًا وتطبيعًا لقلبه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).

[١٦] ك ن ع: تعلم أنت.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ،[١] على حقيقة العلم له.[٢] ويحتمل على الإعلام والإخبار لقومه،[٣] وقد ذكرنا.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١٠٧]

وعلى ذلك يخرج قوله: **ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض**، أي من كان يملك ملك السماوات وملك[٤] الأرض؛ يملك تخصيص بعض على بعض وتفضيلهم فيها ويحكم فيها بما[٥] يشاء ويحدث من[٦] الأمر ما أراد. ***والله أعلم***. ويحتمل نزوله على أثر نوازل لم تذكر فيه، وذلك في القرآن كثير. وإنما يقال هذا الحرف عند ضيق القلب تسكينًا له. ومعنى تخصيص السماوات والأرض بالملك له لمنتهى علم الخلق بهما،[٧] وإن كان له ملك الدنيا والآخرة. ***وبالله التوفيق***.

وقوله: **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير**، يدل هذا على أنه خرج على أثر نوازل، وإن لم تذكر.[٨]

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١٠٨]

وقوله: **أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل**، سؤالَ تعنّت [كما في قوله]: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ -تعنتًا- حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً.[٩] وقيل: إنهم سألوا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما سأل[١٠] قوم موسى[١١] موسى.[١٢] وقيل: سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٧).
[٢] ع م – له.
[٣] ع م: لقوله.
[٤] ك – ملك.
[٥] م: ويحكم ما.
[٦] م – من.
[٧] ك: لهما.
[٨] ع – وقوله تعالى ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير يدل على أنه خرج على أثر نوازل وإن لم تذكر.
[٩] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذقلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ (سورة البقرة، ٢/٥٥).
[١٠] ع: سئل.
[١١] ع – قوم موسى.
[١٢] ن ع + من قبل.

أن يجعل الصفا لهم ذهبًا إن كان ما يقوله[1] حقًا. وقيل سؤالهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا؛[2] وكانوا يسألون سؤال تعنت، لا سؤال استرشاد واهتداء.

وقوله: **ومن يتبدل الكفر بالإيمان**، قيل: اختار[3] الكفر بالإيمان. وقيل: ومن يختار شدة الآخرة على رخائها وسعتها. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: «ومن يشتري الكفر بالإيمان»، وذلك كله واحد.

وقوله: **فقد ضل سواء السبيل**، قيل: عدل [عن] عَدْل[4] الطريق. وقيل: عدل عن قصد الطريق. وقيل: أخطأ قصد طريق الهدى. وكله واحد.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٠٩]

وقوله: **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا**؛ إنهم كانوا يجهدون كل جهدهم حتى يصرفوا أو[5] يردوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن دين الله الإسلام إلى ما هم عليه، كقوله تعالى: وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ،[6] وكقوله: إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ،[7] وكقوله:[8] يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[9] الآية. وذلك –والله أعلم– لخوف[10] فوت رياستهم التي كانت لهم وذهاب منافعهم[11] التي [كانوا] ينالون من الأتباع والسفلة، فوَدّوا ردَّهم وصرفهم إلى دينهم.

---

[1] ع: يقول.

[2] ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعَتَوْ عتوًا كبيرًا﴾ (سورة الفرقان، ٢١/٢٥).

[3] م: اختيار.

[4] م – عدل.

[5] جميع النسخ: و.

[6] سورة آل عمران، ٦٩/٣.

[7] سورة آل عمران، ١٠٠/٣.

[8] ن م: وقوله.

[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ١٤٩/٣).

[10] ع م: الخوف.

[11] جميع النسخ: منافع.

ثم احتجت المعتزلة علينا بظاهر قوله: **حسدا من عند أنفسهم**، قالوا: دلت الآية على أن الحسد ليس من عند الله بما نفاه عز وجل عنه، وأضافه إلى أنفسهم بقوله: **حسدا من عند أنفسهم**.

قيل: صدقتم في زعمكم بأن الحسد ليس من عند الله، وكذلك نقول، ولا نجيز إضافة الحسد إليه بحال. ولكنا[١] نقول: / خَلَق فعل الحسد[٢] من الخلق. وكذلك يقال في الأنجاس [٢٣ظ] والأقذار والحيّات والعقارب ونحوها أنه لا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى فيقالَ: يا خالق الأنجاس والحيّات والعقارب،[٣] وإن كان ذلك كلُّه خلقَه، وهو خالق كل شيء. فعلى ذلك نقول: يخلق فعل الحسد وفعل الكفر من العبد، ولا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى.

ثم يقولون[٤] في الطاعات والخيرات كلها إنها من عند الله غيرُ مخلوقة،[٥] فلو[٦] كانت العلة في الذي لا يكون مخلوقًا له[٧] أنه ليس هو[٨] من عنده، لوجب[٩] القول[١٠] بخلقه[١١] ما هو من عنده. ثم لم يقولوا به، فبان أن ما يقولون فاسد باطل ليس بشيء.[١٢]

ثم جهة الحسد ما ذكرنا أنهم أحبوا أن تكون الرسالة فيهم، أو[١٣] أن تكون[١٤] [في] من عنده سعةٌ، كقوله: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ،[١٥] وكقوله: لَوْلَا أُنْزِلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ

---

[١] جميع النسخ: ولكن.
[٢] ن – الحسد.
[٣] ن – والعقارب.
[٤] أي المعتزلة.
[٥] أي غير مخلوقة لله، بل هي مخلوقة لفاعليها.
[٦] ك: فليس: ن ع م: فلئن.
[٧] ك ع م – له.
[٨] ن – هو.
[٩] ك ن: ليجب.
[١٠] ع م – لوجب القول؛ ن + من عنده.
[١١] ع: يخلقه.
[١٢] يقول علاء الدين السمرقندي: «ثم ناقضت المعتزلة في الطاعات والخيرات حيث قالوا: إنها من عند الله، ثم لم يجعلوها مخلوقة لله تعالى، بل هي مخلوقة لفاعليها. فلو كانت علة [حكم] "المعاصي غير مخلوقة لله تعالى" أنها لا تضاف إلى الله تعالى ولا يجوز، فالطاعات التي يجوز إضافتها إلى الله تعالى يجب أن تكون مخلوقة له تعالى. فدل أن قولهم فاسد»(*شرح التأويلات*، ورقة ٣٨ظ).
[١٣] ع م: وأن تكون.
[١٤] ن م: يكون.
[١٥] ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾ (سورة هود، ١٢/١١).

مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ؛[1] فلهذين الوجهين يخرج حسدهم.

قوله: **من عند أنفسهم**، أي من قِبلها، لا أن[2] الله تعالى أمرهم، وليس يضاف إلى الله تعالى بأنه مِن عنده بما يخلق، ولكن بما يأمر أو يُلزم.[3] ألا ترى أن الأنجاس[4] كلها، والخبائث والشياطين كلهم مخلوقة، وإن لم يجز نسبتها إلى الله تعالى، بمعنى أنها[5] من عنده؟ كذلك ما ذكر من الحسد. على أنه معلوم أنهم[6] لم يكونوا يَدّعون من دون[7] الله خلقًا، فبذلك[8] الوجه[9] ينكر عليهم؛ بل كانوا يدعون الأمر في كل ما نسبوا[10] إلى الله تعالى. فعلى ذلك ورد العتاب. ***والله أعلم.***

وقوله: **من بعد ما تبين لهم الحق**، أي بيّن لهم في التوراة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم نبي، وأن[11] دينه الإسلام، كقوله: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ.[12]

وقوله:[13] **فاعفوا واصفحوا [حتى يأتي الله بأمره]**، يحتمل النهي عن [طلب] مكافأة[14] ما يؤذونه في الدنيا، ثم لم ينسخ. وقيل: فيه نهي عن قتالهم حتى يأتي أمر الله في ذلك،[15] ثم جاء بقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[16] الآية. وقيل: **حتى يأتي الله بأمره**، أي بعذابه. ***والله أعلم.***

وقوله: **إن الله على كل شيء قدير**، من التعذيب والانتقام وبكل شيء، و لم ينسخ هذا.[17]

---

[1] سورة الزخرف، ٤٣/٣١.

[2] م: لأن.

[3] ك + يكرم؛ ع م + ويلزم.

[4] ك: الأنجاس.

[5] ج: أنه.

[6] أي أهل الكتاب.

[7] ن ع م: عند.

[8] ك: فذلك.

[9] ن + كلها.

[10] ك: نسب.

[11] ع: وأنه؛ م – وأن.

[12] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٦). وانظر كذلك: سورة الأنعام، ٦/٢٠.

[13] ن ع م – وقوله.

[14] ع: مكافات.

[15] م – ثم لم ينسخ وقيل فيه نهي عن قتالهم حتى يأتي أمر الله في ذلك.

[16] ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٩).

[17] ك ع – وقوله إن الله على كل شيء قدير من التعذيب والانتقام وبكل شيء و لم ينسخ هذا.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١١٠]

وقوله: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**؛ كرر الله عز وجل الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في القرآن تكرارًا كثيرًا، حتى كانت لا تخلو سورة إلا وذكرهما فيها في[1] غير موضع، وذلك لعظم شأنهما وأمرهما وعلو منزلتهما عند الله وفضل قدرهما. وعلى ذلك جعلهما شريعة في الرسل السالفة،[2] صلوات الله عليهم وسلامه. ألا ترى إلى قول إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي،[3] وقوله لموسى وهارون: أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا إلى قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[4] وقول عيسى: وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا،[5] وقوله: وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ.[6]

وذلك، والله أعلم، أن الصلاة قربة فيما بين العبد وبين ربه، تجمع جميع أفعال الخير، وفيها غاية منتهى الخضوع له والطاعة، من القيام بين يديه والمناجاة فيها[7] والركوع له والسجود على الأرض و[8]تعفير[9] الوجه فيها؛[10] حتى لو أن أحدًا ممن خلص دينُه لله لو أُعطي ما في الدنيا على[11] أن يعفّر وجهه في الأرض[12] لأحد من الخلق ما فعل. ***وبالله التوفيق.***

والزكاة فيما بين العبد وبين الخلق لتآلف القلوب واجتماعها، وفيها إظهار الشَّفَقة لهم والرحمة. لذلك عظّم الله شأنهما، وشرّف أمرهما، وأعلى منزلتهما؛ وعلى ذلك قرنهما

---

[1] ع: من.
[2] ع م – السالفة.
[3] سورة إبراهيم، ٤٠/١٤.
[4] ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة﴾ (سورة يونس، ٨٧/١٠).
[5] سورة مريم، ٣١/١٩.
[6] سورة المائدة، ١٢/٥.
[7] جميع النسخ: فيه.
[8] ع م – و.
[9] ن: تغفير.
[10] ك – فيها.
[11] جميع النسخ – على.
[12] م: بالأرض.

بالإيمان في المواضع كلها، وأثبت بين الخلق الأخوة بهما،[1] بقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ.[2]

ثم هما تلزمان[3] بالعقل، لأن الصلاة تجمع جميع أنواع خيرات[4] الأفعال، وفيها غاية الخضوع له والخشوع، على ما ذكرنا؛ وذلك مما يوجبه العقل، وإن لم يرد فيه السمع. وكذلك الزكاة، فيها تزكية الأنفس وتطهيرها، وذلك مما في العقل واجب.

فإن قيل: ما الحكمة في وجوبهما؟[5] قيل: إظهار ما أنعم الله على العباد[6] من الأموال والسعة فيها وما أعطاهم من سلامة الجوارح عن جميع الآفات، يخرج مخرج الأمر بأداء شكر ما أنعم عليهم عز وجل.

فإن قيل: ما الحكمة[7] في وجوبهما[8] مما[9] أُعطي منهما،[10] يعني من النفس والمال[11] دون غيره؟[12]

قيل: لأن الوجوب من غيره يخرج مخرج المعاوضة والمبادلة، لا مخرج أداء الشكر. **والله أعلم.**

ثم الحكمة في إيجاب الصلاة والزكاة[13] وغيرهما من العبادات أن الله تعالى إذ عمّهم بنعمه فيما فضّلهم بالجوهر، وسخر لهم جميع ما في الأرض، وبسط عليهم النعم، حتى صار كل منهم لا يبصر غير[14] نعمه من غير استحقاق منهم شيئًا، من ذلك لزمهم الشكر عليها.

---

[1] ك: بينهما.
[2] سورة التوبة، ٩/١١.
[3] جميع النسخ: تكرمان.
[4] ن: الخيرات.
[5] ك: وجوبها.
[6] ك ن: عليه؛ ع م: العبد.
[7] ع م – ما الحكمة.
[8] ك: وجبوها.
[9] جميع النسخ: فيما.
[10] ن: منها.
[11] ك: والعدالة.
[12] «أي فإن قيل: ما الحكمة في إيجاب الشكر باستعمال النفس في طاعة الله، فيكون إعطاء بعض ما وصل إليه من الله تعالى إليه، وفي الزكاة إعطاء بعض ما أُعطي للمعطِي، ومثل ذلك في الشاهد لا يكون شكرًا للمنعم، بل فيه شبهة رد النعمة، كمن وهب لغيره فرد -يعني المنعَم عليه- بعض ذلك بالهبة منه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٩و).
[13] ع م – والزكاة.
[14] ع م: غير.

ثم كانت الصلاة تجمع استعمال جميع الجوارح فيما لله فيها[1] القيام بها[2] شكرًا له، مع ما فيها توفّر[3] أحوال نفسه بالاختيار بما هي عليه بالاضطرار[4] والخلقة، و[شغل] القلب بالنية والخوف والرجاء، وإحضارُ الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل، فيكون[5] كل شيء منه في شكره لما له فيه من سبوغ النعمة.[6] *والله أعلم*.

وكذلك [أمر الشكر] بالأموال، [لأنهم] فُضّلوا في هذه الدنيا واستمتعوا بلذيذ العيش، فأمروا بالإخراج لله. مع ما إذ سخرت هذه الأرض بما فيها لجميع[7] البشر،[8] لزم[9] من ذلك صلة من لم يملك، ليستووا في الاستمتاع بالتسخير لهم من الوجه الذي علم الله لهم في ذلك صلاح الدارين.[10] *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**، الآية تخرج[11] على خلاف قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن من ارتكب كبيرة ثم أقام الصلاة وآتى الزكاة وجاهد في سبيل الله وحج بيت الله الحرام وقدم خيرات كثيرة، فإنه لا يجد مما[12] قدم شيئًا، ولكن[13] يجد ما قدم من شر. وذلك ليس من فعل[14] الكريم والجواد، ولا كذلك وصف الله نفسه،

---

[1] ن – فيها.

[2] ع م – بها.

[3] ن: توفير؛ م: توفق. يقال: توفّر على كذا: صرف همته إليه. وتوفّر على صاحبه: رعي حرماته (*لسان العرب*، «وفر»).

[4] ع م: بالاضطراب.

[5] ن ع م : ليكون.

[6] «ثم الصلاة تجمع استعمال جميع الجوارح الظاهرة في القيام والركوع والسجود والقعود. ووضع اليد مواضعها، وحفظ العين، وكذلك الجوارح الباطنة من شغل القلب بالنية، وإشعاره بالخوف والرجاء، وإحضار الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل ليكون عمل كل عضو شكرًا لما أنعم عليه في ذلك، والقيام بحقه بقدر الوسع» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٩و).

[7] ن ع م: بجميع.

[8] لعله يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿أَلَم تَرَوْا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٠).

[9] جميع النسخ: ألزم.

[10] ع: الذين. «أي من الوجه الذي علم الله تعالى في ذلك صلاح الدارين، فينال الأغنياء بكونهم أسباب وصول الرزق إلى الفقراء الاحترامَ في الدنيا والثوابَ في الآخرة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٩و).

[11] ع: يخرج.

[12] جميع النسخ: ما.

[13] ن + ولكن.

[14] ن: فضل.

بل وصف نفسه على خلاف ما وصفوا هم،[1] فقال: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ؛[2] وهم يقولون: لا يتقبل[3] عنهم ما قدموا من الخيرات ولا يتجاوز / عن [٢٤و] سيئاتهم، وذلك سرف في القول، فنعوذ بالله من السرف في القول والحكم على الله. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **إن الله بما تعملون بصير**، بما قدمتم من الخير والشر؛ [وهذا] تنبيه منه عز وجل ليكونوا على حذر من الشر، وترغيب منه لهم بالخيرات. ***والله أعلم***.

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١١١]

وقوله:[4] **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن قالوا ذلك جميعًا لما أرادوا أن يُرُوا الناس الموافقة فيما بينهم ليرغّبوا في دينهم وينفّروا عن دين الإسلام، وإن كانوا هم في الباطن[5] على الخلاف والعداوة. ويحتمل أن يكون ذلك القول من كل فريق في نفسه، لا عن كل الفريقين جميعًا على الموافقة. دليله قوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ؛[6] دلّت الآية أن ذلك القول لم يكن من الفريقين جميعًا على الموافقة، ولكن كان من كل في نفسه على غير[7] موافقة منهم ولا مساعدة. ***والله أعلم***.

ثم في الآية دليل لزوم[8] الدليل على النافي،[9] لأنهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم: **لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**، فطولبوا بالبرهان بقوله: **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** أنه لا يدخل فيها سواكم.

فإن قيل: إنهم إذ[10] نفوا دخول غيرهم فيها ادعوا لأنفسهم الدخول، فإنما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا ليس على ما نفوا.

---

[1] ع م: وصفوهم.
[2] سورة الأحقاف، ١٦/٤٦.
[3] ع م: ولا يتقبل.
[4] ك – وقوله.
[5] ع: الباطل.
[6] سورة البقرة، ١١٣/٢.
[7] م – غير.
[8] ك م: لزم.
[9] ك: الثاني.
[10] جميع النسخ: إذا.

قيل:[١] لا يحتمل[٢] ذا، لأنهم لم يذكروا دخول أنفسهم تصريحًا، إنما نفوا دخول غيرهم، وهم[٣] كمن يقول: لا يدخل هذه الدار إلا فلان وفلان، ليس فيه: أن فلانًا وفلانًا يدخلان، ولكن[٤] فيه نفي دخول غيرهما. أو تقول:[٥] نفوا دخول غيرهم تصريحًا، وادعوا لأنفسهم الدخول مستدلًا، وإنما يطلب الحجة على مصرَّح قولهم لا على مستدَلِّهم. ألا ترى أن الجواب من الله عز وجل بالإكذاب والرد عليهم خرج على[٦] ما نفوا دخول غيرهم، وهو قوله: بَلَى يدخل الجنة مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ.[٧] ألا ترى إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا نكاح إلا بشهود»،[٨] ليس فيه إثبات النكاح إذا كان ثَمَّ شهود، ولكن فيه نفي النكاح بغير شهود تصريحًا. ألا ترى أن من قال: «لا نكاح إلا بشهود»، لا يُسأل أن: لم قلت إنه لا يجوز بغير شهود؟[٩] فعلى ذلك قوله: **لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى**، ليس فيه إثبات الدخول لهم تصريحًا، و[لكن] فيه نفي دخول غيرهم تصريحًا. ***والله أعلم***.

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١١٢]

وقوله: **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**، قد قلنا: إنه خرج مخرج الرد عليهم والإنكار بحكمهم على الله، فقال: **بلى** -يدخلها- **من أسلم وجهه لله وهو محسن**.

ثم اختلف[١٠] في قوله: **أسلم وجهه لله**، قيل: أخلص لله[١١] دينه[١٢] وعمله. وقيل: أسلم نفسه لله. وقد يجوز أن يذكر الوجه على إرادة الذات، كقوله: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ،[١٣]

---

[١] ع م – قيل.
[٢] ع م + قيل.
[٣] م: وهو.
[٤] ع م: ولكنه.
[٥] ن م: أو نقول.
[٦] ع م – على.
[٧] سورة البقرة، ١١٢/٢.
[٨] *سنن الترمذي*، النكاح ١٥.
[٩] ن ع م: لم قلت إن النكاح يجوز بالشهود؛ ن ع م + ولكن يسأل أن لم قلت أن (ن: أنه) لا يجوز بغير شهود.
[١٠] ع م: اختلفا.
[١١] ك ن: دينه.
[١٢] ك ن: لله.
[١٣] سورة القصص، ٨٨/٢٨.

أي[1] إلا هو. وقيل: **أسلم**، أي وجّه أمره إلى دينه فأخلص. وبعضه قريب من بعضه.[2] أسلم نفسه لله، أي بالعُبُودَة،[3] كقوله: وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ.[4] وذلك معنى الإسلام: أن تخلص نفسك لله، لا تجعل لأحد[5] شركًا من عبودة[6] ولا من[7] عبادة.

وقوله: **فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**؛ قد ذكرنا[8] متضمنها فيما تقدم.[9]

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١١٣]

وقوله: **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب**؛ فإن قيل: كيف[10] عاتبهم بهذا القول، وقد أمر نبيه عليه السلام في آية أخرى أن يقول لهم ذلك: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ،[11] قيل: إنما[12] أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: إنهم ليسوا على شيء إذا لم يقيموا التوراة؛ فأما إذا أقاموا التوراة، وفيها أمر لهم بالإسلام، وإتباع الرسول[13] محمد صلى الله عليه وسلم، فهم على شيء.[14] ومعنى هذا الكلام، والله أعلم، أن قال لهم: كيف قلتم ذلك،

---

[1] ن ع م: يعني.
[2] ن ع م: من بعض.
[3] ع م: بالعبودية.
[4] ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل﴾ (سورة الزمر، ٢٩/٣٩).
[5] ع: أحد.
[6] ع م: عبودية.
[7] ن ع – من.
[8] م: ذكر.
[9] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعًا﴾ (سورة البقرة، ٣٨/٢).
[10] ك – كيف.
[11] ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ (سورة المائدة، ٦٨/٥).
[12] ن ع – إنما.
[13] ك ن – الرسول.
[14] «فلم يكن الأمر مطلقًا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول، بل مقيدا بحال لم يقيموا التوراة. وأما اليهود فقد أخبرت بأن النصارى ليست على شيء مطلقًا، وكذلك النصارى من غير تقييد بحال، وهم كانوا على حق حينَ كانوا في زمن موسى مقرين بموسى ومن بعده من الرسل، وإنما نطق به التوراة من البشارة بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك النصارى كانوا على حق في زمن عيسى عليه السلام حين كانوا مقرين بموسى ومن قبله وبمحمد عليه السلام، فهم على الحق. فكان نفي كل واحد من الفريقين لصاحبه مطلقًا بلا تقييد خطأ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٩ظ).

وعندكم [من] الكتاب ما يبيّن لكم ويميز الحق من الباطل ويرفع[1] من بينكم الاختلاف لو تأملتم فيه[2] وتدبرتم؟

ويحتمل أن كل فريق منهم لما قال لفريق آخر ذلك، أنهم ليسوا على شيء أكذبهم الله تعالى ورد عليهم: **بلى من أسلم** منهم فهم على شيء، لأنه كان [من] أسلم من أوائلهم. ويحتمل أنهم ليسوا على شيء[3] على نفس دعاويهم وقولهم في الله بما لا يليق، وهم على شيء في تكذيب بعضهم بعضًا بما قالوا.

وقيل:[4] لما قالت اليهود: ليست النصارى على شيء من الدين، فما لك يا محمد، اتبع ديننا،[5] فإنهم ليسوا على شيء، وكذلك قول الفريق الآخر[6] لأولٰئك.[7]

ثم اختلف في الإسلام. قيل: الإسلام هو الخضوع. وقيل: الإسلام هو الإخلاص بالأفعال، وهو أن يُسلم نفسه لله، أو يسلم دينه، لا يشرك فيه.

وقوله: **كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم**؛ قيل: **[الذين] لا يعلمون**: الذين لا كتاب لهم، وهم مشركو العرب. وقيل: **الذين لا يعلمون**، هم الذين لا يقدرون على تلاوة القرآن[8] والكتاب وتمييز ما فيه،[9] وهم جهالهم.

سَوّى عز وجل بينهم في القول من علم منهم ومن لم يعلم، لأن من علم منهم لم ينتفع بعلمه، فكان كالذي لم يعلم شيئًا؛ وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ أنه سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بالآيات والأسباب التي أعطاهم الله عز وجل.[10] ***والله أعلم.***

---

[1] ك: ويدفع.

[2] ع م – فيه.

[3] ك – أكذبهم الله تعالى ورد عليهم بلى من أسلم منهم فهم على شيء لأنه كان أسلم من أوائلهم ويحتمل أنهم ليسوا على شيء.

[4] ك: فقيل.

[5] «وقيل: لما قالت اليهود: ليست النصارى على شيء من الدين ونحن على الحق، فاتبع ديننا يا محمد، وكذلك قالت النصارى. فأنزل الله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة﴾» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠و).

[6] ع: الآخرون.

[7] ك: وذلك.

[8] ك – القرآن.

[9] جميع النسخ: وتمييزها فيه.

[10] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٨/٢.

وقوله: **فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** بالعذاب، لاختلافهم فيما بينهم وبقولهم[1] في الله بما لا يليق. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١١٤]

وقوله: **ومن أظلم**، يقول: لا أحد أظلم لنفسه ولا أوضع لها، **ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه**، اختلف فيه؛ قيل: مساجد الله الأرض كلها، / [٢٤ظ] لأن الأرض كلها[2] مساجد الله، كقوله صلى الله عليه وسلم: «جُعلت لي[3] الأرض[4] مسجدًا وطَهورًا».[5] منع أهل الكفر أهل الإسلام أن يذكروا فيها اسم الله، وأن يظهروا فيها دينه.

وقوله تعالى: **وسعى في خرابها**، هو[6] كقوله: وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا.[7] ويخرج قوله: **أولٰئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين**، أي لا يدخلون البلدان والأمصار إلا بالخوف،[8] أو بالعهد، كقوله: إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ،[9] وهو العهد.

ويحتمل قوله: **ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين**، ما كان ينبغي لهم بما عليهم من حق الله وتعظيمه أن يدخلوا المساجد إلا خائفين وَجِلين، لما كانت هي بقاع اتخذت لعبادة الله، ونسبت إليه تعظيمًا لها، فدخلوا مخرّبين لها مانعين أهلها عن[10] عبادة الله فيها.

---

[1] ع: ويقال لهم.
[2] ع م – كلها.
[3] ك – لي.
[4] ع م – الأرض.
[5] صحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١-٤.
[6] جميع النسخ: وهو.
[7] ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يقتلوا أو يُصَلَّبُوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض﴾ (سورة المائدة، ٣٣/٥). وانظر كذلك: سورة المائدة، ٦٤/٥.
[8] «ويخرج قوله تعالى: ﴿أولٰئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ على طريق النهي لا على طريق الإخبار؛ إذ لو حمل على الإخبار يقال: إنا نرى الكفار يدخلون في دار الإسلام ويكونون في الأرض آمنين فيكون خُلْفا في الخبر، بل يحمل على النهي؛ أي ما ينبغي لهم أن يدخلوها إلا خائفين وَجِلين من الله تعالى ؛ فإن الأرض اتخذت لعبادة الله تعالى فالدنيا دار عمل وعبادة ليتوسل بها إلى الآخرة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠و).
[9] ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثُقِفُوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة﴾ (سورة آل عمران، ١١٢/٣).
[10] ع م: من.

وقيل: **مساجد الله** المسجد[1] الحرام. وذلك أنهم حالوا بينه[2] وبينه دخول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيه،[3] حتى رجعوا من عامهم ذلك. ثم فتح الله عز وجل مكة لهم، فصار لا يدخلها[4] مشرك[5] إلا خائفًا، كقوله عز وجل: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا.[6]

وقيل: أراد بمساجد الله بيت المقدس. قيل: إن النصارى استعانوا بِبُخْتِنَصْر،[7] وهو رئيس المجوس، حتى خربوا المساجد، وقتلوا من فيها من أهل الإسلام[8] ثم بنى أهل الإسلام[9] بعد ذلك بزمان مساجد، فكان[10] لا يدخل نصراني فيها إلا خائفًا مستخفيًا. ***والله أعلم.***

وقوله تعالى: **لهم في الدنيا خزي**، قيل: الخزي الجزية، ويحتمل القتال. **ولهم في الآخرة عذاب عظيم.**

﴿وَلِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١١٥]

وقوله تعالى: **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**، قيل: إن رهطًا من[11] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا سفرًا، وذلك قبل أن تصرف[12] القبلة إلى الكعبة، فحضر وقت الصلاة، فاشتبه عليهم، فتحروا. فمنهم من صلى إلى المشرقِ، ومنهم من صلى إلى المغرب، صلّوا إلى جهات مختلفة؛ فلما بان لهم ذلك قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عن ذلك، فنزلت الآية:[13] **فأينما تولوا فثم وجه الله.**

---

[1] جميع النسخ: مسجد.
[2] ك: بينهما؛ ن: بينها.
[3] ك ن م: فيها.
[4] ن ع م: لا يدخل.
[5] ن ع م + فيها.
[6] سورة التوبة، ٢٨/٩.
[7] هو ملك بابل الذي تولّى الحكم فيما بين ٦٠٥-٥٦٢ قبل الميلاد والذي أزال دولة اليهود ودمّر القدس ومعبد سليمان. انظر: *تاريخ الطبري*، ٣١٨/١؛ و(DİA)، «Buhtunnasr»، ٣٨٠/٦-٣٨١.
[8] لعله يقصد أهل دين الحق، يعني دين التوحيد.
[9] ع م – ثم بنى أهل الإسلام.
[10] ن ع م: وكان.
[11] م – من.
[12] ن ع م: يصرف.
[13] ك ن + فيهم.

وهذا يرد على الشافعي قوله، لأنه يقول: إن صلى إلى جهة القبلة يجوز، وإلا فلا. وليس في الآية ذكر جهة دون جهة، بل فيها ذكر المشرق والمغرب؛ وكذلك في الخبر ذكر المشرق والمغرب،[1] فخرج قوله على ظاهر الآية. وهذا عندنا في الاشتباه والتحري، وأما عند القصد فهو قوله: فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ.[2]

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن قوله:[3] **ولله المشرق والمغرب**، الآية، نزلت في النوافل في الأسفار.[4] ولكن عندنا على ما ذكرنا في الكل. ***والله أعلم***.

وقوله : **فثم وجه الله**، اختلف فيه. قيل: **ثم وجه الله**، يعني ثم ما قصدتم وجه الله. وقيل: ثَم[5] قبلة الله. وقيل: ثَمَّ وَجْهُ اللهِ، ثَم الله،[6] على ما ذكرنا من جواز التكلم بالوجه على إرادة الذات،[7] أي ليس هو عنهم بغائب. وقيل: ثَم رضاء الله. وقيل: ثَم[8] ما ابتغيتم به وجه الله. وقيل فيه:[9] ثَم وجه الذي وجّهكم إليه إذا لم يجئ منكم التقصير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكل الناسي: «إنما أطعمك الله وسقاك».[10] وقيل فيه: ثَم بلوغكم مما قصدتم بفعل الصلاة من وجه الله ورضائه، أي ظفرتم به.

ثُم الفرض في القبلة ليس إصابة عينها، ولكن أغلب الظن وأكبر الرأي، لأنه ليس لنا إلى[11] إصابة عينها سبيل، إذ سبيل معرفتها بالاجتهاد لا[12] باليقين والإحاطة؛ ليس كالمياه والأثواب

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة» (*سنن ابن ماجة*، الإقامة ٥٦؛ وسنن *الترمذي*، مواقيت الصلاة ١٣٩).

[2] سورة البقرة ٢/١٤٤، ١٥٠.

[3] ك: قول.

[4] ذكره الطبري بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: إنما نزلت هذه الآية، أن تصلى حيثما توجهت بك راحلتك في السفر تطوعًا. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رجع من مكة يصلي على راحلته تطوعًا، يومئ برأسه نحو المدينة (صحيح *مسلم*، صلاة المسافر ٣١-٤١؛ وسنن *ابن ماجة*، الإقامة ٥٦؛ وسنن *الترمذي*، مواقيت الصلاة ١٣٩).

[5] ع م: ثمة.

[6] ع – ثم الله.

[7] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٢).

[8] ع م – ثم.

[9] ك ن – فيه.

[10] مسند *أحمد ابن حنبل*، ٢/٣٩٥، ٤٢٥؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٢٦؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ١٧١.

[11] ك: إلا.

[12] ع م: ولا.

وغيرها من الأشياء، لأن هذه الأشياء في الأصل طاهرة،[١] والنجاسة عارضة، فيظفر بأعينها على ما هي في الأصل. وأما أمر القبلة فإنما بني على الاجتهاد والقصد، دون إصابة عينها. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله واسع عليم**، قيل: الواسع الغني. وقيل: الواسع الجواد، حيث جاد عليهم بقبول ما ابتغوا به وجه الله، وحيث وسّع عليهم أمر القبلة. **عليم** بما قصدوا ونووا.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[١١٦]

وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه، فيه تنزيه نزّه به نفسه عما قالوا فيه بما لا يليق، وردٌّ عليهم.[٢] ومعناه، والله أعلم، أن اتخاذ الولد والتبني في الشاهد إنما يكون لأحد وجوه ثلاثة تُحوجه[٣] إلى ذلك: إما لشهوات[٤] تغلبه فيقضيها[٥] به، وإما لوحشة[٦] تأخذه فيحتاج إلى من يستأنس به، أو لدفع عدو يقهره فيحتاج إلى من يستنصر[٧] به ويستغيث. فإذا كان الله[٨] عز وجل يتعالى عن أن تمسه[٩] حاجة، أو تأخذه[١٠] وحشة، أو يقهره عدو، فلأي شيء يتخذ ولدًا؟[١١]

وقوله: **بل له ما في السماوات والأرض**، ردٌّ[١٢] على ما قالوا، بأن من مَلِك السماوات[١٣] وما فيها، وملك الأرض وما فيها لا تمسه[١٤] حاجة ولا يقهره عدو، إذ كل ذلك مُلْك له يجري فيهم تقديره ويمضي عليهم أمره وتدبيره؛ وإنما يرغب إلى مثله إذا اعترض له شيء مما ذكرنا. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

---

[١] ن ع: ظاهرة.

[٢] «الذين قالوا ذلك هم النسطورية من النصارى، حيث قالوا: إن الله اتخذ عيسى ولدًا، لا أنه ولده حقيقة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠ظ).

[٣] ن ع م: يحوجه.

[٤] ن ع م: الشهوات.

[٥] ن: فتقضيها؛ ع: فقضيها.

[٦] ن ع م: الوحشة.

[٧] ن ع م: يستنصره.

[٨] ن ع م – الله.

[٩] ن ع م: يمسه.

[١٠] ن ع م: يأخذه.

[١١] ك: ولد.

[١٢] ك: ردا.

[١٣] ع م – والأرض رد على ما قالوا بأن من ملك السماوات.

[١٤] ن ع م: لا يمسه.

فإن عورض بالخُلة،[1] قيل: إن الخُلة تقع على غير جوهر مَن منه الخُلة، والولد لا يكون إلا من جوهره، وإلى هذا يذهب الحسين.[2] والثاني أن الخُلة تقع لأفعال تكتسب[3] وتسبق[4] منه،[5] فيعلو أمره وترتفع مرتبته، فيستوجب بذلك الخلةَ بمعنى الجزاء. وأما الولد فإنه لا يقع عن[6] أفعال تكتسب، بل بدون[7] ما به استحقاقه يكون مولده.[8] وقد نفى عن نفسه ما به يكون بقوله: أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ.[9] والثالث ما قاله الراوندي: إنه لا بد من أن يُدْعَى إلى التسمي أو إلى التحقيق، إذ في الخلة[10] تحقيق ما[11] به يسمى؛[12] ثم لم يحتمل في هذا تحقيق ما به يسمى،[13] والاسم لم يرد به الإذن.[14]

ويحتمل[15] قوله: **بل له ما في السماوات والأرض** وجهًا آخر، وهو أن يقال: إن ما في السماوات وما في الأرض كلهم عبيده وإماؤه؛ فأنتم، مع شدة حاجتكم إلى الأولاد،

---

[1] أي اتخاذ الخليل، فهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (سورة النساء، ١٢٥/٤). يقول السمرقندي: «فإن قالوا: لمّا جاز أن يتخذ الله إبراهيم خليلا كقوله ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ واتخذ محمدا حبيبا، عليه إجماع الناس في استعمال اللفظ، لماذا لا يجوز أن يتخذ ولدا؟ وكما أن ذلك نسب إليه بطريق الكرامة لهما فكذلك نسبة عيسى إليه باسم الولد والابن كرامة لعيسى عليه السلام. قيل لهم: امتنع عامة أهل العلم عن إطلاق هذا الاسم مع تجويزهم إطلاق اسم الخليل والحبيب ونحوهما، فسقط قول من جوز تسميته ولدا وابنا بطريق المجاز منسوبا إلى الله تعالى لمخالفة عامة العلماء. فإن استدلوا بالخلة على جواز تسمية الولد حقيقة فهو فاسد لأنه ليس بمحل الاستدلال لما ذكرنا» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠ظ).

[2] هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار (ت نحو ٢٢٠هـ/٨٣٥م) ويذكره الإمام بهذا الاسم في *كتاب التوحيد*. وهو رأس الفرقة النجارية. انظر: *الفهرست* لابن النديم، ٢٢٩/١؛ و *الفرق بين الفرق* للبغدادي، ٢١٧؛ و*الملل والنحل* للشهرستاني، ٧٥-٧٧.

[3] ع: تكسب.

[4] ن ع م: وتستو.

[5] أي من صاحب الأفعال.

[6] ن: من.

[7] جميع النسخ: بدو.

[8] ك: من ولده.

[9] سورة الأنعام، ١٠١/٦.

[10] ك + إذ في الخلة.

[11] م - ما.

[12] م: تسمى.

[13] ن: تسمى.

[14] ع م - في هذا تحقيق ما به يسمى والاسم لم يرد به الإذن.

[15] ع م - ويحتمل.

لا تستحسنون أن تتخذوا عبيدكم وإماءكم أولادًا، فكيف تستحسنون ذلك لله عز وجل وتنسبونـ[ـه] إليه مع غناه[1] عنه؟ *وبالله التوفيق.*

وقوله: **كل له قانتون**، قيل فيه بوجوه. قيل:[2] إن كل من في السماوات والأرض من الملائكة، وعيسى، وعزير، وغيرهم من الذين قلتم:[3] إنه اتخذهم ولدًا، **قانتون** له مقرُّون[4] بالربوبية له والعبودية لأنفسهم.[5] وقيل: **قانتون**، مطيعون، أي كلهم[6] مطيعون متواضعون. وقيل: / القانت هو القائم؛ لكن القائم[7] يكون[8] على وجهين: يكون القائمَ المنتصب على [٢٥و] الأقدام، ويكون القائمَ بالأمر والحفظ. ثم لا يحتمل أن يراد بالقانت هاهنا المنتصب بالقدم، فرجع إلى الطاعة له وحفظ ما عليه؛ وهو كقوله: هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ،[9] من الحفظ والرزق. ويحتمل تنزيه الخلقة،[10] لأن خلقة كل أحد تُنَزِّه ربه عن جميع ما يقولون فيه؛[11] أو أن يقال: **كل له قانتون** في الجملة، كقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ.[12]

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[١١٧]

وقوله: **بديع السماوات والأرض**، ابتدعهما و لم يكونا شيئًا. والبديع والمبدع والمبتدع[13] واحد، وهو الذي لم يسبقه أحد في إنشاء مثله، ولذلك[14] سمي صاحب الهوى مبتدعًا لما لم يسبقه

---

[1] ن ع: غنائه.
[2] ن ع: وقيل.
[3] ع: قتلتم.
[4] ك ن ع + له.
[5] جميع النسخ + له.
[6] ع م - مطيعون أي كلهم.
[7] ع م - لكن القائم.
[8] ك - يكون.
[9] يقول الله تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سَمُّوهم﴾ (سورة الرعد، ٣٣/١٣).
[10] س - الخلقة.
[11] قال السمرقندي: «فعلى هذا التأويل تجري لفظة كل على استغراق كل محدث لوجود شهادة الخلقة في الكل. وعلى التأويل الأول يراد بالكل الأكثر، فإن الدهرية والطبائعية ونحوهم غير مقرين بالله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠ظ).
[12] سورة الزخرف، ٨٧/٤٣.
[13] ك م - والمبتدع.
[14] ن ع م: وكذلك.

في مثل فعله أحد. ثم فيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا: اِتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا.[١] يقول: إن من قدر على خلق السماوات والأرض من غير شيء ولا سبب كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير أب؟ والثاني أن يقال: إن من له القدرة على خلق ما يَصعُب ويَعظُم في أعينكم بأقل الأحرف[٢] عندكم كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير أب؟[٣]

وقوله: **وإذا قضى أمرا**، قيل: وإذا حكم حكمًا **فإنما يقول له كن فيكون**. وقيل: **وإذا قضى أمرا**، يعني قضى بإهلاك قوم واستئصالهم **فإنما يقول له كن فيكون**. ثم قوله: **كن فيكون**، ليس هو قول من الله أن كُنْ – بالكاف والنون– ولكنه عبارة بأوجز كلام يؤدي المعنى التام المفهوم، إذ ليس في لغة العرب كلام التحقيق بحرفين يؤدي المعنى المفهوم أوجز من هذا؛ وما سوى هذا[٤] فهو من الصِّلات والأدوات فلا يفهم معناها. *والله أعلم*.

ثم الآية ترد على من يقول بأن خلق الشيء هو ذلك الشيء نفسُه، لأنه قال: **وإذا قضى أمرا**؛ ذكر **قضى**،[٥] وذكر **أمرا**، وذكر **كن فيكون**. ولو كان التكوين والمكوَّن واحدًا لم يحتج إلى ذكر **كن** في موضع العبارة عن التكوين **فيكون**:[٦] فالـ'**كن**' تكوينه، فيكون المكون، فيدل أنه غيره.[٧]

ثم لا يخلو التكوين إما أن لم يكن فحدث،[٨] أو كان في الأزل. فإن لم يكن فحدث،[٩]

---

[١] انظر: الآية السابقة.

[٢] أي بأن يقول له: كن.

[٣] يقول علاءالدين السمرقندي: «الآية حجة ورد على الذين قالوا اتخذ الله [ولدا] ولذلك يقول: إن من قدر على خلق السماوات والأرض من غير أصل و[لا] مثال سبق ولا سبب تقدم وهو في أعينكم أصعب وأعظم من خلق عيسى ابن مريم من غير أب. فإذا كان قادرا عندكم على ذلك الأصعب فكيف تنكرون قدرته على ما هو دونه بكثير» (شرح التأويلات، ورقة ٤٠ظ-٤١و).

[٤] ع م – هذا.

[٥] ك – ذكر قَضَى.

[٦] م – فيكون.

[٧] يقول السمرقندي: «بيان وجه الرد عليه فإنه تعالى قال: ﴿وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾، أخبر أن وجود شيء من الأشياء عَلمه في الأزل وحكم بوجوده في وقته، فإن وجوده بقوله ﴿كن﴾. فقوله ﴿كن﴾ عبارة عن الإيجاد، وقوله ﴿فيكونَ﴾ عبارة عن الموجود لإفهام السامعين. ولو كان التكوين والمكوَّن واحدًا –كما زعم– لكان يكتفي بلفظ واحد عبارة عنه، إذ المعبَّر به مع المعبَّر عنه شيء واحد؛ فدلت الآية على أن التكوين غير المكون» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤١و).

[٨] ع: محدث.

[٩] ع: محدث.

فإما أن حدث بنفسه -ولو جاز ذلك في شيء لجاز في كل شيء-[1] أو بإحداثِ آخَرَ، فيكون إحداث بإحداث إلى ما لا نهاية له؛ وذلك فاسد. ثبت[2] أن الإحداث والتكوين ليس بحادث، وأن الله تعالى موصوف في الأزل أنه محدِث مكوِّن، ليكون كل شيء في الوقت الذي أراد كونه فيه. *وبالله التوفيق*.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١١٨]

وقوله: **وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية**، قيل فيه بوجوه. قيل: **الذين لا يعلمون** يعلمون في الحقيقة، ولكن سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بعلمهم. وقيل: **لا يعلمون** توحيد ربهم وهم مشركو العرب، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: هلّا يكلمنا الله، أو تأتينا آية فتخبرنا[3] بأنك رسوله. وقيل: **الذين لا يعلمون**،[4] أي لا يعلمون أنهم لم يبلغوا المبلغ الذي يتمنون تكليم الله إياهم. وقيل: **لا يعلمون** أنه[5] قد كلمهم وأخبرهم بالوحي وإيتاء[6] رسوله صلى الله عليه وسلم آيات على رسالته، لكنهم يعاندون.

وقوله: **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم**، قيل: **الذين من قبلهم** بنو إسرائيل، قالوا لموسى مثل ما قال مشركو العرب لمحمد[7] صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا.[8] وقيل: اليهود سألوا مثل سؤال النصارى. وقيل: النصارى سألوا مثل سؤال اليهود. *والله أعلم*.

---

[1] يقول السمرقندي: « والقول بأنه (أي التكوين) حدث بنفسه باطل، لأنه لو جاز حدوث شيء بلا إحداث محدث لجاز حدوث كل شيء، فيبطل القول بالصانع، لأن طريق معرفة الصانع هو وجود الحوادث. فإذا جاز وجود الحوادث بنفسها فلا ضرورة في ثبوت الصانع، إذ طريق معرفة الأشياء إما الحس، أو الخبر، أو الاستدلال؛ فإذا لم يثبت بطريق الاستدلال -وهو دلالة وجود المصنوع على الصانع- وطريق الخبر لم يوجد، والحس معدوم فبطل القول به» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤١و).

[2] ك: يثبت.

[3] ن: فيخبرنا؛ ع م: فيخبر.

[4] جميع النسخ + لولا يكلمنا الله.

[5] م: أنهم.

[6] ن + مثل قولهم قيل الذين من قبلهم.

[7] ع: محمد.

[8] سورة الفرقان، ٢١/٢٥.

وقوله: **تشابهت قلوبهم**، قيل: تشابهت قلوبهم بالكفر والسفه. وقيل: **تشابهت قلوبهم** في المقالة، يشبه بعضها بعضًا في السؤال، لأنهم سألوا سؤال تعنت، لا سؤال مسترشد.

وقوله تعالى: **كذلك قال الذين من قبلهم**، يحتمل وجهين؛ أحدهما هذا القول. والثاني أن سألوا[1] سؤال التعنت والعتو،[2] لا سؤال المسترشد،[3] إذ الله تعالى قد أثبت آيات الإرشاد لمن يبتغي الرشد. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله:[4] **قد بينا الآيات لقوم يوقنون**، قيل: بينا أمر محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات والحجج التي أقامها[5] أنه رسول لمن آمن به وصدقه ولم[6] يعانده.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[١١٩]

وقوله: **إنا أرسلناك بالحق**، قيل: **إنا أرسلناك** يا محمد لتدعوهم إلى الحق، وهو التوحيد. وقيل: **بالحق** بالقرآن. وقيل: **بالحق** بالحجج والآيات. **بشيرا** لمن أطاعه بالجنة، **ونذيرا** لمن عصاه وخالف أمره بالنار. وقيل: **بالحق** الذي لله على الخلق، والحق الذي لبعض على بعض لتدعوهم إليه وتدلهم عليه.

وقوله: **ولا تسأل عن أصحاب الجحيم**؛[7] وجائز أن يكون بمعنى لا تُسأَلُ بعد هذا عنهم، ولم يذكر[8] أنه سئل عنهم بعده، فيكون ذلك آية له[9] بما هو خبر عن علم الغيب.

---

[1] ك: يسألوا.

[2] ن – والعتو.

[3] جميع النسخ: مسترشد.

[4] ك: قوله.

[5] ك: أقمناها.

[6] ك: ولما.

[7] ن هـ، ع هـ، م هـ + قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾، فيه لغتان: بنصب التاء وضمها. أما النصب فقد قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن أبويه ذات يوم فقال: ليت شعرى ما فعل أبواي؟ فأوحى الله تعالى إليه: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ بمعني النهي عن السؤال عن أصحاب الجحيم. وأما الضم فيحتمل وجهين. أحدهما، أي لا تُسأل أنت يا محمد عن ذنوب أصحاب الجحيم، وهو كقوله تعالى: ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٣٤، ١٤١)، وكقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٦٤) ونحوه. والثاني، أي لا تُسأل بعد هذا عن أصحاب الجحيم، ولم يذكر أنه سئل عنهم بعده. فإن كان على هذا الوجه فهو أثر ودلالة على إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه أخبر عن الغيب، ولا يعرف الغيب إلا بطريق الوحي. والله أعلم. انظر: نسخة نور عثمانية، ورقة ٢٥ظ؛ ونسخة عاطف أفندي، ورقة ٢٤ظ.

[8] ع م: تذكر.

[9] لرسالته.

قيل: إن رسول الله[1] صلى الله عليه وسلم قال: «ليت شعرى ما فعل أبواي»، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[2]

وفيها لغتان: **لا تَسأل**، بنصب التاء، وهو ما ذكرنا. ويحتمل وجهًا آخر، أي لا تشتغل بأصحاب الجحيم، فإن ذلك تكلف منك وشغل. وفيها لغة أخرى برفع التاء **لا تُسأل عن أصحاب الجحيم**، أي لا تسأل أنت يا محمد عن قلوب أصحاب الجحيم؛[3] وهو كقوله: وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[4] وكقوله: عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[5] وكقوله: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى،[6] ونحوه.

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[١٢٠]

وقوله: **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**، اختلف في الملة؛ قيل: الملة السنة، كقوله: «باسم الله، وعلى ملة رسول الله»،[7] وكقوله: وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا.[8] وقيل: الملة الدين، كقوله عليه السلام: «لا يتوارث أهل الملتين».[9] وقيل: الملة هاهنا القبلة، وهو كقوله: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ.[10] آيس[11] عز وجل رسوله[12] صلى الله عليه وسلم / عن اتباع أولئك دينه وقبلته، [٢٥ظ]

---

[1] ن: إن النبي.

[2] انظر لنقل الرواية ونقدها: *تفسير الطبري*، ٥١٦/١؛ و*تفسير القرطبي*، ٩٢/٢.

[3] ن – أي لا تسأل أنت يا محمد عن قلوب أصحاب الجحيم. ن هـ + أي لا تسأل أنت يا محمد عن قلوب أصحاب الجحيم؛ ع م: عن ذنوب الجحيم.

[4] سورة البقرة، ١٣٤/٢، ١٤١.

[5] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

[6] سورة الأنعام، ١٦٤/٦.

[7] عن ابن عمر، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أدخل الميت القبر، قال: «باسم الله وعلى ملة رسول الله» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٧/٢، ٤٠، ٥٩، ٦٩؛ و*سنن أبي داود*، الجنائز ٦٥؛ و*سنن الترمذي*، الجنائز ٥٤).

[8] سورة النساء، ١٢٥/٤؛ وسورة النحل، ١٢٣/١٦.

[9] «لا يتوارث أهل الملتين شيئًا» (*صحيح البخاري*، الحج ٤٤؛ و*سنن أبي داود*، الفرائض ١٠؛ و*سنن الترمذي*، الفرائض ١٥).

[10] سورة البقرة، ١٤٥/٢.

[11] ن: آمن؛ ع: أنس.

[12] ع: رسول الله.

لأنهم يختارون الدين والقبلة بهوى[1] أنفسهم، لا بطلب[2] الحق ولظهوره[3] ولزوم الحجة. وذلك أن النصارى إنما اختاروا قبلتهم المشرق، لأن مكان الجبل الذي كان فيه عيسى في ناحية المشرق[4] بقوله: إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا.[5] واليهود اختاروا قبلتهم ناحية المغرب، لأن موسى عليه السلام كان بناحية المغرب[6] لمَا أُعطى الرسالةَ وكلمه ربه، كقوله: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ.[7]

وأما أهل الإسلام فإنما اختاروا الكعبة شرّفها الله[8] قبلة بالأمر، لا اتباعًا لهواهم؛ والعقل يوجب أن تكون الكعبة قبلة، إذ هي مقصد الخلق من آفاق الدنيا. فلما احتيج في الصلاة إلى التوجه إلى وجه[9] كان أحقَّ ذلك الموضع الذي جعل[10] للخلق مقصدًا أحرى.[11]

ثم قوله تعالى: **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**، أخبر عز وجل رسوله أن ليس في وسعك إرضاء هؤلاء لاختلافهم في الدعاوي في الملل.[12]

فإن قيل: كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه أن لا يَتّبع؟

قيل: لان العصمة لا تزيل المحنة[13] ولا تدفعها، بل المحنة[14] إنما تقع في العصمة لوجهين. أحدهما أن عصمته لما مضى لا توجب عصمته في الحادث. والثاني أن أحق من ينهى عن الأشياء مَن أُكرم بالعصمة، إذ على زوال النهي يرتفع عنه جهة العصمة، لأنه يصير برفع[15] النهي مباحًا. فلهذا دل القول على النهي[16] [عن] ما فيه إرضاؤهم، وإن كان في الأصل

[1] ن: تهوي؛ ع: يهوي.
[2] ن: يطلب؛ ع: تطلب.
[3] ن ع م: وظهوره.
[4] ك: الشرق.
[5] سورة مريم، ١٦/١٩.
[6] ك ن: الغرب.
[7] سورة القصص، ٤٤/٢٨.
[8] ن – شرفها الله.
[9] ع م – إلى وجه.
[10] ن – جعل.
[11] ع: أجرى؛ م: آخر.
[12] ك: الملك.
[13] ن: العصمة.
[14] ع م – بل المحنة.
[15] ن: يرفع.
[16] جميع النسخ: على نهي.

معصوما عنه. *وبالله التوفيق*. وفي إزالة الأمر والنهي إزالة فائدة العصمة، لأن العصمة هو أن يعصم في الأمر حتى يؤديه، وفي النهي حتى ينتهي عنه. *وبالله التوفيق*.

وقوله: **قل إن هدى الله هو الهدى**، قيل: إن دين الله الذي اختاره أهل الإسلام بالأمر واتباع الآيات والحجج هو الدين، لا كما اختار أولٰئك بهوى أنفسهم واستقبال الآيات والحجج بالرد والإنكار والمعاندة. ويحتمل أن يكون الخطاب في قوله: **ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم** والبيان لأصحابه[١] ومن دخل في دينه وصدّقه، لا له.[٢] وذلك كثير في القرآن يخاطَب هو، والمراد[٣] غيره.

وقوله: **ما لك من الله من ولي ولا نصير**؛ ظاهره: [مَا لَكَ] **من ولي** يتولى الدفاع عنك، **ولا نصير** يمنعك من العذاب. ويحتمل: ينصرك فتغلب به سلطانَ الله فيما يريد تعذيبك.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١٢١]

وقوله: **الذين آتيناهم الكتاب**، قيل:[٤] **الكتاب**، أراد به التوراة أو الإنجيل. وقيل: أراد به[٥] القرآن. ومن حمله على التوراة والإنجيل قال: فيه إضمار "واو"،[٦] كأنه قال: **الذين آتيناهم الكتاب [و]يتلونه حق تلاوته أولٰئك يؤمنون به**، أي إذا تلوا حق التلاوة فحينئذ يؤمنون به.[٧] وقيل: **يتلونه حق تلاوته**، يعني يعملون به حق عمله ولا يكتمون نعته صلى الله عليه وسلم ولا يحرفونه. **أولٰئك يؤمنون به**، وهم الذين أسلموا منهم. وقيل: يتبعونه حق اتباعه، وهو[٨] واحد. ومن حمله على القرآن، فالذين يتلونه حق تلاوته، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] جميع النسخ: أصحابه. أي يحتمل أن يكون الخطاب لأصحاب النبي.
[٢] جميع النسخ: لا هو.
[٣] ع: المراد.
[٤] ك - قيل.
[٥] ع + التوراة أو الإنجيل وقيل أراد به؛ م + التوراة أو الإنجيل أراد.
[٦] ع م: أو.
[٧] ن - به.
[٨] ع م + اتباعه.

[﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١٢٢] ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾][١٢٣][1] ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١٢٤]

وقوله تعالى: **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن**، قيل:[2] الابتلاء والامتحان في الشاهد استفادة علم خَفِيَ عليه[3] من الممتحَن والمبتلَى به ليقع فيه[4] علم ما كان ملتبسًا عليه. وفي الغائب لا يحتمل ذلك، إذ[5] الله عز وجل عالم[6] في الأزل بما كان وبما يكون في أوقاته أبدًا.

ثم يرجع الابتلاء منه إلى وجوه. أحدها أنه يخرج مخرج الأمر بالشيء أو النهي عنه، لكن الذي ذكر يظهر بالأمر والنهي فسمي ابتلاء من الله. والثاني ليكون ما قد علم الله أنه يوجد موجودًا،[7] وليكون ما قدم علم أنه سيكون كائنًا. وعلى[8] هذا يخرج قوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ:[9] حتى نعلمه موجودًا؛ كما علم أنه يوجد، كما قال: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ؛[10] علْم الغيب علمُ أنه موجَدٌ، وعلْم الشهادة علم به موجودًا؛ حتى يوجد الذي علم أنه يجاهد منهم مجاهدًا ويصير منهم صابرًا.

ثم اختلف في الكلمات التي ابتلاه بها. فقال بعضهم: الكلمات هي التي[11] ذكرت

---

[1] انظر لتأويل الآيتين: سورة البقرة، ٢/٤٧-٤٨.

[2] ك + قال.

[3] أي على المتحن.

[4] جميع النسخ: عنه.

[5] ع: أن.

[6] ع م – عالم.

[7] هذه العبارة جاءت في كل من النسخ على هيئات مختلفة. ك: ليوجد ما قد علم أنه يوجد موجودًا؛ ن: ليوجد مأخذ علم أنه يوجد موجودًا؛ ع م: ليوجد ما قدم علم الغيب والشهادة علم الله أنه يوجد موجودًا. يقول السمرقندي: «وهذا لأن الله تعالى عالم في الأزل أن يوجد من هذا الطاعةُ، وأن يوجد من هذا المعصيةُ، فأمر ونهى لوجود ما علم بوجوده فيعلمه موجودًا، كما كان قد علم أنه يوجد، فيصير معلومًا بعد الوجود كما هو معلوم قبل الوجود؛ إذ علم الله تعالى يتعلق بالموجود والمعدوم جميعًا لكي يتعلق به كما هو، إن كان معدومًا يعلمه معدومًا، وإن كان موجودًا يعلمه موجودًا...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢و).

[8] ع: علي.

[9] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخباركم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣١).

[10] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦/٧٣؛ وسورة التوبة، ٩/٩٤، ١٠٥.

[11] ن – هي التي.

في سورة الأنعام، وهو قوله:[١] فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا،[٢] ورأى القمر بازغًا،[٣] ورأى الشمس بازغة؛[٤] وهي[٥] الحجج التي أقامها على قومه، بقوله: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ.[٦] وقيل: ابتلاه بعشر ففعلهن، خمسة في الرأس، وخمسة في الجسد. لكن في هذا ليس كبير[٧] حكمة، إذ يفعل هذا كل واحد، ولكن الحكمة فيه هي ما قيل أن ابتلاه بالنار حيث ألقي فيها، فصبر حتى قال له جبريل: «أتستعين بي؟»، فقال:[٨] «أمّا منك فلا».[٩] وابتُلي بإسكان ذريته الوادي الذي لا ماء فيه ولا زرع ولا غرس. وابتُلي بالهجرة من عندهم، وتركهم هنالك،[١٠] وهم صغار، ولا ماء معهم ولا زرع ولا غرس. وابتُلي بالهجرة إلى الشام. وابتلي بذبح ولده. [و]ابتلي بأشياء لم يُبتل أحد من الأنبياء بمثله، فصبر على ذلك. ففي مثل هذا يكون وجه الحكمة.

وفيه لغة أخرى: **وإذ ابتلى إبراهيمُ** -بالرفع- **ربَّه**، بنصب الباء؛ ومعناه، والله أعلم، أنه سأل ربه كلمات فأعطاهن. وهو تأويل مقاتل، وهو أن قال: اجعلني للناس إماما، قال: نعم، واجعل هذا المكان آمنا، قال: نعم، وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ، قال: نعم.[١١] قال:[١٢] وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ،[١٣] قال: نعم،

---

[١] ع – هو قوله؛ م – هو.

[٢] يقول الله تعالى: ﴿فلما جَنّ عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ (سورة الأنعام، ٧٦/٦).

[٣] ﴿فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ (سورة الأنعام، ٧٧/٦).

[٤] ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريئ مما تشركون﴾ (سورة الأنعام، ٧٨/٦).

[٥] ن ع م: هي.

[٦] سورة الأنعام، ٨٣/٦.

[٧] ن: كثير.

[٨] ك: قال؛ ع م + له.

[٩] ذكر القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن إبراهيم حين قيّدوه ليلقوه في النار، قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك». قال: ثم رموا به في المَنْجَنِيق من مضرب شاسع، فاستقبله جبريل، فقال: «يا إبراهيم، ألك حاجة؟» قال: «أما إليك فلا»، فقال جبريل: «فاسأل ربك». فقال: «حسبي من سؤالي علمه بحالي» (*تفسير القرطبي*، ٣٠٣/١١؛ و*تفسير البغوي*، ٢٥٠/٣).

[١٠] ك: هناك.

[١١] ك م – واجعل هذا المكان آمنا قال نعم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك قال نعم.

[١٢] م – قال.

[١٣] سورة البقرة، ١٢٨/٢.

وَاجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا، قال نعم. قال: وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،[1] قال: نعم؛ مثل هذا سأل ربه،[2] فأعطاهن إياه.

وقوله: **قال إني جاعلك للناس إماما**، يحتمل جعله رسولاً يقتدى به، لأن أهل الأديان مع اختلافهم يدينون به، ويقرون بنبوته. ويحتمل / **إماما**، من الإمامة والخلافة. [٢٦و]

وقوله: **قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**. فإن قيل: كيف كان قوله: **لا ينال عهدي الظالمين** جوابًا لقوله: **ومن ذريتي**، وكانت الرسالة في ذريته[3] لقوله: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ.[4] قيل: يحتمل قوله: **ومن ذريتي** أحب أن تكون الرسالة تدوم في ذريته[5] أبدًا حتى لا تكون[6] بين الرسل فترات، فأخبر أن في ذريته من هو ظالم، فلا ينال الظالم عهده. ويحتمل أن يكون سؤاله جعْل الرسالة في أولاد إسماعيل، لأن العرب من أولاد إسماعيل عليه السلام. فأخبر أن في أولاده ظالم، فلا يناله. والعهد كما ذكرنا[7] هو الرسالة والوحي. وقال[8] الحسن: لا ينال الظالم في الآخرة العهد. ويحتمل أن يكون المراد من ذلك: وذريتي، فأخبر أن فيهم من لا يصلح لذلك.[9] ويحتمل أن يريد به الإمامة[10] لا النبوة،

---

[1] سورة البقرة، ٢/١٢٦.

[2] جميع النسخ + هذا.

[3] ع م + أبدًا حتى.

[4] ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني برآء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٢٦-٢٨).

[5] ن ع م - لقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه قيل يحتمل قوله ومن ذريتي أحب أن تكون الرسالة تدوم في ذريته.

[6] ن ع م: يكون.

[7] جميع النسخ: ما ذكرنا.

[8] ن: قال.

[9] «وقوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ خرج جوابا لسؤاله على طريق الرد والإنكار، وهذا يقتضي أن كل من سأل الإمامة له من أولاده يكون موصوفا بالظلم ولا ينال الإمامة؛ هذا من حيث ظاهر اللفظ لغة... وقد كانت الرسالة في كثير من أولاده من إسحاق، وختمت بولده من إسماعيل وهو رسولنا صلى الله عليه و سلم وقال تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾، فيكون هذا تناقضا من حيث الظاهر وخلفا في الخبر. قال الإمام: فهذه شبهة الملحدة، والقول في دفع هذه الشبهة من وجوه. منها قيل: يحتمل أن يكون هذا منه سؤالا لجميع ذريته، كأنه قال: ﴿وذريتي﴾ فإن كلمة «من» قد تذكر لبيان الجنس كما يذكر للتبعيض، قال تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ والمراد الاجتناب من جميع الأوثان لا من البعض، فيكون قوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ ردًا لسؤال الإمامة في جميع ذريته، وذريته لا تخلو من الظالم الذي لا يصلح لذلك فلا يتحقق الرسالة في جميعهم. فكان هذا ردًا للرسالة في الجميع لا في البعض. والرسالة إنما يتحقق في البعض دون الكل، فلا يكون هذا خلفا منه في الإخبار» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢ظ).

[10] ك ع: الأمانة.

وقد كانت هي[١] في نسل كل الفرق، والنبوة[٢] كانت فيهم.[٣] ويحتمل أن يكون قصد خصوصًا من ذريته،[٤] ممن علم الله أن فيهم من لا يصلح لذلك؛ ولا يحتمل[٥] أن يريد به الإمامة[٦] لا النبوة، وقد ذكر أو قال: الإنسان، [ف]قيل له: إنه من ذريتك لكن لا ينال من ذكر، ولهذا خَصّ بالدعاء من آمن منهم دون من كفر.[٧]

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[١٢٥]

وقوله: **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا**، قيل: المثابة المجمع. و[٨]قيل: المثابة المرجع؛ يثوبون: يرجعون. وقيل: يحجون.

وقوله: **مثابة للناس وأمنا**، هو فعل العباد، لأنهم يأمنون ويثوبون؛ أخبر أنه جعل ذلك، ففيه دلالة خلق أفعال العباد.[٩]

ثم بين فيه عز وجل شدة اشتياق الناس إليها[١٠] وتمنيهم الحضور بها، مع احتمال الشدائد والمشقة، وتحمل[١١] المؤن مع بعد المسافة والخطرات. فدل أن الله تعالى بلطفه وكرمه حبب ذلك إلى قلوب الخلق، وأنه جعل[ه] من آيات الربوبية والوحدانية وتدبير سماوي، لا من تدبير البشر.

---

[١] ع م – هي.
[٢] ن ع م: النبوة.
[٣] م + منهم.
[٤] «يحتمل أن يكون سؤاله الإمامة في أولاد إسماعيل بعد وفاته» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣و).
[٥] «نفي الاحتمال الأول، أي أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ومن ذريتي﴾ الذرية جميعًا بجعل ﴿من﴾ لبيان الجنس. ومع هذا الاحتمال يمكن أن يكون المراد بالعهد الإمامة، لا النبوة والرسالة. وفي هذا الاحتمال الثاني يرى أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ومن ذريتي﴾ الخصوص من ذريته، وليس الذرية جميعًا، بجعل ﴿من﴾ للتبعيض. ومع هذا الاحتمال يمكن أن يريد بالعهد الإمامة، لا النبوة والرسالة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٢ظ، ٤٣و).
[٦] ك ن ع – الأمانة.
[٧] لعله يشير إلى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (سورة البقرة، ١٢٦/٢).
[٨] م – قيل المثابة المجمع و.
[٩] ع: العبادة.
[١٠] جميع النسخ: إليه. «جعل البيت مثابة. ويقرر ذلك ما يلي من قوله: وتمنيهم الحضور بها». ويرشح ذلك ما ذكره السمرقندي في كتابه *شرح التأويلات*، ورقة ٤٣و.
[١١] ع: ويحتمل.

وفيه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ أخبر عما قد[1] كان، فثبت أنه أخبر عن الله عز وجل.

وقوله تعالى: **وأمنا**، لمن دخله، من[2] عذاب الآخرة. وقيل: **أمنا** لكل محترم[3] أوى[4] إليه من القتل وغيره، كقوله: وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا،[5] عن كل ما ارتكب.

وأما عندنا فإنه إن قتل قتيلاً، ثم التجأ إليه، فإنه لا يقتل ما دام فيه،[6] لأنه لا يقتل للكفر[7] هنالك، فعلى ذلك القصاص، لقوله: وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛[8] وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن مكة حرام بتحريم الله إياها يوم خلق الله[9] السماوات والأرض؛ لم تحل لأحد قبلي[10] ولا تحل لأحد[11] بعدي،[12] وإنما أحلت لي[13] ساعة من نهار. لا يختلى خلاها[14] ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها».[15] وما وري عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لو ظفرت بقاتل عمر في الحرم ما قتلته».[16] وإذا قتل في الحرم يقتل به هنالك.

والوجه فيه أن إقامة مثله عليه فيما يرتكبه[17] في الحرم أحق، إذ هي كفارة لينزجر عما ارتكبه،[18] وأحق ما يقع فيه الزجر بمثله ما هو فيه من المكان. وإذا قَتل في غير الحرم،[19]

---

[1] م – قد.

[2] جميع النسخ: عن.

[3] ن ع: محترم؛ م: محرم.

[4] ع + واوى؛ م + به اوى.

[5] ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا﴾ (سورة آل عمران، ٩٧/٣).

[6] لعل الماتريدي يشير إلى أن الآية حجة على الشافعي ومالك في إباحة دمه إذا التجأ إلى الحرم. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣و.

[7] ع – للكفر.

[8] ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ (سورة البقرة، ١٩١/٢).

[9] ك – الله.

[10] ك: قتل.

[11] ع م – قبلي ولا تحل لأحد.

[12] ك: تعين.

[13] م – لي.

[14] ن هـ: اختلى الخلال: أي قطع الحشيش، والخلى: الحشيش الرطب.

[15] صحيح *البخاري*، الحج ٤٣؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥-٤٤٨.

[16] روى الطبري في تفسيره هذا الخبر عن طريق عطاء عن ابن عمر بلفظ « لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هِجْتُه». انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٤؛ وانظر أيضا: *نيل الأوطار* للشوكاني، ١٩٢/٧، ١٩٤. وما هِجْتُه: أي ما أزعجته.

[17] ع: ترتكبه.

[18] ن ع م: عما ارتكب.

[19] ع: المحرم.

ثم التجأ إلى الحرم؛ قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا يخرج من[١] الحرم.[٢] وأبو يوسف رضي الله عنه جعل ذلك للسلطان، ذهب إلى أنه [تعالى] قال: وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، كما قال: فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ[٣] [فَاقْتُلُوهُمْ]،[٤] فأوجب الإخراجَ من حيث أَخرج، كما أوجب القتلَ من حيث[٥] قَتل. قيل: لا يُخرج[٦] من الحرم إذا لم يَخرج منه، كما لا يُقتل[٧] في الحرم إذا لم يَقتل فيه. أو نقول: الإخراج[٨] للقتل قصد ما لم يَسُغْ[٩] فعله فيه؛ كان كالصيد يُخرَج،[١٠] يلزم فيه ما يجب بالقتل، فمثله في موضع الخطر.[١١]

وبعد، فإنه لو أخرج لم يأمن بالحرم،[١٢] بل زيد[١٣] في عقوبته، إذ الإخراج عقوبة، فـ[يكون] قد زيد عليه، مع ما لم يجز في الكفار الذين نهوا عن قتلهم إخراجُهم للقتل، كذلك القاتل.

وذهب الآخر إلى أنه يُخرَج لإقامة الحد عند[١٤] أبي حنيفة رضي الله عنه، وإن لم يرتكب فيه. وإخراج المرتكب[١٥] أقل في الحكم من إقامته عليه. غير أنه غلط،[١٦] لأن إخراجه للقتل

---

[١] ع: في.

[٢] «قال أبو حنيفة: لا يخرج من الحرم ليقتل خارج الحرم، لكن يمنع منه الطعام والشراب ولا يبايع ليضطر فيخرج بنفسه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣و).

[٣] جميع النسخ + فيه.

[٤] سورة البقرة، ١٩١/٢.

[٥] ع م - أخرج كما أوجب القتل من حيث.

[٦] جميع النسخ: لم يخرج.

[٧] جميع النسخ: لم يقتل.

[٨] جميع النسخ: بالإخراج.

[٩] ن ع م: لم يسع.

[١٠] ن ع م: يخرج.

[١١] «ولأن بالإجماع أن إقامة الحدود فيما دون النفس جائز وإن لم يرتكب أسبابها في الحرم. ولا شك أن الإخراج لإقامة الحدود دون إقامة الحدود ولكن أبو حنيفة يقول: إن القتل فيه حرام والإخراج قصد التحقيق لما هو حرام فيكون حراما. ألا ترى أن قتل الصيد لما كان حراما كان إخراجه من الحرم حراما حتى يلزمه الجزاء في الإخراج حيث ما يلزمه بالقتل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣و).

[١٢] لعله يشير إلى الآية التي نحن بصدد تأويله وإلى قوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ (سورة آل عمران، ٩٧/٣).

[١٣] ع: يزيد.

[١٤] ع: عن.

[١٥] جميع النسخ + له.

[١٦] ك: غلظ.

أرفع[١] من الحد، لأنه[٢] يوصل[٣] إلى قتله؛ ولأن[٤] في القتل عقوبة واحدة، وفي الإخراج عقوبتان. ثم [إذ] لم يلزمه العقوبة الواحدة وهي القتل -إذا لم يَقْتُل فيه- كان أحق[٥] أن لا يلزمه العقوبتان.[٦]

وقوله: **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**؛ اختلف في مقام إبراهيم؛ منهم من جعل الحرم كله مقامه، يصلي إليه لِمُقامه هناك[٧] بأولاده. ومنهم من جعل المسجد مقامه، لأنه كان مكان[٨] عبادته، فهو المصلى. ومنهم من جعل ما ظهر من مقامه، وهو موضع ركوبه ونزوله، لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم مكة قام إلى الركن اليماني، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تتخذ[٩] مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله تعالى: **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**.[١٠]

وعندنا القبلة البيت، لقوله[١١] تعالى: فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ،[١٢] وقوله: جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ،[١٣] أي مقامًا لقيام العبادات.

وقوله تعالى: **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل**، فيه الأمر ببنائه.[١٤]

وقوله: **أن طهرا بيتي**، يحتمل التطهير وجهين.[١٥] أحدهما عن الأصنام والأوثان التي كانت هنالك، وعبادة غير الله و[التطهير عن] الأنجاس. ويحتمل التطهير عن كل أنواع الأقذار، وعن كل أنواع المكاسب، على ما روي في جملة المساجد.

---

[١] ك: ارتفع؛ ن ع م: ليرفع.
[٢] ع: لأن.
[٣] جميع النسخ: يصل.
[٤] جميع النسخ: ولما.
[٥] جميع النسخ: من.
[٦] ع: العقوبات؛ جميع النسخ + أحق.
[٧] ن ع م: هنالك.
[٨] ن: مقام.
[٩] ن: نتخذ.
[١٠] *صحيح البخاري*، التفسير ٩؛ وصحيح مسلم، الحج ٣٨٨-٣٩٥؛ *وتفسير الطبري*، ٥٣٤/٣؛ *وتفسير ابن كثير*، ١٧٠/١.
[١١] ن ع م: كقوله.
[١٢] ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (سورة البقرة، ١٤٤/٢). وانظر: سورة البقرة، ١٥٠/٢.
[١٣] سورة المائدة، ٩٧/٥.
[١٤] يقول السمرقندي: «وقيل هذا أمر بالبناء، ثم بالتطهير، إذ تطهير البيت قبل البناء لايتحقق؛ فكان الأمر بالتطهير أمرا بالبناء ضرورة واقتضاء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣ظ).
[١٥] جميع النسخ: لوجهين.

وقوله: **للطائفين والعاكفين [والرُّكَّع السُّجود]**؛ قيل: **الطائف** هو القادم، سمي طائفًا لدخوله بطوافه. وقيل: لاستحباب[١] الطواف. لذلك قال أصحابنا: الطواف للقادم أفضل من الصلاة، والصلاة للمقيم أفضل. **والعاكف**: المقيم، **والركع السجود**، منهما جميعًا. وقيل: "العاكفون"[٢] المجاورون.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١٢٦]

وقوله: **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا**؛ قد ذكرنا الوجه في قوله: / آمِنًا.[٣] [٢٦ظ]

وقوله: **وارزق أهله من الثمرات [من آمن منهم بالله واليوم الآخر]**، لما عَلم أن المكان ليس بمكان ثمر[٤] ولا عشب، دعا وسأل ربه أن يرزق أهله عطفًا على أهله وعلى كل من ينتاب إليه من الآفاق.

ثم خص المؤمنين بذلك لوجوه. أحدها أنه لما أمرهما بتطهير البيت عن الأصنام والأوثان ظن أنه لا يجعل لسوى أهل الإيمان هنالك مقامًا، فخصهم[٥] بالدعاء وسؤال الرزق. والثاني أنه أراد أن يجعل[٦] آية من آيات الله ليرغب الكفار في[٧] دين الله، فيصيروا أمة واحدة؛ فكان كقوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ،[٨] الآية. ووجه آخر،

---

[١] ع م: الاستحباب

[٢] ن: العاكفين.

[٣] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٥).

[٤] م: ثم.

[٥] جميع النسخ: فخص لهم.

[٦] أي أن يجعل الله.

[٧] جميع النسخ: إلى.

[٨] ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣). «فلم يستجب دعاءه، كيلا يصيروا مضطرين في الدخول في الإسلام، فلا يبقى لإيمانهم قدر ولا خطر؛ لأن الإيمان النافع الموصل إلى نعيم الأبد هو الإيمان عن غيب لقوله تعالى: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ ولو جعل الغنى خاصة للمؤمنين، والفقر، والبؤس للكفار، لآمنوا جبرًا بميل طباعهم؛ وصار هذا نظير قوله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقف من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾. أخبر الله تعالى أنه لولا صيرورة الناس أمة واحدة تميل طباعهم إلى زخارف الدنيا ونعيمها لجعل لبيوت الكفار سقفًا من فضة وجعل لها معارج يظهرون عليها فكان الإيمان النافع المعتبر ما كان عن غيب اختيارًا مع منازعة النفس والهوى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣ظ).

قيل: لما كان قيل له: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، فلعله خشي أن يخرج ذلك مخرج المعونة لهم على ما فيه العصيان. وفي ذلك أن لا بأس ببيع الطعام من الكفرة، ولا يصير ذلك كالمعونة على ما هم عليه.[1] ويحتمل الدعاءُ المبهم[2] للكفرة القبحَ، إذ ذلك اسم[3] من يعبد غير الله.[4]

وقوله: [قال] **ومن كفر فأمتعه قليلا** بالنعم،[5] لأن الدنيا دار محنة لا توجب النظر إلى المستحق للنعم من غير المستحق، ولا إلى الولي من العدو في الدنيا؛ وأما[6] الآخرة فهي دار[7] جزاء ليست بدار محنة، فيوجب[8] النظر إلى المستحق للنعم[9] من غير المستحق.[10]

ومعنى قوله: **قليلا**، لأن الدنيا كلها[11] قليل.

ثم الامتحان على وجهين: امتحان بالنعم، وامتحان بالشدائد.

وقد قرئ: **فأَمْتِعْه**، على معنى دعاء إبراهيم عليه السلام: **ومن كفر فأَمْتِعْه**، بالجزم.

فإن قيل: لم لا كان تفاضل الامتحان بتفاضل النعم؛ وإنما يعقل فضل الامتحان بفضل العقل، ويعلم أن المؤمن هو المفضَّل بالعقل، كيف لا وقع فضل ما به يمتحن، وهو النعم؟

[قلنا:] لأن العقل الذي به يدرك الحق واحد، لا تفاضل فيه لأحد؛ ثم العقل الذي به يمتحن واحد، فهما متساويان، فيما به درك الحق، إلا[12] أن أحدهما يدركه فيتبعه، والآخر يدركه فيعانده؛ فهو من حيث معرفته ذو عقل، أعرض[13] عنه[14] فسمي[15] معاندًا، إذ من لا عقل له يسمى مجنونًا.

---

[1] م هـ + ولا يصير كالمعونة على ما يتم عليه،صح.

[2] أي إذا لم يختص بالدعاء من آمن بالله واليوم الآخر.

[3] ك – اسم؛ ع: هم.

[4] يقول علاء الدين السمرقندي: «وقيل: لما قيل لإبراهيم عليه السلام ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾، وهو اسم من يعبد غير الله تعالى، فلعله خشي أن لو سأل للكفار والمؤمن جميعًا أن يخرج ذلك منه مخرج سؤال المعونة لهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان، فامتنع عن ذكر الكفار» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٣ظ).

[5] جميع النسخ: للنعم.

[6] ك + في.

[7] ج + القرار.

[8] ن: فوجب.

[9] ن: للمنعم.

[10] ع م – للنعم من غير المستحق.

[11] ع م: كله.

[12] ع م: لا.

[13] ن – أعرض.

[14] ع – عنه.

[15] ك: فيسمى.

وقوله: **ثم أضطره إلى عذاب النار**، ذكر الاضطرار، وهو كقوله: خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ،[١] وهو السَّوق، وكقوله: وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ،[٢] إنهم يساقون إليها ويُدَعّون،[٣] لا إنهم يأتونها طوعًا واختيارًا.

وقوله: **وبئس المصير**، أي بئس ما صاروا إليه.[٤]

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١٢٧]

وقوله: **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل [منا]**؛ أُمِرَا برفع البيت وبنائه،[٥] ففعلا، ثم[٦] سألا ربهما أن يتقبل منهما. فهكذا الواجب على كل مأمور بعبادة أو قربة إذا فرغ منها وأداها: أن يتضرع إلى الله ويبتهل ليقبل منه، وأن لا يرد عليه ليضيع[٧] سعيه.[٨]

وقوله: **إنك أنت السميع** لدعائهم؛[٩] **العليم** بما[١٠] نووا وأضمروا.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١٢٨]

وقوله: **ربنا واجعلنا مسلمين لك**؛ والإسلام، قد ذكرنا فيما تقدم[١١] أنه يتوجه إلى وجوه. أحدها هو الخضوع له[١٢] والتذلل. والثاني هو الإخلاص. ثم اختلف أهل الكلام في الإسلام. فقال بعضهم: إنه[١٣] يتجدد في[١٤] كل وقت،[١٥] لذلك سألوا ذلك؛ وهو كقوله تعالى:

---

[١] سورة الدخان، ٤٤/٤٧.

[٢] ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وِرْدًا﴾ (سورة مريم، ١٩/٨٦).

[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يوم يدعُّون إلى نار جهنم دعًا﴾ (سورة الطور، ٥٢/١٣).

[٤] ك م – وقوله وبئس المصير أي بئس ما صاروا إليه.

[٥] ن ع: وبنائه.

[٦] ع: على.

[٧] ن: ليضع.

[٨] ك م + وقوله وبئس المصير أي بئس ما صاروا إليه.

[٩] ك – لدعائهم.

[١٠] ن: لما.

[١١] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٢).

[١٢] ع م – له.

[١٣] ن – إنه.

[١٤] ع – في.

[١٥] قال السمرقندي: «قالوا ذلك، لأن العرض لا بقاء له عندهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٣ ظ). ويبدو أن الإمام يقصد بهم أهل السنة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ؛[1] معناه: آمنوا بالله في حادث الوقت، لأنه تارك فعل[2] الكفر في كل وقت، فبترك[3] الكفر يتجدد[4] له الإيمان. وعلى ذلك يخرج تأويلنا في الزيادة بقوله:[5] زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[6] يتجدد له ويزداد في حادث الوقت. وقال آخرون:[7] كان سؤالهم الإسلام سؤال الثبات عليه والدوام. وقد ذكرنا أن العصمة لا ترفع خوف الزوال.[8] ومثل هذا الدعاء والسؤال على قول المعتزلة يكون عبثًا، لأنه لا يملك إعطاء ما سألوا عندهم، بل هم الذين يملكون ذلك، فيخرج السؤال في هذا عندهم مخرج اللعب والعبث. فنعوذ بالله من السرف في القول[9] والزيغ عن الهدى. ثم الإيمان هو التصديق؛ والتصديق[10] بالقلب يتجدد في كل وقت، فلا وقت يخلو القلب عنه في حال سكون أو حال حركة. *والله أعلم*.

وقوله: **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**، يحتمل أن الأمة المسلمة هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك أنه لم يكن من أولاد إسماعيل رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم، فسألا أن يجعل[11] من ذريتهما رسولاً وأمة مسلمة خالصة له. وإنما الرسل كانوا من أولاد إسحاق ومن نسله. *والله أعلم*.

وقوله: **وأرنا مناسكنا**، قيل:[12] في قوله: **وأرنا مناسكنا**، يريد الإراءة[13] إلى يوم القيامة؛ يدل عليه قراءة عبد الله: وَأَرِهِمْ [14] مَنَاسِكَهُمْ؛[15] وفي قراءة غيره[16] على ضم الرؤية

---

[1] سورة النساء، ١٣٦/٤.
[2] ع: فيه.
[3] ن ع م: فيترك.
[4] ن: بتجدد.
[5] جميع النسخ: بقولهم.
[6] ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٢/٨).
[7] «هم عامة المعتزلة، فهم يقولون: إن الإسلام متى وجد يدوم ويبقى إلى أن يوجد ما يبطله ويرفعه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤ و).
[8] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ (سورة البقرة، ١٢٠/٢).
[9] ع: بالقول.
[10] ع م – والتصديق.
[11] ن ع م: يجعلا.
[12] ك ن ع: وقيل.
[13] ع: الإرادة.
[14] ن: وأراهم.
[15] *تفسير الطبري*، ٥٥٥/١؛ و*تفسير أبي حيان*، ٣٩٠/١.
[16] م: غيرهم.

إلى نفسه.[١] والمنسك[٢] هو القربة؛ وأفعال[٣] الحج سمي مناسكا.

ثم لا يحتمل أن يسألا ذلك من غير أمر سبق منه عز وجل بذلك، لأنه ليس من الحكمة سؤال إيجاب فضل عبادة، أو قربة بغير أمر. فدل أنه قد سبق منه بذلك أمر، لكنه لم يبيّن لهما فسألا تعليم ماهيتها وكيفيتها، فعلمهما جبريل ذلك. ففيه دلالة تأخير البيان عن[٤] وقت[٥] قرع الخطاب السمع؛[٦] ألا ترى[٧] أنه أمر بالنداء للحج ولم يعلِّم. والثاني، أن آدم والملائكة قد كانوا حجوا هذا البيت قبل إبراهيم عليه السلام، فدل أن[٨] الأمر به قد سبق. والثالث قوله في نفس الحج: وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً.[٩]

ثم لا يحتمل لزوم الكلفة بالخروج قبل وجوب الحج، لما لم يؤمر[١٠] أحد[١١] بفعلٍ ما لَه إيجاب الحقوق والفرائض؛ لكنها أُوجِبت[١٢] شكرًا لما أنعم عليه.[١٣] فدل أن الحج كان واجبًا قبل الخروج،[١٤] وقد تأخر الإمكان، فمثله البيان. **والله أعلم.**

واحتج بقوله: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[١٥] أن ظاهره يوجب خضوعًا، لزم به ما أداه السمع على

---

١ وهي قراءة عامة أهل الحجاز والكوفة. انظر: *تفسير الطبري*، ٥٥٣/١.

٢ ك ن: النسك.

٣ م: أفعال.

٤ ع م: من.

٥ ن: وقق.

٦ جميع النسخ: قرع السمع الخطاب.

٧ ك + إلى.

٨ ع: عن.

٩ سورة آل عمران، ٩٧/٣.

١٠ ن ع م: لم يأمر.

١١ ع م - أحد.

١٢ أي الزكاة.

١٣ «لأن الشرع لا يأمر بمباشرة سبب الوجوب أو شرطه ليوجب عليه؛ فإن من ليس له مال لا يؤمر باكتسابه لتجب عليه الزكاة، ولذلك لا يؤمر صاحب المال بأن يشتري أرضا ويزرع فيجب عليه العشر، لكن إذا كان له مال أو زرع تجب عليه الزكاة شكرًا لله لما أنعم عليه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤و).

١٤ «ثم يجب عليه الخروج ليتمكن من أداء ما عليه، وكان الوجوب بناء على قيام المكنة من السبب، وكان الإمكان من حيث الحقيقة عند وصوله إلى مكة، وإلى الأماكن التي أمر بالفعل فيها» (المرجع السابق، ٤٤و).

١٥ انظر مثلا: سورة البقرة، ٤٣/٢، ٨٣، ١١٠؛ وسورة المزمل، ٢٠/٧٣.

تأخر[1] ماهيته؛[2] وكذلك الزكاة. وكذا ظاهر قوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ.[3] واحتج أيضًا بقول القائل وسؤاله[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أوقات الصلاة، ففعله في يومين،[5] / [٢٧و] وقد[6] كان يمكن[7] تعليمه[8] وقت السؤال، لكنه أخر، فدل أن البيان يجوز تأخره عن وقت قرع[9] الخطاب السمع. ثم في تأخير البيان محنة المخاطب به [و]أمرٌ في تعلم العلم وطلب[10] مراد ما تضمن الخطاب.[11] ***والله أعلم.***

وذكر في أمر الحج عند[12] كل مَنْسك[13] من المناسك معاني،[14] لكنها ذكرت لأحوال[15] كانت في شأن آدم وأمر إبراهيم وأمر[16] محمد صلى الله عليه وسلم،[17] وقد كان الحج قبلهم. وقد ذكر في أمر الرَمَل[18] أنه كان مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن معه ليعلم به قوّتهم،[19] حتى قال عمر رضي الله عنه: "عَلَامَ[20] أَهُزّ[21] كتفي، وليس أحد إزاءه؟[22]

---

[1] ك: على تأخير.
[2] ك:ما بينه.
[3] سورة آل عمران، ٩٧/٣.
[4] م – وسؤاله.
[5] روي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمّني جبريل عليه السلام عند البيت مرتين...». (*الموطأ* لمالك، وقوت الصلاة، ١؛ وصحيح *البخاري*، مواقيت الصلاة ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ١٦٦).
[6] ك – وقد.
[7] ن ع م: يمكنه.
[8] ع م: تعظيمه.
[9] ع: فزع.
[10] ع م – وطلب.
[11] «ثم الحكمة في تأخير البيان عن الخطاب المجمل هو ابتلاء المخاطب به ليطلب مراد الله تعالى بالتأمل والنظر في الدلائل إن كان من أهل الاجتهاد لينال فضيلة المجتهدين؛ أو يطلب ممن له علم بذلك، فينال فضيلة التعلم، وغير ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤و).
[12] ك: عن.
[13] ن ع: نسك.
[14] ك:معانيا لها؛ ن: معاينا؛ م: معانيا.
[15] ن ع م: الأحوال.
[16] ن ع م – وأمر.
[17] م: عليهما الصلاة والسلام.
[18] الرمل الهرولة، وهو فوق المشي ودون العدو، يكون أثناء السعي بين الصفا والمروة (*لسان العرب* «رمل»).
[19] انظر لحديث الرمل: صحيح *البخاري*، المغازي ٥٥؛ و سنن *الترمذي*، الحج ٣٩.
[20] ك ع م: على ما.
[21] ك: اهزه.
[22] ك: إزائه؛ ن: آرايه؛ م: أرائيه.

لكني أتبع رسول الله صلى الله عليه و سلم"،[١] أو كما قال رضي الله عنه. وقد ذكر ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام أنه رَمَل، ولـم يكن في وقته من كان الفعل لأجله، وكذلك غيره من الأنبياء عليهم السلام. إلا أنا[٢] نقول: جعل الله كذلك، لعلمه بالحاجة إلى ذلك في وقت قد جعل ذلك نُسُكًا،[٣] فحقظ ذلك على حق النسك، وإن لم يكن المعنى مقارنًا له في كل وقت؛ على ما قيل: إن «صلة الرحم تزيد في العمر»،[٤] بمعنى جعل[٥] الله أجله ذلك بما علم أنه يصل الرحم، فيكون صرف العمر إلى تلك المدة لذلك.وكما يكتب شقيًا أو سعيدًا[٦] في الأزل للوقت الذي فيه يكون كذلك، ونحو ذلك. **والله الموفق**.

ثم الأصل أن الله جل ثناؤه جعل على عباده في كل الأحوال[٧] التي يتقلب[٨] فيها البشر للمعاش أو لأنواع[٩] اللذات عبادةً[١٠] لتكون العبادة منهم في كل نوع مقابلَ ما يختار صاحب[١١] ذلك شكرًا[١٢] لما مُكِّن[١٣] من[١٤] مثله لما يتلذذ به ويتعيش، إذ كل لذة وكل ما يُتعيش به[١٥] نعمة خص الله بها[١٦] صاحبها بلا تقدم سبب يستوجبها العبد، فلزمه في الحكمة الشكر

[١] روي عن عمر رضي الله عنه، قال: «فيم الرَّمَلان اليوم، والكشف عن المناكب، وقد أطّأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندَع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٥/١؛ وسنن *ابن ماجة*، المناسك ٢٩؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٥٠).

[٢] ك: أن.

[٣] «يحتمل أن الله تعالى شرع مناسك الحج كذلك، وسمى هذه الأمكنة بهذه الأسامي لعلمه تعالى من إظهار الجلادة ونحوها، فيكون ذلك سببًا لشرع هذه المناسك ولوضع هذه الأسامي، وإن لم تكن المعاني مقارنة لها في كل وقت» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٤ ظ).

[٤] صحيح *البخاري*، الأدب ١٢؛ وصحيح *مسلم*، البر والصلة ١٦، ١٧؛ وسنن *الترمذي*، البر والصلة ٩.

[٥] ع م: جعله.

[٦] ن ع م: وسعيدا.

[٧] جميع النسخ: الأنواع.

[٨] ن: تنقلب؛ ع م: تتقلب.

[٩] ك ع: الأنواع.

[١٠] جميع النسخ – عبادة، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٤ظ.

[١١] ع م – صاحب.

[١٢] ن ع م: شكر.

[١٣] ك ع: أمكن.

[١٤] ن م: عن.

[١٥] ع م – به.

[١٦] ع – بها.

لمن أسدى إليه تلك النعمة. وعلى ذلك نجد[1] التقلب من حال القيام إلى حال القعود والاضطجاع أمرًا عامًا[2] في البشر من أنواع اللذات، فمثله يكون العبادة بذلك النوع عامة، نحو الصلوات. وعلى ذلك معنى الرق والعبودة لازم لا يفارق. فمثله الاعتراف به والاعتقاد دائم لا محالة لا يخلو منه وقت.[3]

وعلى ذلك أمر إعطاء النفس شهواتها من المطاعم ونحو ذلك لا يعم الأوقات عموم التقلب من حال إلى حال،[4] إذ لا يخلو عنها المرء وإن كانت مختلفة. فجعلت[5] عبادة[6] الصيام في خاص الأوقات. ثم لم يمتدَّ ما بين الأوقات امتدادًا متراخيًا،[7] فعلى ذلك جعل العفو عن الصيام، لم يجعل كذلك [دائما] بل في كل سنة[8] [شهرا]؛ مع ما قد يدخل الصيام في كثير من الأمور.[9]

ثم للناس في الأموال معاش، وبها تُلَذُّذ. لكن[10] منها [ما هو] قوت[11] لابد منه، فالارتفاق بمثله لازم، [و]لا يحتمل جعل القربة فيه سوى أن جُعل ذلك[12] لعينه[13] قربة، إذ فُرض على المرء الاستمتاع به. ومنها [ما هو] فضلٌ فيه جعلت التصدق [منه] قربة،[14] لأنه له بحق التلذذ لا بحق ما لا بد منه. وكذلك نوع تقلب الأحوال في النفس التي هي بحق الضرورة،

---

[1] ن: تجد.

[2] جميع النسخ: أمر عام.

[3] ع م – وقت. يقول السمرقندي: «ولهذا قلنا إن الرق والعبودية لما كان لازمًا في البشر لا يتصور مفارقته عنه، لا جرم يجب الإيمان والاعتقاد لألوهيته دائمًا لا محالة، لا يسقط لعذر من الأعذار ولا يخلو عنه وقت من الأوقات» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ ظ).

[4] أي من القيام والقعود والاضطجاع والانتقال، كما في *الشرح*، ورقة ٤٤ظ.

[5] ع م – فجعلت.

[6] ن: عبادات.

[7] م: متراجيا.

[8] ك: بل كل في سنة. «فأما اقتضاء الشهوات عن المطاعم والمناكح ونحوها فلا يعم الأوقات عموم التقلب من حال إلى حال من القيام والقعود والاضطجاع والانتقال فإنه لا يخلو المرء عن حال فيها، وذلك حال منها لذة وراحة بحيث لو أجيز على الاستدامة على حال منها دون الانتقال عنها يصير ذلك عقوبة عليه، وإذا لم يكن إعطاء النفس شهواتها على طريق الدوام، فجعلت عبادات الصيام في بعض الأوقات في كل سنة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ).

[9] أي في السنة، من نحو صيام الكفارات، والنذور، [والنوافل]، ونحوها؛ انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ.

[10] ع م – لكن.

[11] م: قوة.

[12] ع م – ذلك.

[13] ن ع م: بعينه.

[14] جميع النسخ: جعلت قرب التصدق.

لم يجعل لمثل ذلك فضل قربة يؤديها، سوى ما به حياته، وذلك يجعل بحكم الفرض عليه ولا بدّ منه.[١] وكذلك أمر الصيام لم يجعل عما لا بد من القوة، ولكن فضل قوة في الاحتمال.[٢] لكن الزكاة[٣] هي من حقوق ما يجوز أن يكون هي لغير من عليه، ففرض عليه البذل إلى غيره.[٤] وحقوق الأفعال لا تحتمل[٥] أن يصير السبب الذي[٦] به يجب أن تكون[٧] لغيره،[٨] فيجب عليه، فجعل فرض ذلك الفعل في نفسه. وهي[٩] تجب للحول[١٠] لوجهين. أحدهما أن فيها[١١] حقوقًا[١٢] تَتَابُع[١٣] على نحو النفقات، فأخرت هي إلى الحول تخفيفًا؛ أو[١٤] لما هي تجب[١٥] فيما له حكم الفضل. والفضل ما يفضل عن الحاجة، والحاجات تتجدد[١٦] في أوقات، لا أنها[١٧] تَتَابَعُ، [فـ]ـلا يظهر[١٨] في مثله الفضل إلا بمدة بينة أكثرها حول.

---

[١] جميع النسخ: ولا بد به.

[٢] «وكذلك في أمر الصيام، إنما يجب بمقابلة فضل قوة فيها القوة التي لا بد منها، حتى إذا كان به مرض يضعف البدن ضعفًا بينًا في حال الصوم فإنه لا يجب عليه. وكذلك إذا كان الصوم يفوت [به] قوة البدن على وجه يعجز عن أداء سائر العبادات، فإنه لا يجب عليه الصوم، فدل أن العبادات في هذا كلها سواء» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ).

[٣] ن م: الزكوات؛ ع: الزكوة.

[٤] «ثم الفرق بين الزكاة وسائر العبادات من حيث أن الزكاة قد تتأدى بفعل النائب دون غيرها، لأن سبب وجوب الزكاة هو الحال وهذا السبب بعينه يجوز أن يكون لغيره فكان الواجب هو الأداء من المال وذلك لايتفاوت بين الأصيل والنائب. فأما سبب وجوب الصوم والصلاة هو نعمة البدن، والتي يكون لواحد لايتصور أن يكون لغيره فكان الواجب هو الفعل في نفسه لا في نفس غيره فلا يقوم نفس غيره مقامه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٤ظ-٤٥و).

[٥] ن: يحتمل.

[٦] ن ع م: له به؛ ك - به.

[٧] جميع النسخ: أن يكون.

[٨] ع م - لغيره.

[٩] أي الزكاة.

[١٠] جميع النسخ: للأحوال، والتصويب من *الشرح*، ورقة ٤٥و.

[١١] أي في الأموال.

[١٢] جميع النسخ: حقوق.

[١٣] ن ع م: شائع.

[١٤] أي والثاني من الوجهين.

[١٥] ك ع م: يجب.

[١٦] ن ع م: يتجدد.

[١٧] ع: لأنها.

[١٨] ن ع م: تظهر.

ثم فرض الحج جعل في العمر[1] مرة، لأنه في حق الأسفار المديدة التي لا يختار مثلها للذات[2] إلا في النوادر، فلم يوجب مثله إلا خاصًا، فأوجب في جميع العمر[3] مرة. وقد أوجب في الأموال في كل سنة، لأن أرباب[4] الأموال قد يتقلبون[5] في البلاد النائية رغبة في فضول اللذات، فلذلك يجوز فرض مثل ذلك.

وعلى ذلك[6] أمر الجهاد؛ على أن الجهاد[7] كالذي لابد من الأقوات، إذ في ترك ذلك خوف غلبة[8] الأعداء، وفيها تلف الأبدان والأديان والأموال؛[9] ففرض على قدر ما فرض من الأقوات لما بينتُ من الخلل.

ثم كانت أحوال أهل السفر تكون[10] على غير المعروف من أحوال المقيمين في حق الرزانة والوقار، وحق الانبساط والنشاط؛ فعلى ذلك فرائض الأمرين[11] -نحو الجهاد- فيه[12] أنواع ما عُدّ[13] في غيره من اللعب؛ وكذلك أمر الحج؛ وعلى[14] مثل هذا يخرج رمي الجمار والرمل والسعي ونحو ذلك. فجعل ذلك[15] في حق الأسفار سنّة، وإن كان مثل ذلك عُدّ في غير ذلك عبثًا، إذ قد بَيّنا مخرج العبادات على ما عليه أحوال العباد بأنفسهم، لولا العبادات. ***والله أعلم***.

ثم جعل ذلك في أمكنة متباعدة الأطراف، إذ هو بحق أمر الأسفار يجب في المعهود، فجعل في[16] النُسُك بنفسه بالذي به يقطع الأسفار. ***ولا قوة إلا بالله***.

---

[1] ن ع م: في العمرة.

[2] ع: الذات.

[3] ن ع: العمرة.

[4] ع – الأموال في كل سنة لأن أرباب.

[5] ن: ينقلبون.

[6] ع م – وعلى ذلك.

[7] ع: الجبال.

[8] ك: عليه.

[9] ع م – والأموال.

[10] ن ع: يكون.

[11] أي الصلاة والصيام.

[12] أي في كل منها.

[13] ع م: وعد.

[14] ن + ذلك.

[15] لعله يقصد رمي الجمار والرمل والسعي ونحو ذلك.

[16] ن ع م – في.

ووجه آخر؛ من المعتبر[1] أن العبادات جعلت أنواعًا. منها ما يبلغ القيامُ بحقها العامَ[2] فصاعدًا؛ [ف]لم يجز أن يجعل وقتها[3] ينتقص[4] عن احتمال فعلها.[5] ولا وقتَ مِن[6] طريق الإشارة أجمَع لمختلف الأحوال بعد سقوط اعتبار العمر من السّنة. ثم فعل الحج قد يمتد[7] [إلى] ذلك ويجاوز[ه، ف]لم يجعل ذلك وقتًا له، وإنما جعل العمر لما لا وقت يشار إليه إلا وجميع ما فيه مما يحتمل العام الآخر وما تقدمه وما تأخّره.[8] ثم في العمر أحوال لا تحتمل[9] إضافتها إلى الأعوام، لأن ما يضاف إلى عام فذلك لكل عام، وليس ما يضاف إلى العمر موجودًا[10] بحق الأعوام، فجعل ذلك وقته. *والله أعلم*.[11]

ثم الزكاة[12] هي تجب للأموال صونًا لها[13] لكسب عدد وفضل غنى، ولكن على ذلك يُكتسب[14] لأحوال الحياة، لا لما يَخلف؛ فلم يمتد أمرها إلى العمر.على أنها جعلت حقًا للفقراء، ومتى أريد جعل الوقت له العمر يصير لغيره،[15] ويجب[16] فيه ما يجب في الأول، فتبطل الزكاة، وتبقى الفقراء بلا عيش؛ إذ الله بفضله قدر أقوات الخلق، ثم فضل الخلق في الأملاك، حتى كان بعضهم بحيث لا يملك شيئًا، وبعضهم يجاوز ما ينال أضعاف عمره.

---

[1] ع م: من المعتبرات.
[2] ن – بحقها العام.
[3] جميع النسخ: وقته.
[4] ك ن: ينتقض.
[5] جميع النسخ: فعله.
[6] ع: في.
[7] ع م: تمتد.
[8] ن: وما يقدمه وما يأخره.
[9] ن: يحتمل.
[10] ك ن: موجود.
[11] ع م – وإنما جعل العمر لما لا وقت يشار إليه إلا وجميع ما فيه مما يحتمل العام الآخر وما تقدمه وما تأخره ثم في العمر أحوال لا تحتمل إضافتها إلى الأعوام لأن ما يضاف إلى عام فذلك لكل عام وليس ما يضاف إلى العمر موجودًا بحق الأعوام فجعل ذلك وقته والله أعلم.
[12] ك: الزكات؛ ن م: الزكوات؛ ع: الزكوة.
[13] ك ن ع: صولها.
[14] ك: يكتب.
[15] م: لغير.
[16] ع: يجب.

[٢٧ظ] ثبت أن ذلك له بما[1] / يُقتضَى[2] به[3] كفاية الفقراء، فلا بد أن يجعل لذلك مدة يتوسع في ذلك الفريقان جميعًا.

ثم كانت الأقوات التي هي[4] مجعولة للخلق جميعا[5] تتجدد[6] في كل عام على ذلك، [و]إذ جعلت أقوات الفقراء في أموال الأغنياء جعلت في كل عام. على أنه إذ جعلت أقوات الخلق في بركات السماء والأرض، جعلها الله متجددة بتجدد[7] الأعوام. ***ولا قوة إلا بالله***.

والصلاة والصيام عبادتان يلزم[8] [كل منهما] قوى الأبدان، فعلى ما تختلف[9] قواهما اختلفا في الأمر بهما والترك وفي أنواع الرخص.[10] لكن الصلاة ليس فيها مكابدة الشهوات[11] ولا مدافعة اللذات؛ إذ لا سبيل إلى مثلها متتابعًا، لما يصير اللذة ألَما والشهوة وجعًا، فيبطل حق التتابع. وقدر المفروض من الصلوات لا يَشْغَل[12] عما يقوم بها النفس. والصيام يُضادّ ذلك ويضر في البدن. فجعل عبادة الصلوات[13] في كل يوم، وعبادة[14] الصيام في أوقات متراخية، إذ هي تُضادّ[15] المعنى[16] المجعول له الأغذية بين إقامة الأبدان، وفي الصيام خوف فنائها؛

---

[1] جميع النسخ: بها.
[2] أي يطلب.
[3] ك: فيه.
[4] ع – هي.
[5] ع – جميعا.
[6] ن ع م: يتجدد.
[7] ن ع: يتجدد.
[8] ك: تلازم؛ م: يلازم.
[9] ن ع م: يختلف.
[10] يقول السمرقندي: «ولهذا يختلف الأمر بهما والرخصة بالترك باختلاف القوى، حتى تختلف الصلاة باعتبار أحوال المرض، وكذلك الصوم. وإذا كان كذلك ينبغي أن يجب ما دام المكلف في حال السلامة والقوة، إلا أن الدوام غير ممكن لحاجة المرء إلى الصيام [ما] تقوم به النفس من كسب الأغذية وتناولها، فلا بد [من] التوقيت، فجعل عبادة الصيام في أوقات متراخية، وهو الشهر الواحد من كل سنة، والصلاة في كل يوم خمس مرات؛ وذلك لأن الصلاة ...الخ» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٥ و).
[11] ع – الشهوات.
[12] جميع النسخ: لا يشتغل.
[13] ع: الصلوة.
[14] ع م: عبادة.
[15] ك م: قضاء؛ ن: متضاد.
[16] جميع النسخ: معنى.

لذلك[١] استعين بطول الاغتذاء على أوقات الصيام. *ولا قوة إلا بالله*.

وإن شئت قلت: إن الله أنعم على البشر بما هو[٢] غذاء[٣] وقوام، وبما هو له[٤] لذة وشهوة، ثم أنعم عليهم بما[٥] هو لهم به رفعة وجاه عند الخلق، وهى الأموال. فألزمهم في كل نوع من هذه الأنواع عباداتٍ. وعلى ذلك وقع[٦] كل نوع منها بفوت[٧] النعمة التي هي المرغوبة المختارة في الطبيعة، وإلى ما تدوم[٨] تلك يدعو[٩] العقل ببذل ما ينقطع منه. ثم جعلت قوى النفس بشهواتها، ونعمُ الأموال بأنواع الكد والجهد. فعلى ذلك خفف حقوق الأموال، فلم يجعل إلا في الفضل الذي لا اختيار[١٠] لهم أن لا يبلغوا بالجهد ذلك. ففي ذلك جعلت الحقوق، على ما يحتمل الوسع لهم من الترتيب؛ مع اليسر الذي أخبر الله أنه[١١] يريد بهم ذلك، لا العسر.[١٢] *والله أعلم*.

وقوله: **وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم**، دل سؤال[١٣] التوبة أن الأنبياء عليهم السلام قد يكون منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم. ثم فيه الدليل على أن العبد قد يسأل عن زلة لم يتعمدها و لم يقصدها، لأنهما سألا التوبة مجملاً. ولو كان سبق منهما شيء علما به وعرفاه لذكراه؛[١٤] فدل سؤالهما[١٥] التوبة مجملاً على أن العبد مسئول عن زلات لم يتعمدها.

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٢٩]

وقوله: **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم**، يحتمل وجوهاً؛ يحتمل **رسولا منهم**، من المسلمين،

---

[١] ع: كذلك.
[٢] ن + له.
[٣] ك: لا غذاء.
[٤] ع م – له.
[٥] ك: مما.
[٦] ك: وضع.
[٧] ن م: لفوت؛ ع: لقوة.
[٨] ن ع م: ما يدوم.
[٩] ك: يدعوا.
[١٠] ج ك: الاختيار.
[١١] ك: أن.
[١٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (سورة البقرة، ٢/١٨٥).
[١٣] ن ع م: سؤاله.
[١٤] جميع النسخ: لأنهم سألوا التوبة مجملا ولو كان سبق منهم شيء علموا به وعرفوه لذكروه.
[١٥] جميع النسخ: سؤالهم.

لأنه أخبر أن عهده لا يناله الظالم.[1] ويحتمل **رسولا منهم**،[2] من جنسهم من البشر، لأنه أقرب[3] إلى المعرفة والصدق ممن كان من غير جنسهم، كقوله تعالى: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[4] الآية. ويحتمل **رسولا منهم**، أي من قومهم، ومن جنسهم وبلسانهم، لا من غيرهم ولا بغير لسانهم- *والله أعلم*- كقوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ.[5]

وقوله: **يتلو عليهم آياتك**، قيل: الآيات هي[6] الحجج. وقيل: الآيات هي الدين؛ ويحتمل يدعوهم[7] إلى توحيدك. *والله أعلم*.

وقوله تعالى: **ويعلمهم الكتاب**، يعني القرآن، ما أمرهم فيه[8] ونهاهم عنه[9] ونحو ذلك. **والحكمة**، قيل: الفقه؛ يقول: يعلمهم الكتاب، وما فيه من الفقه. وقيل: **الحكمة** ما فيه من الأحكام من الحلال والحرام. وقيل: **الحكمة** هي السنة هاهنا.[10] وقيل: **الحكمة** هي الإصابة. وبعض هذا قريب من بعض. *وبالله التوفيق*. وقال الحسن:[11] **الحكمة** هي القرآن؛ أعاد القول به يعني تكرارًا. وقال ابن عباس رضي الله عنه: **الحكمة** الفقه.

وقوله تعالى: **ويزكيهم**، قال ابن عباس رضي الله عنه: يأخذ زكاة أموالهم، فذلك يزكيهم، كقوله: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا.[12] وقيل: **يزكيهم**، [يدعوهم] إلى ما به زكاة أنفسهم. وقيل: **يزكيهم**، بالعمل[13] الصالح.

---

[1] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهد الظالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٤).

[2] ع م - منهم، يحتمل وجوها يحتمل رسولا منهم من المسلمين لأنه أخبر أن عهده لا يناله الظالم ويحتمل رسولا منهم.

[3] ك: لأن أقرب؛ ن ع م: لأن الأقرب.

[4] سورة الأنعام، ٦/٩.

[5] ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عَنِتُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٨).

[6] م - هي.

[7] ن ع: تدعوهم.

[8] ن ع م: به.

[9] ع م: عنها.

[10] ع م - وقيل الحكمة هي السنة هاهنا.

[11] ع م - الحسن.

[12] سورة التوبة، ٩/١٠٣.

[13] جميع النسخ: بعمل؛ والتصحيح من نسخة برلين، ورقة ٣٩و.

فإن قال لنا قائل ممن ينتحل مذهب الاعتزال: أ ليس الله عز وجل أضاف التزكية والهداية إلى رسوله، و لم يكن منه حقيقةً فعلُ التزكية والهداية ولا خلق ذلك منه؛ كيف لا قلتم أيضًا فيما أضاف ذلك إلى نفسه أن ليس فيه منه خلق ذلك،[1] ولاحقيقتَه[2] سوى الدعاء والبيان، على ما لم يكن في إضافة ذلك إلى رسوله سوى الدعاء والبيان؟

قيل: كذلك على ما قلتم إنه أضاف ذلك إلى رسوله بقوله: **ويزكيهم**، وبقوله: وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[3] وقوله:[4] وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ؛[5] غير أنه جعل إلى نفسه فضل هداية لم يجعل ذلك لرسوله[6] صلى الله عليه وسلم، وأثبت [له تعالى] زيادة تزكية لم يثبت[7] ذلك لرسوله عليه السلام، كقوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ،[8] وكقوله: وَلَوْ لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ.[9] فدل إضافة تلك الزيادة إلى نفسه على أن له فضل فعل ليس ذلك لرسوله، وهو خلق فعل الاهتداء وفعل التزكية. ***وبالله التوفيق.***

وبعد، فإن الرسول لا يحتمل أن يملك قدرة فعل أحد يُقدره عليه لو أراده، بما أقدرهم الله على الفعل حتى قدروا فجاز[10] أن يكون له عليه قدرة. وفي تحقيقها[11] جواز خلق ذلك له [تعالى]؛ ومثله[12] في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل.[13] ***ولا قوة إلا بالله.***

---

[1] ع م – ذلك.

[2] ن ع م: ولا حقيقة.

[3] سورة الشورى، ٤٢/٥٢.

[4] ن ع م: وكقوله.

[5] ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ (سورة الرعد، ١٣/٧).

[6] ع م: لرسول الله.

[7] ن: لم تثبت.

[8] سورة القصص، ٢٨/٥٦.

[9] سورة النور، ٢٤/٢١.

[10] ن: فجائز.

[11] ع م: وتحقيقها.

[12] م – ومثله.

[13] يقول علاء الدين السمرقندي: «وأما الثاني فإن خلق فعل الزكاة لا يتحقق من النبي عليه السلام، لأنه ليس له قدرة تحصيل الفعل في غيره، لأن قدرة البشر حادثة لا تتعدى عن محل وجودها لاستحالة بقائها. ولا يتصور منه صلى الله عليه وسلم إيجاد الفعل في الغير [فكان] دلالة نفي الإضافة إليه في هذا النوع؛ فأما الله تعالى فله قدرة أزلية دائمة يجوز أن يخلق بها الأفعال في العباد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٥ظ).

وقوله: **إنك أنت العزيز الحكيم**، أي لا شيء يعجزه. والعزيز بذاته، وكل شئ دونه غير عزيز ذليلٌ.[1] وقيل: **العزيز** المنيع. وقيل: **العزيز** المنتقم من أعدائه. **والحكيم**، هو المصيب في فعله، **والحكيم** في أمره ونهيه.[2] **والحكيم** هو الذي أحكم كل شيء، [و]جعله دليلاً على[3] وحدانيته.

ثم ذكر بعض المفسرين علل المناسك، فقال: سميت العرفات عرفات لما قيل له: عَرَفْتَ؛ ومِنى، لما قيل له: تَمَنَّه؛[4] ورمي الجمار لما استقبل لإبراهيم الشيطان فرمى. فهذه العلل لا تطمئن[5] بها القلوب وتنفِر عنها الطباع. ألا ترى أنه ذكر في قصة آدم فِعل ذلك جملة، فزال المعنى الذي ذكر في إبراهيم عليه السلام. ثم قد ذكر في الخبر أن الملائكة قالت لآدم: حججناها قبلك بألفي عام،[6] / فثبت أنهم قد فعلوا هذا كله. [٢٨و]

ثم يمكن نصب الحكمة فيه من طريق العقل؛ وهو أن الحج قصد زيارة[7] ذلك المكان، [فـ]أمر بمختلف الأفعال الواقع به الزيارة؛[8] كالصلاة، إنها الخضوع لعينه، أمر فيها بإحضار الأفعال المختلفة من حال الخضوع. ثم المرء[9] قد يخضع مرة بالقيام ومرة بالركوع ومرة بالسجود، أمر بإحضار مختلف الأفعال التي فيها الزورة. غير أن الصلاة تخالف الحج، [لأن] أفعالها فعل المعاش، أمر [فيها] بإحضار حالةٍ تذكّره الخضوع والوقوف[10] لله مفرِّقًا بين تلك الحالة وحالة المعاش؛ ولهذا تُقْضَى[11] في كل مكان. ثم أفعال الحج [تُقارب] في ظاهرها إلى أفعال المعاش وما إليه وقع القصد، لا عينها؛ غير أن فيه تكلف[12] المعاش، ولهذا[13] لا[14] يقضى في كل مكان.

---

[1] ك: ذليل.
[2] ن – والحكيم في أمره ونهيه.
[3] م + به.
[4] ن ع: تمنة.
[5] ك: لايطمئن.
[6] ذكر في *كتاب* مكة للفاكهي أنه حج آدم، فتلقته الملائكة، فقالوا: أَبَرَّ نسكك، فقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. انظر: *الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف* لابن حجر (على هامش *تفسير الكشاف* للزمخشري)، ١٨٩/١.
[7] جميع النسخ: لزيارة.
[8] ك : الزيادة.
[9] جميع النسخ: المرقد.
[10] ن ع م: الوقوف والخضوع.
[11] ن ع م: يقضى.
[12] ع م: يتكلف.
[13] ن: لهذا.
[14] ك ع + ما.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١٣٠]

وقوله تعالى: **ومن يرغب عن ملة إبراهيم**؛ ثم اختلف في الملة. قيل: الملة الدين.[١] وقيل: الملة[٢] السنة. وقيل: الإسلام. وكله واحد؛ وقد ذكرنا[٣] هذا فيما تقدم.[٤]

وقوله: **إلا من سفه نفسه**، بما يعمل من عمل السفه. ويحتمل **إلا من سفه نفسه**، أي بنفسه، فكان انتصابه لانتزاع[٥] حرف الخافض. وقيل: جهل نفسه فيضعها في غير موضعها. **ولقد اصطفيناه في الدنيا** بالنبوة والرسالة والعصمة. ويحتمل ما جزاه[٦] في الدنيا بثناء حسن لم يتقص من جزائه[٧] في الآخرة. **وإنه في الآخرة لمن الصالحين** في المنزلة والثواب.و يحتمل **لمن الصالحين**، لمن[٨] المرسلين. ويحتمل[٩] أن يكون بشَّره في الدنيا أنه كان من الصالحين في الآخرة، فيكون في ذلك وعد له بصلاح الخاتمة، كما وعد محمدًا صلى الله عليه وسلم مغفرة ما تقدم من الذنب وما تأخر. وفي ذلك أيضًا وعد بصلاح الخاتمة –والله اعلم– فأخبر بما كان بشَّره. ويجوز تفاضلهم في الآخرة على ما كانوا عليه.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٣١]

وقوله تعالى: **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**، قيل: أخْلِصْ. ويحتمل [أنه] أمر[١٠] بابتداء الإسلام[١١] [على] ما ذكرنا من تجدده في كل وقت يهمه.[١٢] ثم يحتمل أن يكون وحيًا أوحى إليه، أن "قل كذا"، فقال به. فإن كان وحيًا فهو على أن يسلم نفسه لله.

---

[١] ع م: والدين.
[٢] ع م – وقيل الملة.
[٣] ن: وقد ذكر؛ ع م: وذكرنا.
[٤] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٠).
[٥] ك: انتزاع.
[٦] جميع النسخ: ما جزاهم.
[٧] جميع النسخ: جزائهم.
[٨] ك ن: من.
[٩] ع م – ويحتمل.
[١٠] ن: أمرا؛ ع م: أمر بالأمر.
[١١] جميع النسخ: إسلام.
[١٢] ك: يمهد.

ويحتمل أن يكون إسلام القلب باقتضاء[1] الخلقة بالإسلام؛ فإن كان على هذا فهو على الإسلام[2] دون توحيد. ويحتمل إسلامَ خلقة، كقوله: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى،[3] بالخلقة.[4] وعلى ذلك يخرج قوله لإبراهيم: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ؛[5] فدعاهم، فأجابوه في أصلاب آبائهم إجابة الخلقة وقت كونهم. وقيل: يحتمل [أنه] أمر بابتداء الإسلام، كقوله: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا إلى آخره.[6] ثم قال: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا،[7] [فـ]يكون جواب قوله: **أسلم**. *والله أعلم*.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١٣٢]

قوله:[8] **ووصى بها**، يعني بالملة؛ والملة[9] تحتمل[10] ما ذكرنا.[11] **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين**، وهو الإسلام، ردًا على قول أولٰئك الكفرة إن إبراهيم كان على دينهم، لأن اليهود زعمت أنه كان على[12] دينهم يهوديًا؛ وقالت النصارى: بل كان على النصرانية. وعلى ذلك قالوا[13] لغيرهم: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا.[14] فلما ادعى كل واحد من الفريقين أنه كان على دينهم أكذبهم الله عز وجل في قولهم،

---

[1] ك: بتقاضي؛ ن ع م: يتقاضى. يقول السمرقندي: «ويحتمل أن يكون ذلك أمرًا بالإسلام بدلالة الخلقة الداعية إلى التوحيد والإسلام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٥ ظ).

[2] ع – فإن كان على هذا فهو على الإسلام.

[3] سورة الأعراف، ١٧٢/٧.

[4] ع م: بخلقة.

[5] ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (سورة الحج، ٢٧/٢٢).

[6] ﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريئ مما تشركون﴾ (سورة الأنعام، ٧٦/٦–٧٨).

[7] سورة الأنعام،٧٩/٦.

[8] ن ع م: وقوله.

[9] م – والملة.

[10] ن ع م: يحتمل.

[11] انظر تأويل قوله تعالى:﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ (سورة البقرة، ١٣٠/٢).

[12] ك – على.

[13] ع م: كانوا.

[14] سورة البقرة، ١٣٥/٢.

ورد[١] عليهم في[٢] ذلك، فقال: قل يا محمد: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.[٣]

فعلى ذلك قوله: [إن الله] **اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**؛ أخبر عز وجل أن دينه كان دين الإسلام، وهو الذي اصطفاه له، لا الدين[٤] الذي اختاروا هم من اليهودية والنصرانية، لقوله تعالى: أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى،[٥] أي ليس له.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١٣٣]

وقوله تعالى: **أم كنتم شهداء**؛ يقول: أ كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت؟ أي ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت. قيل: ويحتمل أن يكون[٦] اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه بدين اليهودية؟، فأنزل الله تعالى: **أم كنتم شهداء**، أي أ كنتم[٧] شهداء وصية يعقوب بنيه؟ أي لم تشهدوا[٨] وصيته، فكيف قلتم ذلك؟

ثم أخبر عز وجل عن وصية يعقوب بنيه فقال: **ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك**، الآية. **ونحن له مسلمون**، يعني مخلصين بالتوحيد وبجميع الكتب والرسل، ليس كاليهود والنصارى يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، ثم يدَّعون أن ذلك[٩] دين إبراهيم ودين بنيه. ثم في الآية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر عن الأخبار التي قالوا من غير نظر منه[١٠] في كتبهم ولا سماع منهم ولا تعلُّم،[١١] دل أنه بالله علم وعنه أخبر.

---

[١] ن ع: وردًا.
[٢] ن ع - في.
[٣] سورة آل عمران، ٦٧/٣.
[٤] ن ع م: له والدين.
[٥] سورة النجم، ٢٤/٥٣-٢٥.
[٦] ن - يكون؛ ع + أن.
[٧] ع م: كنتم.
[٨] ع م: يشهدوا.
[٩] ك ن: يدعون أن دليل؛ ع م: يدعون دليل.
[١٠] جميع النسخ: منهم.
[١١] ن ع: ولا يعلم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٣٤]

[٢٨ظ س٣ * وقوله: **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون**، كأنّه[٢] -والله أعلم- لما ادَّعَوْا أن إبراهيم ومن[٣] ذكر من الأنبياء كانوا على دينهم، فقال عند ذلك: لا تسألون أنتم عن دينهم وأعمالهم، ولا هم يسألون عن دينكم وأعمالكم، بل كلٌّ يسأل عن دينه وما يعمل به.* ٢٨ظ س٦]

****﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٣٥]**

وقوله تعالى: **وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا**، أخبر الله تعالى عن اليهود والنصارى أنهم دعوا غيرهم إلى دينهم، وادعوا أن من اختار دينهم فقد اهتدى من الضلالة. ثم أمر محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم دعواهم. وقوله:**قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين**؛ بل اتبع ملة إبراهيم حنيفا. قيل: الحنيف هو المسلم المخلص.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[١٣٦]

وقوله: **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**، الآية؛ فالآية تنقض[٥] على من يستثني في إيمانه، لأنه أمرهم أن يقولوا قولاً باتًّا لا ثُنْيا[٦] فيه ولاشك. وكذلك قوله: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ،[٧] الآية. ثم يحتمل أن يكون هذا ردًا على أولئك الكفرة، حيث فرقوا بين الرسل؛[٨]

---

* قد جاء تأويل هذه الآية في جميع النسخ خلال تأويل قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ (سورة البقرة، ١٣٧/٢) فنقلناه إلى هنا رعاية لترتيب القرآن.

[٢] ع م + كأنه ولا تسألون عما كانوا يعملون.

[٣] ع: من.

** لم يذكر في صلب *تأويلات القرآن* تأويل هذه الآية، غير أنه ذكرت الآية فقط بهامش نسخة نور عثمانية ورقة ٢٩و. وتأويل الآية منقول من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦و/ سطر ١١.

[٥] ع: ينقض.

[٦] الثُّنيا بالضم اسم من الاستثناء.

[٧] سورة البقرة، ١٣٧/٢.

[٨] ع م: الرجل.

آمنوا ببعضهم[١] وكفروا ببعض، وكذلك آمنوا ببعض الكتب و كفروا ببعضها. فأمر الله عز وجل المؤمنين ودعاهم إلى أن يؤمنوا بالرسل كلهم والكتب جميعًا، لا يفرقون[٢] بين أحد منهم كما فرق أولٰئك الكفرة.[٣] ويحتمل أن يكون ابتداء تعليم الإيمان من الله عز و جل لهم[٤] بما ذكر من الجملة.

ثم اختلف في الحنيف. قيل: الحنيف[٥] المسلم. وقيل: الحنيف الحاج.[٦] وقيل: كل حنيف[٧] ذكر بعده[٨] مسلم فهو الحاج،[٩] وكل حنيف لم يذكر بعده مسلم فهو مسلم. وقيل:[١٠] الحنيف المائل إلى الحق والإسلام.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١٣٧]

وقوله: **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لا تقرأ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**، فإن الله ليس له مثل، ولكن اقرأ **فإن آمنوا** / بالذي **ما آمنتم به**، [٢٨ظ] أو بـ**ما آمنتم به**.[١١] وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه: فإن آمنوا بما[١٢] آمنتم به، تصديقًا لذلك؛ وعلى ذلك قوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛[١٣] إن الكاف زائدة، أي ليس مثله شيء،

---

[١] ع م: بعضهم.
[٢] ع: لانفرق.
[٣] ك ن – الكفرة.
[٤] ع م: بهم.
[٥] ع – قيل الحنيف.
[٦] جميع النسخ: الحجاج.
[٧] ع – وقيل كل حنيف.
[٨] ع: بعد.
[٩] ن ع م: الحجاج.
[١٠] ن ع: قال؛ ن + بعضهم.
[١١] يقول المفسر الطبري: «فكأن ابن عباس، في هذه الرواية إن كانت صحيحة عنه يوجه تأويل قراءة من قرأ ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾: فإن آمنوا بمثل الله وبمثل ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل. وذلك إذا صرف إلى هذا الوجه شرك لا شك بالله العظيم، لأنه لا مثل لله تعالى ذكره فنؤمن أو نكفر به». (*تفسير الطبري*، ١/٥٦٩؛ و*الدر المنثور للسيوطي*، ١/٣٣٩).
[١٢] ن م: بمثل ما. يقول السمرقندي: «ولفظة مثل زائدة وهكذا في قراءة ابن مسعود: "فإن آمنوا بما آمنتم به". وقيل: معناه فإن آمنوا بمثل إيمانكم، لأن حرف ما لا تستعمل في حق الله تعالى» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٦و).
[١٣] سورة الشورى، ٤٢/١١.

وهو في حرف ابن مسعود رضى الله عنه كذلك.ويحتمل **[فإن] آمنوا** بلسانهم **بمثل ما آمنتم** بلسانكم من الرسل والكتب جميعًا **فقد اهتدوا**. ويحتمل **بمثل ما آمنتم به**، أي بلسان غير لسانهم، **فقد اهتدوا**.[1]

*وقوله: **فإنما هم في شقاق**، قيل: الشقاق هو الخلاف. وقيل:[3] الشقاق هو الخلاف الذي فيه العداوة. *والله أعلم*.

وقوله: **فسيكفيكهم الله**؛ هذا وعيد من الله عز وجل لهم،[4] ووعد وعد[5] نبيه بالنصر[6] له، لأن أولٰئك كانوا يتناصرون،[7] بعضهم ببعض، فوعد[8] عز وجل النصر له بقتل[9] بعضهم وإجلاء آخرين إلى الشام وغيره.

﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[١٣٨]

وقوله: **صبغة الله**، قيل: دين الله. وقيل: فطرة الله، كقوله:«كل مولود يولد على الفطرة».[10] وقيل:[11] **صبغة الله** حجة الله التي أقامها على أولٰئك. وقيل: **صبغة الله** سنة الله.

ثم يرجع [إليها] قوله: **ومن أحسن من الله صبغة**، أي دينًا وسنة[12] وحجة تدرك بالدلائل التي نصبها[13] وأقامها فيه، ليس كدين أولٰئك الذين أسسوه[14] على الحيرة والغفلة بلا حجة ولا دليل.[15] وقيل: إن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء ليطهروهم[16] بذلك،

---

[1] م – ويحتمل بمثل ما آمنتم به أي بلسان غير لسانهم فقد اهتدوا.

* ورد هنا في جميع النسخ تأويل الآية ١٣٤، فنقلناه إلى مكانه. انظر: ورقة ٢٨/سطر٣-٦.

[3] ع م – قيل الشقاق هو الخلاف و.

[4] ن – لهم.

[5] ن م – وعد.

[6] جميع النسخ: بالصبر.

[7] ك ن م + يتناصرون بتناصر.

[8] ن + لهم؛ ك ع م + له.

[9] ع: يقتل.

[10] انظر لحديث الفطرة: صحيح *البخاري*، الجنائز ٨٠، ٩٣؛ و صحيح *مسلم*، القدر ٢٢-٢٥.

[11] م + فطرة الله وقيل.

[12] ك – وسنة.

[13] ع م: يصيبها.

[14] جميع النسخ: أسسوا.

[15] ك: دلائل.

[16] ن ع م: ليطهرهم.

فقال الله عز وجل: **صبغة الله**، يعني الإسلام هو الذي يطهرهم لا الماء.

وقوله: **ونحن له عابدون**، قيل: موحدون. وقيل: مسلمون مخلصون. ويحتمل: ونحن عبيده.

﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[١٣٩]

وقوله تعالى: **قل أتحاجوننا في الله**؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أولى بالله منكم. فأنزل الله في ذلك: **قل أتحاجوننا في الله**. وقيل: **في الله**، يعنى في دين الله؛ أي أ تحاجون وتخاصمون في دين الله؟

وقوله: **وهو ربنا وربكم**، أي أ تحاجون في الله مع علمكم وإقراركم أنه ربنا وربكم، بقوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ.[١]

وقوله: **ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم**، قيل: لنا ديننا ولكم دينكم، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[٢] ويحتمل:[٣] [و]**لنا أعمالنا**، لا تُسألون[٤] أنتم عنها؛ **ولكم أعمالكم**، ولا نسأل نحن عن أعمالكم، كقوله: وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ.[٥] **ونحن له مخلصون**، دينًا وعملاً لا نشرك فيه غيره.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١٤٠]

وقوله: **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى قل أ أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**، قيل: بل تقولون.[٦] وقيل: على الاستفهام في الظاهر: أ تقولون؛[٧] لكنه على الرد والإنكار عليهم. وذلك أن اليهود قالوا: إن إبراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه كانوا هودا أو نصارى. قال الله تعالى: قل يا محمد: أنتم أعلم بدينهم أم الله، مع إقراركم أنه ربكم، لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء؟

---

[١] سورة الزخرف، ٨٧/٤٣.
[٢] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[٣] ن: يحتمل.
[٤] ك + لاتسيلون.
[٥] ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و لا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (سورة البقرة، ١٣٤/٢، ١٤١).
[٦] م: يقولون.
[٧] جميع النسخ: يقولون.

ومعنى الاستفهام هو تقرير ما قالوه،[1] كالرد عليهم والإنكار.

ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله، قيل: الشهادة التي عنده علمهم أنهم كانوا مسلمين و لم يكونوا على دينهم. وقيل:الشهادة التي[2] عندهم بالإسلام أنه دين الله وأنه حق. وقيل: الشهادة التي كانت عندهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ بينه الله في كتابهم وأخذ عليهم المواثيق[3] والعهود، بقوله: لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ،[4] فكتموه وكذبوه. وقيل: **ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**، في قول اليهود لإبراهيم عليه السلام، وما ذكر من الأنبياء كانوا هودا أو نصارى. فيقول الله عز وجل: لا تكتموا الشهادة إن كان عندكم علم بذلك، وقد علم الله أنكم[5] كاذبون. وقيل: **الأسباط** بنو[6] يعقوب؛ سموا أسباطًا لأنه ولد لكل رجل منهم أمة.

وقوله: **وما الله بغافل عما تعملون**؛ خرج على الوعيد، أي لا تحسبوا أنه غافل عما تعملون.[7] ويجوز أن يكون لم ينشئهم على غفلة عما[8] يعملون، بل على علم بما يعملون خلقهم، ليعلم أن ليس له في شئ من عمل الخلق له[9] حاجة ليخلقهم على رجاء النفع له. *ولا قوة إلا بالله*. خلقهم وهو يعلم أنهم[10] يعصونه.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٤١]

وقوله تعالى: **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**؛[11] قد ذكرنا هذا فيما تقدم.

---

[1] ع: قالوا.
[2] ع م – عنده علمهم أنهم كانوا مسلمين و لم يكونوا على دينهم وقيل الشهادة التي.
[3] ع: بالمواثيق.
[4] يقول الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).
[5] ن ع م: أنهم.
[6] ك: بنوا.
[7] ن ع م: يعملون.
[8] جميع النسخ: مما.
[9] ن – له.
[10] ع – أنهم.
[11] ك + الآية.

[﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾][١٤٢]

وقوله: **سيقول السفهاءُ من الناس ما وَلَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**، هذا -والله أعلم-[١] وعْدٌ كان وَعَده عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنه يحوله إلى الكعبة من بيت المقدس، وإخبارٌ عما يقوله[٢] اليهود قبل[٣] أن يحوّل، وقبل أن يقولوا له شيئًا. ألا ترى إلى قوله: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ،[٤] أنه لو لم يكن فيها وعدٌ بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، لكان تقلُّب وجهه إلى السماء بذلك تخييرًا منه، وتحكما[٥] عليه. وليس لأحد على الله التخيير والتحكم عليه في الأحكام والشرائع، ولا في غيرها،[٦] فدل أنه على الوعد له ما فعل. *والله أعلم*.

ثم فيه إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان أخبره على ما أخبر من التحويل إلى الكعبة والقول منهم، فدل أنه علم ذلك بالله.

ثم اختلف في قوله **سيقول السفهاء**. قيل: هم اليهود، وقالوا ذلك عند تحويل القبلة إلى الكعبة.[٧] وذلك أنهم لا يرون[٨] نسخ الشرائع والأحكام؛ لأنه كالبداء والرجوع عنها؛ وذلك فعل من يجهل عواقب الأمور، كبانٍ بنى بناء، ثم نقضه لجهل منه به. لكن ذلك منهم جهل بمعرفة النسخ وقدره، ولو عرفوا ما التسخ، ما نفوا نسخ الشرائع والأحكام.

وأما النسخ عندنا، فهو بيان منتهى الحكم إلى وقت ليس فيه بداء ولا نقض لما مضى،

---

[١] م + هذا.

[٢] جميع النسخ: يقول له.

[٣] ن: قيل.

[٤] ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلةً ترضاها﴾ (سورة البقرة، ١٤٤/٢).

[٥] جميع النسخ: تخيير منه وتحكم.

[٦] يقول علاءالدين السمرقندي: «قال بعض المفسرين: إنه كان يقلب بصره إلى السماء لما كان يكره أن تكون قبلته قبلة اليهود، فحول الله القبلة إلى الكعبة، دفعا لكراهة قلبه وطلبا لرضاه. قال [أي الماتريدي]: لكن هذا بعيد، لأنه لا يظن برجل مسلم الكراهة فيما أمره الله تعالى به، وأن لا يرضى بحكمه، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مأمورا بالتوجه إلى بيت المقدس. ولو صح النقل عليه لهذا كان محمولا على كراهة الطبع والنفس دون كراهة الاختيار. وهذا لأن عامة المأمور به على خلاف الطبع، ولزم ترك المطبوع إلى ضده اختيارا طلبا لرضى الله تعالى فلم تكن كراهة الطبع منافيا للاختيار عقلا، وديانة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧ظ).

[٧] ع م - والقول منهم فدل أنه على ذلك بالله ثم اختلف في قوله سيقول السفهاء قيل هم اليهود وقالوا ذلك عند تحويل القبلة إلى الكعبة.

[٨] ك: لا يدرون.

بل تجديد حكم في وقت بعد انقضاء حكم على بقاء[1] الأول[2] لوقت كونه؛ ليس على ما فهمت اليهود من البداء والنقض لما مضى، كالبناء / الذي وصفوا. *وبالله التوفيق.* [٢٩و]

وإن كانت الآية في غير اليهود من أهل مكة، على ما يقول بعض أهل التفسير، فقالوا: لما رجع محمد إلى قبلتنا من القبلة الأولى،[3] يرجع إلى ديننا. قال الله عز وجل: **قل** يا محمد **لله المشرق والمغرب** والأمكنة كلها والنواحي. يأمر بالتوجه[4] إلى أي ناحية شاء، شرقا أو غربًا،[5] فالطاعة له في الائتمار لأمره، والقبول لدعائه، لا للتوجه نحو المشرق أو نحو المغرب[6] لهوًى[7] هوَوْا، وتمنٍّ[8] تمنوا؛ لأن اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم لا اتباعا لأمر أمروا به. وكذلك النصارى اتخذوا المشرق قبلة لهوى[9] أنفسهم. فأخبر الله تعالى عن[10] المؤمنين أنهم يأتمرون بأمر الله،[11] حيث ما أمروا توجهوا نحوه.

وقوله تعالى: **يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.** هذا [حجة] على المعتزلة، لأنه[12] أخبر عز وجل: أنه **يهدي من يشاء**، ولا جائز أن يهدي[13] وهو لا يهتدي. وهم يقولون: شاء أن يهدي ولكن لم يهتدوا.[14] فدل[15] قوله: **من يشاء** على[16] أن مشيئة الهداية ليست للكل، على ما قالت المعتزلة: إن هدايته بيان. وذلك للجميع.[17]

---

[1] ع: بقائه.

[2] ن ع م: الأولى.

[3] ك: الأول.

[4] ك: التوجه.

[5] ع م: وغربا.

[6] جميع النسخ: نحو الشرق أو نحو الغرب.

[7] ع م: لهوا.

[8] ك ن: ولتمنى؛ ع: ويتمنى؛ م: وتمنى.

[9] ك: بهوى.

[10] ع: من.

[11] ع م: بالله.

[12] ع: لأنهم.

[13] ن ع: تهدي.

[14] ن ع م: يهتدون.

[15] ن ع م – فدل.

[16] ك: إلى.

[17] ع: الجميع. يقول السمرقندي: «فإن معنى قوله: ﴿يهدي من يشاء﴾ أي يخلق الهداية فيمن شاء، لأنه جائز أن يهدي ولا يهتدي، لأن الاهتداء ملازم الهداية ومطاوعة كالانكسار للكسر. وعلى أصلهم لجاز أن يهدي الله تعالى ولكن لا يهتدي، وهو أن يبين لهم الطريق. وحملوا الهداية على البيان لا على خلق الهداية؛ على أنه لا يمكن حمل الهداية هاهنا على البيان لأنه علق الهداية بالمشيئة؛ والبيان ثابت في حق الكل، فإن الله تعالى بين الحق وطريقه للكل بالحجج والآيات والرسل فلا معنى لتعلق ذلك بالمشيئة، دل أن المراد ما ذكرنا من الهداية، فدل أنه هو الخالق لأفعال العباد» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٦ظ).

وفيه دليل نسخ السنة بالكتاب، لأن القبلة إلى بيت المقدس لم تكن مذكورة في الكتاب، بل عملوا على سنة الأولين الماضين. وهذا[١] [حجة] على الشافعي؛ لأنه لا يرى نسخ السنة[٢] بالكتاب إلا بعد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم به،[٣] فإذا عمل به صار سنة، فهو نسخ السنة بالسنة، لا نسخ السنة[٤] بالكتاب. فهذا منه[٥] قبيح فاحش، وفيه نبذ الكتاب وهجره -وقد نهينا عنه- والتحكم على الله عز وجل؛ لأنه[٦] لم يجعل للكتاب[٧] من القدر ما يقع به[٨] الزجر، على ما كان عليه آنفًا،[٩] لولا عمله[١٠] صلى الله عليه وسلم. فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى. ولكن لم يعرف[١١] ما النسخ؟ وما قدره؟ ولو علم لما قال بمثله.

وهو عندنا ما ذكر من بيان منتهى الحكم إلى وقته.[١٢] ولله جل جلاله نصبُ الأحكام والشرائع في كل وقت، يُبيّن[١٣] ذلك مرة بالكتاب، وتارة على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم. *وبالله التوفيق*. ولما جعل له صلى الله عليه وسلم أن يعمل به فنسخ الكتابُ فيه[١٤] تلك الشريعةَ، فكذلك في غيره من الأحكام.[١٥] *والله أعلم*.

﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١٤٣]

---

١ ن: هذا.
٢ ك: نسخ الكتاب بالسنة.
٣ ع م - به.
٤ ع م - السنة.
٥ أي من الشافعي.
٦ ك - لأنه. أي لأن الإمام الشافعي.
٧ ع م: الكتاب.
٨ ن ع م: فيه.
٩ ع: الفا.
١٠ م: علمه.
١١ ع م: نعرف.
١٢ ك ن: وقت.
١٣ ن ع م: بين.
١٤ ك - فيه.
١٥ جميع النسخ: من الناس.

وقوله: **وكذلك جعلناكم أمة وسطا. وكذلك** لا يتكلم[1] [بها] إلا على العطف على ما سبق من الخطاب، وهو -والله أعلم- معطوف على قوله: قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ،[2] الآية كأنه قال: كما وفقكم على الإيمان بما ذكر، وهداكم للإسلام،[3] كذلك جعلكم أمة وسطًا، يعني عدلا؛ **لتكونوا شهداء على الناس.** ثم اختلف في قوله: **على الناس.** قيل: على بمعنى اللام، أي[4] للناس. وهذا جائز في اللغة سائغ، كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[5] أي للنصب. وقيل: على بمعنى على، [أي] أن تشهدوا على الأمم للأنبياء على تبليغ الرسالة، ويشهد الرسول لهم بالعدالة.

وفيه دليل قبول شهادة أهل الإسلام على أهل الكفر ورد شهادتهم علينا، لأنه لو[6] قبلت شهادتنا عليهم على التبليغ ثم شهد أولئك بأنهم لم يبلِّغوا لكان فيه تناقض، فدل أن شهادتنا تقبل عليهم، ولا تقبل شهادتهم علينا. *والله أعلم*.

وقوله: **لتكونوا شهداء على الناس،** [أي]: الذين أبوا إجابة[7] الرسل، **ويكون الرسول عليكم شهيدا** إن جحدتم الرسالة. وذلك قوله: **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** الآية. أضاف الله إليه[8] جَعْلهم أمة وسطا. ثبت أن لله[9] في فعل ذلك فعلَ [ما] به ذكر منته. ***والله أعلم***.[10]

قوله:[11] **وكذلك جعلناكم أمة وسطا،** فالوسط العدل. أخبر عز وجل أنه جعل هذه الأمة عدلا؛ فالعدل هو المستحق للشهادة والقبول لها. ففيه الدلالة على جعل هذه الإجماع حجة، لأنه وصفها بالعدالة، وصيَّرها من أهل الشهادة. فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به

---

[1] ع م + رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[2] ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٣٦).

[3] ك: الإسلام.

[4] ك ن - اللام أي.

[5] سورة المائدة، ٥/٣.

[6] ك - لو.

[7] ع: إجاءة.

[8] أي إلى الرسول عليه السلام.

[9] ع: الله.

[10] ن - وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية أضاف الله إليه جعلهم أمة وسطا ثبت أن لله في فعل ذلك فعل به ذكر منته والله أعلم.

[11] ك ن ع: وقوله.

لزم قبول ذلك والحكم بما شهدوا.[١] والشهادة فيه أنه من عند الله وقع لهم ذلك. والثاني قال [تعالى]: اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ؛[٢] أخبر أن فيهم صداقة[٣] يلزم اتباعهم. والثالث ما قال عز وجل: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى،[٤] ولا يجوز الوعيد في مثله إذا لم يكن ذلك هو الحقّ عند الله. والرابع قوله: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ؛[٥] أمر عز وجل عند التنازع بالرد[٦] إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فدل أنه إذا لم يتنازع لم يجب الرد إلى ما ذكر. ***والله أعلم.***

وقوله: **لتكونوا شهداء على الناس**؛ روي عن ابن عباس رضي الله عنه[٧] أنه قال: يسأل الله تعالى يوم القيامة الأمم، عن[٨] تبليغ الأنبياء رسالته إليهم، فينكرون، ثم يأتي بهذه الأمة، يشهدون عليهم بالتبليغ. فذلك قوله: **لتكونوا شهداء على الناس**. ويشهد الرسول عليهم، يعني:[٩] لهم بالعدالة[١٠] والتزكية. ***والله أعلم.***

{قال الشيخ رضي الله عنه:} وفي قوله: **لتكونوا شهداء على الناس** وجهان. أحدهما على الكفرة. وفي ذلك دليل قبول شهادة المسلمين عليهم ورد شهادتهم عليهم؛ لما يتناقض فيزول منفعة الشهادة عليهم. والثاني ليكون من شهد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شهودًا[١١] على من يكون بعدهم.[١٢] وفي ذلك دليل نهي[١٣] من تأخر الصحابة

---

[١] يقول السمرقندي: «والآية على هذا التأويل دليل على أن إجماع الصحابة حجة، ولا يجوز لمن بعدهم مخالفة ذلك؛ لأنه لو لم يكن قولهم حجة، وقبول الشهادة منهم واجبا لم يظهر فائدة جعل الله تعالى إياهم شهداء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧و).

[٢] سورة التوبة، ٩/١١٩.

[٣] جميع النسخ: صدقة.

[٤] ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرًا﴾ (سورة النساء، ٤/١١٥).

[٥] سورة النساء، ٤/٥٩.

[٦] جميع النسخ: الرد.

[٧] ك - فدل أنه إذا لم يتنازع لم يجب الرد إلى ما ذكر والله أعلم وقوله لتكونوا شهداء على الناس روي عن ابن عباس رضي الله عنه.

[٨] ك: عند.

[٩] ك ن: بمعنى.

[١٠] ن: على العدالة.

[١١] جميع النسخ: شهود.

[١٢] يقول علاءالدين السمرقندي: «ويحتمل ليكون من شهد رسول الله عليه السلام شهودا على من بعدهم ممن امتنعوا عن إجابة الرسالة من الكفرة، فكان الناس المشهود عليهم كفرةَ أمةِ محمد عليه السلام بعد وفاته، والمراد من الشهداء هم الصحابة، وعلى [هذا] يكون قوله: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾ بإقامة المعجزات على إثبات الرسالة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٧و).

[١٣] ع - نهي.

رضوان الله عليهم،[١] عن الخلاف لهم. **ويكون الرسول عليكم شهيدا** إذا خالفتموه وعصيتموه.

وقوله تعالى: **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه**. فهذا –والله أعلم– لما كانوا في المتابعة على قسمين: منهم / من تبعه لما وافق هواه، [٢٩ظ] ومنهم من تبعه لما علم أنه الحق من عند الله. فامتحنهم الله عز وجل ليتبين لهم ويقع علم[٢] ذلك عندهم: مَن المتَّبِعُ له بهواه، ومَن المتبِعُ له بالأمر والطاعة؟[٣]

وقيل أيضا في قوله **إلا لنعلم من يتبع الرسول**؛ قيل: ليَعلَم من يتبع الرسول[٤] ما قد علم أنه يكون كائنا، وليَعلم ما قد علم أنه يوجد موجودًا.[٥] وقيل: إنه يجوز أن يراد بالعلم المعلوم. معناه –والله أعلم– إلا ليكون المتبع له والمنقلِب[٦] على عقبيه.

ثم الأصل في هذا ونحوه –من قوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ–[٧] أنّا لا نصف الله تعالى بالعلم في الخلق على[٨] غير الحال التي الخلق عليها؛ لأنّ وصفنا إياه بالعلم على غير الحال التي[٩] عليها الخلق يومئ[١٠] إلى وصف بالجهل؛ لأنه لا يجوز أن يقال: يعلم[١١] من الساكن في حال السكون حركة، أو السكونَ في حال الحركة. أو يعلم[١٢] من الجالس[١٣] قياما، أو القائم جلوسا. وكذلك لا يجوز أن يقال: يعلم من العدم موجودا، أو من الموجود معدوما في حال وجوده؛ لأنه وصف بعلم[١٤] ما ليس، وهو محال. ***وبالله العصمة.***

وقيل: إن كل علم يذكر على حدوث المعلوم يذكر بذكر الوقت للمحدَث[١٥] –بفتح الدال–

---

[١] ك ن – رضوان الله عليهم.
[٢] ن: عليهم.
[٣] ك ن + له.
[٤] ن ع م – من يتبع الرسول.
[٥] ع م – موجودا.
[٦] ن: والمتقلب.
[٧] ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ (سورة محمد، ٣١/٤٧).
[٨] ع: قال.
[٩] جميع النسخ: الذي.
[١٠] ن: نومئ.
[١١] ن ع م: تعلم.
[١٢] ن ع م: تعلم.
[١٣] ع: المجالس.
[١٤] ع: يعلم.
[١٥] ن: للحدث.

أي يسند[1] علمه إلى المحدث بذكر الوقت،[2] لئلا يفهم بذكره قدم المعلوم في الأزل. وإذا وصفنا الله بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصفه بالذي نصفه[3] به في الأزل، لتعاليه عن التغير والزوال وعن[4] الانتقال من حال إلى حال. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله**، يعني: تحويل القبلة لكبيرة ثقيلة على من كان اتباعه لهواه[5] دون[6] أمْرٍ أُمِرَ به، إلا على الذي يتبع أمر الله فيها ويعتقد طاعته،[7] فإنها ليست بثقيلة عليه ولا كبيرة.

وقوله: **وما كان الله ليضيع إيمانكم**. قال بعض أهل التفسير: إن قوما صلّوا إلى بيت المقدس ثم ماتوا على ذلك، فلما حولت القبلة إلى الكعبة قالوا: ضاعت صلاتهم التي صلوا إليها، إشفاقا عليهم. لكن هذا بعيد، لا يحتمل؛ لأن الذي اعتقد الإسلام من الصحابة رضي الله عنهم وعرف موقع أمر الله وأمر رسوله لا يجوز أن يخطر ببالهم هذا[8] حتى يَسْألوا[9] عن ذلك،[10] بل كانوا أعلم بالله من أن يجد عدوًا لله فيه[11] ذلك. ولأنهم قوم يأتمرون بأمر الله وطاعته ويموتون[12] على التصديق، وعلموا أنهم مؤمنون ثم يشكون في أحوالهم. لكن إن كان ثَمَّ سؤالٌ فهو من اليهود الذين اعتقدوا بطلان الناسخ[13] في الأحكام والشرائع، فكانوا يحتجون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ينهى عن التفرق[14] والاختلاف، ثم يدعوهم إلى ذلك. أو قوم من الكفرة[15] آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفرطوا في التكذيب له والخلاف والمعاداة،

[1] م: يستند.
[2] ك ن ع – بفتح الدال أي يسند علمه إلى المحدث بذكر الوقت.
[3] ن – بالذي نصفه.
[4] ن: من.
[5] ع: هواه.
[6] ع – دون.
[7] م: طاعة.
[8] ع م – هذا؛ ك ن + أو يعملون لو خطر ببالهم.
[9] ك: حتى ليسألوا.
[10] ع: من ذلك.
[11] جميع النسخ: فيهم.
[12] ك: ويمومنين.
[13] ن ع م: التناسخ.
[14] ع م: التفريق.
[15] جميع النسخ: الكفر.

فأرادوا الإسلام، فظنوا أن ما كان منهم من العصيان والتكذيب يمنع قبول الإسلام، فأنزل الله عز وجل: **وما كان الله ليضيع إيمانكم** لما كان منكم في حال الكفر؛ ألا ترى أن آخر[1] الآية يدل عليه.

وقوله: **إن الله بالناس لرؤوف رحيم**؛ أخبر أنه رحيم[2] يتجاوز عمن تاب، أو [هو في] قوم علموا أن لا[3] تناسخ في الدين ولا اختلاف فيه،[4] فظنوا أن نسخ الأحكام وتبديلها يوجب اختلافا في الدين وتفرقا فيه.

فنقول: إن الإيمان في الأصل بالذي[5] لا يقع على اعتقاد الصلاة إلى جهة دون جهة، بل يقع على الائتمار. فالإيمان من الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- الذين ماتوا كان[6] على اعتقاد الائتمار؛ فهم مؤمنون باعتقاد الائتمار إلى بيت المقدس، مؤمنون باعتقاد الائتمار إلى الكعبة، فلا تفرق ولا اختلاف في الإيمان؛ إذ في الأصل به وقع الاعتقاد للائتمار. *والله التوفيق*.

ثم قوله:[7] **وما كان الله ليضيع إيمانكم**، تأويله: أي لا يضيع إيمانكم بالصلاة إلى بيت المقدس. ولو كان على الصلاة فهو لوجهين. أحدهما أنها إنما قامت بالإيمان فهو سبب لها، وقد يذكر الشيء باسم سببه. والثاني أن اليهود عرفوها[8] إيمانا،[9] فورد الخطاب على ما عندهم معروف، كقوله:[10] فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[11] لا أن كان ثَمَّ آلهة لكن لما عندهم. وكذلك قوله: فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ،[12] لا[13] أن كان ثم خالق سواه، ولكن لما عرفوا كل صانع خالقا، فخرج الخطاب[14] على ما عرفوهم. فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.

---

[1] م – آخر.
[2] ن – أخبر أنه رحيم.
[3] ك ن ع: إلا.
[4] ن: في الدين.
[5] لعل المؤلف يقصد: إن الإيمان بشيء لايقع...الخ.
[6] ع م – كان.
[7] ع: وقوله؛ م: ثم وقوله.
[8] ك ن م: عرفوه؛ ع: عرفوا. أي عرفوا الصلاة.
[9] أي قالوا: إن إيمانهم ضاع بالتوجه إلى الكعبة.
[10] ع: كقولهم.
[11] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).
[12] سورة المؤمنون، ١٤/٢٣.
[13] ك: لأن؛ ن ع: إلا أن.
[14] ك + على الخطاب.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[١٤٤]

وقوله: **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** قد ذكرنا أنه يخرج على الوعد له.[١]

وقوله: **قبلة ترضيها.** قال بعض المفسرين: إنه كان يقلّب بصره إلى السماء، لما كان يكره أن تكون[٢] قبلته قبلة اليهود. ولكن هذا بعيد، لأن مثل هذا لا يُظنّ بأحد من المسلمين، فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم. إلا أن يقال: كره كراهة الطبع والنفس، وأما كراهة الاختيار فلا يحتمل. ويقال: إنه كان حُبِّب إليه الصلاة، حتى لا يصبر[٣] عنها، وقد نهى عن الصلاة إلى بيت المقدس، ولم يؤمر بعد بالتوجه إلى غيرها، فكان تقلب وجهه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالتوجه إلى غيرها. أو أن يقال: **قبلة ترضاها،** لأنها كانت قبلة الأنبياء من قبل، فلا شك أنه كان يرضاها. وهذا جائز في الكلام. يقول الرجل لآخر: أعطيك[٤] شيئا ترضاه وإن لم تظهر منه الكراهة في ذلك ولا الرد.[٥]

وقوله: **فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره،** وقد ذكرنا القول في القبلة والاختلاف فيه فيما تقدم.[٦]

وقوله تعالى: **وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم.** يحتمل قوله **أنه الحق** وجهين.[٧] أي علموا أن / تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة حق، لكنهم يعاندون ويتبعون هواهم. [٣٠و] ويحتمل أن علموا بما[٨] بُيِّن لهم في كتبهم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول،[٩] وأنه حق.[١٠]

---

[١] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ (سورة البقرة، ١٤٢/٢).

[٢] ن ع م: يكون.

[٣] ع: يصبر.

[٤] ن: أعطيتك.

[٥] ع م: لا الرد.

[٦] جميع النسخ: ما تقدم؛ انظر تأويل قوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم﴾ (سورة البقرة، ١٤٢/٢).

[٧] ك: على وجهين.

[٨] ع: ما.

[٩] ك: أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[١٠] م + قوله.

وقوله:[1] **وما الله بغافل عما يعملون**. وهو على ما ذكرنا أنه على الوعيد والتهديد.[2] *والله أعلم*.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [١٤٥]

وقوله: **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك**. الآية [نزلت] في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون، ولا يتابعون محمدا صلى الله عليه وسلم في قبلته، حيث آيسه[3] عن متابعتهم إياه؛ لأنها لو كانت في أهل الكتاب كلهم لكان لهم الاحتجاج على[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى الكذب عليه، لأن من أهل الكتاب من قد آمن. فدل أنهم لم يفهموا من عموم اللفظ عموم المراد، ولكن فهموا من عموم اللفظ خصوصا، وكان ظاهرًا في أهل الإسلام وأهل الكفر جميعا المعنى[5] الذي وصفنا لك. فظهر أنه لا يجوز أن يفهم من مخرج عموم اللفظ عموم المراد.[6]

وفيه دلالة إثبات رسالته[7] صلى الله عليه وسلم؛ لأنه في موضع الإخبار بالإياس عن الاتباع له، ولا يوصل إلى مثله إلا بالوحي عن الله عز وجل. وفيه أن كثرة الآيات وعظمها في نفسها لا يعجز المعاند عن اتباع هواه، والاعتقاد لما[8] يخالف هواه.

وقوله: **وما أنت بتابع قبلتهم**، فيه الوعد له بالعصمة في حادث الوقت وما يتلوه. ويحتمل[9] قوله: **وما أنت بتابع قبلتهم**، أي ومالك[10] أن تتابعهم في القبلة. وهذا التأويل كأنه أقرب

---

[1] ك ن ع – وقوله.
[2] ن: التهدد. انظر تأويل قوله تعالى: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٠).
[3] ع: لآيسه.
[4] ع: عن.
[5] جميع النسخ: لمعنى.
[6] يقول السمرقندي: «ثم الآية حجة لنا في وجوب التوقف في اعتقاد عموم المراد من عموم اللفظ إلى دليل آخر وراء نفس الصيغة، وإن كان واجب العمل فيما يرجع إلى الأحكام بظاهره احتياطا، فإن قوله: ﴿الذين أتوا الكتاب﴾ عامّ من حيث الصيغة، و لم يفهموا من ظاهره العموم بل الخصوص» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٧ظ).
[7] ع م: رسالة محمد.
[8] ن – لما، صح هـ.
[9] ك: وما يحتمل.
[10] ك: وما ذلك.

لما خرج آخر الآية على الوعيد له، بقوله:[١] **ولئن اتبعت أهواء هم من بعد ما جاءك من العلم**، الآية. وقد ذكرنا أن العصمة لا تمنع النهي.[٢] ويحتمل أن يكون المراد من الخطاب غيره.[٣]

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[١٤٦]

وقوله: **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم [وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون]**، لأن الأولاد إنما تعرف بالأعلام والأسباب المتقدمة.[٤] فعلى ذلك معرفة الرسل عليهم السلام إنما تكون[٥] بالدلائل[٦] والأعلام، وقد[٧] كانت تلك الدلائل والأسباب في رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة، لكنهم تعاندوا وتناكروا، وكتموا بعد معرفتهم به أنه الحق. دليله قوله:[٨] **وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**. والكتمان أبدا إنما يكون بعد العلم بالشيء؛ لأن الجاهل بالشيء لا يوصف بالكتمان. وروي عن عبد الله بن سلام أنه قال: أعرفه أكثر مما أعرف ولدي، لأني لا أدري[٩] ما أحدث النساء بعدي.[١٠] وفيه الدلالة [على] أن نعته وصفته[١١] كانت غير مغيّرة يومئذ، وإنما غيرت بعد، حيث أخبر أنهم كتموا ذلك.[١٢]

---

[١] ع: بقوة.

[٢] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (سورة البقرة، ١٢٠/٢).

[٣] ع: وغيره.

[٤] جميع النسخ: وأسباب تتقدم؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨و.

[٥] ن: يكون.

[٦] ع: بالدلالة.

[٧] ع: وإن

[٨] ع م – قوله.

[٩] م: أدري.

[١٠] لعله يريد: في بُعْدي، أي في غيبتي.

[١١] أي التي كانت توجد في التوراة.

[١٢] جميع النسخ + قيل لا يعلمون لا يؤمنون وهو على ما بينا من نفي بذهاب نفعه. هذه العبارة قد أسقطت من المتن لأن مضمونها لا تتناسب مع السياق، كما أنها لا توجد في نسخ شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٥٣و.

وجائز أن يكونوا عرفوه بما وجدوه بنعته[1] في كتبهم، كما قال الله عز وجل: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ] الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ،[2] الآية.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[١٤٧]

وقوله: [**الحق من ربك**] **فلا تكونن من الممترين**، يحتمل: أن يكون الخطاب له والمراد غيره. ويحتمل هو، وإن كان يعلم أنه لا يمتري لما ذكرنا[3] في غير موضع: أن العصمة لا تمنع النهي عن الشيء.[4]

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٤٨]

وقوله: **ولكل وجهة هو موليها**، قيل فيه بوجوه. قيل: **هو موليها**، يعني الله موليها[5] ومحوّلها. وقيل: **هو** يعني المصلي[6] **موليها**. وقيل: ولّى -أقبل وأدبر- **هو موليها**: هو مستقبلها.

ويقال في قوله: **ولكل وجهة هو موليها**: لكل ملة[7] من المسلمين قبلكم[8] جعلت قبلتها الكعبة.

وقوله: **فاستبقوا الخيرات**. قيل فيه بوجوه. قيل: بادروا الأمم السالفة بالخيرات والطاعات. وقيل: "استبقوا" هو اسم الازدحام. يقول: يُبادر[9] بعضكم بعضا بالخيرات. ويحتمل: أي استبقوا في أمر القبلة والتوجه إليها غيركم من الكفرة. *والله أعلم*.[10]

---

[1] ن: وبنعته.

[2] ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[3] ع م: ذكر.

[4] انظر تأويل قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (سورة البقرة، ١٢٠/٢)؛ وانظر أيضا تأويل قوله: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم﴾ (سورة البقرة، ١٤٥/٢).

[5] ع م - يعني الله موليها.

[6] جميع النسخ + هو.

[7] ك ن: أمة.

[8] ن + حيث.

[9] ن ع م: تبادر.

[10] ع م + ورسوله.

وقوله: **أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا**. قيل: أين ما كنتم يقبض الله أرواحكم من البقاع البعيدة والأمكنة الحصينة.[١] وقيل: **أين ما تكونوا**، أي في أي حال كنتم -عظاما ناخرة أو بالية أو رُفاتًا- يجمعكم[٢] الله ويحييكم، ولا يتعذر عليه ذلك. وهو كقوله: أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.[٣] أخبر أن شدة الحال عندكم لا يتعذر عليه، ولا تشتد[٤] من الإحياء والإماتة.

وقوله: **إن الله على كل شيء قدير**، من جمع ما ذكرنا من الأشياء المتفرقة وإحياء العظام البالية.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١٤٩]

وقوله: **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام**. يقول[٥] -والله أعلم- حيث ما كنت من المدائن والبلدان[٦] فول وجهك شطر المسجد الحرام. وشطره:[٧] تلقاؤه،[٨] ونحوه[٩] وجهته. وهذا يبطل قول من يقول: إن الحرم قبلة لمن نأى عن البيت وبَعُد من أهل الآفاق، حيث أمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى شطر المسجد الحرام[١٠] حيث ما كان[١١] من البلدان. *وبالله العصمة والتوفيق.*

{قال الشيخ رحمه الله:} ذُكر المسجد، ومعناه: موضعًا[١٢] منه. يعرف[١٣] ذلك بالفحص عنه[١٤]

---

[١] م: الخفية.
[٢] ع: يجعلكم.
[٣] سورة الإسراء، ١٧/٤٩-٥١.
[٤] ن ع م: ولا يشتد. لعله يقصد: لا تقدر حالكم وقوتكم أن تمنع إحياء الله وإماتته.
[٥] ع ن: نقول.
[٦] ك ن: من البلدان والمدائن.
[٧] جميع النسخ: شطره.
[٨] جميع النسخ: تلقاه.
[٩] ع م: نحو.
[١٠] ك ن - الحرام.
[١١] م: كانت.
[١٢] أي فول وجهك موضعا من المسجد.
[١٣] جميع النسخ: عرف.
[١٤] ع م - عنه.

من البقاع البعيدة والأمكنة الخفية، لا بالظاهر، ولا ذكر وصل البيان به.

وقوله: **وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون.** قيل: وإنه: [أي] تحويل القبلة هو الحق من ربك. وقيل: **وإنه** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربك.[1] ويحتمل: **وإنه**، يعني القرآن هو الحق من ربك.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١٥٠]

وقوله: **ومن حيث خرجت** على ما ذكرنا.

وقوله: **وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره**، خاطب الكل وأمرهم بالتوجه إليه حيثما كانوا حتى لا يكون هو المخصوص به دونهم.

[٣٠ظ] وقوله: **لئلا يكون / للناس عليكم حجة**؛ تأويل هذا الكلام –والله أعلم– أنه لما اختار اليهودُ ناحية المغرب قبلةً، والنصارى ناحيةَ المشرق بهواهم، فأنزل الله عز وجل: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ.[2] يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[3] وقال: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ،[4] ليقطع[5] عذرهم وحجاجهم بما بين[6] في كتب لهم أنه يحوّلهم.[7] وذلك معنى قوله: **لئلا يكون للناس عليكم حجة.**

---

[1] ن + وقيل.

[2] جميع النسخ + الآية.

[3] سورة البقرة، ١٤٢/٢.

[4] جاءت هذه الآية في جميع النسخ على هيئات مضطربة. سورة البقرة، ١١٥/٢.

[5] جميع النسخ: فيقطع.

[6] ك: في ما بين.

[7] ن هـ: لهم في كتبهم أنه قولهم. (نسخة). يقول علاءالدين السمرقندي: «فإن قيل: لماذا قرن قوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ على قوله: ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾، فما معنى تعليل وجوب التوجيه إلى الكعبة بقطع عذر الكفرة وحجاجهم؟ قال الشيخ: والجواب عنه: أن اليهود لما كانوا اختاروا ناحية المغرب قبلة والنصارى ناحية المشرق قبلة بهواهم، وأراد كل فريق أن يتابعهم النبي عليه السلام في تلك الجهة، وادعوا أن ذلك هو الحق، فأمر النبي عليه السلام وأصحابه بالتوجه إلى الكعبة. وفي ذلك دفع احتجاج الكفرة وقطع عذرهم، أي أني أتبع أمر الله تعالى في التوجه إلى الكعبة، وأن الذي تزعمون أنه أمرهم بذلك هو أمرني وإياكم بالتحول إلى الكعبة، فعليكم الامتثال لأمره. ويصلح أن يكون الجواب أيضا ما قيل: إن الله تعالى قد بين في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المتقدمة أن النبي المبعوث –في آخر الزمان– وأصحابه يؤمرون بالتوجه إلى بيت المقدس زمانا، ثم يحولون إلى الكعبة، وجعل الله ذلك دلالة رسالته لكونه إخبارا عن الغيب فحول الله تعالى القبلة إلى الكعبة بعد ما كانت إلى بيت المقدس لئلا يكون للناس عليكم حجة؛ أي لأهل الكتاب فيقولوا ليس هذا هو النبي المبعوث في آخر الزمان، حيث لم يحول قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة بعد مضي المدة المعلومة» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٨و–ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٥٣و–ظ).

ثم اختلف في قوله: **للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا**. قيل: أراد بالناس أهل الكتاب، وأراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة. وتأويله: لئلا يكون لأهل[١] الكتاب عليكم[٢] حجة ولا الذين ظلموا. وقيل: **لئلا يكون للناس**، يعني أهل الكتاب عليكم حجة[٣] فيقولوا:[٤] ليس هذا الوصف في كتبهم، أنه يصلى إلى بيت المقدس وقتا، ثم يتحول إلى الكعبة. **إلا الذين ظلموا منهم**؛ يقول:[٥] إلا من ظلم منهم عليكم في الكلام بلا حجة[٦] ولا دليل.[٧] ومثل هذا جائز في الكلام؛ تقول[٨] لآخر: ليس لك عليّ حجة إلا أن[٩] تظلمني بلا حجة. وقال الفراء: هذا كما يقول الرجل لآخر: الناس لك حامدون، إلا الظالم المتعدي عليك. صواب في المعنى خطأ في العربية،[١٠] وذكر بيتا يدل على الجواز:

ما بالمدينة دارٌ غيرُ واحدة دارُ الخليفة إلا دارُ مَرْوانا[١١]

بمعنى: ولا دارُ مروان.[١٢]

---

[١] ع: أهل.

[٢] ع م – عليكم.

[٣] ك – ولا الذين ظلموا وقيل لئلا يكون للناس يعني أهل الكتاب عليكم حجة.

[٤] ن ع م: فتقولوا.

[٥] ك + من؛ ن: يقولو.

[٦] ع + تقول ليس هذا الوصف إلى.

[٧] يقول السمرقندي: «﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ أي لأهل الكتاب، إلا من ظلم منهم عليكم في الكلام والمناظرة بلا حجة ولا دليل، فيتصور عنده الشبهة بصورة الحجة. لكن آثروا العناد والمكابرة لأغراض لهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨ظ).

[٨] ن ع م: يقول.

[٩] ك – أن.

[١٠] *معاني القرآن* للفراء، ١/٨٩.

[١١] جميع النسخ: مروان، والتصحيح من *معاني القرآن* للفراء، ١/٩٠.

[١٢] يقول علاءالدين السمرقندي: «قال الشيخ: ثم قوله تعالى ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ ففي ظاهره إشكال من حيث هو استثناء الظالمين من جميع الناس، والاستثناء من النفي إثبات، فيصير تقدير ظاهره: لئلا يكون حجة لعامة الناس عليكم ويكون حجة للظالمين عليكم؛ ويتعالى الله عز وجل عن ذلك. وتكلموا في حل هذا الإشكال فقال بعضهم: إن كلمة "إلا" استعيرت للعطف هاهنا بمعنى حرف "لا"، معناه لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا. وأراد بالناس أهل الكتاب، وأراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة وإن كان جميع الكفرة ظلمة؛ إذ مشركو العرب في كونهم ظلمة في نهاية الكمال، لأنهم بنوا أمور دينهم على مجرد الهوى والطبيعة، بخلاف أهل الكتاب فإنهم بنوا أمور دينهم على الوضع الإلهي في الجملة وإن غيروا هيئاتها وصفاتها بحيث خرج أكثرها عن الحقيقة. وقال الفراء: وهذا التأويل لا يصح، لأن ذكر لفظة الاستثناء إنما يجعل مجازا عن حرف النسق وهو حرف "لا" في الاستثناء بعد الاستثناء إذا كان المستثنى من خلاف جنس المستثنى الأول كما قيل: ***ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة إلا دار مروانا***، أي ولا دار مروان. فهذا استثناء من الاستثناء، واستثناء "دار مروان" من "دار الخليفة" لا يتحقق، فكان المراد منها النسق والعطف. ولم يرد من العرب لفظة الاستثناء مجازا عن "لا" الذي هو حرف العطف في الابتداء فيكون خطأ في اللغة وإن لم يكن خطأ في المعنى» (شرح *التأويلات*، ورقة، ٤٨ظ).

وقيل أيضا: **إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم**، على القطع من الأول والابتداء بهذا. أي لا تخشوا الذين ظلموا في الضرر لكم، ولكن اخشوني في ترككم إياها. أو أن يقال:[١] لا تخشوهم بالقتال والغلبة؛ فذلك لهم منه[٢] أمن من[٣] الأعداء. وعلى هذا يخرج قوله: **ولأتم نعمتي عليكم** يعني الأمن[٤] من[٥] الأعداء. ولا نعمة أعظم من الأمن وإظهار الحق، كقوله: أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي.[٦] قيل: هو الأمن من الأعداء،[٧] أو أراد بالنعمة كل نعمة من الإسلام والنصر وغيره. **ولعلكم تهتدون** القبلة، وتهتدون الإرشاد والصواب.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[١٥١]

وقوله: **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم.** قوله[٨] "كما" حرف لا يصح ذكره إلا على تقدم كلام، إذ هو حرف عطف ونَسَق. وهو -والله أعلم- **كما أرسلنا فيكم رسولا**، وأنعم عليكم بمعرفة وحدانيته، وبمعرفة[٩] مُحاجَة الكفرة،[١٠] وأنعم[١١] عليكم بإكرامه إياكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك يجب عليكم أن تذكروه وتشكروا له. ويحتمل على التقديم والتأخير على ما قاله أهل التفسير، كأنه قال: فاذكروني **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم**؛ وذلك في القرآن كثير. وقال[١٢] الفراء: يحتمل **كما أرسلنا فيكم رسولا منكم...** أَذْكُرْكُمْ،[١٣] فيكون فيه جوابه؛ لذلك جُزِم. وهذا كقول الرجل: كما أحسنتُ فأَحسِن.[١٤]

---

[١] ع م: وأن يقال.

[٢] ع م: منة.

[٣] ك: وإظهار عن؛ ن: أمن عن؛ ع: أمن على.

[٤] ن: لأمن من؛ ع م: لأمن.

[٥] م – من.

[٦] ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (سورة المائدة، ٣/٥).

[٧] ع م – ولا نعمة أعظم من الأمن وإظهار الحق كقوله أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي قيل هو الأمن من الأعداء.

[٨] ك ع م – قوله.

[٩] ك ع م: وبمعرفته.

[١٠] ك: للكفرة.

[١١] ع – وأنعم.

[١٢] ع م: قال.

[١٣] أي ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وهي الآية التي تلي هذه الآية (سورة البقرة، ١٥٢/٢).

[١٤] *معاني القرآن* للفراء، ٩٢/١.

وقوله: **ويعلمكم الكتاب**، وهو القرآن. **والحكمة**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: الحكمة الفقه؛ وقيل: الحكمة الحلال والحرام؛ وقيل: الحكمة السنة؛ وقيل: الحكمة المواعظ؛ وقيل: الحكمة هي الإصابة، ومنه سُمِّي الحكيم حكيمًا، لأنه مصيب. وقال الحسن: الكتاب والحكمة واحد، وهو على التكرار، كقوله: تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ،[١] وهما واحد.

وقوله: **ويزكيكم**؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: يأخذ زكاة أموالكم، ففيه زكاتهم. وقيل: يزكيهم: يدعوهم إلى ما به زكاة أنفسهم وصلاحها، وهو التوحيد. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٢]

وقوله: **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** من التوحيد والشرائع والمحاجة مع الكفرة، وما أكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما أنعم عليهم من أنواع النعم.[٣]

وقوله: **رسولا منكم**؛ خاطب العرب وذكّرهم بما أنعم[٤] عليهم من بعث الرسول فيهم ومنهم، وإنزال[٥] الكتاب بلسانهم،[٦] وهم كانوا يتمنّون ذلك، كقوله:[٧] أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ،[٨] فمنَّ عليهم بذلك، وبه استوجبوا الفضيلة على غيرهم، وكفى به[٩] فضلا؛ وقوله: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ،[١٠] الآية.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١٥٢]

وقوله: **فاذكروني [أذكركم]**؛ قيل: بالطاعة في الدنيا أذكركم في الآخرة بالتجاوز عن سيئاتكم. وقيل: اذكروني في الرخاء والسعة أذكركم في الضيق والشدة. وقيل: اذكروني

---

[١] ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ (سورة النمل، ١/٢٧).

[٢] انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك﴾ (سورة البقرة ١٢٩/٢).

[٣] ع: النعمة.

[٤] ع: أنعمت.

[٥] ع م: وأنزل.

[٦] ع + بل أنهم.

[٧] ن ع م: كقولهم.

[٨] سورة الأنعام، ١٥٧/٦.

[٩] ع م: بهم.

[١٠] ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننَّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورًا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

في الخلوات أذكركم في ملأ الناس وأذكركم في ملأ من الملائكة.[1] ويحتمل: اذكروني بالشكر بما أنعمت عليكم أذكركم بالزيادة عليها. **والله أعلم.**

وقوله: **واشكروا لي ولا تكفرونِ**، أي وجّهوا شكر نعمتي إليّ[2] ولا تشكروا غيري. ويحتمل: اشكروا لي:[3] أي وجهوا العبادة إليّ[4] ولا تعبدوا غيري. **والله أعلم.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٥٣]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين**[5] قد ذكرنا تأويل هذه الآية فيما تقدم.[6]

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[١٥٤]

وقوله: **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: إن العرب كانت تعرّف الميت[7] [أنه] من انقطع ذِكْره، إذ[8] لم يبق له أحد يُذكَر به من نحو الولد وغيره؛ فيقولون عند موت[9] هؤلاء:[10] إنّ ذكرهم قد انقطع. فأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم [أحياء] مذكورون في ملأ الملائكة. وقال الحسن: إن أرواح المؤمنين تعرض على الجنان، وتعرض أرواح الكفرة على النيران، فيكون[11] لأرواح الشهداء

---

[1] لعله يشير بذلك إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ...» (*صحيح مسلم*، الذكر والدعاء ٢٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الأدب ٥٨؛ وسنن *الترمذي*، الدعوات ١٣٢).

[2] ع – أني.

[3] ن: إلتي؛ ع: أني.

[4] ع: أني.

[5] ن م + الآية.

[6] ك – وقوله يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة قد ذكرنا تأويل هذه الآية فيما تقدم. انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ (سورة البقرة، ٤٥/٢).

[7] جميع النسخ: الموتى.

[8] ك ن ع: إذا.

[9] ع م – موت.

[10] أي الشهداء.

[11] ك: وكون.

فضلُ لذةٍ ما لا يكون لغيرهم من الأرواح، ويكون لأرواح آل فرعون فضل ألم بعرضها[١] على النار[٢] ما لا يكون لغيرهم من الكفرة ذلك.[٣] فاستوجبوا[٤] اسم الحياة بفضل لذة ما يجدون من اللذة على غيرهم. أخبر عز وجل أن أرواحهم في [عالم] الغيب[٥] تتلذذ مثل تلذذهم على ما كانوا عليه في الأجساد في دنياهم هذه.

وقيل: إن الشهيد حي عند ربه، كما عرف في اللغة أن الشهيد هو الحاضر. / أخبر [٣١ر] عز وجل: أنهم حُضُور عند ربهم، وإن غابوا عنكم.[٦] وقيل: إن الحياة والموت على ضروب. فمنها الحياة الطبيعية[٧] والموت الطبيعي،[٨] والحياة العرضية[٩] والموت العرضي. فالحياة العرضية[١٠] هي[١١] اليقظة وهي[١٢] الحياة بالدين، كقوله: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ،[١٣] وكقولهم[١٤] في الحياة بالعلم: إنه ميت بالجهل. والحياة الطبيعية[١٥] هي التي بها[١٦] قوام النفس؛ والموت الطبيعي هو الذي به فوات النفس. والشهادة[١٧] هي التي بها[١٨] اكتسَبَ[١٩] الحياة

[١] ن: يعرضها.
[٢] ع – ما لا يكون لغيرهم من الأرواح ويكون لأرواح آل فرعون فضل ألم بعرضها على النار.
[٣] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يُعْرَضُون عليها غُدوًا وعَشيًا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٥-٤٦).
[٤] أي الشهداء.
[٥] ك: المغيب.
[٦] الشهيد: الذي لا يغيب عن علمه شيء؛ والشهيد: الحاضر؛ يقال: شهدت مجلس فلان، أي حضرته (*لسان العرب* لابن منظور، «شهد»).
[٧] جميع النسخ: الطبيعي.
[٨] ع م – والموت الطبيعي.
[٩] ن ع م: العرضي؛ ك: العرض.
[١٠] جميع النسخ: العرضي.
[١١] جميع النسخ: هو.
[١٢] جميع النسخ: وهو.
[١٣] ﴿أو من كان مَيْتا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٢).
[١٤] ع م: وكقوله.
[١٥] جميع النسخ: الطبيعي.
[١٦] جميع النسخ: هو الذي به.
[١٧] أي عالم الشهادة.
[١٨] جميع النسخ: والشهادة هو الذي به.
[١٩] ن م: اكتساب.

في الآخرة سمي بها[1] حيا.[2] *والله أعلم*.

ويحتمل قوله: **ولا تقولوا ... أموات**، لما ينفر طبعكم عن الموت؛ ولكن قولوا: أحياء، لترغب أنفسكم في الجهاد، إذ هو يَرِد بحياة الدنيا والدين.[3] مع ما يحتمل أن يكون الله بفضله يجعل لهم ما كان لهم لو كانوا أحياء يعملون، فكأنهم أحياء فيما جعلت لهم حياة الدنيا. *والله أعلم*.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[١٥٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١٥٦]

وقوله: **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع**، وما ذكر؛ فيه تذكير[4] من الله عز وجل للخلق[5] لئلا يجزعوا[6] على ما يصيبهم من أنواع ما ذكر من المصائب.[7] وفي كل[8] نوع من ذلك إضمار شيء: من نحو[9] **بشيء من الخوف**، و **بشيء من الجوع**. *والله أعلم*. لأن الله عز وجل أخبر في غير آي من القرآن أنه خلقهم للموت والفناء، وأن ما أعطاهم من الدنيا والزينة فيها كله للفناء والفوات، بقوله: خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ،[10] الآية؛ وقال: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا، إلى قوله، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا.[11] أخبر أن الدنيا وزينتها للفناء فمن عرف أن ذلك كله لما ذكرنا يَخفّ عليه ما يصيبه من الأمراض

---

[1] جميع النسخ: به.

[2] «والشهادة لما كانت سببا للحياة في الآخرة -لكونها سبب المغفرة والثواب- كانت صورة معنوية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).

[3] أي الجهاد يأتي بحياة الدنيا والدين ويكون سببا لتنظيمها.

[4] ع: يذكر؛ م: تذكر.

[5] ك ع م: الخلق.

[6] ع: يخرعوا.

[7] ع + وفي كل نوع ما ذكر من المصائب. يقول علاء الدين السمرقندي: «إنما ذكر الابتلاء بهذه المصائب مضافا إلى نفسه لئلا يجزعوا على ما يصيبهم من أنواع ما ذكر، وليعلموا أن نعم الدنيا ولذاتها ومحنها ومصائبها لا تبقى، بل هي موسومة بالفناء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).

[8] ك: ومن كل.

[9] ك - من نحو.

[10] ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾ (سورة الملك، ٦٧/٢).

[11] ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزًا﴾ (سورة الكهف، ١٨/٧-٨).

والأوجاع والنقص[١] في الأموال والأنفس وما ذكر، إذ ذلك كله[٢] دون ما ذكر. وليعلموا أن ما أعطاهم من الحياة والصحة والسلامة لم يكن أعطاهم بحق لهم، بل بالإفضال[٣] والإحسان؛ وقد جعل ذلك لمدة، لا للأبد، فكأنها في غير تلك المدة لغيرهم، لا لهم. فعرفوا به منّته لوقت، وحقّه وقت[٤] الأخذ.

ثم يحتمل ما ذكر **من الخوف** وجهين: خوف[٥] على جهة العبادة من نحو الأمر بمجاهدة العدو والقتال معه؛ ويحتمل لا على جهة العبادة. وكذلك[٦] **الجوع** يحتمل الجوع الذي فيه عبادة وهو الصوم، ويحتمل ما يصيبهم من المجاعة في القحط [مثل] ما أصاب أهل مكة سنين. وكذلك قوله: **ونقص من الأموال**، يمتحنهم بأداء الزكاة والصدقة، ويحتمل الهلاك بنفسها وكذلك **الأنفس** يحتمل الصرف على الوجهين الذين ذكرتهما وكذلك **الثمرات**.

ثم لا يحتمل خصوص الامتحان بما ذكر دون غيره، لأنهم كلهم عبيده، له أن يمتحنهم بأجمعهم بجميع أنواع المحن. لكن الوجه فيه ما ذكرنا أنه لما عرّفهم أنّ كل ذلك إنما خلق للفناء، فالبعض منه كذلك، ليَخِفّ ذلك عليهم. ***والله أعلم***.

*{قال الشيخ رحمه الله:} قوله **ولنبلونكم بشيء من الخوف** يبلوهم[٨] بالذي كان به عالما، ليكون به[٩] ما علمه يكون بالأمر والنهي بحق المحنة. وهو كما يستخبر عما هو به[١٠] خبير. مع ما كانت المحنة في الشاهد لاستخراج الخفيات يكون بالأمر والنهي، فاستعملت في الأمر والنهي وإن كان لا يخفى عليه شيء، بل هو كما قال: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.[١١]

---

[١] ن: النقض.

[٢] ع م – لما ذكرنا يخف عليه ما يصيبه من الأمراض والأوجاع والنقص في الأموال والأنفس وما ذكر إذ ذلك كله.

[٣] ن: الإفضال.

[٤] ع – وحقه وقت.

[٥] ع م – خوف.

[٦] ع: وذلك.

* جاء هنا في جميع النسخ قسم من تأويل الآية التي نحن بصدده ونبذة من تأويل الآية ١٥٧ متقدما، فنقلناه إلى مكانه. انظر: ورقة ٣١و/سطر ٢٠-٣٣.

[٨] جميع النسخ: نبلوهم.

[٩] ك ن – به.

[١٠] ن – به.

[١١] ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾ (سورة الأنعام، ٦/٧٣).

ثم له جَعْل الغيب شاهدا، فجرت به المحنة ليعلم ما قد علمه غائبا شاهدا، إذ هو موصوف بذلك في الأزل.[1] *وبالله التوفيق*.

ثم كان العبد بجميع ما هو له من السعة والسلامة فهو لله في الحقيقة، لكنه[2] بفضله وكرمه يعامل عبيده معاملة من ليس له ما كان يطلب منه ويأمره به، فقال: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ،[3] الآية. وقال: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا،[4] الآية، ليكون ذلك أطيب لأنفسهم، وأرغب[5] لهم في البذل لما طلب / منهم، وإن كان [جائزا] له أخذ ذلك منهم بلا شيء يَعِدُهم عليه. فعلى ذلك قال عز وجل: **ولنبلونكم** بالذي ذكر، يدلهم[6] على أن ذلك منه ليعلموا[7] أنه فيما[8] كان وعد الاشتراء منهم، وطلب منهم البذل بجزيل العوض لهم، فيَخِفّ ذلك عليهم وتطيب[9] به أنفسهم. أو أن[10] يكون يذكرهم[11] أوّلاً أنه يبتليهم بالذي ذكر، ليُطيّبوا[12] أنفسهم به، ولا يتكلفوا ذلك من قلوبهم، فيضجرون عند الابتلاء[13] بذلك. وكذا كل خلاف للطبع، إذا[14] كان عن رياضته إياه وإشعاره به قبل[15] النزول كان ذلك أيسر عليه من أن يأتيه ذلك من حيث لم يعلم[16] به. مع ما كان في ذلك خطور[17] بالقلوب

[٣١ظ]

---

[1] يقول علاءالدين السمرقندي: «إن الله تعالى قال: ونبلوهم بكذا وكذا ولم يكن ذلك يومئذ ثم ظهر من بعد، وكذلك قوله ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٤). ثم ابتلوا بذلك ليُعلم أن رسول الله عليه السلام علم ذلك بالله، إذ لا يعلم الغيب إلا الله، وفيه دلالة لنبيه على ثبوت رسالته» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).

[2] ك: لكن.

[3] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).

[4] سورة المزمل، ٧٣/٢٠.

[5] ع: راغب.

[6] ن ع: بدلهم.

[7] م: يعلموا.

[8] ك – فيما.

[9] ك ن: ويطيب؛ ع م: ويطلب.

[10] ع م: وأن.

[11] ع م: يذكر.

[12] م: ليطلبوا.

[13] م: الابتداء.

[14] ك: إذ.

[15] ع م + قيل.

[16] ع: لا يعلم.

[17] جميع النسخ: خطر. والخطور: الوقوع في القلب (*لسان العرب*، «خطر»).

نسبةَ مثله إلى الخلق والتشاؤم[١] بهم، فقدم الله في ذلك البيان ليعلموا أن ذلك بالذي جرى به الوعد، وذلك كقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ،[٢] الآية. فبين أن ذلك مكتوب عليهم لتطيب[٣] الأنفس وتطمئن[٤] القلوب عليه.

والأصل في هذا أن جميع ما ذكر البلوى به في التحقيق ليس بحق للعبد، بل هو امتنان من الله وإفضال منه،[٥] وأنه لم ينشئه، ولا أحياه نشوء الأبدية ولا حياة السرمدية؛ فعلى ذلك جميع ما أنعم عليه. وإذا سكن العبد على هذا الذي جبل عليه أمْرُ نفسه وما ملك عليه سهل عليه ذهابه وطابت به نفسه، مع ما يعلم أنه أنعم عليه لوقت. ثم هو نعمة على غيره[٦] ولغيره، فيكون المأخوذ منه في الحقيقة لغيره، وإن كان الله عز وجل ذكره في الابتلاء والمصائب، فهو على ما أخبرت من كرمه[٧] فيما يعامل عبيده عز وجل. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقوله: **بشيء من الخوف والجوع**، فهو على إضمار الشيء في كل حرف، إذ هو بحق العطف على ما تقدم، فكأنه قال:[٨] بشيءٍ من الخوف، وبشيءٍ من الجوع... ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم يتوجه ما أخبر من البلوى إلى وجهين. أحدهما أن يبلوه بعبادة فيها ما ذكر.[٩] والثاني أن يبلوه بالذي ذكر لا على عبادة يدفع إليه، وذلك نحو أن يبلوه[١٠] بالجهاد -وفيه الخوف- أو يبلوه[١١] بأنواع أَوْصَابٍ[١٢] تحل به، فيخاف عند ذلك على نفسه. **والجوع** أن يبلوه بالصيام الذي فيه ذلك،[١٣] أو بقلة الأنزال،[١٤] وغلاء الأسعار. **ونقص من الأموال** يكون في الجهاد

---

[١] جميع النسخ: والتشام.

[٢] ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (سورة الحديد، ٥٧/٢٢).

[٣] ك ع م: ليطيب.

[٤] ك: لتطماءن.

[٥] ك - منه.

[٦] ع م - على غيره.

[٧] ع - من كرمه.

[٨] ع - قال.

[٩] أي أن يبلوهم بخوف على جهة العبادة من نحو الأمر بمجاهدة الأعداء والقتال معهم (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).

[١٠] ع: أن تبلوه.

[١١] ع: أو تبلوه.

[١٢] جمع وصب: المرض والوجع الدائم وشدة التعب (*لسان العرب* لابن منظور، «وصب»).

[١٣] م - ذلك. أي الذي فيه الجوع.

[١٤] ن ع م: الاتراب. والأنزال: الأرزاق (*لسان العرب*، لابن منظور، «نزل»).

والحج والزكاة[1] والمُؤَن المجعولة في الأموال، ويكون في الخسران[2] في التجارات وما يلحق أنواع المكاسب من الحوائج. **والأنفس** يكون بالجهاد ومحاربة الأعداء، ويكون بأنواع الأمراض. **والثمرات** ترجع إلى قلة الإنزال،[3] وقصور الأيدي عما به ينال، أو مفارقة الأوطان للجهاد والحج ونحو ذلك، مما فيه.[4]

ثم الله سبحانه وتعالى أخبر أنه يبلوهم بشيء مما ذكرنا، لا بالكل. دل أنه عز وجل لم يقطع عليهم كل المخارج، بل جعل لهم في كل نوع من ذلك مسلكا، وإن كان في ذلك نقص وضرر.[5] وجائز بلوغ ذلك تمامَ ما في كل نوع، لكنه بلطفه قرّب إليهم فيما خَوَّفهم وجه الرجاء. وعلى ذلك جميع أفعال ذي المحن، إنها مقرونة بالخوف والرجاء. وكذلك[6] هم في أنفسهم. *ولا قوة إلا بالله*.

ثم إن الله دلهم على ما عليهم من الحق فيما أخبر أنه يبلوهم به بحرف البشارة والوعد الجزيل الذي يَسْهُل بمثله البذلُ بمن لا حق له، فكيف ومن له كلية ذلك، فقال[7] تعالى: **وبشر الصابرين**، ثم وصف الصابرين فقال: **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**. هدى الله عبده إلى[8] الاعتماد بحرف التوحيد عند المصيبة، إذ جُلّ التوحيد[9] داخل في ذلك الحرف،[10] وفيه التبري من أن يكون له في حكم الله تدبير[11] أو رأي. و[فيه] بذل النفس له

[1] ن ع م: والزكوات.

[2] م: الخزان.

[3] أي إنزال المطر.

[4] يقول علاءالدين السمرقندي: «وكذلك نقص الأموال يحتمل أن يكون بما فيه جهة العبادة كما في الجهاد والحج والزكاة والعشور المجعولة في الأموال. ويحتمل لابطريق العبادة نحو الخسران في التجارات وما يلحق في المكاسب من الحوائج. وكذا ابتلاء النفس يحتمل أن يكون بطريق العبادة كما في الجهاد ومحاربة الأعداء، ويحتمل لا بطريق العبادة كما في الأمراض ونحوها. وكذا الثمرات يحتمل بطريق العبادة نحو العشور ومفارقة الأوطان للحج والجهاد، ويحتمل لابطريق العبادة نحو قلة الإنزال وقصور الأيدي على الانتفاع لعوارض دنياوية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩و).

[5] جميع النسخ: نقصا وضررا.

[6] ك: ولذلك.

[7] ن ع م + الله.

[8] جميع النسخ: على.

[9] ع – عند المصيبة إذ جل التوحيد.

[10] أي في قولهم ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

[11] ع م – تدبير.

وما للنفس[1] ليحكم فيها بما شاء.

وقوله: **إنا لله** كأنه قال: ما لنا فيما ليس لنا[2] حكم ولا تدبير، وأبدا يكون الحكم في كل ملك لمن يملكه. وبمثل هذا يقدر على كف الأنفس عن الجزع، وحملها على ما تكره.[3]

وقوله: **وإنا إليه راجعون** فكأنه يقول:[4] إذ إليه مرجعنا لا فرق أن نرجع إليه جملة أو بالتفاريق، بل في التفريق له[5] علينا الإبقاء، وفضل القبول [بأخذه] منا البعض دون الكل. وفي ذلك تذكير النفس عاقبتها، ليكون كمن تُقدّم[6] شيئا مما به قوامه إلى مكان قراره. وقد انتهى الخبر بالبلوغ. فمعلوم أن ذلك أطيب لنفسه، وأسكن لقلبه[7] من أن يكون جميع ذلك معه. ***وبالله التوفيق.***

وجملة ذلك أن هذه الدنيا أنشئت لالها،[8] ولكن ليكتسب بها الآخرة، وجعل كل شيء منها زائلا فانيا؛[9] لينال به الدائم الباقي. فهذا، لأن حق كل فيما يصيبه أن يرى الذي [له] أنشئ وما له يسعى، فيعلم أنه بلغ في تجارته غايتها من الربح، وأنه باع الشئ الفاني بالباقي. مع ما كان كل شئ من الدنيا مؤفا[10] بآفات[11] الفناء والهلاك، فأبدل المؤف[12] بالذي لا آفة[13] فيه. فيجب في التدبير أن لا يَعدّ ذا مصيبة، بل هو[14] أعلى[15] السرور وأرفع الربح، لكن البشر جبل على طباع نافرة عن كل آلام، جاهلة[16] بالعواقب التي لعلها يرغب فيها كل أحد، لا أن ينفر عنها. ***والله المستعان.***

---

[1] ع م – وما للنفس.
[2] م – لنا.
[3] جميع النسخ: يكره.
[4] م – يقول.
[5] م – له.
[6] ك ن: يقدم.
[7] ع م: بقلبه.
[8] ع م: لأنها.
[9] ك: فائتا.
[10] جميع النسخ: ماوف.
[11] ن ع م: آفاق.
[12] ع: الماوف؛ م: الماؤف.
[13] ك: لا أند.
[14] ك – هو.
[15] ك: على.
[16] جميع النسخ: جاهل.

فإن قال[1] قائل: هذا الاسترجاع خُصّ به هذه الأمة، إذ[2] قال يعقوب: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ،[3] الآية.[4]

فهو[5] -والله أعلم- إن كان[6] فهو موضع التلقين والتعليم، أن قولوا ذلك، لا أن هذا المعنى مما يحتمل أن يكون يعقوب لا يحققه، بل حققه بقوله:[7] فَصَبْرٌ جَمِيلٌ،[8] الآية، وقوله إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ.[9] وهو مع ذلك قد كان بما أخبره يوسف وبما أوحي إليه[10] علم أنه لم يهلك بعد، ولم يوجد منه إلى حيث يرجع هو إليه من البعث بعد الموت.[11] **ولا قوة إلا بالله.**

٣٠و س٢٠ * ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر الذين صبروا على المصائب التي امتحنهم بها

---

[1] ك: قلت.

[2] م: إذا.

[3] يقول الله تعالى: ﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (سورة يوسف، ٨٤/١٢).

[4] أي و لم يقل ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

[5] ن ع م - فهو.

[6] أي إن ثبت ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه قال: «لم يعطَ الاسترجاعُ مَن كان قبلكم»، انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.

[7] ن: لقوله.

[8] ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ (سورة يوسف، ١٨/١٢)؛ وانظر: الآية ٨٣، من سورة يوسف كذلك.

[9] ﴿قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (سورة يوسف، ٨٦/١٢).

[10] جميع النسخ + أنه قد.

[11] يقول السمرقندي: «قال بعضهم: إن حرف الاسترجاع خص به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، لأنه لم يذكر هذا الحرف عن الأمم السالفة. ألا ترى أن يعقوب عليه السلام على كثرة ما أصابه من المحن والمصائب والحزن على يوسف عليه السلام لم يذكر هذا الحرف عنه ولكن قال: ﴿يا أسفا على يوسف﴾ فدل أنه مخصوص بهذه الأمة. يؤكد ما قلنا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قال: «لم يعط الاسترجاع من كان قبلكم». قال أبو منصور: ولكنا نقول: هذا النقل لا يصح، فإنه لا يحتمل أن يكون يعقوب عليه السلام أن لا يحقق الاسترجاع فإنه من باب الإيمان. ألا ترى أنه قال: ﴿فصبر جميل﴾ وقال: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ وهو تفسير الاسترجاع على أنه كان عالما لحياة يوسف بما أوحي إليه، وبما علم أن يوسف عليه السلام رأى في المنام أنه سجد له الشمس والقمر والكواكب و لم يخرج بعد تأويله، لكن إنما خص هذه الأمة بالتلقين والتعليم أن قيل لهم قولوا: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وبالله العصمة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).

* تقدم هذا القسم من تأويل الآية ونبذة من تأويل الآية التي بعدها في غير موضعه، فنقلناه هنا. انظر: ورقة ٣١و/ سطر ٢٠-٣٣.

عز وجل، ولم يجزعوا[١] عليها، وأن يقولوا:[٢] **إنا لله وإنا إليه راجعون،** [لأن] فيه الإقرار بوحدانيته عز وجل وبالبعث بعد الموت. وقيل: إن هذا الحرف[٣] خص به هذه الأمة دون غيرها من الأمم، لأنه لم يذكر هذا الحرف عن الأمم السافلة.[٤] ألا ترى أن يعقوب عليه السلام، على كثرة ما أصابه من المحن والمصائب والحزن على يوسف لم يُذكر هذا الحرف عنه، ولكن قال: يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ.[٥] ولو كان لهم هذا لظهر منهم، على ما ظهر غيره. فدل أنه مخصوص لهذه[٦] الأمة. ***والله أعلم.*** وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه[٧] قال: من استرجع جبَرَ الله مصيبته،[٨] وأحسن عقباه، وجعل له خَلَفا صالحا يَرضَى به.[٩]

ثم الصبر هو حبس النفس عن الجزع على ما يفوت، إذ هو[١٠] كله لله عز وجل[، وهو] مستعار[١١] عند الخلق، والجزع على فوت ما لغيره محال. ألا ترى إلى قوله عز وجل: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ،[١٢] نهانا أن نحزن على ما يفوت عنا. إذ هو في الحقيقة ليس لنا،[١٣] وأن نفرح بما آتانا إذ هو في الحقيقة لغيرنا. ***والله الموفق.***

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١٥٧]

وقوله: **أولٰئك عليهم صلوات من ربهم،** قيل: الصلاة من الله عز وجل يحتمل وجوها. يحتمل الرحمة والمغفرة. ويحتمل الصلاة منه مباهاته الملائكة جوابا لهم لما قالوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا

---

[١] ع: لم يخرعوا.
[٢] جميع النسخ: وقالوا.
[٣] أي قول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.
[٤] ع + الذي.
[٥] سورة يوسف، ٨٣/١٢.
[٦] م: بهذه.
[٧] ع م – أنه.
[٨] جبر الله مصيبته: أي ردّ عليه ما ذهب منه أو عوّضه عنه (*لسان العرب*، «جبر»).
[٩] *مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٣٠/٢-٣٣١.
[١٠] ك – هو. إذ هو: أي ما فات.
[١١] ع م: مستعاد.
[١٢] سورة الحديد، ٢٣/٥٧.
[١٣] «وإنما أذن لنا بالانتفاع بذلك مدة مقدرة. فعند الهلاك يكون تمام المدة، فلا يبقى للحزن والجزع وجه» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).

مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا،[1] [كأنه يقول]: كيف قلتم هذا وفيهم من يقول كذا؟ وقيل: الصلاة منه الثناء عليهم؛ وأيُّ كرامة تبلغ كرامة ثناء الله عليهم؟

وقوله: **ورحمة**، قال بعضهم: الرحمة والصلاة واحد، وهو على التكرار. وقيل: الرحمة: النعمة وهي الجنة.[2]

وقوله: **وأولٰئك هم المهتدون**. شهد الله عز وجل بالاهتداء لمن فوض أمره إلى الله، وسلّم[3] لقضائه وتقديره السابق، وهو كائن لا محالة، كقوله: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا.[4]* [٣١و س٣٣]

ثم بين الله عز وجل ما يكرمهم [به] إذا خضعوا[5] لحكمه[6] ورضوا بقضائه،[7] مع ما دل عليه أيضا بقوله / وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ،[8] الآية، فقال: **أولٰئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولٰئك هم المهتدون**، وقال في موضع آخر: إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ.[9] فكان من فضله أن سمي ما وعدهم على الصبر أجرا؛ ومعلوم أن كان ذلك حقا لله عليهم بالسابق من نعمه، مع عظم[10] مننه،[11] ولكنه[12] سمى ما أفضل به عليهم[13] أجرا لهم.[14] مع ما كان العبد يعمل لنفسه، ولا يحتمل أن يستحق به الأجر لولا الإنعام[15] منه جل ثناؤه. [٣٢و]

---

[1] ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٠).

[2] ع م – وقوله ورحمة قال بعضهم الرحمة والصلاة واحد وهو على التكرار وقيل الرحمة النعمة وهي الجنة.

[3] جميع النسخ: ويسلم.

[4] سورة الحديد، ٥٧/٢٢.

[5] جميع النسخ: إذخصوا.

[6] ك: بحكمة؛ ن ع م: الحكمة. والتصحيح مستفاد من *شرح التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.

[7] ن ع م: لقضائه.

[8] ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيَرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٣٦).

[9] سورة الزمر، ٣٩/١٠.

[10] ك: عظيم.

[11] ك ن: منته.

[12] ع م: لكنه.

[13] ك ن: عليه؛ ع م – عليهم.

[14] جميع النسخ: له.

[15] ن: إنعام.

ثم وعد له في حال فعله بخصال ثلاث.[١]

أ) أحدها أن عليه صلاتَه. وصلاته تحتمل[٢] مباهاته للملائكة تعظيما لما بذل عبده [نفسه وماله] له، وخضع لحكمه عليه، وهو أن قالوا: وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ،[٣] الآية، فيخبرهم أن هذا قد سبّح [عند] حضرة المصيبة، وخضع لحكمه عليه[٤] بالاسترجاع.[٥] وتحتمل:[٦] مغفرته وإيجاب الثواب الجزيل لهم، بقوله: وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ،[٧] الآية. وقوله: يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،[٨] وقوله: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ،[٩] إلى ما ذكر من الإفضال. *والله الموفق*. ويحتمل: ثناءه[١٠] وذكرهم[١١] في أخيار عباده كقوله: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ،[١٢] الآية، وقوله: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ،[١٣] الآية. مع ما يرجى له من زيادة الهدى في الدنيا، بقوله: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا،[١٤] الآية. وقوله: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى.[١٥]

ب) والرحمة،[١٦] قد ترجع[١٧] إلى ما ذكرنا. وجائز أن تكون[١٨] رحمته هي التي أكرمها[١٩]

---

[١] ك ع م: ثلاثة.

[٢] ع: يحتمل.

[٣] ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ (سورة البقرة، ٢/٣٠).

[٤] ع م – عليه.

[٥] «فكيف قلتم هذا، وهم يقولون عند حضرة المصيبة: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وأنتم تسبحونني في غير حال المصيبة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ).

[٦] ع م: يحتمل.

[٧] ﴿ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٥٧).

[٨] ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٩-١٧٠).

[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ (سورة الصف، ٦١/١٠).

[١٠] جميع النسخ: ثناؤه.

[١١] ك: وذكره؛ ن: وذكر.

[١٢] ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٤).

[١٣] ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٦٩).

[١٤] ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩).

[١٥] ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (سورة محمد، ٤٧/١٧).

[١٦] م: رحمة.

[١٧] ن ع م: يرجع.

[١٨] ع م – إلى ما ذكرنا وجائز أن تكون.

[١٩] جميع النسخ: أكرمته.

بذلك الاسترجاع. وتحتمل[1] النعمة أو محبة[2] يلقيها في قلوب العباد حتى يحبونه بها، أو خلفًا[3] يعطيه في الدنيا.

ج) ثم شهد الله لهم بالهداية. وذلك يحتمل أن يكونوا[4] اهتدوا لدينه ولِمَا منَّ[5] عليهم في المصيبة من التسليم لله. ويحتمل الاهتداء لطريق الجنة، على ما بينه[6] أنه وعد الشهداء - **ولا قوة إلا بالله** - وقولَه: وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ،[7] [أي] للاسترجاع. وقد روي عن نبي الله، أنه قال: «لم يُعْطَ[8] الاسترجاعُ مَن كان قبلكم»،[9] فهو على ما بينا من القول به. وأمّا حق التسليم فقد[10] كان في توقيت وقت الصبر. ثم روي عن[11] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصبر عند الصدمة الأولى».[12] وقد[13] روي عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[14] قال: «ما من مصيبة، وإن طال عهدها، فيجدد لها العبد بالاسترجاع إلا جدد الله ثوابها كلما استرجع».[15] فلعل هذا لِمَنْ أحسن القبول وقت المصيبة، أو رجع عما كان فرط منه وتاب. والأول في غير ذلك. **والله الموفق**.

ثم في الآية وجوه معتبرة.[16] أحدها [بيان] ما يلزم العبد من المصائب، وما يستوجبه

---

[1] ن ع م: ويحتمل.

[2] جميع النسخ: رحمة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.

[3] جميع النسخ: خلف.

[4] ن: يكون.

[5] ك - من.

[6] ن: على مائيته.

[7] سورة التغابن، ١١/٦٤.

[8] ن: تعط.

[9] قد سبق ذكره.

[10] جميع النسخ: قد.

[11] ع م - عن.

[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٣٠/٣، ١٤٣، ٢١٧؛ وصحيح *البخاري*، الجنائز ٣٢، ٤٢، الأحكام ١١؛ وصحيح *مسلم*، الجنائز ١٥.

[13] ع م: قد.

[14] ع م + أنه.

[15] مسند *أحمد بن حنبل*، ١٧٣/١، ١٧٧، ١٨٢؛ وصحيح *البخاري*، المرضى ٦، ٧؛ وصحيح *مسلم*، الجنائز ٣-٥.

[16] جميع النسخ: من المعتبر.

إذا وَفَى بما عليه. والثاني في ذلك[1] بيان أن الصحة والأمن وحفظ المقدّر[2] لأحد ليس بلازم[3] [عليه تعالى] في الحكمة، لكنها[4] إنعام من الله، وله الابتلاء بأخذه؛ إذ لو كان عليه الأول لم يكن يلزمه الشكر في ذلك. *والله الموفق*. والثالث أن الله تعالى ذكر أنه بَلَا العباد بالذي ذكر، ومعلوم أن ذلك يجري على أيدي العباد بهم، فأضاف ذلك إلى نفسه. ثبت أن له في ذلك تدبيرًا، حتى يبلوهم به، *والله أعلم*.

وفيه أن الله تعالى قال: **ولنبلونكم** بكذا، ولم يكن كان يومئذ، ثم كان ذلك [من بعد]؛ وكذلك قوله: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ،[5] الآية، ثم بُلُوا بذلك ليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بالله. وفيه[6] أيضًا أنه بموضع البِشارة بما يعظم على الخلق[7] ويقتضي الفرار في الطبع، لم يحتمل أن يختبرهم[8] به، لولا[9] الأمر به وطاعة الله في ذلك. وأيضا أنه ذكر الخوف،[10] فيعلم أن الخوف من الخلق لا يوهن[11] الاعتقاد، وهو كقوله:[12] إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا،[13] وعلى[14] ذلك الرجاء والطمع.

وجملته أن أمر الدنيا محمول كله على أسباب، لا أنها توجَب، ولكن الله تعالى أجرى أحكامه عليها، فيكون الخوف والرجاء في التحقيق من الله تعالى، أن يكون جعل ذلك سببًا. *والله الموفق*.

و[فيه] أيضا أن يعلم أن المصائب في الدنيا ليست كلها عقيب الآثام،[15] بل لله تعالى

---

[1] ن – ذلك، صح هـ.

[2] ع: للقدر؛ م: القدر.

[3] ع: يلازم.

[4] ك: لكنهما.

[5] ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٤).

[6] ك: وبين؛ ن ع م: وتبين.

[7] ن: عن الخلق.

[8] ك ن ع: يخبرهم؛ م: يجيزهم.

[9] م + لولا.

[10] أي بقوله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف...﴾

[11] ك: يومن.

[12] جميع النسخ: وكذلك قوله. وما أثبتناه من السمرقندي انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٤٩ظ.

[13] ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ (سورة النساء، ٤/١٠١).

[14] جميع النسخ: فعلى.

[15] ن ع م: الأيام.

الابتلاء بالحسنات والسيئات؛ فإنها[1] لا تدل[2] على وهن عقد المصاب[3] ولا [على] زلة بُلي بها. وعلى[4] ذلك أمر الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولكن على وجهين. أحدهما أن يكون الله يريد [به] أن يحمي وليّه لَذّات الدنيا لينالها موفورة[5] في الآخرة. والثاني أن يكون لهم[6] -لعله[7]- زلاتٌ لا يسلم عنها البشر، فيُبتَلوا [بها] فيبعثوا يوم القيامة ولا زلة بقيت [عليهم]، مما يجزيهم تلك، *ولا قوة إلا بالله*، وإنما جعلت كذلك محنة وابتلاء.[8]

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[١٥٨]

وقوله: **إنّ الصفا والمروة من شعآئر الله**، إن صعودهما من اللازم في نسكه، وكذلك صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، وقال: «نبدأ بما بدأ الله».[9] وقد قال الله تبارك وتعالى: **فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بهما**،[10] ولم يقل بينهما؛ فمن لم يصعد الصفا والمروة لم يطف[11] بهما؛ مع ما قال الله تعالى: لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ،[12] وفي ترك صعودها إحلال[13] شعائر الله، إذ بين الله أنهما من شعائره؛ وما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بينهما على ناقته.[14] ومعلوم أن الناقة[15] لا تصعدهما،[16] فهو عندنا[17] للعذر فعل ذلك؛

---

[1] ك: وأيضا؛ ن ع م: أيضا.
[2] ن ع م: لا يدل.
[3] ن: المصائب.
[4] ن: على.
[5] ك م: موفرة.
[6] ن: بهم.
[7] ك: لعل؛ ع م: بعده.
[8] جميع النسخ: وإنما كذلك جعلت لمحنة قال دل.
[9] صحيح *البخاري*، الصلاة ٨، والحج ٦٢، ٧٤، ٧٩، ٨٠، والعمرة ١٠- ١١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٨٩، ٢٥٩، ٢٦٤.
[10] ع م + الآية.
[11] جميع النسخ: فلم يطف.
[12] سورة المائدة، ٢/٥.
[13] ن: إخلال.
[14] صحيح *مسلم*، الحج ٢٥٣-٢٥٨.
[15] ع م: ناقته.
[16] ن ع م: لا يصعدهما.
[17] ع: فعندنا.

وإلا فإنه قد روي عن[١] النبي صلى الله عليه وسلم أنه صعدهما واستقبل البيت وقال: «نبدأ بما بدأ الله». دليل ذلك ما روي عن ابن جبير[٢] عن ابن عباس رضي الله عنه [عن النبي عليه السلام][٣] أنه طاف[٤] بينهما على ناقته وبالبيت، لعذر به. ولا يحتمل أيضا أن يكون[٥] بغير عذر، وهو الملقب بالسعي لما فيه من فعل السعي، والراكب لا يسعى.

وقال الشافعي: روي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وبين الصفا والمروة على ناقته ليُرِي الناس، وقال: خبر جابر أولى من خبر ابن جبير. فكأنه وقع عنده أنه عن ابن[٦] جبير.[٧] وذلك عن ابن جبير / عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو أولى؛[٨] لأن [٣٢ظ] العذر كامن[٩] لا يعرف بالنظر من بُعْد، وإنما يعرف بالتأمل أو بالخبر من عند ذي العذر. وعلى هذا خرج خبر ابن عباس رضي الله عنه. على أن خبر جابر، لو صح على ما يروي، فهو لما ذكر أنه يُرِي الناس، فكأنه أراد أن يعلّمهم. وذلك عذر له صلى الله عليه وسلم، إذ خرج مخرج التبليغ، وذلك كالتعليم منه. والتعليم عليه لازم، فهو بتركه يلام عليه، فذلك عذر. **والله أعلم**.

والثاني أنه يجوز أن يكون فعْله ذلك ليس هو فعل ما كان عليه، إذ قد ذكر الذي كان عليه[١٠] أنه كيف كان يفعله، فكان ذلك لمكان الدلالة للخلق بذلك، [و]هو الأمر المتوارث من صنيع[١١] الحج والعمرة: أن الأدلاء[١٢] يفعلون ما يفعل الحاج، لا على فعل الحج ولكن على التعليم، فعلى[١٣] ذلك أمر المروي عنه صلى الله عليه وسلم. **والله أعلم**.

---

[١] ك ن: عنه.
[٢] ك ع م – عن ابن جبير.
[٣] زيادة من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠و.
[٤] ك – أنه طاف.
[٥] ك: أن يكون أيضا.
[٦] ن: من ابن.
[٧] أي فرأى أنه خبر مرفوع.
[٨] «وحديث جبير عن ابن عباس أولى من حديث جابر؛ لأن ابن عباس نص على العذر، وجابر ذكر ذلك مطلقا، فلعله لم يقف على العذر. وهو الظاهر لأن العذر كمن لا يعرف بالنظر من بعد وإنما يعرف بالتأمل عن قريب أو بالخبر عن المعذور. فكان خبر ابن عباس فيه بيان حقيقة الحال فهو أولى من خبر جابر الذي فيه بيان الظاهر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠و).
[٩] ن: كاين لا محالة؛ م: كان من.
[١٠] ع م – إذ قد ذكر الذي كان عليه.
[١١] ك: صنع.
[١٢] م: الأولى.
[١٣] ع م: فعل.

[٣٢ظ س٣٨] *وقوله: **إن الصفا والمروة من شعائر الله**، فيه دلالة أن الصعود[٢] على الصفا والمروة من شعائر الله لا الطواف بينهما خاصة، على ما قاله قوم. / [٣٣و] دليله قوله: **فلا جناح عليه أن يطّوّف بهما**، و لم يقل: أن يطّوّف بينهما، ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نبدأ بما بدأ الله» ثم صعد الصفا.[٣]

فإن عورض بما روي: أنه طاف بينهما على ناقته و لم يصعد.[٤]

قيل له: يحتمل أنه لم يصعد لما كانت الناقة لا تقدر [على] الارتفاع بهما ولا الصعود. أو كان به[٥] عذر فترك الصعود للعذر، وقد تباح[٦] الأشياء في حال العذر ما لا يباح في غير تلك الحال.

ثم اختلف في الطواف بينهما، بعد ما قيل: إن الجناح فيه لوجهين. أحدهما ما قيل: كان بالصفا صنم وبالمروة صنم فتحرجوا[٧] [في الصعود عليهما والطواف] لمكانهما [احترازا عن التشبه بأفعال الجاهلية].[٨] وقيل: كان بينهما أصنام، لذلك كان تحرُّجهم.[٩] ثم قال الشافعي: إن السعي بينهما مفروض، حتى لو ترك[١٠] الحاج خطوة منه وأتى أقصى بلاد المسلمين أمر بالعود ليضع قدمه موضعها ويخطو تلك الخطوة. واحتج بما روت صفية بنت فلان [بنت شيبة][١١] أنها سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «إن الله كتب عليكم السعي بين الصفا والمروة فاسعوا».[١٢] وهو[١٣] يأبى مرة قبول المراسيل لتوهم الغلط،

* في جميع النسخ التي تحت أيدينا جاء خلال تفسير الآية ١٥٨ نُبَذ من تأويل الآيات من سورة البقرة الآية ١٦٥، والآية ١٧٢، والآية ١٧٣؛ ثم ذكر تكملة تأويل قوله ﴿إن الصفا والمروة ...﴾، ولا يوجد هذا التكرار المتقدم في شرح *التأويلات* للسمرقندي. انظر: ورقة ٣٢ظ/ سطر ٧-٣٨.

٢ ع: دلالة الصعود.

٣ الحديث سبق ذكره.

٤ الحديث سبق ذكره.

٥ م - به.

٦ ن ع م: يباح.

٧ ك: فتخرجوا.

٨ والزيادة من *الشرح*، ورقة ٥٠و.

٩ ك: تخرجهم؛ ن ع: يخرجهم؛ م: يحرجهم. *الموطأ* لمالك، الحج ١٢٩؛ وصحيح *البخاري*، الحج ٧٩، ٨٠، والعمرة ١٠؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٢٥٩، ٢٦٤.

١٠ ع م: نزل.

١١ *الأم* للشافعي، ٢/٢١٠؛ و*الإصابة* لابن حجر، ٢/٢١٣.

١٢ *الأم* للشافعي، ٢/٢١٠؛ ومسند *أحمد ابن حنبل*، ١/٣٤٧؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣/٢٤٧.

١٣ أي الشافعي.

ومرة يحتج بامرأة لا تُعرف،[١] ولا يذكر اسمها.

والوجه[٢] فيه إن ثبت[٣] وصح[٤] أن الكتاب يحتمل غير ما قاله، وهو أن يقال: "كتب": أي حكم، كقوله: فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ.[٥] [وقوله]: كِتَابَ[٦] اللهِ عَلَيْكُمْ،[٧] قيل: به حَكَمَ الله عليكم.

وقال آخرون: ليس بفرض ولا لازم؛ واحتجوا بما ذكر في حرف أُبيّ:[٨] فلا جناح عليه أن لا يَطّوّف بهما.[٩] ولا يذكر ذلك في شيء واجب. والثاني أن هذه اللفظة لفظة رُخْصة، ولا يرخص بترك ما فرض، أو [ما هو] لازم.

ثم الجواب عن الحرف [من وجهين]. الأول أن اللاآت[١٠] ربما تزاد وتنقص،[١١] ولا يوجب زيادتها ولا نقصانها[١٢] تغيّر[١٣] حكمها، كقوله: يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا،[١٤] أي [أن] لا تضلوا. ومثل هذا كثير في القرآن. والثاني ما ذكرنا أن المسلمين كانوا يتحرجون[١٥] عن الطواف بينهما لمكان[١٦] الأصنام، فبيّن عز وجل أن لا حرج عليهم في ذلك، لا أن ليس الجناح يدفع الحرج في تركه.

---

[١] ن ع م: يعرف.
[٢] ع: الوجه.
[٣] ن - ان ثبت.
[٤] ن: وضح.
[٥] ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ (سورة الأحزاب، ٦/٣٣).
[٦] ن ع م: في كتاب.
[٧] ﴿والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم﴾ (سورة النساء، ٢٤/٤).
[٨] ع: أبي.
[٩] ك: بينهما.
[١٠] ن: ان الزاد؛ ع م: ان الذات.
[١١] أي «عند ظهور المراد وعدم الاشتباه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠و).
[١٢] ع: ونقصانها.
[١٣] ن ع م: بغير.
[١٤] سورة النساء، ١٧٦/٤.
[١٥] ك ع م: يتخرجون.
[١٦] ع: لكان.

وأما عندنا فهو لازم، لأنه نوع ما لا يتبرع به. والأصل عندنا[1] أن ما لا يتبرع به يخرج الأمر به مخرج الوجوب واللزوم، كالطواف، وسجدة التلاوة، وكالوتر، والأضحية، وغيره. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما تم حج امرئ قط إلا بالسعي.[2] فهو وصف بالنقصان، لا وصف بالفساد. وفرقٌ بين التمام من النقص وبين الجواز من الفساد.

وقوله: **فإن الله شاكر عليم**. عامل الله عز وجل بكرمه ولطفه عباده[3] معاملة من لا حق له في أموالهم وأنفسهم -حيث وعد قبول اليسير من العمل، وإعطاء الجزيل من الثواب، وحيث طلب منهم الإقراض ووعد لهم العظيم من الجزاء- كمن لا حق له فيها، بقوله: وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا،[4] وحيث خرج القول منه في الابتلاء والامتحان[5] مخرج الاعتذار لهم، كأن لا حق له فيه، بقوله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ،[6] الآية. ثم بشرهم[7] بالجنة بما صبروا على أخذ ما لَه أخذه، وذلك من غاية اللطف والكرم.

قيل: **شاكر**[8] أي يجزيهم الجزاء[9] الخطير بعمل اليسير.

وقيل: يقبل القليل[10] ويعطي الجزيل. وهو واحد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[١٥٩]

وقوله: **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات**؛ قيل: البينات هي الحجج، أي كتموا

---

[1] م – فهو لازم لأنه نوع ما لا يتبرع به والأصل عندنا.

[2] *صحيح البخاري*، الحج ٧٩-٨٠؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٢٥٩، ٢٦٤.

[3] ع: عبادة.

[4] ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرًا﴾ (سورة المزمل، ٢٠/٧٣).

[5] ع: وامتحان.

[6] ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (سورة البقرة، ١٥٥/٢).

[7] جميع النسخ: بشر لهم.

[8] ك ن ع: شاكرا.

[9] جميع النسخ: جزاء.

[10] ك: اليسير.

ما أنزل الله من الحجج التي كانت في كتبهم. وقيل: كتموا ما بيّن في كتبهم من نعت[١] محمد صلى الله عليه وسلم وصفته. وجائز أن تكون[٢] البينات ما بيّن للخلق مما عليهم أن يأتوا ويتقوا من الأحكام من الحلال[٣] والحرام.

وقوله: **والهدى**؛ قيل: الصواب والرشد. وقيل:[٤] **الهدى** ما جاءت به أنبياؤهم من شأن محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، وأمروهم به من تصديقه. وقيل: كتموا الإسلام، وهو دين الله، وكتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم[٥] وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل.

وقوله: **من بعد ما بيناه للناس في الكتاب**؛ اختلف في الناس. قيل: هم اليهود كتموا بعد ما بين لهم. وقيل:[٦] بيّنا للمؤمنين ما كتمهم اليهود من نعته ودينه. ويحتمل البيان بالحجج والبراهين. ويحتمل البيان بالخبر، أخبر المؤمنين بذلك.

وقوله: **أولٰئك يلعنهم الله**؛ قال بعض أهل الكلام: اللعن هو الشتم من الله تعالى. لكنا لا نستحسن[٧] إضافة لفظ[٨] الشتم إليه، لأن المضاف إليه الشتم[٩] يكون مذموما به في المعروف مما جبل عليه الخلق. ونقول: اللعن هو الطرد في اللغة؛ طردهم عز وجل عن أبواب الخير.

وقوله تعالى: **ويلعنهم اللاعنون**. يعني الداعين عليهم باللعن، سموا بذلك "اللاعنين." ويحتمل: يستبعدهم[١٠] عن الخيرات، وأنواع البر. وقيل: هم البهائم، إذا قَحَطت السماء وأسْنَتت[١١] الأرض قالت البهائم: مُنِعنا القطر بذنوب بني آدم، لعن الله عصاة بني آدم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١٦٠]

وقوله: **إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا**؛ قيل: **تابوا** عن الشرك، **وأصلحوا** أعمالهم

---

[١] ك ن: بعث.
[٢] جميع النسخ: أن يكون.
[٣] ن: من حلال.
[٤] م: قيل.
[٥] ع م – ودينه وأمروا هم به من تصديقه وقيل كتموا الإسلام وهو دين الله وكتموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم.
[٦] ع م – هم اليهود كتموا بعد ما بين لهم وقيل.
[٧] م: نستحسن.
[٨] م – لفظ.
[٩] م: المشتم.
[١٠] ن ع م: تستبعدهم. أي يستبعدهم الله.
[١١] جميع النسخ: أسنت. يقال: أسنتت الأرض: أجدبت. وعام مُسنِت: مُجْدب (*لسان العرب*، «سنت»).

فيما بينهم وبين ربهم، **وبينوا** صفة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: **إلا الذين تابوا** عن الكتمان، **وأصلحوا** ما أفسدوا بالكتمان، **وبينوا** ما كتموا. **فأولٰئك أتوب عليهم**؛ قيل: يتوب عليهم: يقبل توبة من يتوب. وقيل: يتوب عليهم، أي يوفقهم إلى التوبة.[1]

وقوله:[2] **الرحيم**، قيل:[3] هو المتجاوز عن ذنبهم في هذا الموضع. وقيل: الكاشف عن كُرَبهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[١٦١]

وقوله تعالى: **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولٰئك عليهم لعنة الله**؛ قيل: **لعنة الله** هو إدخاله إياهم النار وإخلادهم فيها؛ ولعنة الملائكة قوله: أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ،[4] جوابا لمّا سألوهم من تخفيف العذاب، كقوله: اُدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ،[5] وكقوله: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا،[6] الآية. فتقول[7] لهم الملائكة: اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ.[8] هذا ما قيل من لعنة الملائكة.

وقيل: لعنة الناس أجمعين أنهم لما طلبوا من أهل الجنة الماء، بقوله: أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ،[9] هذا لعنة الناس. ***والله أعلم.***

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[١٦٢]

وقوله: **ولا هم ينظرون**. قيل: لا يقالون[10] ولا يُرَدّون إلى ما تمنّوا، كقوله: أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ

---

[1] جميع النسخ: على التوبة.

[2] ن ع م: وقيل.

[3] ن ع م – قيل.

[4] ﴿قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة المؤمن، ٥٠/٤٠).

[5] يقول الله تعالى: ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب﴾ (سورة المؤمن، ٤٩/٤٠).

[6] ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٧/٢٣).

[7] ك: فيقول.

[8] ﴿قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣).

[9] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (سورة الأعراف، ٥٠/٧).

[10] أقال الله عثرته: أي صفح عنه وتجاوز. فهم لا يقالون: أي لا يُتجاوز عنهم ولا يصفح (*لسان العرب*، «قيل»).

غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ.[١] وقيل: لا يُنْظَرُون: لا يؤجلون.[٢] [و]قيل: / لا يناظرهم[٣] خُزّان النار [٣٣ظ] بالعذاب.

﴿وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ﴾[١٦٣]

وقوله: **وإلٰهكم إلٰه واحد**؛ ذكر هذا الاسم لأن كل معبود يعبد عند العرب يسمونه[٤] إلٰهًا، كقوله: فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[٥] وكقوله: أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ.[٦] لهذا ذكر أن إلٰهكم الذي يستحق الألوهية والعبادة واحد بذاته، لا واحد من جهة العدد كالخلق، [فإنهم] ذووا[٧] أعداد وأزواج وأشكال. بل [هو] واحد بذاته وبجلاله وعظمته وارتفاعه وتوحّده عن شِبْه الخلق، و[عن] جميع[٨] معانيهم.[٩] يقال: فلان واحد زمانه، يراد [به] ارتفاع[١٠] أمره وعلو مرتبته، لا بحيث[١١] العدد، إذ من حيث[١٢] العدد مثله[١٣] كثير.

وقوله: **وإلٰهكم إلٰه واحد**؛ فيه إثبات إلٰه واحد. وفي قوله: **لا إلٰه إلا هو** نفي غيره من الآلهة.[١٤]

فإن قيل: لم كان هذا دليلا وهو في الظاهر دعوى؟

قيل له: دليل وحدانيته في قوله:[١٥] إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

---

[١] ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأعراف، ٥٣/٧).

[٢] ع م: ولا يؤجلون.

[٣] م: لا ينظاهرهم.

[٤] جميع النسخ: يسمون.

[٥] ﴿فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٩١/٣٧).

[٦] ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه أ فأنت تكون عليه وكيلاً﴾ (سورة الفرقان، ٤٣/٢٥).

[٧] جميع النسخ: ذو.

[٨] ك: وجمع.

[٩] ن ع م: معايبهم. و[عن] جميع معانيهم: أي صفاقم اللائقة بهم.

[١٠] جميع النسخ: لارتفاع؛ والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.

[١١] ع: من حيث.

[١٢] جميع النسخ: بحيث.

[١٣] ن ع: ومثله.

[١٤] ك: الإله.

[١٥] جميع النسخ: في قوله.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١٦٤]

خَلَقَ السماوات وجَعَلَ فيها منافع،[١] وخلق الأرض وجعل فيها منافع[٢] للخلق، ثم جعل منافع السماء متصلة بمنافع الأرض، مع بعد[٣] ما بينهما؛ إذ لا منفعة للخلق في منافع إحداهما[٤] إلا باتصال منافع الأخرى بها، من نحو ما جعل من معرفة الطرق في الأرض بالكواكب، وإنضاج الأعناب والثمار ويَنْعِها بالشمس والقمر، وجعل إحياء الأرض[٥] إذ أخرج[٦] ما فيها من النبات من المأكول والمشروب والملبوس بالأمطار. فدل اتصال منافع إحداهما[٧] بالأخرى[٨] وتعلقها بها[٩] على أن منشئهما[١٠] واحد؛ لأنه لو كان من اثنين لكان إذا قطع هذا وصل الآخر، وإذا وصل هذا قطع الأخر، فإذا لم يكن ولكنه اتصل دل أنه فعلُ واحدٍ، فهو ينقض على الثنوية[١١] والزنادقة[١٢] قولهم.

---

[١] ن ع م: منافعا.

[٢] ن ع م: منافعا.

[٣] ن ع م: لبعد.

[٤] م: إحديهما.

[٥] ك – مع بعد ما بينهما إذ لا منفعة للخلق في منافع إحداهما إلا باتصال منافع الأخرى بها من نحو ما جعل من معرفة الطرق في الأرض بالكواكب وإنضاج الأعناب والثمار وينعها بالشمس والقمر وجعل إحياء الأرض.

[٦] ك ع م: وإخراج.

[٧] ك: أصحابهما؛ ن ع م: أحدهما. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.

[٨] جميع النسخ: بالآخر. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.

[٩] ك ع م: به.

[١٠] ع: منشئها.

[١١] الثنوية: جماعة تقول بإلٰهين اثنين يقوم بهما العالم: إلٰه الخير، وإلٰه الشر. وهم فرق منها: المانوية، والديصانية، والمزدكية والمرقيونية. وقد تتبع الإمام الماتريدي في *التأويلات*، وفي *كتاب التوحيد* أقاويلهم وبيّن فسادها انظر: *كتاب التوحيد*، ٥٧، ١٧٥، ٢٣٩، ٢٦٧؛ *والملل والنحل* للشهرستاني، ٢/٢٦٨، ٢٧٨-٢٧٩.

[١٢] الزنادقة: جمع زنديق فهو الذي لا يؤمن بالله و بالآخرة، وهو المنافق الذي يظهر غير ما يبطن. ويقول البعض بأن الزنديق من «زن» و «دين»، أي من له دين النساء. ولعل الأصح أن الكلمة معرب «زندي»، أي المؤمن بكتاب زند، وهو كتاب زردشت المجوسي القائل بوجود إلٰهين. والزنديق كافر مع اعترافه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. والزنادقة فرقة مشبهة مبطلة ويتصلون بالمجاذيب. انظر: *كتاب التوحيد* للماتريدي، ١٤٠.

وكذلك يدل اختلاف الليل والنهار على أن خالقهما واحد؛ لأنه لو كان خالقهما[١] اثنين[٢] لكان إذا أتى هذا بالليل منع الآخر بالنهار،[٣] وإذا أتى أحدهما بالنهار منع الآخر بالليل؛[٤] وفيه ذهاب عيش الخلق، وفي ذهابه تفانيهم وفسادهم؛ فدل أنه واحد. والثاني:[٥] أنه جعل للخلق في الليل والنهار منافع،[٦] وجعل بعضها متصلة ببعض، متعلقة مع تضادهما، كقوله: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.[٧] فدل اتصال منافع أحدهما بالآخر مع اختلافهما وتضادهما [على] أن محدثهما واحد.

وفيه دلالة حدث[٨] العالم، لما ذكرنا من تغيرها[٩] وزوالها من حال إلى حال. فدل تغيرها وزوالها على أنها حدث، ودل [أيضا] جهل[١٠] هذه الأشياء بابتداءها وعجزها عن قدرة[١١] مثلها على أن لها[١٢] محدثا.[١٣] والثاني أن كل واحد منهما -أعني الليل والنهار- يصير بمجيء الآخر مغلوبا. فلولا أن كان[١٤] ثَمّ لغيرٍ فيه تدبير، وإلا ما احتمل أن يصير[١٥] مغلوبا بعد ما كان غالبا. فدل أن لهما محدثا،[١٦] وأنه واحد.

وفيه[١٧] دلالة البعث والحياة بعد الموت؛ لان الليل يأتي على النهار فيُتلفه ويُذهب به حتى لا يبقى فيه من أثر النهار شيء، وكذلك النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من أثر الليل شيء.

---

[١] ع م – خالقهما.
[٢] جميع النسخ: اثنان.
[٣] ك: النهار.
[٤] ك: الليل.
[٥] لعل الوجه الأول هو الاستدلال السابق باختلاف الليل والنهار على وحدانية الله تعالى.
[٦] ك ن ع: منافعا؛ م: ومنافعا.
[٧] ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة القصص، ٧٣/٢٨).
[٨] ن: حدوث.
[٩] ك م: تغيرها؛ ن ع: تفسيرها. من تغيرها: أي من تغير ما في العالم من الأشياء.
[١٠] ن ع م:أنه جهل.
[١١] جميع النسخ: على قدرة.
[١٢] ن م: بها؛ ع: لهما.
[١٣] جميع النسخ: محدث.
[١٤] ن: فلو كان؛ ع م: فلو أن كان.
[١٥] ك ن: أن يكون.
[١٦] ن ع: محدث.
[١٧] ع م: فيه.

ثم يوجد[1] بعد ذلك كل واحد منهما على [حسب] ما وجد في البدء[2] من غير نقصان ولا تفاوت. فدل أنه قادر على إنشاء ما أماته وأتلفه وإن لم يَبق له أثر، على ما قدّرَ من إيجاد ما أتلف وإنشاء ما أذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وإن لم يبق له أثر.

وقوله:[3] **واختلافِ الليل والنهار.** قيل[4] اختلافهما لما جعل أحدهما مظلما والآخر مضيئًا. وقيل: اختلافهما لنقصانهما وزيادتهما، إذ ما ينتقص من أحدهما يزداد في الآخر. فدل انتقاصهما وزيادتهما على أن منشئهما[5] واحد؛ لأنه لو كان من اثنين لمنع[6] كل واحد منهما صاحبه من الزيادة والنقصان -*وبالله التوفيق*- ولتغيّر التدبير، ولم يجر[7] كلَّ عام الأمر[8] على ما جرى عليه في العام الأول.

وقوله تعالى: **والفلكِ التي تجري في البحر بما ينفع الناس.** فالآية[9] تنقض على المعتزلة قولهم؛[10] لأنه عز وجل جعل الفلك التي تجري في البحر من آياته، والمعتزلة جعلوها من آيات النجارين؛[11] لأن الفلك قبل أن يعمل فيها وتنحت[12] لا يسمى فلكا ولكن يسمى خشبا، فلو لم يكن عمل العباد وفعلهم فيها من مصنوعه [عز وجل] ومخلوقه لزال[13] به موضع الحِجَاج وتسميته باسم الآيات، فدل أن[14] له فيها صنعا[15] وتقديرا حيث صار من عجيب آياته.

ثم فيه أعجوبة، وهي[16] أن الطباع تنفر من معالجة[17] البحر بالاطلاع على أمواجه وأهواله،

[1] جميع النسخ: وجد.
[2] ك ن: البدو.
[3] ن: قوله.
[4] ع م: وقيل.
[5] ع: مشيتهما.
[6] ن ع م: يمنع.
[7] جميع النسخ: ولا يجري.
[8] جميع النسخ + فيه.
[9] ن: الآية.
[10] أي في مسألة خلق أفعال العباد.
[11] جميع النسخ: البحارين. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥١و.
[12] جميع النسخ: وينحت.
[13] ع م: لزوال.
[14] ك: أنه.
[15] ك: صنيعا.
[16] جميع النسخ: وهو.
[17] جميع النسخ: معافحة. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.

فأراهم من عظيم آياته ما[1] يجري بهم[2] على البحر في الحفظ والأمن الواقع لهم،[3] فدل أنه من عند قادر لطيف خبير. وفيه أيضا دلالة وحدانيته، وذلك أن أهل البَرّ لهم الانتفاع بأهل البحر، ولأهل البحر الانتفاع بأهل البر على بعد ما بينهما وتضادهما، فدل أن محدثهما واحد.

ثم فيه دلالة[4] إباحة التجارات مع الخطرات، على احتمال المشقات وتحمّل المؤونات. وفي ذلك دلالة النبوة؛ لأن العلم باتخاذ[5] السفن وبما فيه من المنافع لا يقوم له تدبير البشر.[6] ثبت أنه علم ذلك ممن[7] علم جواهر الأشياء وما يُصلح الأشياء وما لا يصلح، وفي الحاجة إلى ذلك إيجاب القول بالرسالة للبشر.

وقوله: **وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض**، فيه دلالة فضل العُلْويّ على السفلي؛ لأن ما ينزل من السماء من الماء ينزل عذبا، وما يخرج من الأرض يخرج مختلفا؛ منه ما هو عذب، ومنه ما هو أُجاج، وما هو مُرّ. فدل ذا [على] فضل العلوى على السفلى.

وقوله: **فأحيا به الأرض بعد موتها.** قد ذكرنا أن هذا فيه[8] دلالة البعث.

وقوله: **وبث فيها.** قيل: خلق، وقيل: بسط، وقيل: فرّق. **من كل دابة.** قيل: جعل فيها من كل جوهر الدابة؛ منها ما جعل مأكولا منتفعا بها من كل / أنواع المنافع، [٣٤و]

---

[1] ك ن م: مما؛ ع: بما.

[2] ك ع م: به.

[3] جميع النسخ: وأراهم من عظم آياته مما يجريه في البحر على الحفظ والأمر الواقع لهم، وما أثبتناها عبارة السمرقندي انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٠ظ.

[4] م - دلالة.

[5] جميع النسخ: لأن يعلم أن اتخاذ. والعبارة بذلك تكون مضطربة، غير واضحة الدلالة. وما أثبتناه، يزيل هذا الاضطراب والإغلاق.

[6] يقول السمرقندي: «من المعلوم قطعا أن من اعترف بالصانع [علم] أن الصانع -جل وعلا- خلق الخلق، و لم يجعل على ما عليه العادة بقاءهم إلا بالأغذية. ثم الله تعالى كما خلق ما به يحصل لهم البقاء من الأغذية، وما به تحفظ عليهم الصحة، ويزيل عنهم العلل العارضة من الأدوية خلق من جنس جواهر تلك الأغذية والأدوية السمومَ القاتلة والجواهرَ المتلفة، وليس في قوة الحواس وفي حيلة العقول الوقوف على ما يمتاز به البعض من البعض، والاطلاع على ما يوجب التفرقة بين كل ذلك. ولا يطلق العقل التجربة بنفسه لما فيه من خطر الهلاك، ولا بمن تحت يده لما فيه من تعريض الغير على التَّوَى والتلف...فلم يبين الصانع جل وعلا الأغذية من الأدوية والسموم، و لم يتجاسر العقلاء على التجربة لما بينا... فدعت الحاجة إلى إيجاب القول بالرسالة ليتبين النافع من الضار» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١و).

[7] ن ع: بمن.

[8] ك ن م: هذا أن فيه.

ليدلهم وليرغّبهم على ما وعد لهم في الجنة. ومنها ما جعل غير مأكول[1] ولا منتفع بها، بل جعلها أعداء لهم، ليدلهم[2] على تحذير ما أُوعِدوا وحذروا في النار.

وقوله: **وتصريف الرياح**، يحتمل وجهين. يحتمل تصريفها[3] مرة للعذاب ومرة للمنافع؛ لأنه جعل فيها منافع كثيرة للخلق، بها تجري السفن في البحار، وبها ينتشر[4] السحاب في الهواء، وبها تنقي[5] الأشياء، وبها يتميز[6] ما للخلق مما للدواب،[7] مما يكثر ذلك. ثم يعلم [أن] من عظيم[8] لطفه أنه جعل الهواء بحال لا يقر فيها شيء وإن لطف، **والسحابِ** مع غلظه وكثافته جعل الهواء -مع لطافته ورقته[9]- مقرًّا للسحاب، حتى يُعلم أن ليس لغير الله فيه[10] تدبير. ويحتمل: **تصريف الرياح** صرفَه إياها مرة صَبا ومرة دَبورا،[11] ومرة جنوبا، ومرة نسيما، ومرة يمينا، ومرة شمالا للمنافع.

ثم[12] فيه دلالة أنها[13] من الأجسام، لا من الأعراض؛[14] لأنه جل وعز جعلها ماسة.مانعة، لا صارعة من قام في ناحيتها،[15] وذلك صفة الأجسام لا صفة الأعراض،[16] لكن لا تُرى للطافتها، فدل أنها من الأجسام. ثم من الأجسام[17] ما لايرى[18] ولا يمس كالهواء، لا يرى ولا يمس،

[1] جميع النسخ: مأكولة.
[2] ك - ليدلهم.
[3] جميع النسخ: تصرفها.
[4] ك: ينشر؛ ن ع م: تنتشر.
[5] ك م: ينقى؛ ن: تنقى؛ ع: يتنقى.
[6] ك: يميز؛ ن: تميز.
[7] أي تمييز الحبوب من التبن. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥١و.
[8] جميع النسخ: عظم.
[9] جميع النسخ: لطافتها ورقتها. لأن الضمير يعود إلى الهواء.
[10] ك: أني لغير فيه.
[11] الصبا الريح التي تهبّ من مطلع الشمس، والدبور تهب من جهة المغرب. فهي تقابل الصبا (*لسان العرب*، «صبو»، «دبر»).
[12] ع - ثم.
[13] أي الريح.
[14] ن: ولا من الأعراض.
[15] ن: جهتها.
[16] ك - لأنه جل وعز جعلها ماسة مانعة لا صارعة من قام في ناحيتها وذلك صفة الأجسام لا صفة الأعراض.
[17] ع م - ثم من الأجسام.
[18] ك ع: ما يرى.

وهو من الأجسام، وكالذرة التي في الشمس ترى ولا تمس.

ثم دلّهم عز وجل [على] أن الذي سخر السحاب بالرياح التي جعلها في الهواء وبما[1] فيها من المنافع التي تقدم ذكرها أن[2] مدبرهما واحد؛ إذ لو كان التدبير من عند اثنين لأوجب التناقضَ في التدبير والصنعة؛[3] إذ يجعل كلٌّ منهما على خلاف ما جعله الآخر،[4] ويدبر[5] كل منهما لينقض تدبير الآخر. وفي اتساق[6] التدبير وإتقان الصنعة وإحكامها دليل أن إلٰهكم هو الواحد الذي دعتكم هذه الأشياء إلى الإقرار بوحدانيته، وألزمتكم العبوديةَ له بما أودع له في كل هذه المصنوعات من أدلة وحدانيته وآيات ربوبيّته.

ولهذا قال: **لآياتٍ لقوم يعقلون**، ليعتبروا ما فيها من الأدلة والحجج؛ إذ من لا يعقل جهة الحكمة[7] في خلق هذه الأشياء "لمَ[8] خلقت، ولماذا خلقت، وما الحكمة فيها؟" يستوي[9] عليه خلقها وغير خلقها.

ثم فيه دلالة أن ما خلق من السماوات[10] والأرض، والليل والنهار، والرياح[11] والسحاب خلقها[12] ليدلهم على وحدانيته وربوبيته، وجعلها مسخرة مذللة لهم. ***وبالله التوفيق.***

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[١٦٥]

وقوله: **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا**؛ قيل فيه بوجوه. قيل: **يتخذ** يعبد **من دون الله أندادا**. وقيل: **يتخذ من دون الله**، لله[13] **أندادا** في التسمية. ومعنى **يتخذ** [أي يتخذ]

---

[1] ن ع م: ومما.
[2] جميع النسخ + على أن.
[3] ك ن - والصنعة؛ ع: والتدبير الصنعة.
[4] ع م: لآخر.
[5] جميع النسخ: ويتدبر.
[6] ع م: في تساق.
[7] م - الحكم.
[8] جميع النسخ: ثم.
[9] ك: لاستوى؛ ن ع م: لا يستوي.
[10] م: خلق السماوات.
[11] ك - والرياح.
[12] ع + وغير خلقها ثم فيه دلالة أن ما خلق من السماوات والأرض والليل والنهار والرياح والسحاب خلقها.
[13] ع - أندادا وقيل يتخذ من دون الله لله؛ م - لله.

الجواهر التي تصاغ[1] أو تنحت، ونحو ذلك مما يتعلق كونهم بصنيعهم. يسفّههم[2] بهذا أنهم تركوا عبادة من به[3] قام[4] لهم كل نعمة، وسَلِم لهم كل خير، وعبدوا ما قد اتخذوه بالمعالجات. *ولا قوة إلا بالله*.

وقوله: **يحبونهم كحب الله**. قيل: يحبون عبادة الأنداد وطاعتَهم كحبهم لعبادة[5] الله وطاعته؛[6] لأنهم يقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[7] ويقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[8] وقيل: يحبون عبادة الأنداد كحب المؤمنين عبادة ربهم. وقيل: يحبون آلهتهم كما يحب الذين آمنوا ربهم.

ثم قال: **والذين آمنوا أشد حبا لله**،[9] أي أشد حبا لأجل الله. وقيل: **والذين آمنوا أشد حبا لله**، أي أشد اختيارا لطاعته وأكثر ائتمارا وإعظاما وإجلالا لأمره من إعظامهم وإجلالهم آلهتهم. *والله أعلم*. ثم المحبة محبة الشهوة والميل إليه، وهو[10] في الخلق ولا يحتمل[11] في الله، ومحبة[12] الطاعة وإيثار الأمر والإعظام، فهو في الله يحتمل.[13]

[1] ع: تضاع.
[2] ك: بسفههم؛ ع: بسفيهم.
[3] ك: فيه.
[4] جميع النسخ: قامت.
[5] ك: عبادة؛ ن ع م: كعبادة.
[6] ع – وطاعته.
[7] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[8] سورة يونس، ١٨/١٠.
[9] ك م + منهم لآلهتهم قيل والذين آمنوا أشد حبا لله؛ ن + منهم لآلهتهم قيل؛ ع + منهم لآلهتهم وقيل والذين آمنوا أشد حبا لله.
[10] ك ن: فهو.
[11] ك ن م: لايحتمل.
[12] ع – لطاعته وأكثر ائتمارا وإعظاما وإجلالا لأمره من إعظامهم وإجلالهم آلهتهم والله أعلم ثم المحبة محبة الشهوة والميل إليه وهو في الخلق ولا يحتمل في الله ومحبة.
[13] يقول السمرقندي: «الحب يخرج على الثناء، وعلى العبادة والطاعة، وعلى التعظيم والتبجيل، وحب المؤمنين لله عز وجل من هذه الوجوه. وقد يخرج على ميل القبول وشهوة الطبع، وحب الكفرة من هذا النوع، وهو الحب الجسداني الذي تولده الشهوة ويستحسنه البصر. وحب المؤمن لله تعالى من هذين الوجهين فاسد لا يحتمل، لأن الله عز وجل متعال عن تقدير العقول وتصوير الأوهام متقدس عن الصورة والأوهام، فيكون حبه في الحقيقة في تعظيم جلاله والانقياد لأوامره وحسن صحبة رسوله ومعرفة حقوقه ولزوم طاعته. ولذلك أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يقول لهم: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ (سورة آل عمران، ٣١/٣) بين أن بين محبة الله تعالى في تعظيم رسول الله عليه السلام والإجابة لما يدعو إليه. والانقياد والطاعة لأمره والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ).

وقوله: **ولو يرى الذين ظلموا [إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا]**، قرئ بالياء والتاء جميعا. ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول: ولو ترى الذين ظلموا يا محمد شهدوا لك [فأقروا] أن القوة لله جميعا.[١] ومن قرأ بالياء يقول: **ولو يرى الذين ظلموا**، لو يعلم الذين ظلموا[٢] في الدنيا إذا[٣] رأوا العذاب يعلمون أن القوة لله جميعا. ويحتمل: لو علم الذين ظلموا إذا علموا عذاب[٤] الآخرة، يعلمون أن القوة لله جميعا. ويحتمل: [أن يكون] المراد من قوله: **يرى**: أي يدخل، كقوله: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى،[٥] أي لمن يدخلها ويصلاها.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[١٦٦]

وقوله تعالى: **إذ تبرأ الذين اتبعوا**، يعني الرؤساء، **من الذين اتبعوا**، يعني الأتباع والسفلة. تبرأ بعضهم من بعض. القادة من الأتباع، والأتباع[٦] من القادة، وهو كقوله: قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا،[٧] الآية، وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ،[٨] الآية؛ وكقوله: قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا... وَ[قَالَ] الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، مثل هذا،[٩] وكقوله: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ،[١٠] الآية.

---

[١] «أي لعلموا أنه خالقهم والمنعم إليهم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ).

[٢] ع م - لو يعلم الذين ظلموا.

[٣] ن ع: إذ.

[٤] ع: العذاب.

[٥] سورة النازعات، ٣٦/٧٩.

[٦] ع م - والأتباع.

[٧] ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعًا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفًا من النار قال لكلٍ ضِعفٌ ولكن لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٨/٧).

[٨] ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٣٩/٧).

[٩] ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ (سورة سبأ، ٣٢/٣٤-٣٤).

[١٠] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

وقيل: **إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا**، يعني الشياطين، **من الذين اتَّبَعوا**، يعني[1] الإنس. وقيل: يُرِي[2] الله كُلًّا غدا أن أوثانهم لن تغني عنهم شيئا، ولا شركاءهم[3] الذين أضلوهم، ولا أشرافهم، [لأنهم] شغلوا عنهم حين عاينوا النار.

وقوله: **وتقطعت بهم الأسباب**. قيل: الأرحام والأنساب، كقوله: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ،[4] وكقوله: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[5] الآية. وقيل: **تقطعت بهم الأسباب** يعني العهود والأيمان التي كانت بينهم في الدنيا. وقيل: تواصلهم في الدنيا وتوادّهم لم ينفعهم شيئا؛ لأنهم كانوا يتواصلون ويتوادون في الدنيا رجاء أن ينفع بعضهم بعضا، كقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ.[6]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[١٦٧]

[وقوله تعالى: **وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا**، فيقول الأتباع: لو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ من الرؤساء كما تبرؤوا منا في الآخرة.][7]

[٣٤ظ] وقوله: **كذلك**[8] **يريهم الله أعمالهم**. قيل: يريهم الله أعمالهم[9] التي / لم يريدوا بها الله **حسراتٍ عليهم**، أي حسرة عليهم وندامة.[10] وقيل: كل عمل عملوه أرادوا به غير وجه الله كان ذلك عليهم حسرة يوم القيامة. وقيل:[11] أعمالهم التي عملوها في الدنيا تصير حسرات عليهم حين يرفع الله[12] لهم الجنة، فينظرون إلى مساكنهم التي كانت لهم فيرونها لغيرهم، وبأسماء غيرهم.[13]

---

[1] ك ع م – يعني.
[2] جميع النسخ: يرى.
[3] جميع النسخ: ولا شركاؤهم.
[4] ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣).
[5] ﴿وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٣٤/٨٠-٣٧).
[6] سورة الزخرف، ٦٧/٤٣.
[7] ما بين القوسين المعقوفين ساقط في جميع النسخ، ونقلناه من شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ.
[8] جميع النسخ: وكذلك قوله.
[9] ع م – قيل يريهم الله أعمالهم.
[10] ك: حسرة وندامة عليهم.
[11] ك: أو قيل.
[12] ك – الله.
[13] جميع النسخ: التي كانت لهم وبأسمائهم لغيرهم وبأسمائهم غيرهم لهم. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ.

{قال:} وهذا عندي لا يصح: أن يجعل الله لأحد نصيبا في الجنة ثم يحرمه.[1] ولكن هذا على أصل الوعد، وعد من أطاع الله الجنة، ومن عصاه النار. فهو على أن هؤلاء لو أطاعوا كان لهم نصيب[2] في الجنة، وهؤلاء لو عصوا كان لهم نصيب[3] في النار. أو يكون ذكر النصيب لهؤلاء في الجنة هو الذي ادعوه لأنفسهم، كما قالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[4] فيحرمون، ويورث[5] عنهم ما ذكروا أنه لهم في الجنة، كما قال الله تعالى: وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا.[6]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[١٦٨]

قيل فيه بوجوه. قيل: إنهم كانوا يحرمون التناول من أشياء والانتفاع من نحو البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحامي؛[7] فيقولون: حرم الانتفاع بها، فأنزل الله تعالى قوله:[8] **كلوا مما في الأرض حلالا طيبا**، وانتفعوا بها، فإن الله لم يحرمها عليكم، كقوله: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ،[9] الآية.

---

[1] «قال الإمام: لأنه عالم في الأزل من يختم على الإيمان والسعادة فيكون له الجنة، ومن يختم على الكفر فيحرم منها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥١ظ).

[2] جميع النسخ: نصيبا.

[3] جميع النسخ: نصيبا.

[4] سورة البقرة، ١١١/٢.

[5] ن ع: تورث؛ م: نورث.

[6] ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾ (سورة مريم، ٧٧/١٩-٨٠).

[7] قال الإمام في تفسير هذه الكلمات ما نصه: «قال القتبي: **البحيرة**: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، والخامس ذكر، بَحَرُوه، فأكله الرجال والنساء. وإذا كان الخامس أنثى بَحَروا أذنها، أي شَقُّوها. وكانت حراما على النساء لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلّت للنساء. **والسائبة**: البعير يُسَيَّب بنَذْر يكون على الرجل إن سلمه الله من مرض أو بلغه منزله أن يفعل ذلك. **والوصيلة**: من الغنم كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا، فإن كان السابع ذكرا ذُبح، فأكل منه الرجال والنساء. وإن كان أنثى تُركت في الغنم. وإن كان ذكرا وأنثى قالوا: قد وَصَلَت أخاها، فلم تذبح لمكانها. وكانت لحومها حرام على النساء ولبن الأنثى حراما على النساء إلا أن يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء. **والحامي**: الفحل الذي ركب ولد ولده. ويقال: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن. قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلإ ولا ماء» (*تأويلات القرآن*، ورقة ٢٠٠و).

[8] جميع النسخ: فقال.

[9] ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).

وقيل: خلق الله[1] في الأرض ما هو حلال وما هو حرام، فأباح التناول من الحلال، ونهى عن الحرام.

وقيل: إن قوما يحرمون التناول من الرفيع من الطعام،[2] والرفيع من الملبوس، ويتناولون من الدُّون والرِّثَّة،[3] فنهوا عن ذلك.

ولا يحتمل أن يراد بالطيبات الحلال منها، ولكن ما تطيب النفس بالتناول[4] [منه؛] لأن النفس لا تتلذذ[5] بالتناول من كل حلال، ولكن إنما تطيب بما[6] هو لها[7] ألذ وأوفق. ***والله أعلم.*** وعلى ذلك قوله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ،[8] الآية. فيكون[9] الذي[10] في الأرض حلالا وحراما. ثم مما حل طَيِّبٌ ودونٌ. فأمر بأكل ما طاب من ذلك إذا قدر عليه، لأنه على قدر طيبه[11] يعظم[12] محله في القلب، وعلى ذلك يرغب نفسه بالشكر لمن أنعم به عليه، والتعظِيم لمن أكرمه بالذي طابت له به النفس. ***والله أعلم.***

وقوله: **ولا تتبعوا خطوات الشيطان.** قيل: آثار الشيطان، وقيل: وساوس الشيطان، وقيل سُبُل الشيطان، كقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ،[13] فهو يرجع إلى واحد.

وقوله: **إنه لكم عدو مبين.** وذكر[ه] في موضع آخر وسماه وليًا، بقوله: أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ.[14]

---

[1] ن ع م – الله.

[2] ع – من الحلال ونهى عن الحرام وقيل إن قوما يحرمون التناول من الرفيع من الطعام.

[3] الرَّثُّ، والرِّثَّة: رديء المتاع، وسَقَط البيت (*لسان العرب*، «رث»).

[4] جميع النسخ: من التناول.

[5] ع م: لا يتلذذ.

[6] ن ع م: مما.

[7] ك – لها.

[8] ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقومٍ يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٢/٧).

[9] جميع النسخ + كان.

[10] ك: الذين.

[11] ن – لأنه على قدر طيبه.

[12] ك ن: بعظم.

[13] يقول الله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣/٦).

[14] ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولٰئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).

فالوجه فيه[١] أنه[٢] يريهم في الظاهر الموالاة، ولكنه يريد في الباطن إهلاكهم. فإذا كان كذلك فهو في الحقيقة عدو.[٣] وجائز أن يكون "أولياؤهم" أي هو أولى بهم، إذ عملوا ما عملوا بأمره.[٤] أو أولياؤهم[٥] بما وَاتَوْهم[٦] في الفعل وشارَكوهم[٧] في الشر، وكانوا في الحقيقة لهم أعداء إذ ذلك هلاكهم. **ولا قوة إلا بالله**. وقوله: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا؛[٨] لأنه يوسوس ويدعو، فإن أطاعه، وإلا ليس له عليه سلطان سوى ذلك، فهو ضعيف؛[٩] لأن من لا ينفذ على رعيته[١٠] سوى قوله فهو[١١] ضعيف، يوصف بالضعف.[١٢] *والله أعلم*. ويكون ضعيفا على من تأمل مكائده، وتحفظ [عن] أقواله.[١٣]

---

[١] ع م – فيه. يقول علاءالدين السمرقندي: «فإن قيل: سمي الشيطان عدوا للناس كافة في هذه الآية ثم قال في موضع آخر: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾، سماه وليا للكفرة فيكون فيه خلافا من حيث الظاهر؟ قيل: لا تناقض، والمراد من قوله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بيان حقيقة العداوة للناس، فإنه بسبب عداوته آدم عليه السلام يعادي ذريته، يريد هلاكهم كما هلك هو فيكونون معه في النار. والمراد من قوله ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾ من حيث الظاهر، فإنه يريهم في الظاهر الموالاة، ويزين لهم أعمالهم، ويطمعهم في المنافع، ويريد بذلك هلاكهم في الباطن ليكونوا معه في النار. وهذا هو النهاية في العداوة. ولا تناقض بين الحقيقة والإراءة في الظاهر، إذ المناقضة اجتماع المتناقضين في محل واحد في وقت واحد، وأما في محلين فلا. والباطن والظاهر محلان» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٢و).

[٢] ع: أنهم.

[٣] ك: عدوا.

[٤] يقول السمرقندي: «لم يرد من قوله: ﴿أولياؤهم الطاغوت﴾ من الموالاة، والولاية -بفتح الواو- التي هي عبارة عن المحبة والصداقة، فيكون ضدا للعداوة فيقع التناقض. وإنما المراد -والله أعلم- الأولياء من الولاية-بكسر الواو- وهي عبارة عن التولية والتفويض، يقال: ولي اليتيم لكونه أولى بالتصرف عليه. فسمي الطاغوت والشياطين أولياء الكفرة، إذ هم أولى لهم في التصرف عليهم، إذ عملهم بأمر الشيطان ودعوته. ولا تناقض، إذ العدو قد يلي عدوا له ليوقعه في الهلاك، وإن كان يريه في الظاهر أنه يتولى أموره» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٢و).

[٥] ع: بأمره أولياؤهم.

[٦] ك: والوهم؛ م: أوتوهم. يقال: واتَيْته على الأَمْر مُواتاةً وَوِتاء: طاوَعْتُه (*لسان العرب*، «وتي»).

[٧] جميع النسخ: وشاركهم.

[٨] ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ (سورة الأنعام، ٤/٧٦).

[٩] يقول السمرقندي: «قيل لهم: ليس بينهما اختلاف فإن المراد منه أنه ضعيف على من يتأمل مكائده ويتحفظ أقواله، لأنه يوسوس ويدعو إلى الشهوات وزخارف الدنيا. فإن تأمل المتأمل أن ذلك وسوسة الشيطان ظهر له حقيقة ضعف ذلك بأنه خيال، وأنه كترائي السراب ماء، إذ يحسبه الظمآن ماء. فإذا تأمل ذلك و لم يطعه لم يظهر سلطانه عليه، كما قال: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ (سورة الحجر، ١٥/٤٢)» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٢و).

[١٠] ع: رغبته.

[١١] ع – فهو.

[١٢] ك: بالضعيف.

[١٣] جميع النسخ: أحواله، والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٥٢و.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٦٩]

قوله:[١] **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء.** قيل: يحتمل أن يكون السوء هو الفحشاء، والفحشاء هو السوء، لما أن كل واحد منهما يشتمل على كل نوع من الآثام. ويحتمل أن يكون السوء ما خفي من المعاصي، والفحشاء ما ظهر منها. وقيل: السوء ما لا حدَّ فيه، والفحشاء ما فيه حد من نحو الزنا، وشرب الخمر، وغيره. وقيل: الفحشاء ما فُحش في العقل، والسوء ما يَنتهي بالنهي عنه.

وقوله: **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، يخرج على الأول، وهو السوء والفحشاء؛ يأمرهم [الشيطان] بذلك، فيقولون:[٢] اَللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا.[٣]

ويحتمل قوله: **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**، ما قالوا: إن الله حرم هذه الأشياء، أو القول على الله ما لا يعلمون بما لا يليق[٤] به من الولد، وإشراك غيره في عبادته. *والله أعلم.*

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَ وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[١٧٠]

قوله:[٥] **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا**، يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن آباءهم كانوا أوصَوا لهم[٦] أن لا يفارقوا دينهم الذي هم عليه، فقالوا عند ذلك: لا نَدَع وصية[٧] آبائنا، كقوله: أَ تَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ؛[٨] أو كانوا[٩] قوما سفهاء أصحاب تقليد[١٠] فقالوا: إنا قلّدنا آباءنا فلا نقلد غيرهم.

وقوله: **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**، يخرج هذا الكلام على وجهين.

---

[١] م: وقوله.
[٢] ك ن م: فيقولوا؛ ع: فيقول.
[٣] ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليه آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أ تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٢٨/٧).
[٤] ع: بما يليق.
[٥] م: وقوله.
[٦] ك: أوصى لهم؛ م: أوصيهم.
[٧] ن: وصيته.
[٨] سورة الذاريات، ٥٣/٥١.
[٩] م: وكانوا.
[١٠] ع م: التقليد.

أي تقلدون أنتم آباءكم وإن كانوا لا يعقلون شيئا؟ ويحتمل **أولو كان**، أي وقد كان آباؤكم[١] لا يعقلون شيئا،[٢] فكيف تقلدونهم؟ وهو كقوله: قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ،[٣] أي وقد جئتكم. أو أن يقال: من جعل آباءكم قدوةً يقتدى بهم؟

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٧١]

قوله: **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء**. قيل فيه بوجهين. قيل:[٤] مثلنا **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق** أي يَصُوت **بما لا يسمع إلا دعاء ونداء**، يسمعون الصوت ولا يفقهون ما فيه. وقيل: **يَنْعِق** بمعنى يُنْعَق،[٥] ذكر الفاعل على إرادة المفعول، كقوله: فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ،[٦] أي مرضية، فعلى ذلك الأولى، وهو في اللغة جائز جار.[٧]

وقوله: **صم بكم عمي فهم لا يعقلون**، سماهم بذلك وإن لم يكونوا في الحقيقة كذلك، لما لم ينتفعوا بها، إذ الحاجة[٨] من هذه الأشياء الانتفاع بها؛ ولذلك سماهم سفهاء، لما لم ينتفعوا بعلمهم وعقلهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١٧٢]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**، دل أن الذي كان لهم الأكل [منه] وأمرهم بالتناول منه هو الحلالَ.[٩] ثم فيه الدليل / على أن من الرزق[١٠] ما هو طيب [٣٥و] حلال، وما هو خبيث حرام، إذ لو لم يكن منه طيب وخبيث[١١] لكان لا يشترط فيه ذكر الطيب، بل يقول: كلوا مما رزقناكم.

---

[١] ع: آباؤهم.
[٢] ع – ويحتمل أو لو كان أي وقد كان آباؤكم لا يعقلون شيئا.
[٣] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[٤] ع م + ما.
[٥] ن – ينعق.
[٦] سورة الحاقة، ٢١/٦٩.
[٧] ع: جاز.
[٨] أي الغرض.
[٩] ع م: الحال.
[١٠] ع: أن الرزق.
[١١] جميع النسخ: طيبا وخبيثا.

فإن قيل: فما وجه الحكمة في الامتحان بجعل الخبيث رزقا لهم؟

قيل: هذا أصل المحنة في كل شيء؛ يجعل لهم الغذاء فيما[1] يأمرهم بالامتناع عنه، ويجعل لهم قضاء الشهوة في المحرم، ويأمرهم[2] بالكف [عنه]، وهو الظاهر من المحن.

وقوله: **واشكروا لله**، على ما أباح لكم من الطيبات،[3] **إن كنتم إياه تعبدون**؛ أي إن كنتم منه ترون ذلك. ويحتمل **إن كنتم إياه تعبدون**، أي إياه توحدون. ويحتمل: إن كنتم بمن[4] تعبدونه إياه تقصدون؛ فاجعلوا عبادتكم له خالصة، لا تعبدوا غيره ليكون له. ***ولا قوة إلا بالله***.

وقيل: **إن** بمعنى إذ،[5] [أي إذ] آثرتم عبادته فاشكروا له.

ويحتمل قوله: **واشكروا لله**، على[6] جميع ما أنعم عليكم من الدين والنبي والقرآن وغير ذلك من النعم؛ أي كونوا له شاكرين.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٧٣]

قوله: **إنما حرم عليكم الميتة [والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله]**. ذكر الميتة، فمعناه: حرم عليكم الأكل من الميتة والتناول منه. فإذا كان كذلك فليس فيه حرمة ما لا يؤكل والانتفاع به من نحو الصوف والشعر والعظم ونحوه. ألا ترى أن هذا إذا أزيل[7] من الشاة، وهي حية، وأبين منها لم تصر ميتة، يجوز[8] الانتفاع به. وغيره من اللحم إذا أُبين منها صار ميتة؛ لما روي في الخبر: «ما أُبين من الحي فهو ميت»؛[9] ولأن الصوف واللبن وغيرهما

---

[1] جميع النسخ: فما.

[2] جميع النسخ: يأمرهم.

[3] ك: لكم الطيبات.

[4] م: ممن.

[5] ع م: ان.

[6] م: على ما.

[7] ن ع م: أريد.

[8] ن ع م: لا يجوز. والتصحيح مستفاد من *الشرح*. يقول السمرقندي: «ثم الآية حجة لنا على الشافعي في إباحة الانتفاع بصوف الميتة وشعرها وعظمها ولبنها ونحو ذلك» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٢ظ).

[9] ك – لا يجوز الانتفاع به وغيره من اللحم إذا أبين منها صار ميتة لما روي في الخبر ما أبين من الحي فهو ميت. *مسند أحمد بن حنبل*، ٢١٨/٥؛ وسنن *ابن ماجة*، الصيد ٨؛ وسنن *الترمذي*، الأطعمة، ٤؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ١٤٦/٨.

ليسوا بذوي الروح فتموت[1] باستخراج الروح منها كالحيوان، على ما ذكرنا من الخبر. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الإِنْفَحَة[2] استخرجت من الميتة، فقال: أ فيها دم؟ فقيل: لا. فقال:[3] لا بأس، كلوا، فإن اللبن على ذكاة فيه، أو كلام نحو هذا.[4] وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لا بأس.[5]

فإن قيل: ألا فسد بنجاسة الضَّرع، كالوعاء النجس يكون فيه اللبن، يفسد بفساده؟

قيل: إن الشيء إذا كان موضعا للشيء ومَعْدِنه في الأصل، فإن فساد ذلك الموضع لا يوجب فساد ما فيه. أ لا ترى أن الدم الذي يجري بين الجلد واللحم، إذا ذبح [الحيوان] لا يفسد اللحم، لما كان ذلك موضعه ومَظَانّه، فعلى ذلك اللبن في الضَّرْع. وأما الإهاب فإنه إذا دبغ فقد طهر، لما[6] روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيما إهاب دُبِغ فقد طهر».[7]

والدم المذكور في هذه الآية هو الدم المسفوح. دليله قوله تعالى: أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا،[8] فالمحرم من الدماء هو[9] السائل. ألا ترى أن الشاة إذا ماتت صارت ميتة بهلاك[10] ذلك المحرم من الدم فيه.

وقوله: **فمن اضطُرَّ غَير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم**. اختلف فيه على أوجه. قيل: قوله **غير باغ ولا عاد**، هو[11] تفسير قوله:[12] **فمن اضطر**، وهو كقوله:

---

[1] جميع النسخ: فيموت.

[2] م: الانفحة. الإنفحة والإنفحّة: مادة خاصة تستخرج من الجزء الباطني من معدة الرضيع من العجول أو الجداء أو نحوها، بها خميرة تُجبِّن اللبن. والجمع: أنافح (*المعجم الوسيط*، «نفح»).

[3] ع – لا فقال.

[4] *أحكام القرآن* للجصاص، ١٤٩/١.

[5] ك ن + به. *أحكام القرآن* للجصاص، ١٤٧/١-١٤٨.

[6] ع: ولما.

[7] *الموطأ* لمالك، الصيد ١٦-١٨؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ٢١٩/١، ٢٢٧، ٢٣٧؛ و*صحيح مسلم*، الحيض ١٠٠-١٠٧.

[8] ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرما على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزيرٍ فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فإن ربك غفور رحيم﴾ (سورة المائدة، ١٤٥/٦).

[9] جميع النسخ: وهو.

[10] ك ن: لهلاك.

[11] ع م: وهو.

[12] ن – قوله.

مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ،[1] فصار قوله: غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ تفسير قوله:[2] مُحْصَنَاتٍ، لأنها إن كانت محصنة كانت غير مسافحة ولا متخذة[3] الأخدان. فعلى ذلك إن كان مضطرا كان غير باغ ولا عاد. **والله أعلم**.

وقيل: **فمن اضطر غير باغ**، أي غير مستحل لتناوله،[4] ولا عاد يعدو على أكله للجوع.

وقيل: قوله **فمن اضطر غير باغ**:[5] غير متجاوزٍ حده، **ولا عاد**: ولا مقصرٍ[6] نهايته.

ثم اختلف في حرمة عين الميتة في حال الاضطرار وحِلّها. قال بعضهم: عينها حلال ليس بمحرم. وقال آخرون: عينها محرمة،[7] لكن التناول منها مباح؛ وهو قول أصحابنا رحمهم الله. فمن قال بحل[8] عينها للضرورة ذهب إلى أن الحظر والإباحة لا تقع[9] في الأصل لعين الشيء، ولا يتكلم فيها بحل ولا حرمة بحيث العين، بل الحل والحرمة[10] هي الواردة عليها، موجبة حق [الحل و]الحرمة.[11] ثم الحرمة ترتفع بالضرورة، فيبقى عينه على ما كان في الأصل. ومن قال بحرمة عينها وبحل[12] التناول منها ذهب إلى أن الحرمة حدثت لما كانت ميتة ومُهَلًّا لغير وجه الله. فحدوث الحل[13] للضرورة يدل على أن العلة كانت هي الضرورة في حق[14] رفع حرمة التناول، ولم ترفع حرمة عينها، إلا أنه أبيح التناول منها للضرورة، على بقاء الحرمة.

ولكن يجب أن لا يتكلم في هذا ومثله بحرمة العين وحلها، بعد أن تكون[15] الإباحة للضرورة؛

---

[1] سورة النساء، ٤/٢٥.
[2] ك: لقوله.
[3] ع – أخدان فصار قوله غير مسافحات ولا متخذات أخدان تفسير قوله محصنات لأنها إن كانت محصنة كانت غير مسافحة ولا متخذة.
[4] ن: التناول.
[5] ك ن + يعني.
[6] ن ع م: مقتصر.
[7] ك: حرام.
[8] ن ع م: يحل.
[9] ن ع م: لا يقع.
[10] م: الحرمة والحل.
[11] ك: من حبه حل الحرمة.
[12] ع: ويحل.
[13] ن – فحدوث الحل.
[14] ك – حق.
[15] جميع النسخ: يكون.

إذ لله أن يُحلّ عينا محرمة في حال الاضطرار، وله أن يحرم عينها ويحل التناول منها للاضطرار، فالتكلم فيه فضل وتكلف. *وبالله التوفيق*.

ثم المسألة في الباغي والعادي، يحرم عليه التناول منها في حال الاضطرار أم لا؟ قال بعض أهل العلم: يحرم[١] ذلك عليه لأوجه. أحدها لأنه ظالم، وفي المنع عن التناول منها زجر عن الظلم. وفي الإباحة عن التناول منها إعانة على الظلم، لذلك حرم عليه. والثاني أن القاتل عوقب عندما يَأوِي إلى الحرم بترك المؤاكلة والمشاربة والمجالسة إلى أن يضطر فيخرج عقوبة له، فكذا هذا يحرم عليه التناول منه عقوبة له إلى أن ينزجر. و[الثالث أنه] قال:[٢] إنه قد استحق بالبغي على أهل الإسلام العقوبة العظيمة، ويعاقب بهذا أيضا. ثم من قول هذا الرجل في الباغي أنه إذا أتلف أموال أهل العدل لا يتعرض له بها ولا يغرم، وكذلك العادل إذا أتلف أموال أهل[٣] البغي لا غرامة عليه. والغرامة[٤] نوع من العقوبات.

فإذا استويا في سقوط الغرامة -وإن كان أحدهما ظالما- كيف لا استويا أيضا في هذا؟ وما الذي يوجب التفرقة بينهما؟ ثم / نقول لهذا المخالف[٥] لنا: إن الباغي المقيم يمسح يوما [٣٥ظ] وليلة، وإذا سافر لم تُرخص له بالمسح،[٦] وهو في الحضر رخصة كهي في السفر. فما باله حرم إحدى الرخصتين على إباحة الأخرى مع وجود الظلم والبغي؟ فقال: لأن الضرورة طريق التناول، فيه رخصة، [فـ]لا ترخص للظالم،[٧] إذ هو تخفيف.

والأصل في المسألة أن الباغي على أهل الإسلام لا يأتمر بأحكام أهل الإسلام، إذ لو ائتمر أمر بالكف عن بغيه. وإذا لم يأتمر في ذا لا شك أنه لا يأتمر في الثاني. ولا يؤمر بما[٨] فيه العبث، ولا يزجره التحريم عن التناول، إذ -على العلم[٩] بحرمة البغي- بَغَى ما اشتهت نفسه، فكيف ينتهي للحرمة فيما اضطرّت إليه نفسه، ولم يملك الغلبة عليها في شهوتها إيثارا لها،

---

[١] جميع النسخ: محرم.
[٢] أي وقال من ذهب إلى الإباحة، لعله يقصد الشافعي.
[٣] ع م - أهل.
[٤] ع: والغرمات.
[٥] ع: المخايف.
[٦] جميع النسخ: المسح.
[٧] جميع النسخ: الظالم.
[٨] ع م - بما.
[٩] ك: الحلم.

كذلك إنظارا لها للكف. [فـ]لا معنى لإحداث الحرمة عليه ببغيه.

وأصله قوله عز وجل: وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ،[1] وقوله: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.[2] حرّم عليهم[3] إلقاء أنفسهم إلى المهالك، وقتلهم الأنفس. وفي دفع هذه الرخصة عنه إباحة محرم، وهو أعظم منه عليه، فلا يفعل.[4]

وأما من[5] قال بأن من قتل فأوى إلى الحرم، فإن أهله نهوا عن مؤاكلته ومشاربته، و لم يُنْهَ هو[6] في نفسه [عن] الأكل والشرب؛ إذ[7] لا يقدر[8] أحد [على] منعه عن ذلك. فالقول في مثله تكلف، فكذا الأول. *والله أعلم.*

ثم المسألة في القدر الذي يجوز أن يتناول منها. فعندنا أن الإباحة كانت للاضطرار، فهو على القدر الذي له الدفع والإزالة، وذلك بدون ما فيه شدة المجاعة. وذلك الأصل في انتفاء الضرورة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٧٤]

وقوله: **إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب**، أي في الكتاب، يحتمل وجهين. يحتمل أن كتموا ما في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصفته. ويحتمل ما كتموا من الأحكام والشرائع، من نحو الحدود والرجم وغير ذلك من الأحكام. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[9]

وقوله: **ويشترون به ثمنا قليلا**، قد ذكرنا تأويل هذا فيما تقدم.[10]

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).

[2] ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (سورة البقرة، ١٩٥/٢).

[3] ك: عليكم.

[4] جميع النسخ: فلم يفعل.

[5] ك ع م – من؛ ن: ما.

[6] ع م – هو.

[7] ع: إذا.

[8] ع + عليه.

[9] انظر ما ذكر عند تأويل قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ (سورة البقرة، ١٤٠/٢)، وتأويل قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ (سورة البقرة، ١٠٩/٢).

[10] انظر ما ذكر عند قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ (سورة البقرة، ٨/٢).

وقوله: **أولٰئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار**، يحتمل وجهين. أي **ما يأكلون** في دنياهم إلا [ما] أوجب ذلك لهم في الآخرة أكل النار. ويحتمل[1] ما يأكلون في دنياهم إلا أكلوا في الآخرة عين النار.

وقوله: **ولا يكلمهم الله**، قيل: لا يكلمهم بكلام خير، ولكن يكلمهم بغيره. كقوله: اِخْسَؤُا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ.[2] وقيل: لا يكلمهم غضبا عليهم، يقال: فلان لا يكلم فلانا لما غضب عليه.

﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[١٧٥]

وقوله تعالى: **أولٰئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى [والعذاب بالمغفرة]**. قيل: استحبوا الضلالة على الهدى.[3] وقيل: اختاروا العذاب على المغفرة. وما قاله الكلبي فهو أحسن:[4] إنهم اشتروا اليهودية التي هي تحصل عذابا بالإيمان الذي يحصل مغفرة. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم أيضا.[5]

وقوله: **فما أصبرهم على النار**، قيل: فما أدومهم في النار. وقيل: **فما أصبرهم** على العمل[6] الذي يوجب لهم النار. وقيل: فما أجرأهم على عمل أهل النار. وقيل: ما أعملهم بأعمال أهل النار. وقال الحسن: فما لهم عليها[7] [مِن] صبر، ولكن ما أجرأهم على النار.[8] وقد يقال لمن يطول حبسه: ما أصبرك[9] على الحبس، لا على حقيقة الصبر، لكن على وجوده فيه.

﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[١٧٦]

وقوله: **وإن الذين اختلفوا في الكتاب** أي خالفوا؛ وإلا[10] قد اختلف أهل الإيمان والكفر، ولكن أراد -والله أعلم- بالاختلاف الخلاف.[11] أي خالفوا الكتاب و لم يعملوا به.

---

[1] م: يحتمل.
[2] سورة المؤمنون، ١٠٨/٢٣.
[3] ع – قيل استحبوا الضلالة على الهدى.
[4] ك ن: حسن.
[5] انظر ما تقدم عند تأويل قوله تعالى: ﴿أولٰئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ (سورة البقرة، ١٦/٢).
[6] جميع النسخ: على عمل.
[7] ع – عليها.
[8] ع – على النار. *تفسير الطبري*، ١٢٣/٢؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ٢٤٢/١.
[9] ن ع م: فما أصبرك.
[10] ع: ولا.
[11] ك – أي خالفوا وإلا قد اختلف أهل الإيمان والكفر ولكن أراد والله أعلم بالاختلاف الخلاف.

لفي شقاق بعيد، قيل: لفي خلاف بعيد، وقيل: لفي ضلال طويل،[1] وقيل: لفي عداوة بعيدة. قيل: حرف البعيد في الوعيد إياس، كأنه قال: لا انقطاع له.[2]

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[١٧٧]

وقوله: **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب**؛ قيل: **ليس البر** في نفس التوجه إلى ما ذكر دون الإيمان. ويحتمل: **ليس البر** في ذلك، **ولكن البر** لما يقصد إليه، إذ قد يقع ذلك لحوائج تعرض،[3] [و]تخرج[4] عن القربة.[5] ويحتمل: **ليس البر** في التوجه إلى كذا، ولكن في الائتمار لأمره والطاعة له. والبر هو[6] الطاعة في الحقيقة. وقيل: **ليس البر** تحويل الوجه إلى المشرق والمغرب، **ولكن البرّ** ما ثبت في القلب من طاعة الله وصدّقته الجوارح. وقيل: **ليس البرّ** أن تصلوا، ولا أن تعملوا غير الصلاة. كل ذلك يرجع إلى واحد.

وجملته أن يقال: ليس البر كله ذلك، لكن ما ذكر؛ إذ ذلك الوجه استعظموا هم،[7] حتى قال الله تعالى: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ.[8] والثاني: أن يكون ذلك بنفسه ليس ببرّ،[9] وإنما صار برًّا بالأمر به، أو بما ذكر من الإيمان والخيرات، فلما[10] زال عنه الوجهان سقط فعله أن يكون برًّا.

---

[1] ك – وقيل لفي ضلال طويل.
[2] ذكره أبو حيان، قال: «كنى به عن الطول أي في معاداة طويلة لا تنقطع». (*البحر المحيط* لأبي حيان، ٤٩٦/١).
[3] ك ن: تعترض.
[4] ك: يخرج.
[5] ع: القرية.
[6] ن: وهو.
[7] م: استعظموهم. يقول السمرقندي: «قال الشيخ: وجملته أن يقال: ليس البرّ كله في التوجه إلى المشرق والمغرب؛ لأنهم كانوا يستعظمون التوجه إلى المشرق والمغرب، ويزعمون أنه هو البر كله. لكن كل البر ما ذكر في الآية...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٣ظ).
[8] سورة البقرة، ١٤٥/٢.
[9] ن ع: بر.
[10] ن ع م: فلا.

وقوله: **ولكن البر من آمن بالله**، بأنه واحد، لا شريك له.[١] يعني صدق بالله، وبأنه[٢] واحد لا شريك له.[٣] **واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**. وصدق بالبعث الذي [فيه] جزاء الأعمال، وصدق بالكتب والملائكة[٤] والنبيين.

وللبر[٥] تأويلان. أحدهما ما قيل. والثاني على الإضمار؛ كأنه قال: ليس البر بِرُّ من يولّي وجهه، ولكن[٦] البرّ برُّ من آمن بالله، كما قال: أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ،[٧] كإيمان من آمن بالله؟[٨] وقيل: أجعلتم صاحب السقاية كمن آمن بالله؟ وقيل: إن البر بمعنى البارّ. يقول:[٩] ليس البارّ[١٠] من يحوّل وجهه قِبَل كذا، ولكن البارّ من آمن بالله، الآية.

وقوله تعالى: **وآتى المال على حبه**؛ قيل: أعطى على حاجته، وقيل على عاقلته.[١١] آثر غيره على نفسه، كقوله: وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ.[١٢]

وقيل: **[على]حبه** أي ذوي قرابته. وفيه دلالة أن الأفضل أن يبدأ[١٣] بالصلة قرابتَه، ثم باليتامى؛ لأن على جميع المسلمين حفظَهم، ولأنهم أضعف، فيبدأ بهم قبل المساكين. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس المسكين الذي تَرُدّه[١٤] اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان». قيل: فما المسكين يا رسول الله؟ / قال: «الذي لا يجد ما يغنيه، [٣٦و]

---

[١] ك ن – بأنه واحد لا شريك له.

[٢] جميع النسخ: بأنه.

[٣] ع + يعني صدق بالله بأنه واحد لا شريك له.

[٤] ك ن + والكتاب.

[٥] ن ع م: البر.

[٦] ع – البر بر من يولي وجهه ولكن.

[٧] ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة التوبة، ١٩/٩).

[٨] ك ن – بالله.

[٩] ن: ويقول.

[١٠] ع م – يقول ليس البار.

[١١] ع م: قلته.

[١٢] ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (سورة الحشر، ٩/٥٩).

[١٣] ع: أي يبدأ.

[١٤] ن ع م: يرده.

ولا يسأل الناس، ولا يُفطَن[1] به فيُتصدقَ عليه».[2]

وابنَ السبيل. قيل: هو الضيف[3] ينزل [الرجل]. وقيل: هو المنقطع[4] حاجا أو غازيا.[5] وقيل:[6] هو المجتاز.[7] وهو واحد. **وفي الرقاب**، قيل: هم المكاتَبون. **وأقام الصلاة وآتى الزكاة**، ظاهر. **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا**، يحتمل العهود التي بينهم وبين الناس، ويحتمل العهود التي فيما بينهم وبين ربهم. وقد ذكرنا العهد من الله تعالى ما هو، فيما مضى.[8] وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: "والموفين" على النَسَق على الأول.[9] قيل: إذا عاهدت عهدا بلسانك تفي به بعملك وفعلك.

ثم ليس في القرآن آية أجمع لشرائط الإيمان من هذه. وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الإيمان، فقرأ هذه الآية.[10] وهكذا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه سئل عن الإيمان[11] فتلا هذه الآية.[12]

وقوله: **والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس**، قيل: في الآية تقديم وتأخير: والسائلين وفي الرقاب والصابرين.[13] وعلى هذا يخرج حرف ابن مسعود رضي الله عنه:

---

[1] ن: يعطن.

[2] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٨٤/١، ٤٤٦؛ و*صحيح البخاري*، الزكاة ٥٣؛ و*صحيح مسلم*، الزكاة ١٠١-١٠٢.

[3] م: الضعيف.

[4] قال السمرقندي: «المنقطع عن ماله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٣ظ).

[5] جميع النسخ: حاج أو غاز.

[6] ع م - قيل.

[7] ع: المختار. والمتجاز: العابر من مكان إلى مكان، مجتاب الطريق ومجيزه (*لسان العرب*، «جوز»).

[8] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٧/٢.

[9] *المحرر الوجيز* لابن عطية، ٢٣٤/١؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٧/٢.

[10] الحديث رواه ابن كثير عن أبي حاتم -بإسناده- عن مجاهد، عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الإيمان؟ فتلا عليه: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ إلى آخر الآية. قال: ثم سأله أيضا فتلاها عليه، ثم سأله فقال: «إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك». ثم قال: وهذا منقطع، فإن مجاهدا لم يدرك أبا ذر، فإنه مات قديما. ورواه القرطبي عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البر، فأنزل الله هذه الآية. انظر: *تفسير القرطبي*، ٢٣٧/٢-٢٣٨؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٩٦/١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٩/١.

[11] ك ن - عن الإيمان.

[12] ك - الآية. *الدر المنثور* للسيوطي، ١٦٩/١-١٧٠.

[13] ذكر الفراء هذا القول ورده، وذكره ابن جرير كذلك وخطأه. انظر: *معاني القرآن* للفراء، ٢٤٧/١؛ و*تفسير الطبري*، ١٣٧/٢.

والموفين[1] بعهدهم. وقوله: **البأساءِ**، من البأس،[2] وهو الفقر. **والضراءِ**، قيل: هو المرض. **وحين البأس**، قيل: عند القتال.

وقوله: **أولٰئك الذين صدقوا**، في إيمانهم أنهم مؤمنون، وصبروا[3] على طاعة ربهم. **وأولٰئك هم المتقون**. وقيل: **الذين صدقوا** في إيمانهم **وأولٰئك هم المتقون**.[4]

روي عن عمرو بن شُرَحْبِيل[5] انه قال: من عمل بهذه الآية فهو مستكمل الإيمان.[6]

{قال الفقيه:} تمام كل شيء[7] باجتماع ما يَزِينه، ألا ترى[8] أن المصلي إذا اقتصر على فرائضها لم تتم[9] له؟[10]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٧٨]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**، الآية، قيل: نزلت الآية في جَيْشين من العرب كان وقع بينهما حرب وقتال، وكان لإحداهما فضل وشرف على الأخرى،

---

[1] ن ع م: الموفون.

[2] ك: البوس.

[3] ن – وصبروا.

[4] ع – وقيل الذين صدقوا في إيمانهم وأولٰئك هم المتقون.

[5] عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي، أبو ميسرة. ذكر أبو موسى أنه أدرك الجاهلية، وفضله أبو وائل على مسروق. روى عن عمر وعلي وابن مسعود وحذيفة وسلمان وعائشة وغيرهم. روى عنه أبو وائل وأبو إسحاق السبيعي ومحمد بن المنتشر والقاسم بن مُخَيْمَرة وآخرون. وقال ابن حبان في *الثقات*: كان من العُبّاد. مات سنة ثلاث وستين، قبل موت أبي جحافة. وذكر الذهبي عن ابن سعد أنه توفي في ولاية عبيد الله بن زياد بالكوفة. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٣٥/٤-١٣٦؛ و*الإصابة* لابن حجر، ١١٣/٥.

[6] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٧٠/١.

[7] ع – شيء.

[8] ك: يرى.

[9] جميع النسخ: لم يتم.

[10] «قال الشيخ: ألا ترى أن المصلي إذا اقتصر على فرائضها دون سننها وآدابها لم تتم صلاته. وهذا لأن الإيمان نفسه هو التصديق، والتصديق مع الإقرار عند بعض أصحابنا. فأما الأعمال فمن أجزاء الإيمان، حتى قلنا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولكنه إنما يعنى بهذا من حيث الذات، وأما من حيث الوصف فإنما يتزين ويتم بالأعمال؛ كذات الآدمي، تمامه من حيث العين بتمام أجزائه، وجماله وكماله من حيث الوصف بصفاته من الحمرة في الوجه والبياض والكحل في العين، ونحو ذلك مثله» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٣ظ).

فأرادوا بالعبد منهم الحر[١] من أولئك، وبالأنثى منهم الذكر، فانزل الله تعالى: **الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**. وهي منسوخة، لان فيها قتل غير القاتل؛ نسخها[٢] قوله: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ.[٣] قيل: لا تُسرف: أي[٤] لا تقتل غير قاتل وليك. وقيل: لا تسرف: أي لا تَمْثُلْ في القتل.[٥] وقيل: لا تسرف في القتل:[٦] أي لا تقتل أنت،[٧] إذ هو منصور. فثبت بهذا[٨] نسخها؛ إذ لم يؤذن[٩] بقتل غير القاتل. وقوله أيضا: وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ،[١٠] ولا يحتمل نفسًا[١١] غير القاتل يُقتَل بنفس؛ دليله قوله: فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ،[١٢] ولا يتصدق على غير القاتل؛ ثبت أنها منسوخة بما ذكرنا. والثاني قال: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ،[١٣] لِمَا إذا هَمَّ بقتل آخر يذكر[١٤] قتل نفسه به[١٥] فيرتدع عن قتله فيَحيَي به النفسان جميعا، فلو لزم قتل غير القاتل لم يكن فيه حياة، إذ لا يخشى تلف نفسه.

ثم هذا يدل على وجوب القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم، إذ لو لم يُجعَل بينهما قصاص لم يرتدع أحد عن قتلهم، إذ لا يخشى تلف نفسه بهم؛ فدل أنهم يُقتلون بهم.[١٦] *والله أعلم*.

---

[١] ع: الحرب.
[٢] ك: ينسخها.
[٣] سورة الإسراء، ١٧/٣٣.
[٤] ك – أي.
[٥] ك ن – في القتل. مَثَل بالرجل يمثُل مَثْلا ومُثلة: نكّل به وجدع أنفه وأذنه أوشيأ من أطرافه (*لسان العرب*، «مثل»).
[٦] ع – وقيل لا تسرف في القتل.
[٧] أي لا تسرف أيها القاتل في القتل، لأن ولي المقتول منصور.
[٨] أي بتأويل لا تقتل غير قاتل وليك.
[٩] ع م: إذا لم يؤذن.
[١٠] سورة المائدة، ٥/٤٥.
[١١] ن + نفس.
[١٢] سورة المائدة، ٥/٤٥.
[١٣] سورة البقرة، ٢/١٧٩.
[١٤] ك: تفكر؛ ن: يفكر؛ ع م: ينكر.
[١٥] م – به.
[١٦] ع – بهم.

هذا فيما يجعل الآية ابتداء، لا في الحيَّيْن اللذين ذكرا به. ثم يقال: ليس في ذكر شكل بشكل[1] تخصيص الحكم فيه، وجعله شرطا، ونفيه في غير شكله. دليله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا؛ البِكر بالبكر جَلد مائة وتغريب عام، والثيّب[2] بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة».[3] ثم إذا زنى البكر بالثيب وجب ذلك الحكم. فدل أن ليس في ذكر شكل بشكل[4] تخصيص في الحكم، ولكن فيه إيجاب الحكم في كل شكل إذا ارتكب ذلك. وهو أن يقتل الحر إذا قتل آخر، والحرية لا تمنع الاقتصاص لفضله. وكذلك العبد إذا قتل آخر يقتل به، والرق لا يمنع ذلك للذل الذي فيه. وكذلك الأنثى تقتل إذا قتلت أخرى، ولا يمنع ما فيها من الضعف في وجوب القصاص. *وبالله التوفيق.*

وله وجه آخر وهو أنه قال: **الأنثى بالأنثى**، ومن الإناث إماء، وقد أمر بالاقتصاص بينهن. فلئن وجب تخصيص ما ذكر خاصا، وجب أن يذكر عاما ما ذكر[5] فيه العموم.

فإن قيل: على عموم الاسم في أحدهما، وخصوص القول في الآخر.

قيل: ليس هكذا، لو كان في ذكر الوفاق في الاسم منع الحق عن ذلك الوجه المذكور -إذ ذكر في الخلاف- لم يدخل فيما ذكر في الوفاق[6] ما ليس منه، فإذا دخل علم أن ذكر الوفاق في الخلاف في حق إدخال ما ليس من شكله بمحل واحد.

ثم يقال: إن نفس العبد للعبد في حق الجناية لا للمولى، إنما للمولى[7] في نفسه الملك والمالية. ألا ترى أن العبد لو أقر على نفسه بالقصاص أخذ به، ولو أقر عليه مولاه لم يؤخذ به. فدل أن نفسه له لا للمولى، فكان كنفس الحر للحر، فيجب أن يُقتَل الحر به، إذ هو ساوى الحرَّ في حق النفس، فيجب أن يسوِّي بينهما في حق القصاص.

وقال[8] بعض الناس: لا يقتل الحر بالعبد، لأنه أفضل منه. ثم هو يقول: إنه يُقتَل الذكر بالأنثى،

---

[1] ع م: مشكل.
[2] م: وثيب.
[3] *مسند أحمد ابن حنبل*، ٨/١، ٨٩؛ وصحيح *البخاري*، الحدود ٢١-٢٢؛ وصحيح *مسلم*، الحدود ١٢-٣٤.
[4] ك م: مشكل؛ ن: لشكل.
[5] م:عاما ذكر.
[6] ك - في الاسم منع الحق عن ذلك الوجه المذكور إذ ذكر في الخلاف لم يدخل فيما ذكر في الوفاق.
[7] م - إنما للمولى.
[8] ن: وما قال.

وهو أفضل. وقال: إن القصاص إنما ذكر في المؤمنين؛ ثم قال بالعموم وألزم قتل الكافر بالمؤمن -ولم يُذكر في القصاص الكافر- وترك الاقتصاصَ للكافر[1] من المؤمن، على عموم إيجاب القصاص على المؤمنين. فإذا جاز ترك القصاص على ما ذكر فيه القصاص[2] وإدخالُ من لم يذكر في حق الاقتصاص، فبماذا يجب[3] إنكار مثله في الذي ذكر عقيب ذكر الحق وهم بأجمعهم تحت الإيجاب مذكورون؟[4] ثم الإناث بالإناث مع اختلاف / الأحوال يلزم [فيه] القصاص، [٣٦ظ] كيف لا لزم مثله في الأحرار؟ والأصل في هذا أن لا يعتبر في الأنفس المساواة. ألا ترى أن الأنفس تقتل بنفس واحدة، وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه، أنه قتل رجالا[5] بامرأة. وروي أنه قتل سبعة نفر بامرأة. وقال: لو تمالأ[6] له[7] أهل صنعاء لقتلتهم.[8]

وقال:[9] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقتل مسلم بكافر».[10]

ثم قال صاحب هذا القول: لو أن كافرا قتل كافرا ثم أسلم القاتل[11] يقتل به، فهو قتل مسلما نقيا برا بكافر؛ إذ الإسلام يطهره، ولم يقتل مسلما فاسقا ارتكب الكبيرة بالكافر؛ إذ القتل يفسّقه؛ والمسلم أحق أن يقتل بالكافر من الكافر بالمسلم. وذلك[12] أن المسلم هتك حرمة الإسلام بقتل الكافر؛ لأنه اعتقد باعتقاد دين الإسلام حرمة دم الذمي، وهو بقتله كمستخف بمذهبه. وأما الذمي فإنه لا يعتقد باعتقاد مذهبه حرمة دماء أهل الإسلام، فهو ليس بقتل المسلم كمستخف بمذهبه،[13] والمسلم كمستخف بمذهبه[14] على ما ذكرنا.

---

[1] ع – وترك الاقتصاص للكافر.

[2] ع – على ما ذكر فيه القصاص.

[3] جميع النسخ: ما يجب.

[4] ك ع م: مذكورين.

[5] ع م: رجلا.

[6] أي تساعدوا واجتمعوا وتعاونوا (*النهاية* لابن الأثير، «ملأ»).

[7] ك: فيه.

[8] جميع النسخ: لقتلهم. روي أن عمر بن الخطاب قتل نفرا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة، وقال عمر: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعا. انظر: *الموطأ* لمالك، كتاب العقول ١٩؛ وانظر أيضا: *تفسير القرطبي*، ٢/٢٥١.

[9] أي من قال بأن الحر لا يقتل بالعبد.

[10] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٧٩، ١١٩، ١٢٢؛ وصحيح *البخاري*، الديات ٣١؛ وسنن *ابن ماجة*، الديات ٢١.

[11] ك: هذا الكافر.

[12] ن ع م: ونحو ذلك.

[13] ن: بدينه.

[14] ن ع م: بدينه.

لذلك كان أحق بالقصاص من الكافر. ألا ترى أن من قَتل في الحرم قُتل به، لأنه هتك حرمة الحرم كالمستخف به، وإذا قتل خارجا منه ثم التجأ إليه لم يقتل به[1] حتى يخرج منه، لأنه ليس كمستخف به[2] والأول مستخف، لذلك افترقا[3] فكذلك الأول. *والله أعلم*.

والخبر عندنا يحتمل وجهين. أحدهما قيل: إن قوما قتل بعضهم بعضا في الجاهلية، فأسلم بعضهم، فأراد أولئك أن يأخذوا من أسلم منهم بالقصاص، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقتل مسلم بكافر»، كما قال: «كل دم كان في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي هذا».[4] والثاني أنه أراد بالكافر المستأمَن؛ لأنه قال: «لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد في عهده». فنسق قوله: "ذو عهد"، على المسلم؛ فكان معناه: لا يقتل مسلم بكافر، ولا ذو عهد به، فكل كافر لا يقتل به ذو عهد في عهده[5] لم يقتل به المسلم. والذمي[6] يقتل به ذو العهد، لذلك يقتل به المسلم. والمسلم إذا قَتل مستأمنا لم يقتل[7] به، وكذلك الذمي. فدل بما ذكرنا أنه أراد بالكافر المستأمن لا الذمي. *والله أعلم*.

وقوله: **فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف**، اختلف في تأويله. قال بعضهم: هو القاتل إذا عفي له، معناه: عنه،[8] فليتبع[9] الولي بأخذ الدية بالمعروف، شاء القاتل أو أبى؛ احتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل اختصم إليه في قاتل أخيه، فقال: «أ تعفو عنه؟» قال: لا. قال: «أ تأخذ الدية؟» قال: لا. قال: «أ تقتله؟» قال: نعم.[10] عرض عليه الدية،

---

[1] ك ن م - به؛ ع: إليه.

[2] جميع النسخ: له.

[3] ن ع: أفرقا.

[4] *صحيح البخاري*، الديات ٣١؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٣٢؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٧٥-١٧٦.

[5] ك - فنسق قوله ذو عهد على المسلم فكان معناه لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد به فكل كافر لا يقتل به ذو عهد في عهده.

[6] ن ع م: فالذمي.

[7] ع: لم يقبل.

[8] أي إذا عفي عنه ... الخ.

[9] ن م: فيتبع.

[10] عن وائل بن حُجْر، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جيء برجلٍ قاتلٍ في عنقه النِسْعَة، قال: فدعا وليّ المقتول، فقال: «أ تعفو؟» قال: لا. قال: «أ فتأخذ الدية؟» قال: لا. قال: «أ فتقتل؟» قال:نعم. قال: «اذهب به»، فلما ولى، قال: «أ تعفو؟» قال: لا. قال: «أ فتأخذ الدية؟» قال: لا. «أ فتقتل؟» قال: نعم. قال: «اذهب به»، فلما كان في الرابعة، قال: «أما إنك إن عفوت عنه يبوء بإثمه وإثم صاحبه». قال: فعفا عنه. قال: فأنا رأيته يجر النسعة (*صحيح مسلم*، القسامة ٣٢؛ وسنن *أبي داود*، الديات ٣). قال ابن الأثير: النسعة -بالكسر- سير مضفور، يجعل زماما للبعير وغيره. وقد تُنْسَجُ عَريضة، تجعل على صدر البعير. والجمع: نُسْع، ونِسَع، وأنْساع (*النهاية* لابن الأثير، ٥/٤٨).

ولو كان غير حقه لم يعرض عليه. وقال في بعض الأخبار: «وليُّ القتيل بين خِيرتين: بين قتل، وأخذ دية».[1]

وأما عندنا فتأويل[2] قوله: **فمن عفي له من أخيه شيء**، ليس هو القاتَل، لأنه يكون معفوا عنه، ولأنه لا يتّبع أحدا، وهو المتَّبَع؛ بل هو الولي، لأنه هو المعفُوُّ له لا القاتل، حيث أُمر بالاتباع بالمعروف. كأنه قال: من بُذل له وأُعطي من أخيه شيء فاتباع بالمعروف.[3] وذلك[4] جائز في اللغة: العفو بمعنى البذل والإعطاء.[5] على ما قيل: خذ ما آتاك عفوا صفوا، أي فضلا. وكذلك روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: **فمن عفي له**، أي أُعطي له. والحق عندنا هو القود،[6] لا غير،[7] على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العمد قود إلا أن يعفى».[8] وقد روي في بعض الأخبار: «إلا أن تفادى».[9] والمفاداة هو فعل اثنين، فلا يأخذه إلا عن تراض واصطلاح منهما جميعا.

وفي الآية دلالة أن الحق هو القصاص لا غير، بقوله **كتب عليكم القصاص**. أخبر أن المكتوب عليه والمحكوم القصاصُ؛ فلو كان له الخيار من القصاص والعفو وأخذ الدية، شاء أو أبى، لكان لا يكون مكتوبا عليه القصاص، ويذهب فائدة قوله: **كتب عليكم القصاص**،

---

[1] صحيح *البخاري*، الديات ٨؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٣٢.

[2] جميع النسخ: تأويل.

[3] «وقال بعضهم: تأويل قوله: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ هو الولي دون القاتل، لأنه قال: ﴿فمن عفى﴾، فالقاتل المعفو عنه. فأما المعفو له فهو الولي، ولأنه قال: ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أي فليتبع. وهذا أمر داخل كلمة ﴿فمن﴾، والقاتل لا يتبع أحدا بل هو المتبع، وإنما الولي يتبع. فدل أن المراد من الداخل تحت كلمة ﴿فمن﴾ هو... من بذل له وأعطى من أخيه شيء بطريق الفضل والسهولة فاتباع بالمعروف» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤و).

[4] ع: وكذلك.

[5] يقال: عفا له بماله: أعطاه مما زاد على نفقته. وعفا الشيءُ: أي كثر، وعفوت الرجل: أي سألته (*لسان العرب*، «عفا»).

[6] القود: القصاص وقتل القاتل بدل القتيل (*لسان العرب*، «قود»).

[7] وعبارة *الشرح* هكذا: «قال الإمام أبو منصور: وهذا التأويل هو الصحيح عندنا، فالواجب هو القود بطريق التعين في قتل العمد ...» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤و).

[8] مصنف *ابن أبي شيبة*، ٤٣٦/٥؛ وسنن *الدارقطني*، ٩٤/٣؛ و*الدراية* لابن حجر، ٢٦٠/٢.

[9] ك: يفادى. ذكر الجصاص: أن الأوزاعي قد روى حديث أبي هريرة عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال فيه: «من قتل له قتيل، فهو بخير النظرين، إما أن يقتل، وإما أن يفادي». والمفاداة إنما تكون بين اثنين، كالمقاتلة والمضاربة والمشاتمة ونحو ذلك. فدل أن مراده في سائر الأخبار أخذ الدية. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١٩٢/١.

إنما كان يكون عليه أحدهما، كما لا يقال في الكفارة بأن المكتوب عليه العتق، بل أحد الثلاثة.[١] فلما قال: **كتب عليكم القصاص**، دل أن أخذ الدية كان كالخَلَف[٢] عنه. وما روي عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال لولي القتيل: «أ تعفو عنه؟» قال: لا. فقال: «أ تأخذ الدية؟» قال: لا.[٣] إنما عرض عليه الدية لما علم أن القاتل يرضى بذلك؛ على ما روي أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بُغْضَ زوجها. فقال لها: «أ تَرُدِّين عليه حديقته؟» قالت: نعم وزيادة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما[٤] الزيادة فلا».[٥] وإنما قال لها ذلك لما[٦] علم رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم أنه يرضى بطلاقها إذا ردت عليه حديقته، فعلى ذلك الأول. ولو كانت لفظة العفو تعبّر عن إلزام الدية ما أحوجه إلى ذكر الإشارة إلى العفو مرة، وإلى أخذ الدية ثانيا. فثبت أن[٨] ليس للذي يعفو أن يأخذ الدية بالعفو.

وقيل في قوله: **فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف**، أصلها[٩] أنها نزلت في دم بين نفر يعفو أحدهم عن القاتل، ويتبع الآخرون بالمعروف في نصيبهم، لأنه ذكر الشيء،[١٠] والشيء هو العفو عن بعض الحق، فألزم الاتباعَ للآخرين عند عفو البعض[١١] حقَّه. ثبت أن العفو لا يُلزم الدية. وروي عن عمر وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم

---

[١] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما كان لمومن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يَصَّدَّقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله كان الله عليما حكيما﴾ (سورة النساء، ٩٢/٤).

[٢] ن ع: كالخلف.

[٣] الحديث سبق تخريجه.

[٤] ع: إنما.

[٥] عن ابن عباس، قال: «جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شَمَّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إني ما أَعْتِب عليه في خُلُق و لا دِين، ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أ تردين عليه حديقته؟» قالت: نعم. فقال صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة» (*صحيح البخاري*، الطلاق ١٢؛ و*سنن ابن ماجة*، الطلاق ٢١-٢٣؛ و*سنن الترمذي*، الطلاق ١٠-١١).

[٦] ع – لما.

[٧] ك ن – رسول الله.

[٨] ك ن: أنه.

[٩] ن – أصلها.

[١٠] يريد قوله: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾.

[١١] جميع النسخ: بعض.

أنهم أوجبوا في عفو بعض[1] الأولياء للذين لم يعفوا الدية، على ترك السؤال عمن عفا:[2] إنك[3] عفوت بدية؟ ولو كان ثَمَّ حقٌّ ذكروه له.[4] فدل أن العفو لا يوجب الدية. *والله أعلم*.

ثم لا يخلو إما أن يكون حقه القصاص، ثم له تركه[5] بالدية، فهو إلزام [الدية] بدلَ حق / قتل آخر من غير رضاه، وذلك مما لم يعقل في شيء، أو كلاهما،[6] فهو أيضا كذلك؛ [ف]لا يكون لأحدهما[7] إلا باجتماعهما، أو أحدهما وهو مجهول، فالعفو عنه يبطل حقه، إذ العفو ترك. [٣٧و]

وقال:[8] إن في أخذ الدية إحياء النفس التي أمر الله بإحيائها، وفي الامتناع عن أداء الدية إليه والبذل له إذنٌ بالقتل.

ومن قول الجميع: إن أحدًا لو قال لآخر:[9] اقتلني، إنه لا يعمل إذنه.[10] فإذا كان معنى الامتناع عن أداء الدية هو إذنٌ بالقتل لم يؤذن له.

يقال له: أبعدت القياس والتشبيه، لأن فيما نحن فيه إذنًا[11] بالقتل، وظهر الأمر به، وفيما[12] ذكرت لم يظهر، حيث قال: **كتب عليكم القصاص**، فأنّى يشبَّه هذا بذلك ويقاس عليه؟ أو أن يقال: لو كان الأمر كما ذكرت لكان يجيء. أن يكون الصلح على كلِّ[13] ماله -وفيه تلف نفسه- أن ليس له منعه، ومن قول الجميع أن له المنع، وجائز وقوع الصلح على ما فيه تلف ماله. ثبت أن ما يقوله[14] وهم. وبعد، فإن الذي ذكرت تدبير الحق عليه أن يفعل،

---

[1] جميع النسخ: بعض عفو. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤و.

[2] ن ع م: عفي.

[3] ع م: عنك.

[4] ك – له. يقول السمرقندي: «وعن عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس أنهم أوجبوا في عفو بعض الأولياء للذين لم يعفوا نصيبهم من الدية، ولم يسألوا من عفا: أعفوت بدية أو بغير شيء؟ ولو كان له العفو بدية لما أبطلوا نصيبه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤و).

[5] ع: ترك.

[6] ن: وكلاهما. أي إلزام الدية لمن ترك القصاص وحق القصاص للآخر.

[7] ع م: أحدهما. أي لا يمكن لأحد وَلِيَّي المقتول حق القصاص أو الدية إلا باتفاقهما كليهما.

[8] أي صاحب هذا الرأي.

[9] ع: أن لو أحدا اقتلني.

[10] ع: أنه.

[11] جميع النسخ: إذن.

[12] م: فيما.

[13] ع م + شيء.

[14] ع م: يقوم له.

لا تدبير الإلزام، ولو كان ذلك لازما لكان يقتله ببذله نفسه، فيغرَّم فاعل ذلك، وهذا كما يُفْتَى الرجلَ بشراء ما به قوام نفسه عند الضرورة، لا أن يُلزَم[١] لو أبى ذلك. فمثله ديته، بمعنى أن في ذلك[٢] تلف نفسٍ تلك قيمته، فمثله الأول.

وما روي في التخيير بين أخذ الدية وما ذكر،[٣] فهو -والله أعلم- على بيان الحل والرخصة؛ على ما قيل: إن من حكم التوراة القتل، ولا يجوز لهم العفو ولا أخذ الدية؛ ومن حكم أهل الإنجيل العفو، لا يقتل بالقصاص، ولا تؤخذ الدية؛ فحَكَّم الله عز وجل على أهل القرآن أن جعل لهم القتل مرة، والعفو ثانيا، وأخذ الدية تارة. فدل أنه يخرج مخرج بيان الحل والرخصة إذا طابت به نفس من عليه ذلك، ببذله إذا طلب، ولا يوجب قطع الخيار من الآخر. ولهذا ما نقول في قوله: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ،[٤] وقولِه في التخيير في الكفارة، إن ذلك إلى من عليه، لا إلى من[٥] يأخذ؛ إذ الحق هاهنا من جانب واحد، فيجعل الخيار إلى من عليه. [و]إذا كان من كلاً[٦] الجانبين يعتبر رضاهما جميعا. *والله أعلم*.

وقوله: **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**، لما ذكر من إباحة العفو في حكم القرآن -و لم يكن في حكم غيره من الكتب- وأخذِ الدية، أو القتل، و لم يكن في حكم التوراة والإنجيل إلا واحد. ويحتمل أن كان في التوراة هذا أو هذا،[٧] كما قال: فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ.[٨] واحتمل أنه ذكر القود شرعا لنا [ولغيرنا]، وقوله: **فمن تصدق**، لنا خاصة.[٩]

---

[١] ع م: إلا أن يلزم.

[٢] ن: في ما ذلك.

[٣] الحديث تقدم تخريجه.

[٤] ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أُحْصِرتُم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسك﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٦).

[٥] ك: على من.

[٦] ك - كلا؛ ن ع: كلما.

[٧] أي يحتمل أن يكون في التوراة العفو والقتل مشروعين كليهما.

[٨] ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ (سورة المائدة، ٥/٤٥).

[٩] يقول علاءالدين السمرقندي: «فيه إباحة أخذ المال بطريق الصلح خلاف ما هو في حكم التوراة القتل لا غير، وفي الإنجيل العفو بغير بدل. ويحتمل أن كان في التوراة العفو مشروعا والقتل مشروعا عرفنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابنا بقوله: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ إلى قوله: ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾، أي من عفا. دل أن العفو كان مشروعا في التوراة. ويحتمل أن الأمر كما قيل: إن العفو فيها غير مشروع، ويكون قوله: ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ إخبارا أن القود شرع لنا ولغيرنا، وتم الإخبار إلى قوله: ﴿والجروحَ قصاص﴾؛ ويكون قوله: ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ بيان ابتداء شرع العفو في شريعتنا على الخصوص لا بناء عن الإخبار عن شريعتهم. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤و).

وقوله: **ورحمة**، فيه دلالة أن لا يُقطَع صاحب الكبيرة عن رحمة الله؛ لأنه أخبر أن التخفيف رحمة في الدنيا، فإذا لم يُؤْيِسْهم في الدنيا عن رحمته فلا يؤيسهم في الآخرة عنها.

وقوله: **فمن عفي له من أخيه شيء**، [فيه] دلالة أن لا يزول اسم الإيمان بارتكابه[1] الكبيرة [لأن القاتل سمى أخا] من غير أخوة نسب. دل أنه أخوة[2] الدين؛ لأنه سماه أخا، وذلك كقوله:[3] وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا،[4] أبقى لهم اسم الإيمان بعد البغي والقتل. دل أن ارتكاب الكبيرة لا يخرجهم[5] عن[6] الإيمان. وهذا يرد على المعتزلة قولهم، لأنهم يقولون: إن من ارتكب كبيرة أخرجته[7] من الإيمان. وما ذكر من التخليد في قتل العمد،[8] يخرج على وجهين. أحدهما لاستحلاله[9] قتله، أو بتعمد[10] دِينِه،[11] وإلا فيخرج الآيتان على التناقض في الظاهر لو لم يجعل على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله: **فمن اعتدى بعد ذلك [فله عذاب أليم]**. قيل: من اعتدى على القاتل بعد ما عفا[12] عنه، أو بعد ما أخذ الدية. وقيل:[13] **بعد ذلك**، أي من بعد النهي عن قتله. وقيل: إذا أرى من نفسه العفو ثم أخذ الدية ثم أراد قتله فهو الاعتداء.

ثم اختلف بعد هذا بوجهين. قال قوم: إذا فعل ذلك[14] يُترك القصاص فيه للعذاب المذكور في الآخرة. وقال غيرهم:[15] إذا اقتُصَّ [منه] ارتفع عنه العذاب الأليم، وإن لم يُقتصَّ[16] فلا.

---

[1] م: بارتكاب.

[2] ع م + في.

[3] جميع النسخ: وكذلك قوله.

[4] سورة الحجرات، ٩/٤٩.

[5] ك: لا تخرجهم؛ ن ع م: لا يخرجه.

[6] ن ع م: من.

[7] ن ع م: أخرجه.

[8] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ (سورة النساء، ٩٣/٤).

[9] ن ع م: لاستحلال.

[10] ن ع م: يتعمد.

[11] ن + أو يتعمد دينه.

[12] ن ع م: عفي.

[13] ك: وقتل.

[14] ن + أي من بعد النهي عن قتله وقيل إذا أرى من نفسه العفو ثم أخذ الدية ثم أراد قتله فهو الاعتداء ثم اختلف بعد هذا بوجهين قال قوم إذا فعل ذلك. أي إذا عفا عن القصاص أو صالح ثم قتل القاتل.

[15] ع م – وقال غيرهم.

[16] ك – يقتص.

وجائز عندنا أن يكون العذاب الأليم في الدنيا،[١] إذ[٢] لم يخل[٣] شيء[٤] من العذاب، إذ القتل هو الغاية من الألم والوجع. *والله أعلم.*

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٧٩]

وقوله: **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**، قيل فيه بوجهين، وإلا فظاهر القصاص لا يكون حياة. لكن قيل: من تفكر[٥] في نفسه قتلها إذا قُتل آخر ارتدع عن قتله فتحيا[٦] النفسان جميعا. والثاني من نظر فرأى آخر يُقتل بغيره امتنع عن قتل آخر،[٧] ففيه حياة[٨] للأنفس جميعا.[٩] ولهذا نقول بوجوب القصاص في الأنفس كلها، وإن اختلف أحوالها؛[١٠] إذ لو لم يجعل بين الأنفس على اختلاف الأحوال قصاص لم يكن في القصاص حياة. فأحق ما جعل[١١] فيه القصاص عند مختلف الأحوال، لما يغضب الشريف على الوضيع فيحمله غضبه على قتله، فجعل القصاص أو لما يستخف به. وأما الوارث فلما[١٢] يطمع [في] وصوله إلى مال[١٣] مورثه، فيحمله [ذلك] على قتله؛ فسبب القتل ليس ما يذكر،[١٤] لكنه شدة الغضب؛[١٥] وفي المواريث زيادة وهو ما يصل إلى ماله -وفي الكافر من استخفافه[١٦] بدينه[١٧] من المقتول- فطلب فيه المعنى الذي فيه الإحياء،

---

[١] أي القتل قصاصا.

[٢] ع م: إذا.

[٣] جميع النسخ: لم يخلو. ولم يخل: أي لم يبق.

[٤] ك ن + منه. ومنه: أي من العذاب.

[٥] ع م: من تفكره.

[٦] ك: فيحي.

[٧] ع م: كل.

[٨] ك: عن قتل نفسه حياته.

[٩] يقول السمرقندي رحمه الله: «والثاني أن قتل العمد يقصد [فيه] أولياء القتيل قتل القاتل طلبا لثأرهم، ويصير أولياء القاتل حربا عليهم ذبا عن صاحبهم طبعا وعادة، فتهيج الفتنة منهم وتقوم المحاربة، فإذا استوفى القصاص سكنت الفتنة، وفي سكونها إبقاء القبيلتين معا؛ إذ هي سبب التفاني» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤ظ).

[١٠] أي كالحر بالعبد، والمسلم بالذمي.

[١١] ك ع م: من يجعل؛ ن: أن يجعل. وما أثبتناه من *الشرح*، ورقة ٥٤ظ. وعبارة «عند مختلف الأحوال» خبر للمبتدإ.

[١٢] جميع النسخ: لما.

[١٣] ع م – مال.

[١٤] ن: ما نذكر.

[١٥] ك ن ع + إلى.

[١٦] ن: استحقاقه.

[١٧] ن ع: بذنبه.

وهو حرمان الميراث.[1] فعلى هذا التقدير يقتل المسلم بالكافر؛ لأن المسلم قد يستخف بالكافر في دار سِلْمه، فيحمله استخفافه[2] إياه على قتله، ففيه معنى يدعو إلى الفناء، فيجب أن يقتص من المسلم بالكافر لتحقيق معنى الحياة. وعلى هذا التقدير يقتل الحر بالعبد، لأن الحر يستخف بالعبد، فيدعوه استخفافه به على قتله، فهو يقتل به.[3]

[٣٧ظ] أو نقول: يقتل الولد / بالوالد؛ لما يستعجل الوصول إلى ملكه فيحمله على قتله، فلزم حفظ ما لأجله الحياة. ثم في الوالد شفقة ومحبة تمنع الوالد عن قتل ولده؛ لذلك انتفى[4] عنه القصاص. وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقاد والد بولده».[5] *وبالله التوفيق*.

{قال الشيخ رضي الله عنه:} الوالد يحب ولده لولده،[6] لأنه يرغب أن يكون له ولد.[7] وأما الولد فإنما يحب والده[8] لنفسه ومنافع له، فإذا كان [حب] الولد له لم يقتص منه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[١٨٠]

وقوله: **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين.** تكلموا فيه بأوجه. قيل: إنه منسوخ بما بيّن عز وجل في آية أخرى من حق[9] الميراث.[10] ومنهم من قال: لم ينسخ.[11] ثم قيل فيه بوجهين. قيل: إنه قد كان ذلك لأن الناس كانوا حديثي[12] عهد

---

[1] يقول علاءالدين السمرقندي: «ولهذا نقول: إن الوارث يحرم عن الميراث لأن الطمع في الوصول إلى مال مورثه موهوم فيحمله ذلك على قتله لو لم يحرم عن ميراثه فصار الحرمان عن الإرث إحياء في الأقارب» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٤ظ).

[2] ن: استحقاقه.

[3] ع م – به.

[4] ع م: انتهى.

[5] ع: عن ولده. *سنن الترمذي*، الديات ٩؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٧٨؛ و*أحكام القرآن* لابن العربي، ١/٦٥؛ وتفسير القرطبي، ٢/٢٥٠-٢٥١.

[6] ع م – لولده.

[7] ن: ولده.

[8] ن م + له.

[9] ع: في حق.

[10] *تفسير الطبري*، ٢/١١٧؛ و*تفسير ابن أبي حاتم*، ١/٢٩٩-٣٠٠؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢١٢.

[11] ك: لم تنسخ.

[12] جميع النسخ: حديث.

في الإسلام، يسلم الرجل ولا يسلم أبواه، فقوله: **كتب** إنما وقع على من كان لا يرث. ومنهم من يقول بأنها كانت للوارث ولم تنسخ،[1] وإنما يقع الأمر في غير من يرث ممن ذكر.[2] لكن في ذلك ذكر **كتب**، وذلك إيجاب. ولا يحتمل أن يفرض عليهم صلتهم[3] مع التحذير عن اتخاذهم أولياء، بقوله: لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ؛[4] وقوله:[5] لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ،[6] الآية. وفي إلزام الفرضية من حيث المعروف إبقاء الموالاة وإلزام المحبة، وقد حذر وجود ذلك. فثبت أن الآية فيمن يتوارثون اليوم، لكنها نسخت. ***والله أعلم.***

ومنهم من يقول: لا، ولكنه وقع على من كان يرث وعلى من كان لا يرث، بقوله: **كتب عليكم**، فهو كان مكتوبا عليهم مفروضا في حق الوصاية.

ثم من رأى نسخه استدل بقوله: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ،[7] ذكر فيه الوصاية على بيان كل ذي حق حقه، فليس الذي أوصى الله يمنع وصايته التي[8] كتب عليهم.[9] لكن في الآية دليل أنه[10] لم ينسخ بهذا لوجهين.[11] أحدهما قوله: يُوصِيكُمُ اللهُ، فهو وصية ذكره كذكر الوصاية في الأول؛

---

[1] جميع النسخ: و لم ينسخ؛ ن + إلى.

[2] يقول الشارح السمرقندي رحمه الله: «قيل: إن الآية غير منسوخة، لأن الآية نزلت بالوصية في حق من ليس بأهل لاستحقاق الميراث بسبب الكفر، لأنهم حديث عهد في الإسلام، يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرابته، والإسلام قطع الإرث. فشرع الوصية لقضاء حق القرابة من طريق الاستحباب. ولفظة "كتب" لم يُرد بها فرض بل أريد حقيقة الكتابة أو الحكم. وعلى هذا الوجه هذا الحكم غير منسوخ حتى يجوز الوصية لهم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤ظ).

[3] ك: صلاتهم.

[4] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة التوبة، ٩/٢٣).

[5] ك ع م: قوله.

[6] ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٢٢).

[7] سورة النساء، ٤/١١.

[8] ك: الذي.

[9] يقول السمرقندي: «وقيل: الآية نزلت في الوصية للوالدين والأقربين بين المسلمين، وكان في ابتداء الإسلام الوصية فرضا في حق هؤلاء وكان التقدير إلى الموصِي ثم صارت منسوخة بقوله: ﴿يوصكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، ذكر فيه الوصاية وبين مقدار حق كل ذي حق بنفسه وفي الوصية الأولى كان التقدير إلى الموصي. وبعد بيان التقدير من الله تعالى لا يملك الموصي تقدير زيادة ولا نقصان على ما قدر الله تعالى. فلا يمكن الجمع بين الأمرين، فنسخت الأولى بالثانية» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٤ظ-٥٥و).

[10] ع م - أنه.

[11] ن: بهذين؛ ع م: بهذه.

ففيه جعل حق كالحق[1] المجعول لهم، إذ[2] لم يَذكر ذلك الوصية مع الميراث ثم نفاه. والوجه الآخر أنه قال: مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ،[3] فجعل حكم الإرث على ذكر الوصية، والإرث بعد الوصية، فبان أن لها حكم البقاء.[4]

ثم قيل فيه[5] بوجهين. قال قائلون: قوله: يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ، لم يكن ميراثا له[6] ولا هو من أهل الميراث، فحدوث الإرث لا يمنع حق القطع عنه بالمكتوب الأول.

ومنهم من جعل ذلك فيمن كان وارثا، فورود البيان من بعد يقطع عنه المكتوب له.

ثم من الناس من ادعى نسخ هذا بقوله: لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ [وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ] مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا،[7] ولو جعل الوصية له مع[8] ما جعل الله لهم فيه من النصيب لَخُصّ[9] به الكثير دون القليل. فثبت أن ذلك الكتاب رفع عنهم بما[10] جعل لهم الحق في الذي قل أو كثر.

ثم الوجه فيه عندنا[11] أنه إن لم يكن نسخ بهذه الآيات على ما قاله بعض الناس فهو منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».[12]

---

[1] م – الحق.

[2] ع م: إذا.

[3] سورة النساء، ٤/١٢.

[4] يقول السمرقندي: «أحدهما أن في الآية الأولى أن الله تعالى فرض على الموصي الوصية للوالدين والأقربين، وفي الآية الثانية بيان أنه تعالى أوصى لهم من غير أن نفى الوصية من الموصي، ولا نهاهم عنها. فيجب أن يجمع بينهما بقدر الإمكان، حتى لا ينسخ الحكم الثابت بالكتاب من غير ضرورة؛ لأن ما لا تنصيص من الله تعالى في نسخه من نفي أو نهي فإنما يحكم بنسخه لضرورة التناقض بين الحكمين. وهاهنا إن لم يمكن الجمع بين الوصيتين في جميع المال أمكن الجمع بينهما بأن تصرف الأولى إلى ثلث المال، والثانية إلى الباقي كما في الأجانب، أن الوصية بقيت مشروعة في حقهم بعد شرع المواريث في الأقارب بالطريق الذي قلنا. والوجه الثاني أن الله تعالى قال: ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾ جعل الإرث بعد الوصية مطلقة من غير فصل بين الأجانب والأقارب، فدل أنه يمكن تخريج الآيتين على التوافق، فلا يجب التخريج على التناسخ» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٥و).

[5] أي في عدم صحة دعوى النسخ.

[6] ع م – له.

[7] سورة النساء، ٤/٧.

[8] ع م – مع.

[9] جميع النسخ: خص.

[10] ع م: مما.

[11] جميع النسخ + فهو.

[12] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤/١٨٦؛ و*سنن الدارمي*، الوصايا ٣٨؛ و*سنن ابن ماجة*، الوصايا ٥؛ و*سنن الترمذي*، الوصايا ٥.

فبين أنه قد كان أعطى ذا حق حقه، على رفع ما كانت لهم من الوصاية فيه.

ثم اختلفوا في الخبر الذي روي: «إن الله تبارك وتعالى قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث». قال قائلون: لا يجوز ورود النسخ[١] على الآية، إذ السنة لا تَرِد على نسخ الكتاب. وقال آخرون: لا،[٢] ولكنه من أخبار الآحاد. وأخبار الآحاد[٣] على قولكم لا ترد على نسخ خبر مثله، فكيف على كتاب رب العالمين؟

فأما الأول في أن السنة لا تعمل في نسخ الكتاب، فقد سبق القول فيه.[٤] إن الذي حملهم على هذا هو جهلهم بموقع النسخ، وإلا لو علموه ما أنكروه. وهو ما قلنا: إن النسخ بيان منتهى الحكم إلى الوقت المجعول[٥] له. فأما[٦] من قال بأنه من أخبار الآحاد، فإن الأصل في هذا أن يقال: إنه من حيث الرواية من الآحاد، ومن حيث علم العمل به متواتر.[٧] ومن أصلنا أن المتواتر بالعمل هو أرفع خبر يعمل [به]، إذ المتواتر المتعارف قَرْنًا بقرنٍ مما عمل الناس به لم يعملوا به[٨] إلا لظهوره، وظهوره يغني الناس عن روايته لما علموا خلوه عن الخفاء. ولهذا نقول[٩] في الخبر الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه نهى عن كل ذي ناب من السباع،[١٠] فنرد[١١] به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [نعم] إنه من أخبار الآحاد هو من حيث الرواية من الآحاد، ولكنه من حيث تواتَرَ الناسُ العملَ به

---

[١] ك: السمح.

[٢] أي لا تمنع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة.

[٣] ع ن – وأخبار الآحاد.

[٤] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٠٦/٢.

[٥] ع م: المجعولة.

[٦] ك ن: وأما.

[٧] «يشير بهذا إلى أن المتواتر ضربان: أحدهما المتواتر من حيث الرواية. والثاني التواتر من حيث ظهور العمل به قرنا فقرنا من غير ظهور المنع والنكير عليهم في العمل. وقد وجد هنا التواتر من حيث الفعل» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٥و).

[٨] ع – لم يعملوا به.

[٩] جميع النسخ: يقول.

[١٠] عن ابن عباس، قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٤٧/١، ٢٤٤، ٢٨٩؛ وصحيح *البخاري*، الذبائح ٢٨، ٢٩؛ وصحيح *مسلم*، الصيد ١١–١٢؛ وانظر: شرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١٩٠/٤؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ١٩٢/٤).

[١١] ع م: فترد.

صار بحيث يوجب علمُه[1] العملَ؛ لما لم يجز[2] أن تجتمع[3] الأمة على شيء علم كلهم[4] من كتاب أو سنة غير ما ورد؛ فيكونوا قد اجتمعوا على تضييع كتاب أو سنة؛ فكذا هذا، لا يجوز أن يجتمع الناس على ترك الوصية للوارث وثَمَّ[5] كتاب نسخه، أو سنة أخرى يلزم العمل به، فلهذا قضينا[6] بنسخه،[7] *والله أعلم*.

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٨١]

وقوله: **فمن بدله بعد ما سمعه**، قيل فيه بوجهين: فمن بدل هذه[8] الوصية[9] المكتوبة للوالدين، إن كان هذا أراد،[10] بقوله: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[11] الآية، فإنما إثمه عليه. ويحتمل: من بدل الوصية **بعد ما سمعه** من الموصِي، **فإنما إثمه على الذين يبدلونه**.[12]

ثم[13] يحتمل بعد هذا وجهين. يحتمل أنه أراد تبديل[14] الوصي بعد موت الموصي. ويحتمل تبديل من حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيره.[15]

---

[1] جميع النسخ: علم.
[2] ن ع م: فما لم يجز.
[3] ن ع م: يجتمع.
[4] جميع النسخ: علموا كله.
[5] ع م: ثم.
[6] ع: قضيتنا.
[7] ع: ينسخه.
[8] ع: هذا.
[9] جميع النسخ: الوصاية. وما أثبتناه يناسب ما جاءت به الآية ويتفق مع عبارة السمرقندي. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و.
[10] أي إن كان الموصي قد أوصى بعد ما نزلت الآية وسمعها، ولم يعتقد العمل بها فبدلها انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و.
[11] الآية السابقة.
[12] ك ن: الذي بدله.
[13] ك - ثم.
[14] ن: بتبديل.
[15] ع - يحتمل أنه أراد تبديل الوصي بعد موت الموصي ويحتمل تبديل من حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيره. يقول علاءالدين السمرقندي: «ويحتمل من بدل الوصية بعد ما سمع من الموصي وغيره بزيادة أو نقصان بطريق الظلم والعدوان. ويحتمل التبديل ممن حضر وقت وصية الموصي من الشهود فلم يشهدوا على حسب ما سمعوا منه بل بدلوه إلى زيادة أو نقصان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و).

وقوله: **إن الله سميع عليم**، أي سميع لمقالته ووصايته، وعليم بجوره وظلمه؛ أو عليم بتبديله. ***والله أعلم***.[١]

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٨٢]

وقوله:[٢] **فمن خاف من موص جنفا أو إثما [فأصلح بينهم فلا إثم عليه]**، قيل فيه بوجهين:[٣] **فمن خاف**،[٤] أي علم من الموصي ظلما وجورا على الورثة بالزيادة على الثلث **فلا إثم عليه** في تبديله ومنعه ورده إلى الثلث وقت وصاية الموصي. ويحتمل **فمن خاف**، أي علم[٥] من الموصي خطأ وجورا -بعد وفاته- بالوصية، **فلا إثم عليه** في تبديله ورده إلى ما يجوز من ذلك ويصح. وهو الواجب على الأوصياء[٦] أن يعملوا بما يجوز في الحكم، وإن كان[٧] الموصي أوصى بخلاف ما يجيزه الحكم ويوجبه.

{قال الشيخ رحمه الله:} وكان صرف الخوف إلى العلم أولى، إذ هو تبديل / الوصية، [٣٨و] وقد نهى عنه[٨] وأذن به للجور؛ فإذا لم يعلم فهو تبديل بلا عذر. وقد يحق[٩] للخوف حق العلم إذا غلب الوجه فيه،[١٠] كما أذن للإكراه إظهار الكفر. وذلك في حقيقته خوف عما في التحقيق على العلم بغلبة[١١] وجه الوفاء في ذلك.[١٢]

وقوله: **فأصلح بينهم**، يعني بين الورثة بعد موت الموصي، وردَّ ما زاد على الثلث بين الورثة على قدر أنصبائهم.

---

[١] م – وقوله إن الله سميع عليم أي سميع لمقالته ووصايته وعليم بجوره وظلمه أو عليم بتبديله والله أعلم. وقد جاء التأويل الذي ما بين النجمتين متأخرا عن مكانه في نسخة ك ن قبل تأويل: ﴿فأصلح بينهم﴾.

[٢] ع – وقوله.

[٣] ع – قوله فمن خاف من موص جنفا أو إثما قيل فيه بوجهين.

[٤] ك: خافه.

[٥] ع: أو علم.

[٦] ع: الأوصيائه.

[٧] ن + وإن كان.

[٨] ن + أذن.

[٩] ع م: يخف.

[١٠] الخوف: الفزع. والخوف: العلم، وبه فسّر اللحياني قوله تعالى: ﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما﴾ (*لسان العرب*، «خاف»).

[١١] ك: فعليه.

[١٢] بعد ذلك جاء تأويل قوله تعالى: ﴿إن الله سميع عليم﴾ في نسخة ك ن ع، وقد أشرنا إليه في موضعه.

وقوله: **إن الله غفور رحيم**، لجور الموصي وظلمه، إذا بدل الوصي ذلك ورده إلى الحق. ويحتمل: **غفور رحيم** لمن رد على الموصي جنفه وميله في حال وصايته. ***والله أعلم***.

والأصل في أمر الوصاية للوارث أن آيات المواريث لم تكن نزلت[1] في أول ما [كانت] بهم حاجة إلى معرفة ذلك، فيجوز أن يكون في الابتداء كانت الوصايا بالحق الذي اليوم هو ميراث. يبين ذلك ما روي عن رسول الله[2] صلى الله عليه وسلم في ابنتي سعد [الذي] قتل بأُحد. وقد كان استولى عمهما على ميراثه فسألت أمهما[3] عن ذلك فقال: «لم ينزل في ذلك شيء»،[4] ثم دعاهم وأعطاهم ما بين الله في كتابه في قوله: يُوصِيكُمُ اللهُ، الآية.[5] وكذلك كان للنساء[6] [نفقة] الحول في تركة الأزواج وصية لهن.[7] فعلى ذلك كان الأمر بالوصية، فقال الله[8] عز وجل: يُوصِيكُمُ اللهُ، كالمبيّن لما كان[9] قد أوجب التبيين على الميت؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قد[10] أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث».[11]

ومما يبين ذلك أنه معلوم أن تكون الوصية للوارث ليست تثبت فيما هي له؛ لأنه اليوم، فيكون حصول الوصية له[12] بنصيب[13] بعض الورثة.[14] وعلى ذلك الوجه لا يجوز وصية الميت لأحد،

---

[1] ن: لم نزلت.
[2] ع: أن رسول الله.
[3] ن ع م: أيهما.
[4] ع م: لم ينزل في شيء.
[5] سورة النساء، ٤/١١. سنن ابن ماجة، الفرائض ١٦؛ وسنن أبي داود، الرضاع ١١؛ تفسير ابن كثير، ١/٤٥٧.
[6] م: النساء.
[7] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٤٠).
[8] ك ن – الله.
[9] ك م: بما كان.
[10] م – قد.
[11] الحديث تقدم تخريجه.
[12] ن ع م – له.
[13] ك: بنصب.
[14] يقول الشارح: «... فنزل قوله ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ كالمبين لما كان واجبا على الميت من التقدير. وكان قوله عليه السلام: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»، أي لما تولى الله تعالى بيانه بنفسه في حق الورثة فلا يصح تقدير بعد ذلك من الموصي لمورث بزيادة أو نقصان» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٥و).

فكذلك للورثة. وهذا يبين أنها كانت في وقت لم يبين الميراث، فلا تكون[1] الوصية لمن تثبت له وصية بنصيب[2] غيره في التحقيق. فكان يجوز، ثم بطل ببيان السنة، إذ ليس في متلو القرآن حقيقة ذلك. وإنما يكون ذلك بحق الانتزاع منه[3] والنسخ، ومعناه بالانتزاع أبعد عن الاحتمال منه بالسنة. **ولا قوة إلا بالله**.

ثم حق التواتر عندنا يقع بظهور العمل بالشيء على غير ظهور المنع منهم، والنكير[4] عليهم في الفعل.[5] وفي هذا وجود ذلك من طريق الفعل. ثم القول أيضا من الأئمة بالفتوى[6] به بلا تنازع ظهر فيهم. مع ما قد ذكر الله في المواريث: غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ،[7] وتخصيص الورثة قصد مضارة بغيره، واستعمال الرأي فيما قد تولى قسمه على غير[8] الذي قسم. **والله أعلم**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١٨٣]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام**، هؤلاء الآيات فيهن فرضيته[9] بقوله: **كُتب**. وأيد ذلك الإبدالُ فيها [عند] الإفطار لعذر والأمر[10] بالقضاء. وذلك ليس بشرط الآداب،[11] مع الامتنان علينا بقوله عز وجل: يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ،[12] أي يريد بكم الإذن لكم في الفطر للعذر. ولو كان غير فرض بدؤه لم يكن للفطر[13] للعذر بموضع الرخصة

[1] ن ع م: يكون.
[2] ع: بنصب.
[3] ن – منه.
[4] ن ع م: والتكثير.
[5] م: العقل.
[6] ع: والفتوى.
[7] سورة النساء، ١٢/٤.
[8] ع: الغير.
[9] م: فرضية.
[10] ع: وإلا.
[11] ع: الأدب.
[12] ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ (سورة البقرة، ١٨٥/٢).
[13] جميع النسخ: الفطر.

-مع شرطه إكمالَ العدة في القضاء- معنىً. وفي ذلك لزوم حفظ[1] المتروك لئلا يدخل التقصير في القضاء، وعلى ذلك إجماع الأمة.

ثم بين عز وجل أنه لم تكن[2] هذه الأمة بمخصوصة في الصيام، بل هي أحق من فيهم استعمل العفو والصفح بما خصهم، بأن جعلهم خير أمة أخرجت للناس،[3] وأخبر أنه لم يُجْعل عليهم في الدين حرج،[4] ولا ألزمهم العبادات الشاقة، فضلا منه عليهم، وتخصيصا لهم؛ إذ جعلهم شهداء على الناس[5] فقال عز وجل: **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم.** لكن **كما**[6] يحتمل وجهين. يحتمل العَدَد[7] الذي كتب عليهم. ويحتمل الفرضية في الجملة، لا عين ما فرض عليهم من حيث الإشارة إلى ذلك. ولذلك[8] اختلف في الكاف في قوله **كما**، إنها زائدة أو حقيقة.[9]

ثم اختلف في ماهية[10] ذلك الصيام. فمن الصحابة[11] رضوان الله عليهم أجمعين من جعله صوم[12] عاشوراء، وأيام البِيض، ثم استعملوا نسخ ذلك بصيام الشهر. وقد روي مرفوعا: «إن صوم شهر رمضان نسخ كل صيام كان».[13] وروي[14] عن جماعة في أمر صوم عاشوراء:

---

[1] ع: الحفظ.

[2] ن ع م: لم يكن.

[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ (سورة آل عمران، ٣/١١٠).

[4] يقول الله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج، ٢٢/٧٨).

[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ٢/١٤٣)؛ وانظر: سورة الحج، ٢٢/٧٨.

[6] ع م - كما.

[7] ن ع م: العذر.

[8] ع: وذلك.

[9] ع م: وحقيقة.

[10] جميع النسخ: مائية.

[11] ع: من الصحابة.

[12] ك: يوم.

[13] روي عن ابن عباس ومعاذ وابن مسعود وعطاء وقتادة والضحاك ابن مزاحم قالوا: إن الصيام كان أولا كما كان عليه الأمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام؛ وزاد مزاحم: لم يزل هذا مشروعا من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان. انظر: *تفسير الطبري*، ٣/٤١٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٣١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١/١٧٧؛ وانظر أيضا: *أحكام القرآن* للجصاص، ١/١٧٤.

[14] ن: روي.

إنا كانا نصومه حتى نزل صوم الشهر فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا به ولا ينهانا.[١] وأصل هذا أنه كان يصام لو كان ابتداء الآية عليه بحق الفرض، فأبدل ذلك بصوم الشهر، فارتفع عنه الفرضية، على ما إذا كان يخرج منه بالفداء لم يكن معه فرضية القضاء، وبقي الفضل فيه؛ إذ النسخ لم يكن من حيث نفس الصوم، إذ مثله من النسخ يكون[٢] بغير الصوم لا بالصوم.[٣] فثبت أنه في نسخ الفرضية، فبقي فيه حق الأدب والفضل. وتبين[٤] النسخ[٥] وأن ذلك غير صوم الشهر المذكور[٦] في صوم الشهر. بقوله: فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا، الآية، إذ ذلك كان غير موضع الشهر؛[٧] ولو كان الكل واحدًا لكان الذكر في موضع منه كافيا عن الإعادة، فثبت أنه على تناسخ الصيام. وقد روى معاذ رضي الله عنه أنه قال: أُحِيلَ الصِّيامُ ثلاثةَ أحوال. وبين الخبر على وجهه في ذلك.[٨]

ويحتمل أن يكون المراد منه صوم الشهر، ويكون تكرار الذكر في الرخصة لمكان دفع[٩] الفداء، أو لمكان[١٠] ذكر حق الامتنان بالتيسير، أو التحريض على حفظ العدد.[١١] ***والله الموفق.***

وأي ذلك كان، فليس بنا حاجة إلى معرفة حقيقة ذلك؛ لأن كيفية الابتداء لم تُكلَّف،[١٢] وإنما كلفنا ما أبقي فرضه، وهو صيام الشهر الذي لم يختلف في ذلك.

ثم قد خاطب جل ثناؤه بالصيام من قد آمن بقوله: **يا أيها الذين آمنوا**، فكان فيما خاطب وجهان.

---

[١] *مسند أحمد بن حنبل*، ٤٢٤/١؛ و*صحيح البخاري*، الحج ٤٧، والصوم ١؛ و*صحيح مسلم*، الصيام ١١٣-١١٤.

[٢] ك: بكون.

[٣] ك ن: لا بصوم؛ ع: ولا بصوم؛ م: ولا يصوم. «وإنما كلفنا ما استقر الشرع عليه، وهو صيام شهر رمضان الذي لم يختلف فيه. ثم الصيام أيام البيض ويوم عاشوراء مشروع أيضا؛ لأنه لو كان يصام ذلك في الابتداء لحقِّ الفرض، وأبدل بصوم شهر رمضان لارتفع عنه الفرضية، وبقي الأصل، لأنه نقل إلى جنس الصوم، ولو كان المراد هو انتساخ أصل الصوم لأبدل عنه بغير الصوم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٥ظ).

[٤] ك: وبين.

[٥] ع + الصوم أن مثله؛ م: الصوم إذ مثله.

[٦] جميع النسخ: الذكر.

[٧] ن ع م - إذ ذلك كان غير موضع الشهر.

[٨] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣٦/٥-٢٣٧؛ و*سنن أبي داود*، الصلاة ٢٨؛ و*المستدرك للحاكم*، ٢٧٤/٢؛ و*تفسير الطبري*، ٤١٤/٣؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١٧٣/١-١٧٧.

[٩] ن ع م: رفع.

[١٠] ك: ولمكان.

[١١] ك: العباد.

[١٢] م: لم نكلف.

أحدهما أنه خاطب[1] المؤمنين، فعرف المخاطبون أن الاسم يأخذهم؛[2] إذ لم يذكر عن أحد أنه ظن خروجه من حكم الآية[3] من حيث لم يكن وفاء / بما به يستحق الاسم، وكذلك سائر عبادات الأفعال.[4] وهذا من أوضح ما يجب به العلم أن الإيمان ليس باسم[5] لجميع القُرَب، بل تحقيقه يصيِّر أفعال القرب قربا.[6] وفيه -إذ لم يقل: يا أيها الذين قلتم[7] نحن مؤمنون إن شاء الله[8]- دلالة ظاهرة على هجر هذا القول، وأنه من تلقين الشيطان ليبطل عليهم عقدهم،[9] كما يبطل كلَّ عقد يستعمله فيه صاحبه؛[10] مما أراد إلزامه العقد.[11] *والله أعلم*. [٣٨ظ]

والثاني: أن الله خص بالعبادات المؤمنين،[12] وأنهن[13] لا يُلزَمن غيرهم، وإنما يلزم غيرهم[14] فيها الاعتقاد، لا الأفعال التي هي تقوم بالاعتقاد، وليس الاعتقاد[15] بواجب لمكان تلك الأفعال[16] حتى يكون كالأسباب التي توجب بإيجاب أفعال بها تقوم، بل له أوجب غيره.[17]

---

[1] ع م + من.

[2] ك: يذكرهم.

[3] ع م - الآية.

[4] يقول السمرقندي: «لما خاطبهم بالصوم باسم الإيمان دخل تحت هذا الخطاب كل من وجد منه التصديق والإقرار بوحدانية الله تعالى سواء ابتلي بكبيرة أم لا. وفهم الناس كلهم أن من تناوله اسم الإيمان يدخل تحته. ولم يذكر عن أحد أنه ظن خروج صاحب الكبيرة عن الآية، حتى اتفقوا على ثبوت حكم الآية على العموم، باشرَ الكبيرة أم لا، وكذلك سائر العبادات الواجبة على المؤمنين» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦و).

[5] ع - باسم.

[6] ع: قرنا.

[7] م: قتلتم. الخطاب موجه هنا للمعتزلة.

[8] ن ع م - إن شاء الله؛ ن ع م + به صلى الله عليه وسلم.

[9] أي عقد الإيمان.

[10] أي كما يبطل كل عقد يباشره صاحبه، إذا استعمل فيه الاستثناء من البيع والنكاح والطلاق ونحو ذلك. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦و.

[11] ك: العقوبة؛ ن + به.

[12] أي خص المؤمنين بالخطاب بسائر العبادات.

[13] ن: فإنهن.

[14] ع م - وإنما يلزم غيرهم.

[15] م - وليس الاعتقاد.

[16] ع + التي.

[17] يقول الشارح رحمه الله: «إن العبادات لا صحة لها دون الإيمان. فلا يخلو إما أن يقال بأن الكفار كلفوا بأدائها بشرط تقدم الإيمان، فيرد بأن فيه جعل الإيمان سببا إلى إيجاب العبادات، فيكون الإيمان بمنزلة الطهارة عن الحدث [التي هي] شرط وجوب الصلاة. وفيه جعل الإيمان تابعا لغيره، والإيمان هو الأصل في الباب، حتى لا يتحقق -

ألا ترى أنه لا يجوز أن يرتفع ذلك[١] عن الخلائق بحال من الأحوال في الدنيا والآخرة، مع ارتفاع غير ذلك من العبادات. ثبت أن الأمر بذلك بحيث نفسه لا لغيره، ثم لا قيام لغيره مع عدمه. ثبت أن [الإيمان هو] المعنى الذي به يصير المرء أهلا لاحتمال فعل العبادات؛ لذلك لا يجوز الأمر بشيء منها دون ذلك.

وله وجهان يحيلان[٢] الأمر أيضا. أحدهما العقل؛ إنه من البعيد أن يكون من لم يقبل[٣] العبودة ولا أقر بالرسالة يُؤمر[٤] بالعبادة وباتباع الرسول بحق الرسالة، بل يقول: ألزِمونا الأول حتى يكون الثاني. وهو كما أحال[٥] الناس المناظرة في [إثبات] الرسل مع منكري الصانع والمرسِل،[٦] فمثله الأول؛ بل يجب كل قربة[٧] به، إذ لا يكون إلا به.[٨] ***والله أعلم***. والثاني: القول بأن من أسلم بعد أوقات العبادات لا يلزمه القضاء.[٩]

ثم لذلك[١٠] وجهان من المعتبر. أحدهما أنهم إذا لم يدخلوا في خطاب القضاء بما ليس معهم في الحال ما يحتمل معه القضاء،[١١] فكذلك خطاب الابتداء، إذ هو الذي به لزم القضاء في الإسلام.[١٢] ***والله أعلم***.

= سائر العبادات بدونه، به يكون قربة وطاعة، ولذلك كانت العبادات توابع الإيمان. ولذلك لا يجوز أن يرتفع الإيمان عن الخلائق بحال من أحوال الدنيا والآخرة مع ارتفاع غيره من العبادات، فكان هو عبادة بنفسه لا بغيره، ولا قوام لغيره مع عدمه. فكان القول بإيجاب سائر العبادات بناء على تقديم وجوبه بمنزلة وجوب الصلاة على تقديم وجوب الوضوء. فكان إلحاقا له بالتوابع، وهذا تغيير وضع الشرع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦و).

[١] أي الإيمان.

[٢] ك: تخيلان.

[٣] ع: لم يقل.

[٤] ك ع: تؤمر.

[٥] ع م: حال.

[٦] ن: والرسل.

[٧] ن: قربة.

[٨] أي إذ لا يتحقق أي قربة إلا بالإيمان بالله تعالى.

[٩] «لأن القضاء يعتمد وجوبه على احتمال أداء الأصل ليكون بدلا عنه. وههنا بعدم الإسلام يسقط وجوب الأصل عندكم، فامتنع دخولهم في خطاب القضاء، فكذلك يمتنع دخولهم في خطاب الأداء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦ظ).

[١٠] أي لذلك الوجه الثاني.

[١١] ن – ثم لذلك وجهان من المعتبر أحدهما أنهم إذا لم يدخلوا في خطاب القضاء بما ليس معهم في الحال ما يحتمل معه القضاء.

[١٢] ن – في الإسلام.

والثاني أنه لا يلزم القضاء بعد الإسلام، ولا يجوز الابتداء في حاله. فكان ذا تكليفا[1] [بما] لم يجعل الله للمكلف وجه القيام [به]، وقد تبرأ الله عن هذا الوجه من التكليف بقوله عز وجل: لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا؛[2] مع ما بين الله تعالى بقوله: وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ،[3] أن[4] ما للكافر للتمتع[5] في الدنيا، لا للعبادات في ذلك.[6] *والله الموفق.*

فثبت بالآية التي ذكرنا، دخول جميع المؤمنين في الخطاب، إذ بيّن الرخصة لذي[7] العذر في الإفطار على وجوب القضاء. فإذا لم يحتمل خروج من له العذر في الفطر عن أن يتضمنه الخطاب بوجه إلزام[8] القضاء ثبت أن من لا عذر له داخل فيه، ولا يسعه الفطر.

وعلى هذا جاء فيمن[9] ابتلى[10] بالجماع نهارا أنه صلى الله عليه وسلم أكد عليه الأمر، وألزمه الكفارة على غير سؤال عن أحوال سوى ما علم من حاله أنه ليس بمريض ولا مسافر.[11] فكان في ذلك دليل تأكيد الفرض، وفي ذلك إيجاب الكفارة لتعديه[12] على الصيام على حال لا يحتمل الإرخاص؛ إذ قد كان مثل[13] تلك البلية في الليالي، فلم يؤمروا[14] بها من حيث كانوا يملكون إبقاء الرخصة لأنفسهم لولا النوم. وفي ذلك أن فرض الصيام يعم المؤمنين.

ثم قال الله[15] عز وجل: فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ.[16] والشهر اسم للكل،

---

[1] جميع النسخ: تكليف.
[2] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.
[3] سورة البقرة، ٢/١٢٦.
[4] ك – أن.
[5] ن: المتمتع؛ م: التمتع.
[6] ن – في ذلك.
[7] م: الذي.
[8] جميع النسخ: وجه ألزم.
[9] ك ن ع: ممن؛ م: من.
[10] ع: ابتلا.
[11] *الموطا* لمالك، الصيام ٢٨–٢٩؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٦/١٤٠؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٣٠–٣١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٨١، ٨٧.
[12] ع م: ليعديه.
[13] ع م – مثل.
[14] ع م: يأمروا.
[15] ك ن – الله.
[16] سورة البقرة، ٢/١٨٥.

ولو كان المراد راجعًا إليه لكان الصيام في غيره، لأنه عند هجوم غيره يتم شهوده.[1] ثم يتناقض، لأنه قال: فَلْيَصُمْهُ، ومحال أن يصوم في غيره ابتداء؛ فرجع[2] التأويل إلى أن من شهد منكم شيئًا من الشهر[3] فليصمه،[4] فمن اعترضه[5] الجنون فيه فهو ممن قد تضمنه الخطاب. ويجوز في حالة الفرض أيضًا؛ إذ لو شهد ليلة الصيام بعقله[6] فعزم على الصيام يجوز له فرضه، فدخل في حق الخطاب. ثم اعترضه في سائر الليالي عذرُ منع النية، لا عذر منع الصيام، فيقضيه؛[7] إذ هو أهل لحكم[8] الآية التي ذكرنا، وللقيام بذلك الفرض على ما وصفنا، ففاته بفوت النية، كمن كان [له] فوت لعذر المرض والسفر والحيض ونحو ذلك، بعد أن علم أنه ممن تضمنه الآية، فعليه قضاؤه.[9] وعلى ذلك [نقول] في الصبي والكافر: لم يدخلا في معنى الآية، ولا كانا يحتملان في حالٍ قضاءَ فرض الصيام، فالقضاء في غيره عن ذلك لا يعمل في حق الفرض؛ لذلك لم يلزم. وقد روي عن محمد رحمه الله على هذا أن من أدرك [الشهر] مجنونا[10] ثم أفاق في بعض الشهر أنه لا يقضي ما مضى على[11] ما ذكرت. وعن أبي حنيفة رضي الله عنه في هذا أنه يقضي إن كان[12] في أول الشهر بالغًا، لما أخبرتُ أن صيامه[13] لم يجز لعدم النية. والصبى[14]

[1] أي إلى مطلق الشهر.
[2] ن: خرج؛ ن هـ: رجع.
[3] ع م: شهر.
[4] جميع النسخ: فليصم.
[5] ع م: ممن اعترض.
[6] ن: يعقله؛ ع م – بعقله.
[7] ن ع م: فيقتضيه.
[8] ع م: الحكم.
[9] قال السمرقندي: «وعلى هذا من كان عاقلا في أول ليلة من رمضان فاعترضه الجنون، ثم أفاق بعد ذلك، أو كان مفيقا في أول الشهر، ثم جن باقي الشهر، فإنه يجب عليه قضاء ما فات عندنا، ولا يقضي عند الشافعي. لنا أنه ممن قد تضمنه الخطاب بشهود شيء من الشهر بعقله،وهو أهل لحكم الآية، وهو وجوب أدلة الصوم؛ لأنه كان عاقلا في أول شهر رمضان فنوى الصوم في أول الليل واعترضه الجنون في اليوم، أنه يجوز صومه ذلك، فكان الجنون بعد ذلك عذرا مانعا من تحصيل النية، لا عذرا مانعا من تحصيل الصوم. فصار كمن فاته لعذر المرض والسفر والحيض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨و).
[10] ع: مجنون.
[11] ع – ما مضى على.
[12] ن: أنه كان.
[13] ن – أن صيامه.
[14] ع م – والصبي.

أو الكافر[1] [ليس مكلفا] بنفسه. ومن فوّته لعدم النية فهو داخل في حكم فرضه، فعليه القضاء. *والله الموفق*. ومن جُنَّ الشهر كلَّه لا يقضي، لشرط الشهود، وهو لم يشهد شيئًا منه؛ مع إمكان الإسقاط بدليل آخر، وإن كان حق الخطاب في الظاهر قد اقتضاه،[2] على مثل المريض الذي لا يصح، والمسافر الذي لا يقيم. *والله الموفق*.

[٣٨ظ س٣٧] * وقوله: **لعلكم تتقون**، ما حرِّم عليكم من أنواع اللذات بكف الأنفس عن الذي به تدعو[3] إليها من الأغذية، أو تتقون نقمة الله في الآخرة ومخالفته في الفعل في الدنيا. وقد جعل الله جل ثناؤه [٣٩و] عباداته أعوانا للمعتادين بها على الكف عن المعاصي والخلاف لله / في الشهوات، فقال: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ،[4] وقال: إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،[5] وغير ذلك، *والله الموفق*.

والأصل أن العبادات تذكّر أصحابها عظم[6] أحوالهم في أوقات فيها من المُقام بين يدي الجبار، وتُطْلعهم على الموعود لهم في المعاد. وهما أمران عظيمان، أحدهما في الزجر بما يعلم من عظم[7] المقام، واطلاع الواحد القهار عليه. والثاني في الترغيب بما يشعر قلبه من لذيذ الموعود ما يضمحل[8] لديه كل لذة دونه، وتنقطع[9] شهواته التي تَخَلَّى[10] بينه[11] وبين ما وُعِد.[12] *والله أعلم*.* [٣٩و س٤]

[٣٩ظ س٣٧] * وقوله عز وجل: **لعلكم تتقون**، قيل: **تتقون** الأكل والشرب والجماع. ويحتمل: **تتقون**[14] المعاصي، لأن النفس إذا جاعت شبعت عن جميع ما تَهْوَى وتشتهي، وإذا شبعت تمنّت الشهوات، وتمنت[15] ما تهوى. ويحتمل: **تتقون** عذاب الله وعقابه. *والله أعلم*.* [٣٩ظ س٣٩]

---

[1] جميع النسخ: والكافر.
[2] ن: اقتضى.
[3] جميع النسخ: يدعو. أي تدعو الأنفس إلى اللذات، وهي الأغذية.
[4] سورة البقرة، ٢/٤٥.
[5] سورة العنكبوت، ٢٩/٤٥.
[6] ك: عظيم.
[7] ك: عظيم.
[8] ك: وما يضمحل.
[9] ك: وينقطع.
[10] ع م – تخلى.
[11] ع: دينه.
[12] ع: عد.
* جاءت العبارة التي بين النجمتين والتي تتعلق بتأويل الآية السابقة متأخرة عن موضعها، فنقلناها إلى مكانها. انظر: ورقة ٣٨ظ / س٣٧.
[14] ع: يتقون.
[15] جميع النسخ: وتمنى.
* جاءت العبارة التي بين النجمتين والتي تتعلق بتأويل الآية السابقة متأخرة عن موضعها، فنقلناها إلى مكانها. انظر: ورقة ٣٩ظ / س٣٧.

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنكُم مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٨٤]

وفي قوله: **أياما معدودات**، دلالة أن ابتداء الآية في غير صوم الشهر؛ إذ صوم الشهر يحفظ بالأهلة لا بالأيام. لكن الله تعالى [قال: **أياما معدودات**] إذ علم الأمر الظاهر في الخلق أنهم يعدونه[١] بالأيام وإن كان لهم عن ذلك عني. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا»،[٢] بأصابع يديه كلتيهما[٣] وعقد إصبعا منها في آخر المرات.[٤] وجاء عن غير واحد أنهم قالوا: كنا[٥] نصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرين أكثر مما نصوم ثلاثين.[٦] فجائز ذكر قوله: **أياما معدودات**، يعني يعدها الخلق. *والله الموفق*.[٧]

ثم قال: **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**، الآية،[٨] من غير أن ذكر فطرا؛[٩] فلا أشار[١٠] إلى ما ذكر[١١] من السفر والمرض اللذين جُعلا له [سببا] [ل]تأخير الصيام إلى أيام أُخَر، ولا أشار إلى أعين[١٢] تلك الأيام. وكذلك[١٣] قال مثلَه فيما[١٤] عرّف الوقت

---

[١] ن: يعبدونه.

[٢] م – وهكذا.

[٣] جميع النسخ: كلتاهما.

[٤] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فضرب يديه، فقال: «الشهر هكذا وهكذا وهكذا»، ثم عقد إبهامه في الثالثة، «فصوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته فإن غُمّي عليكم فاقدروا له ثلاثين» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٤/١؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ١١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥-٦).

[٥] جميع النسخ: ما كنا.

[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٨٤/١، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٥٨؛ وسنن *الترمذي*، الصوم ٦؛ وسنن *أبي داود*، الصوم ٤، ٧.

[٧] ورد هناك قسم من تأويل الآية السابقة، فنقلناها هناك رعاية للترتيب. انظر: ورقة ٣٨ظ/سطر٣٧ – ورقة ٣٩و/سطر٤.

[٨] ك – الآية.

[٩] ن: فطر.

[١٠] ك: ولا باشار؛ ن: اولا أشار.

[١١] ع: ذكرنا.

[١٢] ن: عين.

[١٣] ك: ولذلك.

[١٤] جميع النسخ + كان.

لابتداء الصيام،[1] على إثر المعرّف[2] له بقوله عز وجل: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ.[3] لكن الفطر يعرف أنه مضمر فيه بالسمع والعقل.[4] فأما السمع فما جاء من الآثار في الإذن بالإفطار للسفر والمرض، دل أن في ذكر العدة من أيام أخر إضمار فطر فيه.[5] **والله أعلم**. و[أما] العقل فإن[6] الله تعالى جعل المرض والسفر سببي الرخص، فلا يجوز أن يصيرا سببي زيادة فرض على ما كان قبل اعتراضهما. على أن قوله: يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ،[7] دليل [على] أنه لو كان يلزم القضاء مع فرض فعل الصوم لكان ذلك عسرًا وحرجا في الدين، وقد أخبر الله تعالى أنه لم يجعل[8] علينا الحرج في الدين.[9] وعلى ذلك قال بعض الناس: يلزمهما[10] القضاء إن أفطرا[11] أوّلا، محتجا بما[12] لم يذكر[13] في القرآن الإفطار، وذكر: "عدة من أيام أخر"، كأنه جعل الوقت لهما غير الذي هو[14] لغيرهما. يؤيد ذلك المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر».[15] ومعلوم أن على المفطر في الحضر القضاء، فكذلك الصائم في السفر.[16] ولكن الآية عندنا على الإضمار،[17]

[1] جميع النسخ + بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر.

[2] ك: المعترف؛ ن: العرف. أي بعد ما عرّف الله تعالى بعض أحكام الصيام بقوله: ﴿أياما معدودات...﴾ إلخ.

[3] سورة البقرة، ١٨٥/٢.

[4] ك ع م: بالعقل والسمع.

[5] ع م – فيه.

[6] ك ع: أن.

[7] سورة البقرة، ١٨٥/٢.

[8] ن ع: يجعل؛ م: ما يجعل.

[9] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (سورة الحج، ٧٨/٢٢).

[10] ك ع: يلزمها.

[11] ع: فطرا.

[12] ك: مما.

[13] ع: لم تذكر.

[14] م – هو.

[15] *سنن ابن ماجة*، الصيام ١١؛ و*سنن النسائي*، الصيام ٤٦، ٦٢، ٧٤؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ٢١٤/١؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ٤٦١/٢.

[16] ك – كالمفطر في الحضر ومعلوم أن على المفطر في الحضر القضاء فكذلك الصائم في السفر.

[17] «أي على إضمار الإفطار، كأنه قال: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام أخر» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و).

وعلى ذلك يجري[١] ذكر الرخص على أثر ذكر[٢] الحظر. كقوله عز وجل: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ إلى قوله: فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ،[٣] الآية، من غير ذكر الأكل أنه على إباحته. وقال الله[٤] عز وجل: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ،[٥] ثم قال الله[٦] عز وجل: فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ، و لم يذكر منه الإحلال، لكنه معلوم أنه على النُّسُك[٧] ما لم يوجد،[٨] إذ لا يكون العذر سبب الزيادة في الفرض، وكذلك قوله عز وجل: وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ. ثم قال عز وجل: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا، الآية. وذلك على إطلاق[٩] الحلق،[١٠] ثم يلزمه الفداء؛ لا أن[١١] الأذى والمرض يلزمانه، فمثله الأول.

ثم الأصل أنه لا أحد[١٢] يُلْزَم[١٣] فرض صيام الشهر في غيره إذا لم يدرك الشهر، وقد أمر مَن نحن في ذكره. فبان أنه[١٤] لزمه بإدراك الشهر، لإدراك وقت الإمكان بلا عذر، وقال: فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ،[١٥] وقال: وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ،[١٦] ليعلم أن الذي يلزمه يلزمه[١٧] بالشهر في أوقات الإمكان. وذلك على ما يلزم الأحداث [من] الطهارة لأوقات عبادة لا تقوم دونها،

---

[١] ك ن: يجرى.

[٢] ك: ذلك.

[٣] ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة، ١٧٣/٢). وانظر: سورة المائدة، ٣/٥؛ وسورة الأنعام، ١٤٥/٦؛ وسورة النحل، ١١٥/١٦.

[٤] ك ن – الله.

[٥] ﴿وأتموا الحج والعمرة لله فإن أُحصِرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيامٍ أو صدقةٍ أو نسكٍ﴾ (سورة البقرة، ١٩٦/٢).

[٦] ك ن – الله.

[٧] ع: الشك.

[٨] أي فإن أحصرتم وأحللتم من الإحرام.

[٩] ن: الإطلاق.

[١٠] جميع النسخ: الخلق. والتصحيح من شرح *التأويلات*. أي من حلَق ورفع الأذى من رأسه ففدية من صيام (ورقة ٥٦ظ).

[١١] ن ع م: لأن.

[١٢] ع: لأحد.

[١٣] ن – يلزم.

[١٤] ع – أنه.

[١٥] جزء من الآية التالية.

[١٦] جزء من الآية التالية.

[١٧] ن ع م – يلزمه.

وفعل[1] الجنايات[2] لأوقات الحلول وإن تأخرت، فمثله أمر الشهر. دليله ما بينا، وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن صحابته[3] [من] فعل الصيام في ذلك الوقت والفطر جميعا،[4] ثبت أن الصوم يجوز.[5] على أن المرض والسفر إذ هما لأنفسهما لا يناقضان الصيام بما جاز معهما، وقد أمر به المتمتع وهو مسافر؛ إذ ليس[6] ذلك على حاضري المسجد الحرام.[7] وذابح الصيد والمتأذي بهما لا يضادان الصيام. ثم كان[8] القضاء عن الشهر بظاهر التلاوة، فبان أنه يجوز فيهما، وإذا جاز ثبت أن التأخير رخصة، والفضل في الفعل. *والله أعلم*. والخبر[9] على من يجهده الصيام حتى خيف[10] عليه. وكذلك ما جاء[11] من الأثر أنْ: «ليس من البر الصيام في السفر».[12] *والله أعلم*.

وعلى هذا يخرج قول أصحابنا في المكره على الفطر،[13] إنه إن كان مريضا أو مسافرا لا يسعه أن لا يفطر، لما جاء في ذلك من الوعيد في الفعل في السفر في حال الضرورة. ويسعه [الإفطار] لو كان صحيحا مقيما لما[14] لم يذكر له الرخصة، ويلزمه فيه القضاء. مع ما فيه،

---

[1] م: فعل.

[2] أي أثناء مناسك الحج.

[3] ع: وسلم عن صحابته.

[4] أي يجوز الصوم مع المرض والسفر.

[5] عن أبي الدرداء قال: خرجنا مع رسول لله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان، في حر شديد، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن رواحة. وجاء في الصحيحين كذلك عن عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال: يا رسول الله إني كثير الصيام، أ فأصوم في السفر؟ فقال: «إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٢/١، ٢٣٢؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٣٣-٣٤، الجهاد والسير ٧١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥٢-٥٤).

[6] م: أن ليس.

[7] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ (سورة البقرة، ١٩٦/٢).

[8] ع - المتمتع وهو مسافر إذ ليس ذلك على حاضري المسجد الحرام وذابح الصيد والمتأذي بهما لا يضادان الصيام ثم كان.

[9] يعني قوله عليه السلام: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر». وقد سبق تخريجه.

[10] ن: حنف؛ ع: خف.

[11] ع - ما جاء.

[12] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢٢/١؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٣٥؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥٢؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ١٥٥/٢؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ٢٣٥/٤.

[13] أي إفطار صوم شهر رمضان.

[14] ع - لما.

إذ[١] لم يكن ظهر الإذن في تلك الحال كان كفه عنه تعظيما لأمر دينه من غير أن ذكر له في الدين النهي عنه، فهو في سعة، وليس كالمكره على أكل الميتة، ما ليس ذلك بذي بدل. وقد فرق بين ذي بدل وما لا بدل[٢] له، نحو إتلاف مال آخر، وأكل الميتة؛ ولأن علته الاضطرار، وليست علة[٣] الفطر في السفر تلك، إذ قد يجوز [ولكن] لا له؛ فهو عذر النفس لا ضرورة النفس، فكأنه غير معقول العلة. وفيه تعظيم الدين،[٤] وليس في أكل الميتة وما ذكر أنه لم يختص بالمكان[٥] الخاص، وهو المفاوز،[٦] فإنه يرخص في الأمصار في حالة السفر.[٧] ***ولا قوة إلا بالله***.

ثم السفر الذي له الرخص[٨] أجمع أنه لم يُرَد به المكان، لما جاء الفطر في الأمصار.[٩] ثبت أنه لنفس السفر. ثم كان السفر حقيقته الظهور والخروج[١٠] عن الأوطان، وقد يكون[١١] مثله في الخروج[١٢] إلى الضياع[١٣] ونحوه، و لم يؤذن في الفطر. ثبت أنه راجع إلى الحد.[١٤] وعلى ذلك متفق القول.

ثم كان الحد المرخص عندنا الخروج على قصد سفر ثلاثة أيام، لخصال[١٥] ثلاث. أحدها الإجماع على أن هذا الحد مرخَّص، ودونه[١٦] متنازع[١٧] فيه،[١٨] والتنازع يوجب النظر

---

[١] ن - إذ.
[٢] ك: بذل؛ ع: يدل.
[٣] ع م: علته.
[٤] ع: الذين.
[٥] ن هـ: المكان.
[٦] ع هـ: المفاز.
[٧] جميع النسخ - أنه لم يختص بالمكان الخاص وهو المفاوز فإنه يرخص في الأمصار في حالة السفر، وقد ذكر على هامش ع و ن.
[٨] ع م: المرخص. أي السفر الذي يتعلق به الرخصة في الشرع.
[٩] أي لأنه يترخص في الأمصار بالفطر.
[١٠] ع م: الخروج..
[١١] ن ع م: تكون.
[١٢] ع + وقد تكون مثله في الخروج عن الأوطان.
[١٣] ع م: أن الضياع.
[١٤] أي السفر المرخص هو السفر المقدر بتقدير معلوم.
[١٥] ن: بخصال.
[١٦] ن: دونه.
[١٧] ك: لتنازع؛ ن ع م: تنازع.
[١٨] ن ع م - فيه.

لا الفتوى[1] بالرخص. وفي ذلك أمر بفعل الصيام.

والثانية[2] مجيء الخبر من وجهين. أحدهما في تقدير مسح السفر بثلاثة أيام.[3] ومعلوم أنه[4] جعل السفر حدا ووقتا لفعل رخصة المسح، وأوقات الأفعال على اختلافها يتفق على أنها لا تقصر عن احتمال الأفعال على الوفاء، وليس بما لم يدخل الليالي في حق السفر عبرة؛ لأن الأسفار وإن كانت مؤسَّسة على قطع الطرق والسير فيها، / فإن دوام السير يُجحف بصاحبه[5] ويهلكه؛ وفي ذلك منع [٣٩ظ] السفر.[6] ثبت أن أوقات الراحة فيما بين[7] أوقات السعي والسير مشترطة داخلة في حق السفر؛ لذلك صارت الليالي كالمعفوة [حالة السفر]، فتكون[8] محيطة بما فيها من فعل المسح. والثاني ما جاء من الأثر في النهي عن[9] سفر [النساء] ثلاثة أيام إلا بمحرم،[10] وهو المنهي لما جاء به[11] النهي. وفيما دونه تنازع لم يوجب الرخصة للإشكال في حق التمام، لما له الرخصة على ما كان لما له النهي. **والله أعلم**.

والخصلة الثالثة أن السفر عذر، والنهايات في الأعذار الثلاث فكذلك بالأيام، إذ بها يسافر، قال الله تعالى: ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا،[12] وقال:[13] ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[14] وقال موسى عليه السلام:

---

[1] ن ع م: لأن الفتوى.

[2] ك ن ع: والثاني.

[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا: يا رسول الله، ما الطهور على الخفين؟ قال: «للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوم وليلة» (*الموطأ* لمالك، الصلاة ٤١-٤٦؛ و*مسند أحمد بن حنبل*، ١٤/١، ٢٠، ٢٨، ٣٢، ٣٥، ٤٤؛ و*صحيح مسلم*، الوضوء ٣٣، ٣٥، ٤٨).

[4] ع: ومعلوانه.

[5] جميع النسخ: صاحبه. أجحف به: اشتد في الإضرار به، وأجحف بهم فلان: كلفهم ما لا يطيقون (*لسان العرب*، «جحف»).

[6] أي وذلك ما يمنع عن النفع، لكن المسافر مرة يسعى ومرة يمسك ويكف عن السير للاستراحة فيما بين أوقات السعي والسير، وهذه تعد من باب السفر تقديرا وإن لم يوجد فيها السفر حقيقة (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و).

[7] ع م – أوقات الراحة فيما بين.

[8] ع: فيكون.

[9] ع – السفر ثبت أن أوقات الراحة فيما بين أوقات السعي والسير مشترطة داخلة في حق السفر لذلك صارت الليالي كالمعفوة فتكون محيطة بما فيها من فعل المسح والثاني ما جاء من الأثر في النهي عن.

[10] جميع النسخ: إلا لمحرم. عن عائشة رضي الله تعالى عنها: «ولا تسافر المرأة ثلاث ليال مع غير ذي محرم» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧٩/١، ١١٩، ١٢٢؛ و*صحيح البخاري*، الديات ٣١؛ و*سنن ابن ماجة*، الديات ٢١).

[11] م – به.

[12] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ (سورة مريم، ١٠/١٩).

[13] ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ (سورة آل عمران، ٤١/٣).

[14] جميع النسخ – قال الله تعالى ثلاث ليال سويا وقال ثلاثة أيام إلا رمزا، والزيادة من الشرح. انظر: *شرح التأويلات*، ورقة ٥٧و.

إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا.[١]

وأما المرض فلم يجز أن يكون اسمه سببا للرخصة، إذ ربما كان المرض يخفّف الصيام، ويسهل عليه سبيل فعله، ومن البعيد الترخيص بما يسهل فيه الفعل، والتضييق[٢] لما يشتد، فثبت أنه ليس لاسم[٣] المرض.[٤] وعلى ذلك الإجماع، فهو -والله أعلم- لما يخاف أن يزداد له[٥] بترك الأكل الداءُ، ويقبح على المرء اكتساب الداء وتعاطي الضارِّية،[٦] فرخص له الفطر بذلك. وذلك معنى اليُسْرِيَّة،[٧] إذ به تخفيف ما به[٨] أو منع[٩] ما يعتريه من الضرر.[١٠] ولهذا ما رخّص أصحابنا لمن به رمدٌ يخاف الزيادة فيه. وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يفطر المريض والحبلى إذا خافت أن تضع ولدها، والمرضع إذا خافت الفساد على ولدها».[١١] ثبت أن الرخصة لما يخاف من فساد ينزل. ***ولا قوة إلا بالله***. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من مات من[١٢] طعام أو شراب وهو يقدر فله النار».[١٣] ***وبالله المعونة***.

وعلى الذين يطيقونه؛ قال قائلون: يطيقون الفِداء، وذلك في الأمر الأول في المسافر والمريض أَنَّ له أن يقضي في أيام أخر وأن[١٤] يَفْدِيَ. وفيه: **وأن تصوموا خير لكم**،

---

[١] سورة الكهف، ٧٦/١٨.

[٢] ك: والنفيس.

[٣] ع: الاسم.

[٤] ع: لمرض. يقول الشارح: «وأما المرض فمطلقه ليس سبب الرخصة لأن المرض متنوع في نفسه مرض يكون الصوم مخففا له ويكون الصوم على المريض سهل من الأكل بل الأكل يشتد مرضه والإفطار يثبت رخصته بسبب المرض ومن البعيد الترخص بما يسهل على مريض تحصله. والتضييق بما يشتد عليه فثبت أن الرخصة لم تتعلق بمطلق المرض» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧و).

[٥] ك – له.

[٦] ن: الضاربة.

[٧] ن ع م: البشرية.

[٨] «إذ بالإفطار تخفيف ما به من المرض، أو منع ما يتوهم من أعراض الضرر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧و).

[٩] ع + أو منع؛ م + أو.

[١٠] ن: الضرورة.

[١١] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٠٤/٣، ٣٤٧/٤، ٤١٨، ٢٩/٥؛ و*صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٢٥؛ و*سنن الترمذي*، الصوم ٢١.

[١٢] ن: على.

[١٣] لم نقف على أصل هذا الخبر.

[١٤] ع: اون.

أي تقضوا الصيام. *والله أعلم*. وقد[١] يحتمل أيضا أن كانت الرخصة من قبلُ فيمن عليه الصيام[٢] بالخيار[٣] بين أن يصوم وبين أن يفدي، والصوم خير، على ما ذكر في الآية؛ ثم نسخ ذلك إن كان على التأويل الأول، بقوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ،[٤] الآية، أنه ألزم القضاء على كل حال. وإن كان الثاني فقوله:[٥] فَلْيَصُمْهُ، أنه ألزم الفعل على حال. وبمثل ذلك خبر معاذ في إحالة الصيام، أنه كان للمرء خيار بين الفطر والفداء، وبين الصيام ثم نسخ.[٦] وفي قوله:[٧] **وأن تصوموا خير لكم**، على أثر ذكر السفر والمرض دلالة جعل الصيام في السفر خيرا من الفطر والفداء[٨] أو القضاء[٩] في غيره وإن احتمل الذي ذكرت. *والله أعلم*.

ثم الدلالة على النسخ في الوجه الذي ذكرت متفق القول على أن المطلق لم يكن له الخروج من ذلك بالفداء،[١٠] فبذلك عرف النسخ. مع ما ثبت من قطع الآية على القضاء في أحد الوجهين، وفعل الصيام في الآخر. وعلى ذلك معتبر القوم في الشيخ الفاني الذي لا يقوم للقضاء أن له الفطر والفداء، لأن الصوم قد ثبت أنه يحتمل الوفاء بالفداء، لكن[١١] نسخ الصيام،[١٢] فإذا ارتفع الصيام بالعجز عمن يحتمل الخطاب بعبادات[١٣] الأموال -وهم المشايخ- جاز أن يخاطبوا بالصيام ليخرجوا عنه بالفِداء. وعلى ذلك ما جاء من الأثر،[١٤] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصيام عن الميت،[١٥] أنه الصيام[١٦] الذي هو صيام من لا يحتمل فعله وهو الفداء. *والله أعلم*.

---

[١] ع م: وإذ قد.
[٢] ع – الصيام.
[٣] ك – بالخيار.
[٤] سورة البقرة، ١٨٥/٢.
[٥] ك: بقوله.
[٦] خبر معاذ، قال: «أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال». تقدم تخريجه.
[٧] ن: فقوله؛ ع م: في قوله.
[٨] ك – وفي قوله وأن تصوموا خير لكم على أثر ذكر السفر والمرض دلالة جعل الصيام في السفر خيرا من الفطر والفداء.
[٩] ع: والقضاء؛ م – أو القضاء.
[١٠] ن: الفداء.
[١١] ك ن: ولكن.
[١٢] جميع النسخ: بالصيام.
[١٣] ع: بعبارات.
[١٤] ن ع م: عن الأثر.
[١٥] عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، أ فأقضيها عنها؟ قال: «نعم»، قال: «فدين الله أحق أن يقضى» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢١٦/١، ٢٢٤؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ١٥٣–١٥٨).
[١٦] ك – ليخرجوا عنه بالفداء وعلى ذلك ما جاء من الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصيام عن الميت أنه الصيام.

وقد قرئ:[١] يُطَوَّقُونَهُ، بمعنى يُكلَّفونه ولا يطيقونه؛ لكن في الآية: **وأن تصوموا خير لكم**، ولو كان[٢] لا يطيقونه لا يرغبون فيه إلا أن يشترط فيه طاقة الجهد. *والله أعلم*.

وقوله: **فمن تطوع خيرًا [فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون]**، من زيادة فداء، أو ما[٣] يستزيد من الخيرات التي لم تفرض[٤] ليعود به الخير،[٥] أو تطوع[٦] فيما أذن له في الفداء بالصوم. *والله أعلم*. وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسموا شهر رمضان رمضان[٧] فإنما هو اسم من أسماء الله تعالى، انسبوه إلى ما نسبه لكم القرآن».[٨]

وقوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ، أضاف عز وجل الفعل إلى الشهر بقوله: فَلْيَصُمْهُ، فلذلك إذا قصد به صوم الشهر جاز[٩] الصوم وإن لم ينو الفرض، سوى ما ذكرنا؛ وكذلك سائر الفرائض نحو الظهر والعصر، ينوي ذلك فيكون ذلك على ما جعله الله من فرض، وإن لم ينو الفرض. *ولا قوة إلا بالله*. وعلى ذلك من نوى بالصيام غير صيام الشهر [فهو] جائز عن صيام[١٠] الشهر، لما أمرنا[١١] بصيام الشهر ولم نؤمر[١٢] بأن نجعل ذلك لشيء سواه، والشهر موجود لنفسه، لا يحتاج صاحبه إلى أن يوجده،[١٣] كان من ذلك على كل حال.

---

[١] ك – قرئ.
[٢] م: كانوا.
[٣] ع م: وما.
[٤] ع م: لم يعترض.
[٥] م: الخبر.
[٦] ك: يطوع.
[٧] ع – رمضان.
[٨] قال ابن حجر العسقلاني: حديث ضعيف، رواه أبو معشر نجيح المدني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، مرفوعا: وقال ابن كثير: أبو نجيح بن عبد الرحمن المدني إمام المغازي والسير، ولكن فيه ضعف. وقد رواه ابنه محمد عنه، فجعله مرفوعا، وكذا قال القرطبي عن أبي هريرة، وقد أنكر عليه الحافظ بن عدي، وهو جدير الإنكار؛ فإنه متروك، وقد وهم في رفع الحديث. انظر: *تفسير ابن كثير*، ٢١٧/١؛ و*تفسير القرطبي*، ٢٩٢/٢؛ و*فتح الباري* لابن حجر، ١٣٥/٤.
[٩] جميع النسخ: جايز.
[١٠] ن: من صيام.
[١١] ك: فامرنا.
[١٢] ك: وإن لم نؤمر.
[١٣] ع: يأخذه.

وكذلك كل حق معين في شيء لم يُزل عنه نيته إلى غيره، كمن يأمر إنسانا بشراء[1] شيء[2] بعينه، لم يتحول عنه بالنية. على أن ذلك كالظهر والعصر، ونحو ذلك، فمحال على تحقيق ذلك قصد غيره.[3] وبعد، فإن كلا يُجمِع أن لا يجوز غير. فثبت أن استحقاق الشهر بصومه لا يستحق[4] عليه غيره من الصيام، فجاز عنه. وعلى ذلك أجاز أبو حنيفة في السفر غيره،[5] من حيث أذن له في تأخير هذا وغيره[6] فرض عليه، نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له[7] في تأخيره، فجاز فيه؛ إذ هو وقت صيام حُوِّل إلى وقت غيره، فصار هذا الوقت بالحكم لغيره؛ وليس كنية المتطوع لأنه في موضع الرخصة. وفي العمل به قد يكون له مقدار[8] التطوع من الفضل على[9] غيره، فهو أولى به؛ ولما قد يجوز النفل بلا نية نفل،[10] فكأنه لم ينو النفل، فهو رجل لم يعمل برخصة الله، بل عمل بوجه العزم. ***ولا قوة إلا بالله***.*[11]

[٤٠و] وقوله: **فمن كان منكم مريضًا / أو على سفرٍ فعدة من أيامٍ أخر**؛ ألزم بعضُ الناس[12] المريضَ والمسافر قضاء عدة الأيام وإن صاموا. فاستدلوا بظاهر الآية، فقالوا: أوجب عليهم القضاء، على غير[13] ذكر الإفطار فيها. واحتجوا أيضا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»،[14] فقد حقق له حكم الإفطار في أن لا صوم له، فدل أنه لم يجز، فكان كتقديم[15] الصوم عن وقته.[16]

---

[1] جميع النسخ: بشرى.
[2] ع – شيء.
[3] ك ع م: غير.
[4] ن + الشهر بصومه لا يستحق.
[5] أي: أجاز أبو حنيفة في السفر غير رمضان، لأنه مأذون له في تأخير صيام رمضان وصيام غير رمضان فرض عليه، مثل صيام كفارة الظهار.
[6] ع م: أو غيره.
[7] جميع النسخ + في تأخير هذا وغيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل (ع: القتلى) ولا رخصة له.
[8] ع م: مقدارا.
[9] ع – على.
[10] ن: نقل.
[11] ورد هنا قسم من تأويل الآية السابقة، فنقلناها هناك رعاية للترتيب. انظر: ورقة ٣٩ظ/ سطر٣٧.
[12] جميع النسخ + على.
[13] ك – غير.
[14] تقدم ذكره.
[15] ك ن ع: كالتقديم.
[16] *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٦٦/١.

وأما عندنا فهو على إضمار الإفطار، كأنه قال: **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام أخر**. وهو كما ذكر عز وجل في المتأذي: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ،[1] أي من كان به أذى فرفع من رأسه[2] ففدية، وكما قال في المضطر:[3] فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ،[4] ومثله كثير في القرآن، فلا يجوز لأحد أن يأتي ذلك؛ ولأن المرض والسفر أعذار رُخِص الإفطار فيها تخفيفا وتوسيعا[5] على أربابها،[6] فلو كان على ما قال هو لكان فيه تضييق عليهم؛ ولأنه إذا قضي في عدة من الأيام إنما يقضي عن ذلك الوقت فلو لم يجز الفعل في ذلك الوقت وفي تلك الحال لكان لا يؤمر[7] بالقضاء عن ذلك الوقت ولا عن تلك الحال، فدل أنه على ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وأصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صام في السفر،[8] وروي أنه أفطر.[9] وروي عن الصحابة أنهم صاموا في السفر.[10] ولو كان لا يجوز لكان لا معنى[11] لصومهم. وأما قوله: « الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»،[12] فهو عندنا إذا كان الصوم أجهده وضعفه لزمه أن يفطر، فصار[13] كالذي أفطر في الحضر. ***والله أعلم***. وروي عن أنس رضي الله عنه،

---

[1] سورة البقرة، ١٩٦/٢.

[2] قال السمرقندي: «من كان به أذى من رأسه ففدية، أي من حلق ورفع الأذى عن رأسه ففدية من صيام» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٦ظ).

[3] ك: المفطر.

[4] ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة، ١٧٣/٢).

[5] ك: وتوسعا.

[6] ك: أربابهما.

[7] ن ع م: لا يأمر.

[8] صحيح *مسلم*، الصيام ٩٥.

[9] عن أم الفضل بنت الحارث: «أن ناسا تماروا عندنا يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره بعرفة، فشربه» (صحيح *مسلم*، الصيام ١١٠).

[10] روي في ذلك أحاديث كثيرة. منها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك، قال: كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم. انظر: صحيح *البخاري*، الصوم ؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٨٨-١٠٩.

[11] ع: لكان معنى.

[12] سبق ذكر هذا الحديث.

[13] جميع النسخ: صار.

أنه قال: الصوم أفضل والفطر رخصة.[1]

وقوله تعالى:[2] **وعلى الذين يطيقونه**، قرأ بعضهم: **وعلى الذين يُطَوَّقُونَهُ**[3] فمعناه يُكلَّفونه. وقال بعضهم: لا يطيقونه. لكن هذا لا يحتمل، وذلك أنه قال: **وأن تصوموا خير لكم**، دل أن قوله: لا يطيقونه لا يحتمل. وقيل: كان أولَ ما نزل[4] الصوم، كان من شاء صام ومن شاء[5] أفطر وأطعم مسكينا كل يوم. فلما نزل[6] شَهْرُ رَمَضَانَ،[7] نسخ ما كان قبله عمن يطيق الصوم،[8] وأثبت[9] الرخصة لمن لا يطيق من نحو الشيخ الفاني والحبلى والمرضع إذا خافت على ولدها.

ثم الأصل في هذا أن من عجز عن قضائه جعل له الخروج بالفداء بعجزه[10] عن ابتدائه، من نحو الشيخ الفاني وغيره. ومن لم يعجز عن قضائه لم يجعل له الخروج بالفداء، من نحو المرضع والحبلى والمريض والمسافر؛ لأنهم لم يعجزوا عن عين[11] المفروض، والبدل أبدًا إنما يجب إذا عجزوا[12] عن إتيان الأصل. ***والله أعلم***.

وقوله: **فمن تطوع خيرًا**، يحتمل وجهين. يحتمل: **تطوع** بالفداء، يُضَعِّفه [عن] صومه. ويحتمل: **فمن تطوع** بالصوم في أصله فصام. وهو كقوله: **ومن تطوع خيرًا**، يحتمل[13] زيادة الطواف، ويحتمل نفس الحج،[14] ويحتمل[15] أصل التطوع أنَّ كل ما يتطوع به فهو خير له إذ التطوع[16] في الأصل خير.

---

[1] *تفسير الطبري*، ٢/١٥٣.

[2] ك: وتعالى.

[3] ن م: يطيقونه؛ ع – يطوقونه.

[4] ع م: ترك.

[5] ع – ومن شاء.

[6] م – صوم.

[7] يشير إلى الآية التالية.

[8] ع + كان.

[9] جميع النسخ: ويثبت؛ ن + الصوم.

[10] ع: يعجزه.

[11] ك ع م: غير.

[12] ع م: عجز.

[13] ع م – وجهين يحتمل تطوع بالفداء يضعه صومه ويحتمل من تطوع بالصوم في أهل فصام وهو كقوله ومن تطوع خيرا يحتمل.

[14] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٥٨).

[15] ع – نفس الحج ويحتمل.

[16] ع م: إذا تطوع.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٨٥]

وقوله عز وجل: **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس [وبينات من الهدى والفرقان]**.[١] قال ابن عباس رضي الله عنه: نَزَل إلى سماء الدنيا[٢] من اللوح جملة في شهر رمضان، في ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل بعد ذلك على مواقع[٣] النجوم رَسَلاً[٤] في الشهور والأيام على قدر الحاجات.[٥]

وقوله عز وجل: **هدى للناس**، يهتدون به الطريق المستقيم. وقيل: بيان للناس من الضلالة. **وبيناتٍ [من الهدى]**، قيل: حُجَجٍ للناس إذا تأملوه. وقيل: البينات، أي فيه الحلال والحرام والأحكام والشرائع.[٦]

وقوله تعالى: **والفرقان**، يفرّق بين الحق والباطل. وقيل: الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

وقوله عز وجل: **فمن شهد منكم الشهر فليصمه**، يحتمل قوله: **فمن شهد منكم الشهر**، وهو مقيم صحيح فليصمه، ثم رخص للمريض والمسافر الإفطار بقوله عز وجل: **ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**. ويحتمل قوله: **فمن شهد منكم الشهر**، أي من شهد منكم بعقله الشهر فليصمه، فلا يدخل في الخطاب المجانين ولا الصبيان؛ ألا ترى أن أول[٧] الخطاب خرج للمؤمنين[٨] بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ،[٩]

---

[١] ع م + وقوله عز وجل والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

[٢] جميع النسخ: السماء الدنيا.

[٣] ع: موقع.

[٤] رَسَلاً: متتابعا، والرَّسَل: الجماعات المتتابعة، والرَّسَل التتابع، جمعه: أرسال (*لسان العرب* لابن منظور، «رسل»).

[٥] عن ابن عباس، قال له رجل: إنه قد وقع في قلبي شك من قوله: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾، وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾، وقوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقد أنزل الله في شوال وذي القعدة وغيره. قال: إنما أنزل في ليلة القدر، وليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رَسَلا في الأيام والشهور. انظر: *تفسير الطبري*، ١٤٦/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢١٧/١.

[٦] ن – والشرائع.

[٧] ك: إلى أن أول.

[٨] ع م: المؤمنين.

[٩] سورة البقرة، ١٨٣/٢.

فهؤلاء لم يدخلوا[1] فيه، فدل أن قوله: **فمن شهد منكم الشهر**، أي شهد منكم[2] بعقله فليصمه.[3]

ثم يحتمل أن يكون فرضية[4] الصوم بقوله عز وجل:[5] **فليصمه**. ويحتمل لا بهذا ولكن بقوله:[6] **ولتكملوا العدة**، إذ لا يجب إكمال العدة لما مضى إلا على حق الفرضية. والثاني قال: **يريد الله بكم اليسر** بما رخص للمريض والمسافر الإفطار.[7] ولو كان غير فرض لم يكن لما ذكر من الامتنان علينا بالتيسير[8] معنى؛ لأن المنة لا تذكر[9] فيما له تركه، فدل أنه فرض. ويحتمل أن يكون فرضيته بقوله عز وجل: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ؛[10] لأن قوله: كُتِبَ:[11] فُرِضَ. فدلت هذه الآية[12] على أنه فرض.

ثم اختلف[13] في قضاء ما فات منه برخصة الإفطار في السفر أو في المرض. قال بعضهم: لا يجوز إلا متتابعا. وكذلك روي في حرف أُبَيّ بن كعب في قوله: **فعدة من أيام أخر** متتابعات. وأما عندنا فإنه يجوز متتابعا ومتفرقا؛ اتباعا لما[14] روي عن خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم / أنهم قالوا: إن شاء[15] تابع وإن شاء[16] فرق، سوى أن عليا [٤٠ظ] رضي الله عنه قال: يتابع لكنه إن فرق جاز.[17] ثم [روي] عن علي[18] وعبد الله بن عباس،

---

[1] ع م: لم يدخلون.
[2] ع + الشهر أي شهد منكم.
[3] ك: فليصم.
[4] جميع النسخ: فريضة.
[5] ع + بقوله.
[6] ن: تقوله؛ ع: نقوله.
[7] ك: والإفطار.
[8] ن ع م: بالتبشير.
[9] م: لا يذكر.
[10] سورة البقرة، ١٨٣/٢.
[11] جميع النسخ + قيل.
[12] جميع النسخ: الآيات.
[13] ك: واختلف.
[14] ن ع م: بما.
[15] ك + الله.
[16] ك + الله.
[17] عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: اقض رمضان متتابعا، فإن فرقته أجزأك. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٠٨/١.
[18] ن ع م: من علي.

وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهم، وآخر لست أذكره،[١] أنهم قالوا بجواز[٢] ذلك. ولا يحتمل أن كان[٣] التتابع شرطا فيه خفي ذلك على هؤلاء أو تركوه إن عرفوه. فدل أنه لا يصح ذكر التتابع شرطا فيه، وليس كذكر[٤] التتابع في صوم كفارة اليمين في حرف ابن مسعود رضي الله عنه، لأنه لم يخالفه أحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في ذلك، فصار كالمتلو. وههنا قد خالفوا أُبَيًّا في حرفه فلم يصر كالمتلو، لذلك افترقا. **والله أعلم**.[٥]

وقراءة أبي إن ثبتت[٦] عنه فهو على الندب،[٧] لما ذكر[٨] من إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وبما أنه وجب بوقت،[٩] وكل ذي وقت فليس التتابع بشرط فيه في غير ذلك الوقت. ولو كان التتابع شرطا لكان حق الإفطار يلزم الكل، حتى يكون القضاء موصولا أو الابتداء. فأما إذا جاز التفريق بين بعض له حكم الابتداء وبعضٍ له حكم[١٠] القضاء لجاز في غيره من الأبعاض؛ إذ كل ذلك له في الابتداء جاز الفعل[١١] والترك، فصار حق كل يوم في القضاء لنفسه لا لغيره، إذ كذلك حقه في الترك: القضاء، وفي الفعل[١٢] في الابتداء.[١٣] **ولا قوة إلا بالله**.

---

[١] لعله عائشة رضي الله تعالى عنها، انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٢٠٨/١؛ وشرح *التأويلات*، ورقة ٥٧و؛ وتفسير *القرطبي*، ٢٨٢/٢.

[٢] ع: يجوز.

[٣] ع م - كان.

[٤] ك ن ع: كالذكر.

[٥] ع + وافترقا.

[٦] جميع النسخ: إن ثبت.

[٧] ك ن: الأدب؛ ع م: الأرب. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٥٧و.

[٨] ن: ذكرت.

[٩] ع: موقت؛ م: بموقت.

[١٠] ع - الابتداء وبعض له حكم.

[١١] ك ن: الفضل.

[١٢] ع + والترك فصار حق كل يوم في القضاء لنفسه لا لغيره إذ كذلك حقه في الترك القضاء وفي الفعل.

[١٣] يقول علاءالدين السمرقندي: «فإن قالوا: إن القضاء يجب على حسب الأداء، والأداء وجب متتابعا فكذلك القضاء. قيل لهم: إن التتابع في الأداء ما وجب لعين الصوم، وإنما وجب لأجل الوقت، فإنه يجب عليه صوم شهر معين، ولا يتمكن من أداء الصوم في الشهر كله إلا بصفة التتابع، فكأن التتابع لضرورة تحصيل الصوم في هذا الوقت، لأن التتابع كان شرطا لعين الفعل. والأصل في هذا أن كل صوم يؤمر فيه بالتتابع لأجل الصوم يكون التتابع شرطا فيه حيثما دار الصوم، وكل صوم يؤمر فيه بالتتابع لأجل الوقت ففوت ذلك الوقت يسقط حق التتابع فإن بقي الفعل واجب القضاء. فإن من قال: لله علي أن أصوم شعبان يلزمه أن يصوم شعبان، لكنه إذا فات منه شيء يقضي إن شاء متفرقا وإن شاء متابعا، لأن التتابع ههنا لمكان الوقت، فسقط التتابع بسقوطه. ولو قال: لله علي أن أصوم شهرا متابعا، يلزمه أن يصوم متابعا، لا يخرج عن نذره إلا به، ولو أفطر يوما في وسط الشهر يلزمه الاستقبال» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٧و).

وما ذكر من المسائل فهي[1] مبنية على هذا الذي ذكرت، أن التتابع للفعل[2] لا يحتمل اعتراض رخصة التفريق على إمكان الجمع، ثبت أن الجمع شرط فيه. وما نحن فيه يحتمل صوم كل يوم على الانفراد، [و]أن يؤخر فعله في الشهر بالرخصة عن غيره، كذلك القضاء. *والله أعلم*.

وبعد، لو كان التتابع شرطا لم يكن لقوله: **فَعِدَّةٌ من أيام أخر** وقوله عز وجل: **ولتكملوا العدة** كبيرَ فائدة، لأن في التتابع شرطَ الجملة، لا أن يكلف[3] له العدد، وعلى الرجل أن يتم المدة التي للقضاء، لا أن يحفظ الحساب لإكمال العدة. *والله أعلم*.

والأصل أن كل صوم يؤمر بالتتابع بحيث الفعل يكون التتابع شرطا فيه حيث ما كان الفعل، وكل صوم يكون التتابع فيه بحيث الوقت ففوت ذلك الوقت يسقط حق التتابع.

ولهم على هذا مسائل. إذا قال: لله عليّ أن أصوم شعبان، لزمه[4] أن يصوم متتابعا، لكنه إذا فات شيء منه يقضي إن شاء متتابعا وإن شاء متفرقًا، لأن التتابع بحيث الوقت يسقط[5] لسقوطه. ولو قال: لله علي أن أصوم شهرا متتابعا، يلزمه أن يصوم متتابعا، لا يخرج من نذره إلا به، لأن التتابع ذكر للصوم، فهو لا يسقط عنه أبدا. والثاني ما قال عز وجل: **يريد الله بكم اليسر**، واليسر رخصة[6] لم يجز أن يجعل فيه ما هو عسر وضيق وهو التتابع. *والله أعلم*.

ثم في قوله: **فمن شهد منكم الشهر فليصمه**، دلالة أنه إذا صام عن غيره لم يجز، لأنه أضاف عز وجل الصوم إلى الشهر، وأشار إليه بقوله عز وجل: **فليصمه**. فلو جاز له[7] أن يصوم[8] عن غيره،[9] لكان فيه صرف إلى غير ما جعله الله، وفي ذلك خوف[10] اعتراض لأمره وإشراك في حكمه. ونسأل الله العصمة من الزيغ[11] عن الحق.

---

[1] ن ع: فهو.
[2] م: الفعل.
[3] ك ن ع: يتكلف.
[4] جميع النسخ: فلزمه.
[5] ن ع م: تسقط.
[6] ن: الرخصة.
[7] م – له.
[8] م: لأن يصوم.
[9] ع م: من غيره.
[10] ع: حرف.
[11] ن: عن الزيغ.

وأما قوله عز وجل: **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**. قالت المعتزلة: من صام في السفر أو في المرض[١] فَعَل ما لم يرد[٢] الله؛ لأن الله عز وجل أخبر أنه لم يرد العسر وإنما أراد[٣] اليسر، فإذا صام في المرض أو في السفر[٤] أراد العسر، والله تعالى أخبر أنه لم يرد، فدل أنه فعل ما لم يرد الله.[٥]

لكن الوجه عندنا أن قوله: **يريد الله**، معناه أراد الله بكم اليسر لما رخّص لكم الإفطار في السفر، لأنهم أجمعوا على أن الصوم في السفر أفضل والإفطار[٦] رخصة.[٧] ولا جائز أن يقال: لم يرد الله ما هو أفضل وأراد ما هو دونه على قولهم، ولكن يقال: أراد لمن أفطر اليسر، وأراد لمن ترك الإفطار العسر، وإرادته[٨] نافذة، فلا جائز أن تنفذ[٩] في وجه ولا تنفذ[١٠] في وجه[١١] آخر.

وقوله عز وجل: **يريد الله بكم اليسر**، أي يريد أن يُيَسِّر[١٢] عليكم بالإذن في الفطر، لا أن يُعسّر عليكم بالنهي عنه. وقد يحتمل الفعل، لكنه لم يذكر عن أحد أن الله تعالى أراد به اليسر فصام، فثبت أن الإرادة موجبة. مع ما لا يحتمل على قولهم أن يكون الصائم في السفر غير مراد وقد قضى به فرض الله، وأطاع الله فيه. والمعتزلة يقولون بالإرادة في كل فعل الطاعة فضلا عن الفريضة.

وقوله: **ولتكبّروا الله على ما هداكم**. قيل: يعني تعظّمون الله على ما هداكم لأمر دينه. ويجوز أن يريد بالتعظيم الأمر بالشكر لما أنعم عليهم من أنواع النعم من التوحيد والإسلام وغيره.

---

[١] م: وفي المرض.
[٢] ع: ما يرد.
[٣] م - أراد.
[٤] م: وفي السفر.
[٥] ع - لأن الله عز وجل أخبر أنه لم يرد العسر وإنما أراد اليسر فإذا صام في المرض أو في السفر أراد العسر والله تعالى أخبر أنه لم يرد فدل أنه فعل ما لم يرد الله.
[٦] ع: وفي الإفطار.
[٧] ع م: الرخصة.
[٨] ن ع م: وأراد به.
[٩] ن ع م: أن ينفذ.
[١٠] ن ع م: ولا ينفذ.
[١١] ن - ولا تنفذ في وجه.
[١٢] ن ع م: تيسّر.

ولعلكم تشكرون، ربكم بهذه النعم التي أنعمها عليكم. ويحتمل أنه أمر بالتعظيم له والشكر، لما رخّص لهم الإفطار في السفر والمرض. *والله أعلم*.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١٨٦]

وقوله: **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**، هو على الإضمار -والله أعلم- كأنه قال: **وإذا سألك عبادي** أين أنا عن إجابتهم، فقل لهم:[١] إني قريب. ويحتمل[٢] قوله:[٣] **فإني قريب** وجوها. يحتمل **قريب**[٤] الإحسان والبر والكرامة لمن أطاعني. ويحتمل **إني قريب**، قرب العلم والإجابة،[٥] لا قرب المكان و[٦]الذات،[٧] كقرب بعضهم من بعض في المكان، لأنه كان ولا مكان ويكون على ما كان. وكذلك قوله: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ،[٨] الآية. وكقوله: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ،[٩] [وقوله:] وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُبْصِرُونَ.[١٠] كل ذلك يرجع إلى قرب العلم والإحاطة وارتفاع الجهات، لا قرب الذات، على ما ذكرنا.

وإن كانت القصة على ما قاله بعض أهل التفسير بأن اليهود قالوا: كيف يسمع ربك دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، وأن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، فنزل[١١] قوله: **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**.[١٢] هذا لما[١٣] لم يعرفوا الصانع.

---

[١] ن: بهم.

[٢] ك ن م: يحتمل.

[٣] م - قوله.

[٤] ع - ويحتمل قوله فإني قريب وجوها يحتمل قريب.

[٥] ك: ولا حاجة.

[٦] ك - المكان و.

[٧] ن: الذات.

[٨] ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/٧).

[٩] سورة ق، ٥٠/١٦.

[١٠] سورة الواقعة، ٥٦/٨٥.

[١١] ن: فنزلت.

[١٢] *تفسير القرطبي*، ٢/٣٠٨.

[١٣] ن: لمن.

ألا تراهم [أنهم] جعلوا له الولد وجعلوا له شركاء؟ فخرج سؤالهم -إن كان- مخرج[1] سؤال المتعنت،[2] لا سؤال المسترشد.

وقوله: **أجيب**، أي أقبل **دعوة / الداع**، يعني توحيد الموحّد. وكذلك قال ابن عباس [٤١و] رضي الله عنه في قوله: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ،[3] أي وحدوني أغفر لكم.[4]

وقيل: **أجيب دعوة الداع**،[5] على حقيقة الإجابة.

وقوله: **فليستجيبوا لي [وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون]**، أي إلى ما دعوهم.[6] يحتمل على ما ذكرنا في قوله: **أجيب**، لكم إذا استجبتم لي بالطاعة والائتمار. ويحتمل **أجيب** لكم إذا أخلصتم الدعاء لي. ويحتمل على ابتداء الأمر بالتوحيد،[7] كأنه قال: وحدوني. ألا ترى أنه قال: **وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**، إذا فعلوا ذلك.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[١٨٧]

وقوله: **أحل لكم ليلة الصيام**، سماه ليلة الصيام، الليل مضاف إلى يومه، كأنه قال: ليلةَ يوم الصوم، وإن لم يكن فيها صوم في الحقيقة، لانتظار الصيام فيها بالنهار؛ على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه[8] قال: «مُنتظِر الصلاة في الصلاة[9] ما دام ينتظرها».[10]

---

[1] ن: يخرج.
[2] ع: التعنت.
[3] ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (سورة المؤمن، ٦٠/٤٠).
[4] *تفسير الطبري*، ٧٨/٢٤؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ٤٧/٢.
[5] ك: الداعي.
[6] ن: أي ما دعوهم.
[7] ن – بالتوحيد، صح هـ.
[8] ع: إذ.
[9] ع م – في الصلاة.
[10] م + في الصلاة. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له اللهم ارحمه، حتى ينصرف، أو يُحْدِث» (*الموطأ* لمالك، =

وكذلك قوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ،[1] أضاف الصوم إلى الشهر، يدخل فيه الليل والنهار، لأن اسم الشهر يجمع الليل والنهار جميعا.

وقوله: **الرفثُ إلى نسائكم.** قيل: **الرفث** الجماع، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[2] وقيل: **الرفث** هو حاجات الرجال إلى النساء، من نحو الجماع والمس والتقبيل وغيره.

وقوله: **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن.** قيل: هن سِتر لكم عما لا يحل، وأنتم سِتر لهن أيضا يُعَفُّ الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل. وقيل: سَكَنٌ لكم، وأنتم سكن لهن؛ يسكن الزوج بالزوجة والزوجة بالزوج. وهو كقوله: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا،[3] أي سَكَنًا و[قوله]: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ.[4] ويحتمل أن يكون أحدهما لباس الآخر بالليالي. ***والله أعلم.***

وقوله: **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم [فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن].** تختانون وتخونون واحد. قيل: نزلت الآية في شأن عمر رضي الله عنه، وذلك أن الناس [كانوا في ابتداء الإسلام] إذا صاموا ثم نام أحد منهم حرم عليهم الطعام والجماع حتى يُفطر من الغد، فواقع عمر رضي الله عنه امرأته يوما بعد ما نام أو نامت، فغدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره بذلك، فنزل قوله: **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم**[5] أي تظلمون، لأن كل خائن ظالم لنفسه[6] فتاب الله عليه وعفا[7] عنه.

ثم رخّص لهم المباشرة بقوله: **فالآن باشروهن،** على الرخصة والإباحة،[8] لا على الأمر به.

وقوله: **وابتغوا**[9] **ما كتب الله لكم.** قيل فيه بوجوه. قيل: ما كتب الله لكم من الولد. وقيل: ما كتب الله لكم من ليلة القدر وما فيه من نزول الرحمة. وقيل: **ابتغوا**[10] ما كتب الله لكم

= الصلاة ٤٤؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ١/١٤٤، ٢/٢٣٥؛ ٣/٣، ٤٢؛ ٥/٤٥١-٤٥٣؛ وصحيح *البخاري*، الصلاة ٣٨، الأذان ٣٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢٧١-٢٨٢).

[1] سورة البقرة، ٢/١٨٥.

[2] *تفسير الطبري*، ٢/١٦١؛ وتفسير *القرطبي*، ٢/٤٠٧؛ وتفسير *ابن كثير*، ١/٢٣٨.

[3] سورة النبأ، ٧٨/١٠.

[4] ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٦١).

[5] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٤٦٠؛ وتفسير *الطبري*، ٢/١٦٥؛ وتفسير *القرطبي*، ٢/٣١٥.

[6] جميع النسخ: نفسه. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨ظ.

[7] ك ع م: عفا.

[8] جميع النسخ: هو على الإباحة. والتصحيح من شرح *التأويلات*، ورقة ٤٨ظ.

[9] ع + أي ابتغوا.

[10] ك ن + أي ابتغوا.

من الرخصة والإباحة في الجماع في ليلة الصيام، والأكلِ بعد النوم.[١] وهو كما جاء: «من لم يقبل رُخَصَنا[٢] كما يقبل عزائمنا فليس منا».[٣]

وقوله: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر.

ذكر عن عدي بن حاتِم أنه قال: كنت أضع خيطين تحت وسادتي بعد نزول هذه الآية، أحدهما أبيض والآخر أسود، فكنت أنظر فيه متى ما تبين لي، إلى أن أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: «إن وسادتك لعريض»، يعني إن الفجر هو[٤] المعترض في الأفق.[٥] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يغرّنّكم الفجر المستطيل، إنما الفجر المستطير في الأفق».[٦] وروي أنه قال: «الفجر فجران، فجر[٧] مستطيل في السماء، وفجر مستطير في الأفق، هو[٨] الذي يحرّم الطعام على الصائم، ويُحلّ الصلاة».[٩] وروي أنه قال: «لا يغرنكم أذان بلال، فإنه إنما يؤذّن بالليل لِيُوقِظ نائِمَكم، ويَرْجِع قائِمَكم».[١٠] وفي بعض الأخبار، قال: «لا يغرنكم أذان بلال عن سحركم، فإنه إنما يؤذن بليل»، أو كلام نحو هذا.[١١]

---

[١] ع م: اليوم.

[٢] ن: رخصته.

[٣] روى أحمد عن ابن عمر، قال: جاء رجل فقال: إني أقوى على الصوم في السفر. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٧١/٢؛ و*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٨١/٣؛ و*فيض القدير* للمناوي، ٢٢٥/٢).

[٤] ك – هو.

[٥] عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ قال عدي بن حاتم: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عقالين، عقالا أبيض وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣٧٧/٤؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ١٧؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٣٣-٣٥).

[٦] عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَمنعنكم من سَحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل، ولكن الفجر المستطير في الأفق» (*تفسير الطبري*، ١٧١/٢؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢٢٣/١).

[٧] ن – فجر.

[٨] ك ن: فهو.

[٩] صحيح *البخاري*، الأذان ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٣٨.

[١٠] *مسند أحمد بن حنبل*، ٣٨٦/١؛ وصحيح *البخاري*، الأذان ١٣؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٣٨-٤٠.

[١١] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يغرنكم أذان بلال فإن في بصره شيئا». فدل ذلك على أن بلالا كان يريد الفجر فيخطيه لضعف بصره. فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعملوا على أذانه، إذ كان من عاداته الخطأ، لضعف بصره. انظر: شرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١٤٠/١.

والأصل في هذا أن الله عز وجل جعل حدَّ الصيام من وقت تَبيّن[1] النهار إلى وقت غيبوبة الشمس. وأباح من وقت غيبوبة الشمس[2] إلى وقت تبيّن النهار الطعام والشراب والجماع، تخفيفا[3] منه.

وقوله عز وجل: **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**. اختلف في المباشرة. قيل: المباشرة عنى بها[4] الجماع وما دون الجماع، فإنما نهوا عنها. وقيل: المباشرة كناية عن الجماع.

ثم قوله: **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**، فيه أدلة على أوجه[5] [من الأحكام]. فالآية[6] كأنها نزلت في نازلة[7] بُلُوا بها، لا أن كانوا يباشرون نساءهم في المساجد، لأن المساجد[8] كانت[9] أجلّ عندهم من أن يجعلوها مكانا لوطء النساء. ولكنه -والله أعلم- أن الاعتكاف هو اللبث في مكان يأخذ الحق في نفسه عند عكوفه [في] المسجد وخروجه منه. فذكر أن العكوف نفسَه يحرّم الجماع في الأحوال كلها، ليس كالصوم الذي يَحرم حالا دون حال في الوقت الذي لم يكونوا فيها، ليعلموا أن حكم المُقام في المساجد آخِذ لهم وليسوا هم فيها. ولو لم يكن شرطا في ذلك لكان قوله: **وأنتم عاكفون** كافيا، إذ لم يكونوا في المساجد وقت لحوق النهي للمباشرة. ***والله أعلم***.[10]

---

[1] ن ع م + وقت.

[2] ع م - وأباح من وقت غيبوبة الشمس.

[3] ن ع: تحقيقا.

[4] ك ع م: به.

[5] ك ع م: من أوجه؛ ن: من وجهين؛ ن هـ: أوجه.

[6] جميع النسخ: الآية.

[7] ع م - نازلة.

[8] ن - لأن المساجد.

[9] جميع النسخ: كان.

[10] يقول علاءالدين السمرقندي: «ثم دلت على وجوه من الأحكام، أحدها أن الجماع محظور [في] الاعتكاف، حتى يفسد الاعتكاف به ليلا كان أو نهارا، في المسجد أو خارجا منه، لأنه حرم لمكان المسجد[وما لحقه]، وإن كان ظاهر النهي ذلك بقوله: ﴿وأنتم عاكفون في المساجد﴾، لأن الآية نزلت في قوم كانوا معتكفين في المساجد، وكانوا يخرجون ويقضون حاجتهم، ويغتسلون [ويعودون] إلى معتكفهم، لا أنهم كانوا يجامعون في المساجد لينتهوا عن ذلك. فثبت أن النهي ورد عن المباشرة في حال الاعتكاف مطلقا. وإنما ذكر المساجد لأن الاعتكاف قربة منع النفس عن حظوظها أو حقوقها بملازمة المسجد الذي هو بيت الله تعالى، والإعراض عن الدنيا؛ ولهذا حرم عليه الخروج من المسجد الذي هو ضد العكوف، ولكن أبيح بقدر ما فيه تحقيق هذه القربة؛ لأنه لا يتمكن من أداء هذه القربة إلا بالبقاء، ولا بقاء بدون الوقف، ولا بد لذلك من الاستفراغ عن الأمر المعتاد، ونحو ذلك. فكان المعتكف في حال خروجه إلى حوائجه الضرورية بمنزلة كونه في المسجد، فلهذا سماهم عاكفين في المساجد حتى يكون ذلك آكدَ في الزجر عن المباشرة تعظيما للمسجد لصحة الاعتكاف؛ فإنه وصفهم بكونهم عاكفين في المساجد مع أنهم لم يباشروا الجماع في المساجد لينتهوا عن ذلك، فدل أن الاعتكاف مقيد بهذا الشرط» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٨ظ).

وفيه دليل: أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، حيث خص المساجد دون غيرها من الأمكنة.

وفيه دليل: أن المعتكف قد يخرج من معتكَفه، لكنه لا يخرج[١] إلا لما[٢] لا بد منه، على ما جاء عن[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يخرج إلا لحاجة إنسان.[٤] وحاجة الإنسان تحتمل[٥] وجهين. تحتمل ما يرفع[٦] إليه من الحوائج.[٧] وتحتمل[٨] حاجة الإنسان الحاجة[٩] المعروفة التي لا يحتمل قضاؤها في المسجد.

ثم الضرورة تقع بالخروج في العكوف بوجهين. مرة في نفسه، ومرة في أفعال يكتسبها. ولهذا[١٠] يقول أصحابنا رحمهم الله بفرضية[١١] الخروج إلى الجُمَع؛ لأن من اعتكف على أن لا يشهد الجمعة لا يؤذن له في ذلك، لما لا جائز أن يؤذن بإيجاب قربة[١٢] هي ليست عليه بتضييع أخرى هي عليه، لذلك كان ما ذكرنا.

فإن قيل: روي [عن علي][١٣] أنه كان يخرج[١٤] لاتباع الجنازة وعيادة المريض.[١٥] قيل: إن ثبت هذا، / فهو إذ خرج لوجه أذن له[١٦] بالخروج لذلك الوجه، فخرج، ثم عاد مريضا [٤١ظ]

---

[١] ن – من معتكفه لكنه لا يخرج.
[٢] ع: لماء.
[٣] ع م: من.
[٤] عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يُدْني إليّ رأسه فأُرَجّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان. (*الموطأ* لمالك، الاعتكاف ١-٢؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ١٠٤/٦، ١٨١، ٢٣٥؛ وصحيح *البخاري*، الاعتكاف، ٢، ٣؛ و صحيح *مسلم*، الصيام ٦).
[٥] ن ع م: يحتمل.
[٦] جميع النسخ: لما يرفع.
[٧] أي ما لا يتمكن من قضائها إلا بالخروج. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩و.
[٨] ع م: ويحتمل.
[٩] ع – الحاجة.
[١٠] جميع النسخ: وهذا.
[١١] جميع النسخ: في فرضية.
[١٢] ع: قرية.
[١٣] زيادة من شرح السمرقندي، ورقة ٥٩و.
[١٤] ع م – يخرج.
[١٥] عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المعتكف يتبع الجنازة، ويعود المريض، وإذا خرج من المسجد قنع رأسه، حتى يعود إليه»(*أحكام القرآن* للجصاص، ٣١٠/١).
[١٦] ع م – له.

أو شهد جنازة،[١] وذلك جائز.[٢] ولو كان يؤذن لذلك لكان يؤذن لكل قربة؛[٣] إذ الجنازة إذا شيّعها الكافي سقط فرض التشييع. فإذًا[٤] لم يؤذن في غير هذا. وهذا في مثل[٥] ذلك أو دونه، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي ذلك دليل أن الخبر على ما بينت. *والله أعلم*.

وروي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: من السنة أن لا يخرج المعتكف من معتكفه.[٦] دل هذا من عائشة رضي الله عنها أن خبر[٧] علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما ذكرنا، إن ثبت.[٨]

وفي قوله: **ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد** دليل[٩] أن الاعتكاف يكون في جميع[١٠] المساجد، لأنه عم المساجد. وما روي أن لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام،[١١] إن ثبت فهو على التناسخ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في مسجد المدينة، فدل فعله أنه منسوخ. *والله أعلم*.

وقوله: **تلك حدود الله فلا تقربوها**. قيل: تلك المباشرة معصية فلا تقربوها في الاعتكاف، فحدّ الأمر أن لا تقربوها.[١٢] وقيل: إنه جعل لكل طاعة وأمر ونهي حدًّا[١٣] وغاية،[١٤]

---

[١] ك + أو شهد جنازة.

[٢] ك – وذلك جائز.

[٣] ع: قرية.

[٤] ك ع: فإذ.

[٥] ن ع: مثل.

[٦] عن عائشة قالت: إن من السنة في المعتكف أن لا يخرج إلا لحاجة الإنسان، ولا يتبع الجنازة ولا يعود مريضا، ولا يمس امرأة ولا يباشرها. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٩/١.

[٧] ع: أخبر.

[٨] ذكر الجصاص من رواية أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه، قال: المعتكف يشهد الجمعة، ويعود المريض، ويتبع الجنازة. وروي مثله عن الحسن وعامر وسعيد بن جبير. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٩/١.

[٩] جميع النسخ + فيه.

[١٠] م: الجميع.

[١١] ذكره الجصاص عن علي، قال: لا إعتكاف إلا في المسجد الحرام أو مسجد النبي عليه السلام. وقال الرازي: إن المنقول عن علي رضي الله تعالى عنه أنه لا يجوز إلا في المسجد الحرام. وما ذكره الرازي يتفق مع ما ذكره الماتريدي. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٢/١؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ١١٤/٥.

[١٢] ك: لا يقربوها؛ ن: لا تقربها.

[١٣] م – حدا.

[١٤] م: أو غاية.

فلا يجاوَز ولا يُقصَّر عنه. وقيل: تلك فرائض الله. وقيل: تلك سنن الله. وكان الأول أقرب.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١٨٨]

وقوله: **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام،** [فيه وجهان]: قيل: لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، ولا تدلوا بها إلى الحكام. وقراءة أُبي: ولا[١] تدلوا بها إلى الحكام.[٢] على إضمار "لا"، كقوله: وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ،[٣] أي: ولا تكتموا. وقيل: **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** بما تلبسون[٤] على الحكام، وتقيمون[٥] على ذلك حججا باطلة؛ على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أَلْحَنَ بحجته من بعض، فمن قضيتُ له بحق أخيه المسلم فكأنما قضيت له بقطعة من النار».[٦]

وقوله: **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل،** جعل مال أخيه كماله، ونفس أخيه كنفسه، لقوله[٧] تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ،[٨] فإذا أكل مال أخيه بالباطل لزمه مثله؛ جعله[٩] كآكل ماله بباطل، وجعل قتل نفس أخيه بالباطل كقتل نفسه بالباطل، لأنه إذا قتله بباطل قتل به.

ثم من الناس من استدل بهذا على أبي حنيفة رضي الله عنه فيما يقول: يمضي العقد إذا شهد الشهود على ذلك عند الحاكم وقضى به، ثم ظهر أن الشهود شهود زور؛ حيث قال: **ولا تأكلوا.** وبما[١٠] روي من الوعيد للآخذ مكان ما أخذ قطعة من نار. فإذا لم يحل ذلك لم يمض العقد. غير أن الأصل عندنا في كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك بسبب جعل ذلك لهما،

---

[١] ن ع م: فلا.

[٢] جميع النسخ + وجهان.

[٣] سورة البقرة، ٤٢/٢.

[٤] ك ن ع: تلبسوا.

[٥] ك ن ع: وتقيموا.

[٦] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢٩٠/٦؛ وصحيح *مسلم*، الأقضية ٤؛ وسنن *النسائي*، آداب القضاء ١٣، ٢٣.

[٧] ك: بقوله.

[٨] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾ (سورة النساء، ٢٩/٤).

[٩] جميع النسخ: جعل.

[١٠] جميع النسخ: وما.

فإذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ.[1]

وقوله: **لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** يعني طائفة من أموال الناس.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٨٩]

وقوله: **يسألونك عن الأهلة [قل هي مواقيت للناس والحج]**. يحتمل قوله: **يسألونك:** أي سألوك عن الأهلة. ويحتمل: **يسألونك** أنهم يسألونك[2] من بعد. فإن كان على هذا ففيه دليل[3] رسالته، لأنه كان كما أخبر من السؤال له.[4]

ثم معنى[5] السؤال[6] عن الأهلة –والله أعلم– هو أنهم لما رأوا الشمس تطلع دائما على حالة واحدة، ورأوا القمر مختلفَ الأحوال من الزيادة والنقصان، فحملهم ذلك على السؤال عن حال القمر. فأخبر عز وجل أنه جعل الهلال[7] معرِّفا للخلق[8] الأوقات والآجال والْمُدد ومعرفة وقت الحج؛ لأنه لو جعل معرفة ذلك بالأيام لاشتد حساب ذلك عليهم ولتعذر معرفة السنين والأوقات بالأيام، فجعل عز وجل بلطفه وبرحمته الأهلة ليعرفوا[9] بذلك الأوقات والآجال، ويعرفوا وقت الحج ووقت الزكاة، طلبا للتخفيف والتيسير عليهم.

ثم قال: **هي مواقيت للناس والحج**، جعل الأهلة كلها وقتا للحج. ولهذا ما قال أصحابنا: إنه يجوز الإحرام في الأوقات كلها، على ما يجوز بقاء الإحرام في الأوقات كلها. وأما أفعال الحج فإنها[10] لا تجوز إلا في وقت فعل الحج، وهو قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾،

---

[1] يقول علاءالدين السمرقندي: «قال الإمام: إلا أن أبا حنيفة قال ذلك في كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك بسبب جعل ذلك لهما ولهما ولاية ذلك شرعا. فإذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ، كأنهما باشراه. والآية والحديث في القضاء بغير سبب، وبه نقول» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩و).

[2] ع م – أنهم يسألونك.

[3] ك: دلالة.

[4] ع – له.

[5] ك: بمعنى.

[6] ع – ثم معنى السؤال.

[7] ن: الهلاك.

[8] ن ع: الخلق.

[9] م: ليعرفون.

[10] ك: فإنه.

فإنما هي على أفعال فيه؛ دليله قوله: فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ،[١] ولا يُفرض[٢] من الحج في غير الإحرام. دل أنه عنى به أفعال الحج.[٣] وقد جاء أنه سمى الإحرام على الانفراد حجا، وسمى[٤] الطواف بالبيت حجا، والوقوف حجا، وقال: «الحج عرفة»،[٥] وسمي الذبح حجا؛ حيث قال: «أفضل الحج العج به والثج».[٦] وإنما سمي كلا منها حجا، لما جعل لها أوقاتا[٧] معلومة تؤدى[٨] فيها. وأما الإحرام، فإنه جعل الأشهر كلها وقتا[٩] له، بقوله:[١٠] **يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج.**

وقوله: **وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها [ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من أبوابها]**. لا معنى لعطف هذا على الأول إلا على إضمار[١١] السؤال، كأنهم سألوه عن الأهلة،

---

[١] يقول الله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٧).

[٢] ن ع م: ولا تفرض.

[٣] يقول علاء الدين السمرقندي: «وهذه الآية حجة لنا على الشافعي في جواز تقديم إحرام الحج على شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة خلافا له، لأنه تعالى قال: ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ جعل الأشهر كلها وقتا له. فظاهر الآية يقتضي جواز جميع أفعال الحج في الأوقات كلها إلا أنا عرفنا تعيين شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة لسائر الأفعال بدليل آخر وهو أن الله تعالى قال: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ فعلمنا بالنصين بقدر الإمكان فقلنا: المراد بما ذكرنا من النص هو الإحرام الذي هو شرط. وفي النص الثاني دليل عليه فإنه قال: ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث﴾ أي من أدّى فيهن. وأداء أفعال الحج لا يكون بدون الآخر، دل أنه على ما قلنا. ولأن اسم الحج ينطلق على الإحرام فإنه سمي الإحرام حجا كما يسمى الطواف والوقوف حجا قال عليه السلام: «الحج عرفة»، وسمي الذبح والإحرام حجا قال عليه السلام: «أفضل الحج العج والثج»، العج هو رفع الصوت بالإحرام فيجب حمل الحج فيما تلونا من الآية على الإحرام. وفي الآية الثانية على سائر الأفعال جميعا بينهما بقدر الإمكان. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٥٩و).

[٤] ن ع م: سمي.

[٥] روي أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة، فسألوه، فأمر مناديا ينادي: «الحج عرفة، من جاء ليلة جَمْع قبل طلوع الفجر فقد أدرك. أيام منى ثلاثة أيام، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه». وأردف رجلا ينادي بهن. انظر: *الموطأ* لمالك، الحج ٥٥، ١٦٩-١٧٠؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٩١.

[٦] *سنن الدارمي*، المناسك ٨؛ و*سنن ابن ماجة*، المناسك ٦، ١٦. والعج: رفع الصوت بالتلبية، والثج: سيلان دماء الهدي، كناية عن الذبح (*لسان العرب* لابن منظور، «عجج»، «ثجج»).

[٧] ع: أوقاتها.

[٨] ن ع م: يؤدي.

[٩] ك: حجا.

[١٠] ن – بقوله.

[١١] ع م: الإضمار.

وعن إتيان البيوت من ظهورها،[1] فأخبر أن ليس البرّ في إتيان البيوت من ظهورها، ولكن البر في التقى.

ثم اختلف في قصة هذا الكلام. قال بعضهم: إن بعض العرب إذا أحرم أحدهم لم يدخل بيته من بابه، ولكن يدخل من ظهر البيت، مخافة تغطية الرأس إذا دخل من بابه.

وقيل: إن بعض العرب إذا خرج أحدهم لحاجة، فلم يقض حاجته فرجع لم يدخل البيت من بابه، ولكن كان يدخل من وراء ظهره، يكره دخول بيت غير مُنْجِح،[2] يتطيرون به ويتفاءلون قضاها ثانيا؛ فقال الله عز وجل: **ليس البر** فيما تصنعون، **ولكن البر من اتقى** واتبع أمر الله وانتهى عما نهى عنه، ويأتي البيوت من أبوابها.

ويحتمل أن يكون على التمثيل والرمز، ليس على التحقيق، كقوله: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[3] وكقوله نَبَذَ فَرِيقٌ / مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛[4] فهو ليس على حقيقة [٤٢و] الطرح وراء الظهر، ولكن كانوا لا يسمعون كلام الله، ولا يعبؤون به، وكذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمعونه، ولا يكترثون إليه، فأخبر أنه كالمنبوذ والمطروح وراء الظهر، لما يعلموا[5] به.فعلى ذلك الأول، أخبر أن ليس البرّ في ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والائتمار بأمره، أي ليس فعل البر مخالفة محمد عليه الصلاة والسلام فيما يأمره،[6] ولكن البر في الإتباع له والائتمار بأمره.

وقال القرامطة:[7] إن المراد من الأبواب هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

---

[1] ع + لا معنى لعطف هذا على الأول إلا على إضمار السوال كأنهم سألوه عن الأهلة وعن إتيان البيوت من ظهورها.

[2] البيت غير المنجح، الذي لا يحقق الحاجة. يقال: أنجح البيت: صار ذا نجح، وأنجح الله طَلِبته: أظفره بها (*لسان العرب*، «نجح»).

[3] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).

[4] ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون﴾ (سورة البقرة، ١٠١/٢).

[5] جميع النسخ: لم يعلموا.

[6] ع م – فيما يأمره.

[7] القرامطة: فرقة من غلاة الشيعة، تنسب إلى حمدان القَرْمَط. وهو رجل من أهل الكوفة. وقد ظهر أصل هذا المذهب بعد وفات الخلفاء الراشدين، على أيدي طائفة من المجوس الذين نهضوا للتلبيس على المسلمين، والدعوة إلى الكفر. ويدور مذهبهم على القول بأن لكل كلام بطنا وظهرا، والادعاء بأنهم يعلمون الباطن، وتأويل القرآن بناء على هذا. وتسمى هذه الفرقة أيضا بالسبعية. انظر: *أصول الدين* للإمام أبي اليسر البزدوي، ٢٣٧-٢٤٠؛ و*كشاف اصطلاحات الفنون*، «قرامطة»، و«سبعية»؛ و (DİA)، «Karmatîler».

والبيوتِ هو[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أمروا بإتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند علي رضي الله عنه، على ما جاء أنه قال: «أنا مدينة الحكمة[٢] وعلي بابها، فمن أراد الدخول[٣] في البيت لا بد من أن يأتي الباب فيدخل من الباب».[٤]

لكن الجواب لقولهم على قدر[٥] ما تأولوا أنه[٦] ذكر البيوت وذكر الأبواب أيضا، فالبيوت[٧] كثيرة والأبواب كذلك أيضا. فعلي وغيره من الصحابة، من نحو أبي بكر وعمر[٨] وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين فيه شرع سواء. ألا ترى أنه قال: «أنا مدينة الحكمة»، والمدينة[٩] لا يعرف لها باب واحد، بل يكون لها أبواب. فدل أن تأويلهم في علي رضي الله عنه خاصة لا يصح.[١٠] *وبالله العصمة.*

وقوله: **واتقوا الله** أي اتقوه ولا تعصوه، ولا تتركوا أمره، وانتهوا عن مناهيه.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١٩٠]

وقوله: **وقاتلوا في سبيل الله**. سبيل الله[١١] دينه وطاعته، أي في[١٢] إظهار دينه. قيل: هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال. وقيل: أول آية نزلت في الأمر بالقتال[١٣] قوله: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ

---

[١] ك – هو.

[٢] ع م: العلم.

[٣] ع: لدخول.

[٤] ذكره الشوكاني في كتابه *الفوائد المجموعة*، قال: «"أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بالباب"، رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعا. ورواه الطبراني وابن عدي والعقيلي وابن حبان عن ابن عباس أيضا مرفوعا. وفي إسناد الخطيب جعفر بن محمد البغدادي، وهو متهم. وفي إسناد الطبراني أبو الصلت الهروي وعبد السلام بن صالح، قيل: هو الذي وضعه. وفي إسناد ابن عدي أحمد بن سلمة الجرجاني، وهو يحدث عن الثقات بالأباطيل. وفي إسناد العقيلي عمر بن إسماعيل بن مجالد، وهو كذاب. وفي إسناد ابن حبان إسماعيل بن محمد بن يوسف، ولا يحتج به. وقد رواه ابن مردويه عن علي مرفوعا، وفي إسناده من لا يجوز الاحتجاج به» (*الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة* للشوكاني، ٣٤٨).

[٥] ن – قدر.

[٦] ع م – أنه.   وأنه: أي الله تعالى.

[٧] ع م: والبيوت.

[٨] م: من نحو ابي وعمر.

[٩] ن – والمدينة.

[١٠] ك: ولا يصح.

[١١] م – سبيل الله.

[١٢] ع – في.

[١٣] م – وقيل أول آية نزلت في الأمر بالقتال.

بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا.[1] ويحتمل أنه أخبر، كأنهم نُهوا أولا، ثم أُذن لهم فقاتلوا فأُنكر عليهم، فأنزل الله أنه أذن لهم إخبارًا. فلا يدرى أيهما أول، ولكن فيه الأمر بالقتال.[2] والنهي عن الاعتداء ههنا؛ قيل: هو نهي عن قتل الذراري.[3] والنساء والشيخ الفاني، على ما جاء أنه بعث سرية أوصى لهم أن لا يقتلوا وليدا، ولا شيخا.[4] وقيل: نهاهم أن يقاتلوهم في الشهر الحرام إلا أن يبدؤهم المشركون بالقتال. *والله أعلم*.

وقوله: **إن الله لا يحب المعتدين**، لأنه[5] لا يحب الاعتداء، لم يحب من اعتدى.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[١٩١]

وقوله: **واقتلوهم حيث ثقفتموهم.** قيل: لفظ حيث[6] يعبر عن المكان. ففيه إذن بقتلهم في جميع[7] الأمكنة، وفي تعميم الأمكنة تعميم الأوقات. فهو على عموم المكان إلا فيما استثنى من المسجد الحرام مطلقا. وأما قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ،[8] فالاستثناء[9] فيه مقيد، فلا يخرج عن ذلك العام. *والله أعلم*.

---

[1] ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (سورة الحج، ٣٩/٢٢).

[2] يقول علاء الدين السمرقندي: «قيل هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال. وقيل إن أول آية نزلت في القتال قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ أو يحتمل أن قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ نزل بعد قوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾. وذلك أنهم نهوا عن القتال مع الكفرة أولا ثم أذن لهم في القتال مع الكفرة وأمروا به بقوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾. فلما قدموا على ذلك أنكر عليهم الكفرة محتجين عليهم بأن القتال حرام في شريعتكم فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ إخبارا على أنه قد أمرهم بذلك وأذن لهم به. قال: فلا تدرى على الحقيقة أيهما أول ولا حاجة بنا إلى ذلك إنما الحاجة بنا العمل بموجب ذلك وهو الأمر بالقتال والنهي عن الاعتداء» (شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩ظ).

[3] ع: الذار.

[4] *الموطأ* لمالك، الجهاد ١١؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٣٠٠/١؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٢-٧.

[5] ن ع م: انه.

[6] جميع النسخ: الحيث. والتصويب مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩ظ.

[7] ك: جمع.

[8] ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ (سورة البقرة، ٢١٧/٢).

[9] أي استثناء المسجد الحرام.

ثم منهم من جعل لهم القتل في الحرم وفي أشهر الحج، بظاهر هذه الآية. ومنهم من قال: لا يقتل فيهما جميعا.

وقال أصحابنا رحمهم الله: يقتل في أشهر الحرم، ولا يقتل في الحرم، إلا أن يبدؤوا هم بالقتال، فحينئذ نقتلهم.[١] وكذلك يقولون فيمن قتل آخر ثم التجأ إلى الحرم، لم يقتل فيه، ولكن لا يؤاكل ولا يشارب ولا يجالس، حتى يضطر فيخرج[٢] فيقتل،[٣] وإذا قَتل في الحرم يُقتل. فعلى ذلك لا يقاتل[٤] في الحرم، إلا أن يبدؤوا هم[٥] بالقتال، فعند ذلك يحل القتل.

وإنما[٦] لم يحل القتال في الحرم إلا أن يبدؤوا هم[٧] به، وإن كان ظاهر قوله: **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** يبيح القتل في الأمكنة كلها، لقوله:[٨] **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه**، استثنى الحرم دون غيره من الأماكن. وأما قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ.[٩] ظاهر هذه الآية يحرم القتال في أشهر الحج، لكن فيه دليل حِلّ القتال، بقوله: **والفتنة أكبر من القتل**، يعني بالفتنة الشركَ. جعل القتل فيه كبيرا، ثم أخبر أن الشرك فيه أكبر وأعظم من القتل.

فالأصل عندنا أن الابتلاء إذا[١٠] كان من وجهين يختار الأيسر منهما والأخف؛ فلذلك قلنا: إنه يختار القتل في الحرم على بقاء الفتنة -وهو الشرك- إذ هو أكبر وأعظم. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأخرجوهم من حيث أخرجوكم**. يحتمل قوله: **وأخرجوهم** من مكة كما أخرجوكم عام الحديبية. ويحتمل: أنه[١١] أمرهم بأن يُضيِّقوا عليهم ويضطروهم إلى الخروج، كما فعل أهل مكة بهم. ويحتمل الإخراج[١٢] على ما جاء: «ألا لا يَحُجَّنَّ مشرك بعد عامي هذا».[١٣]

---

[١] ك: تقتلهم؛ ن ع م: يقتلهم.
[٢] ن ع م: فتخرج.
[٣] ن – فيقتل؛ ع م: فتقتل.
[٤] ك: لا تقاتل.
[٥] ن م: يبدوهم.
[٦] ع: إنما.
[٧] ن م: يبدوهم؛ ع + بالقتال فعند ذلك يحل القتل وإنما لم يحل القتال في الحرم إلا أن يبدوهم.
[٨] ع – لقوله؛ ك ن م: بقوله. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٥٩ظ.
[٩] سورة البقرة، ٢/٢١٧.
[١٠] ع: إذ.
[١١] ك ن ع: أن.
[١٢] ع + بأن يضيقوا عليهم ويضطروهم إلى الخروج كما فعل أهل مكة بهم ويحتمل الإخراج.
[١٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ١/٣، ٧٩؛ وصحيح *البخاري*، الحج ٦٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٥.

ويحتمل أن يمنعوهم عن الدخول فيه، كقوله تعالى: إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ،[1] وكقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[2] [سَمَّى] المنع عن الشرك إخراجا.

وقوله: **والفتنة أشد من القتل**، أي الشرك أعظم جرما عند الله من القتل فيه.

وقوله: **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم**. قد[3] ذكرنا أن هذا وقوله: **واقتلوهم** كله يخرج على المجازاة لهم. وفيه لغة أخرى: ولا تَقْتُلُوهم عند المسجد الحرام حتى يَقْتُلُوكُمْ.

[فإن قيل] فإذا[4] قتلونا لا سبيل لنا أن نقتلهم، فما معنى هذا؟

قيل يحتمل قوله: ولا تقتلوهم [عند المسجد الحرام] حتى يقتلوكم، أي إذا قتلوا واحدا منكم فحينئذ تقتلوهم. أو لا تقتلوهم حتى يبدؤوا هم[5] بقتلكم.[6] أو أن نقول:[7] لا تقتلوهم حتى يقتلوا بعضكم، فإذا فعلو ذلك فحينئذ تقتلونهم. *والله أعلم*.

وقوله: **كذلك جزاء الكافرين**، أي هكذا جزاء من لم يقبل نعم الله، و لم يستقبلها بالشكر. ويحتمل: كذلك جزاء من بدأ بالقتال في الحرم: أن يقتل.[8]

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٩٢]

وقوله: **فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم**، يحتمل وجهين. يحتمل:[9] **فإن انتهوا** عن الشرك وأسلموا يتغمدهم الله برحمته.[10] ويحتمل:[11] **فإن انتهوا** عن[12] بدء[13] القتال وأسلموا

---

[1] ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ (سورة التوبة، ٢٨/٩).

[2] سورة البقرة، ٢٥٧/٢.

[3] ع م: كما.

[4] ك: فإن.

[5] ن م: يبدوهم؛ ع: بدؤهم.

[6] ك: بالقتل.

[7] ن ع م: يقول.

[8] ك: أي يقتل.

[9] ع – يحتمل.

[10] ك – يحتمل فإن انتهوا عن الشرك وأسلموا يتغمدهم الله برحمته.

[11] ك: يحتمل.

[12] ع: ممن.

[13] ك: بدو.

فإن الله غفور[١] يرحمهم ويغفر ذنوبهم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[١٩٣]

وقوله: **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**. إنا أمرنا بالقتال مع الكفرة ليسلموا.

/ فإن قيل: أيْش[٢] الحكمة في قتل الكفرة، وهو في الظاهر غير مستحسن في العقل؟ [٤٢ظ]

قيل: إنا نقاتلهم[٣] ليسلموا، ولا نقتلهم إلا أن يأبوا[٤] الإسلام، فإذا أبوا ذلك ثم لم نقتلهم لا يسلمون أبدا؛ لذلك قتلناهم، إذ في القتل ذهاب الفتنة.

ويحتمل: **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** على وجه الأرض، أي تظهر[٥] من الشرك.

وقال قوم: الفتنة ههنا العذاب، أي قاتلوا حتى لا يقدر الكفار على عذاب المسلمين.[٦]

وقوله: **ويكون الدين لله**. أي ليكون الدين دين الله في الأرض، لا الشرك.[٧] والدين الحكم.

وقوله: **فلا عدوان إلا على الظالمين**. فإن قيل: فإذا صار الدين كله لله، فلا ظالم هنالك، فما معنى هذا الكلام؟ قيل: يحتمل: لا عدوان إلا على الظالم[٨] الذي أحدث الظلم من بعد. ويحتمل: أن لا عدوان إلا على من بقي منهم مع الظلم.

فإن قيل: فلم سمي عدوانا، والعدوان هو ما لا يحل؟

قيل: لأنه جزاء العدوان وإن لم يكن هو في الحقيقة عدوانا،[٩] فسمي باسمه، كما سمي[١٠] جزاء السيئة سيئة وإن لم يكن هو سيئة، كقوله: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[١١] وكما سمي جزاء الاعتداء اعتداء،[١٢] وإن لم يكن في الحقيقة اعتداء؛ فكذلك الأول.

---

[١] ن ع م – غفور.
[٢] أَيْش: منحوت من "أيّ شيء" بمعناه. وقد تكلمت به العرب (*المعجم الوسيط*، «أيش»).
[٣] ك: نقاتلوهم.
[٤] ن ع م: يأتوا.
[٥] ك: يظهر.
[٦] ن ع م: لا يقدروا عليه كفار؛ ك: لايقدروا عليه؛ والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠و.
[٧] ن – لا الشرك؛ ع: الشر.
[٨] ن: ظالم.
[٩] جميع النسخ: عدوان.
[١٠] ك: يسمى.
[١١] سورة الشورى، ٤٢/٤٠.
[١٢] يشير إلى الآية من سورة البقرة التي ستأتي.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١٩٤]

وقوله: **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص**. قيل: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام يريد مكة، فصده[١] المشركون عن دخولها، فجاء من عام[٢] قابل في الشهر الحرام فدخلها وأقام ثلاثا، وقضى عمرته التي فاتته في العام الأول، فسميت عمرةَ القضاء، فذلك تأويل قوله: **والحرمات قصاص**؛ هذه الثانية صارت قصاصا بالأول.

وقيل: إن أهل الجاهلية كانوا يعظّمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه، فلما أن ظهر الإسلام عظمه[٣] أهل الإسلام أيضا ولم يقاتلوا فيه، حتى جعل الكفار يُغِيرون على أهل الإسلام ويستنصرون عليهم، حتى نسخ ذلك وأمروا بالقتال[٤] فيه بقوله: وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ،[٥] كأنه قال: ما هَتَكْتُم من حرمة الشهر قصاص لما هتكوا.

وقوله: **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**. قد ذكرنا هذا فيما تقدم.[٦]

وقوله: **واتقوا الله**، يحتمل: اتقوا مخالفة الله، أو اتقوا عذاب الله.

وقوله: **واعلموا أن الله مع المتقين**، يعني مع المؤمنين جملة. ويحتمل: اتقوا القتال في الحرم قبل أن يبدؤوا هم،[٧] فإن الله مع المتقين في النصر والمعونة لهم.[٨]

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٩٥]

وقوله: **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**. قيل فيه بوجوه. قيل:

---

[١] ع: وصده.
[٢] ع: في عام.
[٣] جميع النسخ: عظم.
[٤] ن: بالتناول.
[٥] سورة البقرة، ٢/٢١٧.
[٦] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١٩٠.
[٧] ك: يبداواهم؛ ع م: يبدوهم.
[٨] ك – لهم.

أمر[١] بالإنفاق ترغيبا في الخروج[٢] إلى الجهاد، وإلا فكلُّ منفق[٣] على نفسه بما[٤] يعلم حاجته إليه، ولا يلقي نفسه في الهلاك من حيث منع[٥] الإنفاق.

وقيل في قوله: **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**، هو أن يذنب[٦] ذنبا ثم ييأس[٧] من العفو[٨] عنه. وقيل: **وأنفقوا** أي لا تَضَنوا[٩] بالإنفاق مخافة الفوت في الوقت الثاني، فإنه يُخلف لكم ما أنفقتم. وقيل: **أنفقوا**،[١٠] أي أعينوا أصحابكم ولا تلقوهم[١١] إلى التهلكة بترك المعونة لهم، بالإنفاق والتجهيز لهم. وقيل: تصدقوا فإن فيه حياة أبدانكم وأنفسكم.

وقوله: **وأحسنوا [إن الله يحب المحسنين]**. قيل: أحسنوا إلى أصحابكم بالإعانة والتصدق. وقيل: أحسنوا الظن بالله في الإنفاق.[١٢] وقيل: أحسنوا الظن بربكم في الخروج إلى الغزو. ويحتمل: **وأحسنوا** أي أسلموا. وعلى ذلك يخرج قوله: **إن الله يحب المحسنين**، يعني المؤمنين.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١٩٦]

وقوله: **وأتموا الحج والعمرة لله**. اختلفوا في تأويله وفي قراءته.[١٣] قال بعض الناس:

---

[١] ع م - أمر.
[٢] ك ن: على الخروج؛ ع م: بالخروج.
[٣] ك: ينفق.
[٤] ك: مما.
[٥] ع: مع.
[٦] ك ع: يذهب.
[٧] ن ع: يايس.
[٨] جميع النسخ: عن العفو.
[٩] جميع النسخ: لا تظنوا. والتصحيح يوافق ما جاء في شرح السمرقندي. انظر: شرح التأويلات، ورقة ٦٠و. ضَنَّ بالشيء يَضَنّ ضِنًّا و ضَنَانَةً: بخل (*لسان العرب*، «ضنن»).
[١٠] ك - أي لا تضنوا بالإنفاق مخافة الفوت في الوقت الثاني فإنه يخلف لكم ما أنفقتم وقيل أنفقوا.
[١١] ع - ولا تلقوا.
[١٢] ك: بالإنفاق.
[١٣] ع: في قراءته.

العمرة فريضة بهذه الآية، لأنه أمر بإتمامها، كما أمر بإتمام الحج. وقيل هي الحِجّة الصغرى. وأما عندنا فهي ليست بفريضة، وليس في قوله: **وأتموا الحج والعمرة لله** دليل فرضية؛[1] لأنا لم نعرف فرضية الحج[2] بهذه الآية، ولكن[3] إنما عرفناه بقوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً.[4]

ثم في الأمر[5] بالإتمام وجوه. أحدها أنهم كانوا[6] يفتتحون الحج بالعمرة، فأمروا بإتمامها، على ما روي عن عمر[7] رضي الله عنه، قال: "متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنْهى عنهما وأعاقب عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء".[8] والثاني أنهم كانوا لا يجعلون العمرة لله، فأمروا بجعلها لله.[9] وعلى ذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: **وأتموا الحجَّ، والعمرةُ لله**، بالرفع، على الابتداء.[10] ويحتمل الأمر بالإتمام ما روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أنهما سئلا عن قول الله: **وأتموا الحج والعمرة لله**،[11] قالا: من تمامها[12] أن تُحرم من دُوَيْرَة أهلك.[13]

واحتج أصحابنا رحمهم الله أيضا بما روي عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، العمرة واجبة هي؟ قال: «لا، وأن تعتمر خير لك».[14] وروي أيضا عن رسول الله[15] صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الحج مكتوب، والعمرة تطوع».[16] وفي بعضها قال:

---

[1] ن: فرضيته.

[2] ع – الصغرى وأما عندنا فهي ليست بفريضة وليس في قوله وأتموا الحج والعمرة لله دليل فرضية لأنا لم نعرف فرضية الحج.

[3] ع: لكن.

[4] سورة آل عمران، ٣/٩٧.

[5] ع: سبيلا فالأمر.

[6] ك – كانوا.

[7] ك: عن ابن عمر.

[8] رواه الجصاص من طريق الضحاك عن عمر بن الخطاب، ومن طريق جري بن كليب عن عثمان. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٦٥؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٣٩٢.

[9] «هل كانوا يفعلون الحج والعمرة للصنم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠و).

[10] *الكشاف* للزمخشري، ١/١٨١؛ و*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣/١٥١.

[11] ع م – بالرفع على الابتداء ويحتمل الأمر بالإتمام ما روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما أنهما سئلا عن قول الله وأتموا الحج والعمرة لله.

[12] م: تمامها.

[13] *تفسير الطبري*، ٢/٢٠٧؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٣٦٥؛ ونصب *الراية* للزيلعي، ٣/١٦؛ و*نيل الأوطار* للشوكاني، ٥/٢٧.

[14] مسند *أحمد بن حنبل*، ٣/٣٥٧؛ وسنن *الترمذي*، الحج ٨٨؛ و *تفسير القرطبي*، ٢/٣٦٨.

[15] ك: وروي عنه.

[16] *تفسير الطبري*، ٢/٢١٢؛ و*الأم* للشافعي، ٢/١٣٢؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٣٠-٣٣١.

«الحج جهاد، والعمرة تطوع».[١] وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: «الحج فريضة، والعمرة تطوع»،[٢] وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله أ كلّ أهلك يرجع بحِجّة وعمرة غيري؟ قال: «انفري، فإنه يكفيك».[٣] إلى هذه الأخبار ذهب أصحابنا.

والأصل، احتج[٤] أصحابنا أيضا بشيء من النظر، وذلك أن الله فرض الصلاة والزكاة والصيام في أوقات خصها بها. وأجمع أهل العلم أن المتطوع بالصدقة والصلاة والصيام يفعل ذلك متى شاء. ثم أجمعوا أن العمرة لا وقت لها. فدل ذلك على أنها تطوع، إذ لو كانت فريضة كان لها وقت مخصوص[٥] تفعل[٦] فيه كغيرها من الفرائض.

فإن قيل: إن الحج التطوع مخصوص بوقت كخصوص[٧] المفروض منه، فكما لا يدل الخصوص الذي في الحج التطوع على وجوبه فكذلك العموم الذي في العمرة، لا يدل[٨] أنها تطوع.

قيل: وجدنا الفرض كله مخصوصا بوقت، ووجدنا التطوع على ضربين. منه ما هو مخصوص[٩] كالحج، ومنه ما هو غير مخصوص كالصلاة والصيام والصدقة. فلما لم نجد في الفرض ما ليس / بمخصوص بوقت جعلنا كل ما ليس بمخصوص بوقت[١٠] تطوعا غير فرض. واحتجوا [٤٣و] أيضا بأنا وجدنا العمرة تفعل في أشهر الحج، ولم نجد صلاتين يفعلان في وقت واحد فريضتين، ولكن تفعل[١١] الصلاة التطوع في وقت الفريضة. فثبت –لِما جاز أن يجمع بين فعل الحج والعمرة في وقت واحد– أنها تطوع كالصلاة التي تفعل في وقت الظهر وغيرها.

واحتج من جعلها فرضا بأن قال: لم نجد شيئا يتطوع به إلا وله أصل في الفرض.[١٢]

---

[١] ع – وفي بعضها قال الحج جهاد والعمرة تطوع.

[٢] ك – وفي بعضها قال الحج جهاد والعمرة تطوع وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال الحج فريضة والعمرة تطوع.

[٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ١/١٩٧–١٩٨؛ وصحيح *البخاري*، الحج ٣١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١١١، ١١٣، ١٥.

[٤] ك: واحتج.

[٥] ك: وقتا مخصوصا؛ ن ع م: وقت مخصوصا.

[٦] ن ع م: يفعل.

[٧] ن ع م: كمخصوص.

[٨] ن: لا يدرك.

[٩] ع + بوقت كمخصوص المفروض منه فكما لا يدل الخصوص الذي في الحج التطوع على وجوبه فكذلك.

[١٠] ع – جعلنا كل ما ليس بمخصوص بوقت.

[١١] ن ع م: يفعل.

[١٢] ك: في القرآن.

فلو كانت العمرة تطوعا كان لها أصل[1] في الفرض.

قيل: العمرة إنما هي الطواف والسعي، ولذلك[2] أصل في الفرض، [أي] فرض الحج. مع ما أنا وجدنا الاعتكاف [شرع] تطوعا، وليس له أصل في الفرض، فعلى ذلك العمرة.

والأصل أن[3] كل ما يبتدئ الله إيجابه على عباده فإنه يوجب فعلها بأوقات أو يجعل[4] لأدائها أوقاتا،[5] والعمرة ليس لوجوبها وقت ولا لأدائها. ثبت أنها ليست مما[6] أوجبها الله.

وقوله: **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي [ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك]**. الآية على الإضمار، كأنه قال –والله أعلم– **فإن أحصرتم** عن الحج فأردتم أن تَحِلّوا، فاذبحوا ما استيسر[7] من الهدي، إذ الإحصار نفسه لا يوجب الهدي، لكنه إذا أراد الخروج منه يخرج بهدي. وعلى ذلك يخرج قوله: فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ،[8] كأنه قال –والله أعلم–: من كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر، فعدة من أيام أخر، وكقوله: **أو به أذى من رأسه ففدية من صيام**، معناه –والله أعلم–: **أو به أذى** فأزاله[9] **من رأسه ففدية**. وإلّا [ف]كون[10] الأذى في رأسه لا يوجب عليه الفداء حتى يزيل،[11] كقوله:[12] فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ،[13] أي من اضطر فأكل منها غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه، لأن الاضطرار[14] نفسه لا يوجب الإثم.

---

[1] جميع النسخ: أصلا.
[2] أي وللطواف والسعي.
[3] ن ع م: بأن.
[4] ع: إذ يجعل.
[5] جميع النسخ: أوقات.
[6] ع: بما استيسر.
[7] ع: بما.
[8] سورة البقرة، ١٨٤/٢.
[9] ك: فأزال؛ ن ع م – فأزال. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠ ظ.
[10] ع: والاكوان.
[11] ن ع م: تزيل.
[12] ك: وكقوله.
[13] سورة البقرة، ١٧٣/٢. ع م + الفداء.
[14] جميع النسخ: والاضطرار.

ثم اختلف أهل العلم في الإحصار ما هو، وبم[1] يكون، وهل يحل [المحصَر، وبماذا يحل]؟[2] روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه[3] قال: "إذا أُحصر الرجل من مرض أو حبس أو كسر أو شبه ذلك بعث بهدي[4] وواعد[5] يوم النحر، مكث على إحرامه على أن يبلغ[6] الهدي محله"،[7] وعليه الحج والعمرة جميعا من قابل.[8] وعن ابن الزبير وعروة بن الزبير قالا:[9] المحصَر من كل شيء يحبسه عدو ومرض.[10] وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه[11] قال: «من كُسِرَ أو عُرِّجَ فقد حل وعليه الحج من قابل».[12] ومعنى قوله: «فقد حل»، أي جاز له أن يَحل لا أن يَحل[13] بغير دم، لأن الله تعالى أذن له في الإحلال بدم. وهذا عندنا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبل الليل وأدبر النهار وغابت الشمس فقد أفطر [الصائم]»؛[14] فمعناه: فقد حل له الإفطار؛ فعلى ذلك الأول، حل له أن يحل.

---

[1] ك: ثم.

[2] انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠ظ.

[3] ن – أنه.

[4] ك: فهدي؛ ن ع: لهدي؛ م: الهدي.

[5] ك: واوعد.

[6] ك: على يبلغ.

[7] "وواعد يوم النحر، مكث على إحرامه على أن يبلغ الهدي محله": معناه غير واضح؛ وفي شرح السمرقندي: «بعث بهدي وواعد فينحر فيه ويمكث على إحرامه حتى يذبح في محله، فيَحِلّ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠ظ).

[8] وفي تفسير عبد الرزاق ما نصه: «عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ قال: إذا أُحصر الرجل من مرض أو كسر أو شبه ذلك بعث بهديه، ومكث على إحرامه حتى يبلغ الهدي محله وينحر، ثم قد حل، ويرجع إلى أهله، وعليه الحج والعمرة جميعا وهدى أيضا؛ قال: فإن وصل إلى البيت من جهة ذلك فليس عليه إلا الحج من قابل» (*تفسير عبد الرزاق*، ٣١٧/١).

[9] م: قال.

[10] *تفسير ابن كثير*، ٢٣٢/١.

[11] ك ن – أنه.

[12] *الموطأ* لمالك، الحج ١٠٣-١٠٤؛ ومسند *أحمد بن حنبل*، ٤٥٠/٣؛ وسنن *الترمذي*، الحج ٩٦؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٤٤.

[13] ع م – لا أن يحل.

[14] *الموطأ* لمالك، الصيام ٨؛ وصحيح *البخاري*، الصوم ٤٣؛ وصحيح *مسلم*، الصيام ٥٢- ٥٤.

ثم قال بعض أهل اللغة من نحو الكسائي[1] وأبي معاذ،[2] قالوا: إن الإحصار من المرض، والحصرَ من العدو.[3]

فإن قيل: روي عن ابن عباس رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنه أنهما قالا: لا حصر إلا عن حصار[4] العدو. ولكن في هذا نسخ الكتاب بقولهما، إن ثبت، وهو[5] لا يرى نسخ الكتاب بالسنة فضلا أن يراه بقول واحد من الصحابة رضي الله عنهم. مع ما ترك قولهما، لأنه رَوَى عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: ذهب الحصر.[6]

ثم يقال للشافعي رحمه الله: إذا جاز أن تجعل[7] المرأة بمنزلة المحصَر من غير أن تخاف[8] عدوا، لكنها لِما منعها مَن له أن يمنعها، جعلتها محصَرة، فهلا جعلتَ المريض مثلها، وإن كان النص في القرآن جاء في المحصر من العدو على زعمك؟ فقال: لأن المرأة حبسها من له أن يحبسها، فهي أشد حالا ممن حبسه عدو، وليس[9] له أن يحبسه. فيقال[10] له: المريض أمْرَضه مَن له أن يُمرضه،

---

[1] أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الكوفي المعروف بالكسائي، أحد القراء السبعة، كان إماما في النحو واللغة والقراءات. له مع سيبويه وأبي محمد اليزيدي مجالس ومناظرات. وروى عنه الفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما. توفي سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م بالري. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢٩٥/٣.

[2] لعله أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء -بفتح الهاء، وتشديد الراء- النحوي الكوفي، من موالي محمد بن كعب القرظي. قرأ عليه الكسائي وروى عنه. وحكيت عنه في القراءات حكايات كثيرة، وصنف في النحو كثيرا، و لم يظهر له شيء من التصنيفات، وكان يتشيع. كان معاذ صديقا للكميت بن زيد الشاعر. توفي سنة ١٩٠ هـ/٨٠٥م. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٢١٨/٥-٢٢١.

[3] اختلف أهل اللغة في الفرق بين الإحصار والحصر على ثلاثة أقوال. الأول -وهو قول الكسائي وأبي عبيدة وابن السكيت والزجاج وابن قتيبة وأكثر أهل اللغة- أن الإحصار المنع بالمرض، أو ذهاب النفقة؛ وأما الحصر فيكون بحبس العدو. الثاني، وبه قال الفراء، يجوز كل واحد منهما مكان الآخر. الثالث أن الإحصار مختص بالمنع الحاصل من العدو، وهو قول الشافعي رضي الله عنه، والمروي عن ابن عباس وابن عمر، فإنهما قالا: لا حصر إلا حصر العدو. وأكثر أهل اللغة يردون هذا القول على الإمام الشافعي رضي الله عنه. انظر: *مفاتيح الغيب* لفخرالدين الرازي، ٢٠٣/٣-٢٠٤.

[4] ك: حصر.

[5] وهو، أي الإمام الشافعي. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٠ظ.

[6] وفي مسند الشافعي ما نصه: «أخبرنا سفيان بن عيينة عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس، وعن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: لا حصر إلا حصر العدو. وزاد أحدهما: ذهب الحصر الآن» (*مسند الشافعي*، ٣٦٧/١؛ وسنن *الكبرى* للبيهقي، ٢١٩/٥).

[7] ع م: أن يجعل.

[8] ن ع م: يخاف.

[9] ك: ليس.

[10] ك: فقال.

فاجعله أشد حالا من الذي حبسه عدو وليس[1] له أن يحبسه، أو فرّق بين المرأة[2] والمريض. فقال: بل بينهما فرق؛ وذلك أن الخائف بعدو يخاف القتل على نفسه، وقد أباح الله للخائف في القتال أن يتحيز إلى فئة،[3] فينتقل بذلك من الخوف إلى الأمن. قيل له: كما رخص للخائف في ذلك فقد رخّص للمريض أن لا يحضر القتال،[4] فالرخصة له أكثر من الرخصة للخائف. فإن قال: إن المريض لا يبرأ بالعقود، والخائف يأمن. قيل له: إن الرخص التي جعلت للأعذار لا تجعل لترفعها، ولكن الرخصة لترفيه[5] المشقة.

ويقال[6] له أيضا: قد جعلت المرأة محصرة إذا منعها زوجها وهي لا تخاف القتل على نفسها، فبطلت علته وانتقضت. فإن قال: إنكم لم تجعلوا من ضل الطريق محصرا، وهو ممنوع من المضيّ على حجه،[7] فما الفرق بينه وبين[8] المريض؟ فيقال: لو جعلنا الضال عن الطريق محصرا لم يجز له أن يحل[9] من إحرامه إلا بدم يوجّهه إلى الحرم فيذبح عنه. وإذا وجد من يذهب إلى الحرم فيذبح هديه فليس بضال، لأنه قد وجد دليلا[10] يدله على طريقه، لذلك افترقا. وبعد، فإن المرض أحق أن يكون عذرا في ذلك من العدو وغيره، لأنه يقاتل العدو والسباع فيدفع عن نفسه الإحصار، والمرض لا سبيل له إلى دفعه. دل أنه أحق أن يجعل عذرا.[11] وقال بعضهم: يكون محصرا من الحج ولا يكون من العمرة، لأن الحج مما يحتمل الفوت، والعمرة لا.

---

[1] ك ن: ليس.

[2] ن م: من المرأة؛ ع: في المرأة.

[3] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ (سورة الأنفال، ١٦/٨).

[4] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور الرحيم﴾ (سورة التوبة، ٩١/٩؛ وانظر: سورة الفتح، ١٧/٤٨).

[5] ك: لترفية؛ ن: الترفية. وعبارة السمرقندي هكذا: «قيل: إن الرخصة التي جعلت للأعذار [وفي نسختي الشرح: للأعداء] لم تجعل لرفعها، بل جعلت للترفيه والتيسير، والحاجة إلى ذلك قائمة في حق الكل» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦١و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٦٨ظ).

[6] ك ن ع: فيقال.

[7] ع: على حجة.

[8] ع م: بين.

[9] ع – عن الطريق محصرا لم يجز له أن يحل.

[10] ع: وقد دليلا.

[11] ن – في ذلك من العدو وغيره لأنه يقاتل العدو والسباع فيدفع عن نفسه الإحصار والمرض لا سبيل له إلى دفعه دل أنه أحق أن يجعل عذرا.

وأما عندنا فإنه يكون محصرا منهما جميعا؛ لأن الله عز وجل ذكر الإحصار على أثر ذكر العمرة بقوله: **وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي**. وروي في الخبر، [٤٣ظ] يرويه ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا، / فحال كفار قريش بينه وبين البيت الشريف فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية.[1]

وقوله: **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله**. فيه دلالة أن المحصر يبقى حراما على حاله، لا يحل حتى يُنحَر عنه الهدي. واختلف أهل العلم أين يذبح الهدي. فعندنا أنه لا يجوز أن يذبح إلا في الحرم. روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يبعث بهدي ويواعدهم[2] يوما، فإذا نُحر[3] عنه حل.[4] وعن ابن عباس رضي الله عنه مثل ذلك. وعن ابن الزبير رضي الله عنه، وعروة بن الزبير رضي الله عنه أن المحصر يبعث بالهدي،[5] فإذا نُحر عنه حلق.[6] وظاهر القرآن يدل على ما روي عن هؤلاء،[7] لأن الله تعالى قال: **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله**، فجعل للهدي[8] محلا يبلغه، وبيّن موضع محله فقال: هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ،[9] فكانت[10] الكعبة[11] محلا لجزاء الصيد، ولدم[12] المحصَر.[13]

{قال الشيخ رضي الله عنه:} الْمَحِلّ اسم الموضع الذي يحل فيه، ولو كان كل موضع له محلا لم يكن لذكر المحل[14] فائدة.[15] واحتج من خالف أصحابنا رحمهم الله بما روي

[1] *صحيح البخاري*، المحصر ٢؛ وسنن *النسائي*، مناسك الحج ٦٠؛ و*تفسير الطبري*، ٣٧/٤.
[2] ك: وتواعدهم.
[3] ع: ينحر.
[4] *تفسير الطبري*، ٢٢٢/٢.
[5] ك: الهدي.
[6] *صحيح البخاري*، المحصر ٤؛ وسنن *النسائي*، مناسك الحج ١٠٠.
[7] ن: من هؤلاء.
[8] م: الهدي.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة﴾ (سورة المائدة، ٩٥/٥).
[10] ع: وكانت.
[11] م – فكانت الكعبة.
[12] ع م: والدم.
[13] ن – وبين موضع محله فقال هديا بالغ الكعبة فكانت الكعبة محلا لجزاء الصيد ولدم المحصر.
[14] ن – المحل، صح هـ.
[15] ع – فائدة.

أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي يوم الحديبية،[١] ثم قالوا: لم يبلغنا[٢] أنه نحره في الحرم. قيل: روي أنه نحر هديه يوم الحديبية[٣] في الحرم، يرويه مروان بن الحكم.[٤] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية، فحال المشركون بينه وبين دخول مكة، وجاء سهيل بن عمرو يعرض عليهم الصلح، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمرهم أن يسوقوا البُدْنَ، حتى ينحر حيث شاء.[٥] ولا يُتوهم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يهدي الهدي في الحل وقد أطلق له المشركون أن ينحرها حيث شاء،[٦] وهو بقرب الحرم، بل هو فيه. وروي عن مروان والمسور بن مخرمة قالا:[٧] نزل[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في الحل، وكان يصلي في الحرم.[٩] هذا يبين أنه كان قادرا[١٠] أن ينحر هديه في الحرم، حيث[١١] كان يصلي، ولا يحتمل أن يترك نحر الهدي في الحرم وهو على ذلك قادر؛ ولأن الحديبية مكان يجمع[١٢] الحل والحرم جميعا، فإنما ذبح في الحرم لا في الحل لما ذكرنا أنه لا يحتمل أن يذبح في الحل، وله[١٣] سبيل الذبح في الحرم.

فإن قيل: حل النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من إحصاره بغير هَدي، لان الهدي الذي نحره كان هديا ساقه لعمرته لا لإحصاره، فنحر هديه على السنة الأولى وحل من إحصاره بغير[١٤] دم.

---

[١] يشير إلى الحديث الذي ذكر قريبا.

[٢] ك ن: قال و لم يبلغنا.

[٣] ع م – ثم قالوا لم يبلغنا أنه نحره في الحرم قيل روي أنه نحر هديه يوم الحديبية.

[٤] *تفسير الطبري*، ٤/٤٥؛ وشرح *معاني الآثار* للطحاوي، ١/٤٢٧.

[٥] صحيح *البخاري*، المحصر ٢؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٥٤-١٥٥.

[٦] ك + ولا يتوهم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم.

[٧] م: قال.

[٨] ك: ترك.

[٩] صحيح *البخاري*، الشروط ١٥.

[١٠] ع + على.

[١١] ع م + يصلي.

[١٢] ن ع م: مجمع.

[١٣] ع: وليس.

[١٤] ع م – هدي لان الهدي الذي نحره كان هديا ساقه لعمرته لا لإحصاره فنحر هديه على السنة الأولى وحل من إحصاره بغير.

قلنا: ليس الأمر عندنا هكذا، لأنه لا يتوهم على النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون حل بغير دم، وقد أمر الله المحصر بالدم.

فإن قال:[1] وليس في حديث صلح الحديبية أنه نحر دمين، وإنما نحر دما واحدا، فما وجه ذلك عندكم؟

قيل: وجه ذلك عندنا -والله أعلم- أن الهدي الذي ساقه كان هدي[2] متعة أو قِرانٍ فلما منع عن البيت سقط عنه دم القِران، فجاز له أن يجعله من دم الإحصار.

فإن قيل: فكيف[3] قلت:[4] إن النبي صلى الله عليه وسلم أزال الهدي عن سبيله، وأنت تزعم أن من باع هديه فهو مسيء؟

قيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصرف الهدي عن نحره لله والتقرب به إليه، وإنما صرف النية إلى ما هو أفضل منها وأوجب، فكان ذلك في فعله متبعا. والذي باعه صرفه عن سبيله، وترك أن ينحره بعد أن كان نوى به القربة، فكان مسيئا. ومما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الهدي لإحصاره ما روي[5] أنه لم يَحلِق حتى نحر هديه وقال: «يا أيها الناس انحَرُوا وحَلُّوا».[6]

ثم المسألة ما يجب على المحصَر بالحج والعمرة من القضاء إذا حل. فعلى قول أصحابنا إذا كان محرِما بالحج يلزمه الحج مكان الأول، وعمرة بتفويت الحج.

قال الله تعالى: **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج**؛ اختلف أهل العلم في تأويل ذلك. فروي عن ابن عباس رضي الله عنه فيما يكون الرجل به محصَرا، أنه قال: **فإذا أمنتم** من الخوف أو المرض،[7] **فمن تمتع بالعمرة**، أي اعتمر في أشهر الحج، كأنه يقول: إن عليه[8] لإحلاله بغير الطواف عمرة، فإن أخرها حتى يقضيها مع[9] الحج في أشهره فعليه -لجمعه بينهما- دم.

---

[1] جميع النسخ + كذلك قال. والتصحيح مستفاد من شرح *التأويلات*، ورقة ٦١و.

[2] ن ع: هديا.

[3] ك: وكيف.

[4] جميع النسخ: قلنا.

[5] جميع النسخ: لما روي.

[6] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٧٤/٢؛ وصحيح *البخاري*، الشروط ١٥؛ وصحيح *مسلم*، الجهاد ٩٧؛ وتفسير *الطبري*، ٤٥/٤.

[7] ع م: والمرض.

[8] ع: عليهم.

[9] م: منع.

وعن ابن عباس[١] رضي الله عنه، قال في رجُلٍ أهلّ بعمرة فأحصر:[٢] يبعث بهديه، فإذا بلغ الهدي محله حل، فإن اعتمر من وجهه ذلك إذا برئ[٣] فليس عليه هدي،[٤] وإن اعتمر من قابل بعد حج فليس عليه هدي، فإن وصلها بحج[٥] من قابل،[٦] فعليه هدي.

والحاج إذا أُحصر فإنه يبعث بهدي،[٧] فإذا بلغ[٨] مَحِله حل. وإن اعتمر[٩] من وجهه ذلك إذا برئ[١٠] فإنه يحج من قابل وليس عليه هدي، وإن لم يزر البيت حتى يحج وجعلها سفرا واحدا كان عليه هدي آخر؛ سفران وهدي أو هديان وسفر. وقال قوم: عليه حج واحد. روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أمر الله بالقصاص، أفيأخذ منكم العَدد؛ أي حِجةٌ بحِجة، وعُمرة بعمرة. وروي في خبر عمر رضي الله عنه عن النبي[١١] صلى الله عليه وسلم أنه[١٢] قال:[١٣] «فقد حل وعليه الحج من قابل».[١٤] هذا يدل على قول ابن عباس رضي الله عنه، لأنه قال: وعليه الحج من قابل، ولم يذكر عمرة؛ إلا أنه قد يجوز أن يكون عليه العمرة وإن لم تذكر[١٥] في الحديث كما أن الدم عليه[١٦] واجب وإن لم يذكر في الحديث.[١٧]

---

[١] ك ن: مسعود.
[٢] ع م: وأحصر.
[٣] جميع النسخ: بدا.
[٤] ع: الهدي.
[٥] ك – بحج.
[٦] ك + بعد حج.
[٧] ع: يهديه.
[٨] ع + الهدي.
[٩] ك: فإن اعتمر.
[١٠] جميع النسخ: برا.
[١١] ع م: وعن النبي.
[١٢] جميع النسخ: لما.
[١٣] ع: قول.
[١٤] روى البخاري بإسناده، قال: أخبرني سالم قال: كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: أليس حَسْبكم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن حُبس أحدكم عن الحج طاف بالبيت والصفا والمروة، ثم حلّ من كل شيء، حتى يحج عاما قابلا فيهدي أو يصوم إن لم يجد هديا. (صحيح *البخاري*، المحصر ٤). وعبارة السمرقندي هكذا: «وفي خبر عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المحصر: «فقد وجب عليه الحج من قابل ولم يذكر العمرة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦١و).
[١٥] ن ع م: لم يذكر.
[١٦] ع م – عليه.
[١٧] ع + كما أن الدم عليه واجب.

فعلى ذلك العمرة يجوز وجوبها وإن لم تذكر[1] في الحديث.[2] أما إيجابهم العمرة لفسخ الحج بغير طواف، و[تجب] حِجة مكان حجته، فإن كان التأويل في قوله: **فمن تمتع بالعمرة**، أي بالعمرة التي لزمته بإحلاله، كما قال ابن مسعود وابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم، فكفى به حُجّة. وإن كان تأويل الآية غير ذلك، فإنا وجدنا من يفوته الحج يلزمه أن يطوف بالبيت، ثم يجب بعد ذلك قضاء الحج، فأوجبوا[3] على المحصَر عمرة مكان الطواف الذي يجب على من يفوته الحج، وأوجبوا الحج لما دخل فيه.

فإن قيل: يجب[4] أن تسقط[5] عنه العمرة التي تجب على من يفوته الحج،[6] لأن الذي يفوته / الحج[7] لا يحل منه بدم، وإنما يحل بالطواف؛ والمحصر قد حل بالدم، فقام الدم الذي لزمه يحل به مقام الطواف في الذي يفوته[8] الحج. [٤٤و]

قيل له: إن المحصر لو لم يَذبح عنه هديا احتاج أن يقوم على إحرامه حتى يصل إلى البيت فيطوف به، ولو إلى سنين، ثم يحج بعد ذلك مكان الحِجة التي دخل فيها. فجعل له أن يتعجل إلى الخروج من إحرامه، ويؤخر الطواف الذي لزمه بدم يُهريقه. فبالدم جاز له أن يحل، ولم يُبْطِل الطواف عنه، وإذا لم يُبطِل الدمُ عنه الطواف ولم يجعل بدلا منه فعليه أن يأتي به بإحرام جديد، فيكون ذلك عمرة.

فإن قيل: ما الدليل على أن الدم الذي[9] يحل به المحصر جعل عليه ليتعجل به الإحلال، ولم يجعل بدلا عن الطواف؟

قيل: لأن أهل العلم أجمعوا على أن الذي يفوته الحج ليس له أن يفسخ الطواف الذي لزمه بدم يهريقه يجعله بدلا عن[10] الطواف؛ فدل أنه إنما يهريق الدم ليتعجل به إلى الإحلال، لا بدلا عن الطواف. *والله أعلم*.

---

[1] ن ع م: لم يذكر.
[2] ن ع م – في الحديث.
[3] ع م: فارجعوا.
[4] ع م: تجب.
[5] ن ع: أن يسقط.
[6] ن – الحج.
[7] ع – لأن الذي يفوته الحج.
[8] م: يطوفه.
[9] ك – الذي.
[10] ك: من.

وقوله: **فما استيسر من الهدي**، روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: شاة. وأصحابنا رحمهم الله يرون الشاة مجزية[١] في المتعة والإحصار والفدية. والحُجّة لهم في ذلك ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال لكعب بن عُجْرة: «النُّسُك شاة».[٢] وإجماع الناس على أنها مجزية في الأضحية.

ثم المسألة في المحرم إذا حلق[٣] رأسه من أذى. رخص الله تعالى للمتأذي حلق[٤] رأسه بفدي، لقوله[٥] **ففدية من صيام أو صدقة أو نسك**. روي في الخبر عن كعب بن عُجْرَة أنه[٦] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا كعب،[٧] أ يؤذيك[٨] هوام رأسك؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «فاحلقه واذبح شاة، أو أطعم ستة مساكين» وقال كعب: فيّ نزلت هذه الآية.[٩]

ثم اختلف أهل العلم في الذبح، أين يذبح؟ قال أصحابنا رضي الله عنهم: لا يجوز أن يذبح الفدية إلا[١٠] بمكة. وأما الصدقة والصوم فإنه يأتي به حيث شاء. وذلك عندهم بمنزلة هدي المتعة؛ لأن هدي المتعة إنما وجب بجمعه[١١] بين الحج والعمرة في سفر واحد، ولأنه لو شاء أن يُفرد لكل واحد منهما سفرا فَعَل، فَبِأخذه[١٢] بالرخصة لزمه دم. وكذلك دم الفدية،

---

[١] جميع النسخ: مجزيا.

[٢] عن كعب بن عجرة. قال: لَفِيَّ نزلت وإياي عني بها: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم، وهو بالحديبية، وهو عند الشجرة، وأنا محرم: «أ يؤذيك هوامه؟»، قلت: نعم -أو كلمة لا أحفظها عني بها ذاك- فأنزل الله جل وعز: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾، والنسك شاة. انظر: *صحيح البخاري*، المحصر ٨، وتفسير القرآن ٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٨٠-٨٦؛ وسنن *أبي داود*، المناسك ٤٢؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ٢/٢٣٢.

[٣] ع: خلق.

[٤] ع: خلق.

[٥] ك ع م: بقوله؛ ن: يقوله.

[٦] ك ن - أنه.

[٧] ك - يا كعب.

[٨] ع: أتوذيك.

[٩] تقدم تخريجه.

[١٠] ع: إلى.

[١١] ك ن: لجمعه.

[١٢] ك ن ع: فيأخذه.

إنما[1] وجب لأخذه بالرخصة في حلق[2] رأسه، فصار سبيل الدمين سواء، يجبان بمكة. وكذلك[3] دم الإحصار، إنما وجب لأنه أخذ بالرخصة في حلق[4] رأسه[5] فحل من إحرامه، ولا يجوز أن يذبح إلا بمكة؛ فدم الفدية أينما كان إنما وجب، لأنه رخص له في حلق[6] مثل ذلك.

والصدقة ثلاثة أصوع على ستة مساكين، على ما ذكر في خبر كعب رضي الله عنه.[7]

فأما الصوم، فإن المتمتع[8] إذا لم يجد هديا صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله،[9] فأجمعوا على أن له أن يصوم[10] السبعة بمكة وفي غيرها. فصوم الفدية كذلك. وكذلك الثلاثة الأيام[11] إذا صامها بعد إحرامه بالعمرة عندنا، وبعد إحرامه بالحج عند مخالفينا بمكة أو بغيرها فهي مجزية. وكذلك صيام الفدية يجزيه[12] حيث صامه قياسا على صوم المتمتع.

فأما الصدقة فإن الشافعي رحمه الله ذكر أنها لا تجزي إلا بمكة، وقال: لأن أهل الحرم ينتفعون بها كما ينتفعون[13] بالهدي. فيقال له: أ رأيت إن ذبح[14] الهدي بغير مكة ثم تصدق به على أهل الحرم هل يجزيه ذلك؟ فإن قال: لا، قيل له: قد بطلت علتك[15] حيث لم تَجْزِ[16] التصدق على أهل الحرم.[17] وبان[18] أن الدم خص بأن[19] يهراق في الحرم، لأن الله تعالى قال:

---

[1] ن: بما.
[2] ع: خلق.
[3] ن – وكذلك.
[4] ع: خلق.
[5] ك ن – في حلق رأسه.
[6] ع: خلق.
[7] تقدم ذكره.
[8] ع: التمتع.
[9] ع – إلى أهله.
[10] ن ع م: على أنه أن يصوم.
[11] ك: أيام.
[12] ن ع م: تجزيه.
[13] م – بها كما ينتفعون.
[14] ع م: أذبح.
[15] ع: عليك.
[16] ن ع م: لم يجز.
[17] ك + خص.
[18] ك: بان.
[19] ك – خص بأن.

حتى يبلغ الهدي محله. فأما[١] الصدقة فهي مجزية حيث كانت.

ثم اختلف في الذي يحلق[٢] قبل أن يذبح بغير أذى. فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: يجب عليه دم. والحجة له أن الله تبارك وتعالى منع المحصر من الحلق[٣] حتى يبلغ الهدي مَحِلَّه، فإن حلق رأسه لأذى فعليه دم آخر، لأن الآية الكريمة في الحلق في المحصر. فإذا كان الذي[٤] يصيبه الأذى في رأسه قبل الوقت الذي أذن له فيه فدية، [فكذا تجب على كل من حلق رأسه قبل الوقت الذي أذن فيه بالحلق فدية]؛[٥] بل الذي[٦] يحلق رأسه بغير أذى أحرى[٧] أن يكون عليه الفدية. وأبو حنيفة رضي الله عنه يزيد في التغليظ عليه فيقول:[٨] لا يجزيه غير الدم. ويخيِّر صاحب الأذى بين الدم والصدقة والإطعام، كما أخبر[٩] الله تعالى؛ فدليل القرآن شهد لمذهبه. وخالفه جماعة من أهل العلم، فيمن حلق[١٠] قبل أن يذبح وليس بمحصَر، ووافقوه في المحصر؛ واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما سئل عن رجل حلق قبل أن يذبح[١١] فقال: «اذبح ولا حرج».[١٢] لكن قوله: «افعل ولا حرج»، يرجع إلى الإثم، دون الكفارة. افعل: أي لو فعلت لم يكن عليك حرج، لأن الكفارة قد تجب في أشياء يفعلها[١٣] الرجل خطأ وعلى جهة[١٤] الجهل، إنما يجب في ذلك؛ فلا حجة لمن احتج بهذا الحديث في زوال الكفارة.

---

[١] ع – أما.
[٢] ع: يحلق.
[٣] ع: الحلق.
[٤] م – الذي.
[٥] ما بين المعقوفين زيادة من *شرح التأويلات*، ليستقيم المعنى؛ ورقة ٦١ظ.
[٦] ع: الذين.
[٧] ع: أحرى.
[٨] ع م: يقول.
[٩] ك ن: أخبره.
[١٠] ع: حلق.
[١١] ك – وليس بمحصر ووافقوه في المحصر واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما سئل عن رجل حلق قبل أن يذبح.
[١٢] *مسند أحمد بن حنبل*، ٧٦/١؛ وصحيح *البخاري*، الحج ١٢٥، ١٣٠، ١٣١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٣٢٧، ٣٣٤.
[١٣] م: يفعل بها.
[١٤] م: جهته.

وأصله في ذلك أن أحوال الضرورة سبب تخفيف الحكم وتيسيره، لم يجز إيجاب ذلك الحكم في غير أحوال[1] الضرورة والعذر. وعلى هذا يخرج قولهم في جميع الأصول: إن الحكم في حال الاضطرار والعذر خلاف ما هو في حال الاختيار. ولهم على هذا مسائل مما يكثر عددها.

وفي الآية دليل لزوم الفداء على المتدهن؛[2] لأن الله[3] تعالى قال: **فمن كان منكم مريضا**، وقد ذكرنا أن فيه إضمارا.[4] ثم معروف حاجة المريض في حال مرضه إلى الدهن، فصار كأنه مذكور في الآية. *والله أعلم*.

وقوله: **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي**.

وقد ذكرنا هذا وأقاويلهم.[5]

وقوله: **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج**. اختلف أهل التأويل فيه. قال بعضهم: مِن حين يُحرم، وآخرها[6] يوم عرفة. وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ولا[7] يصومهن[8] حتى يحرم. وعن ابن عباس رضي الله عنه[9] قال: ما بين الهلال[10] ويوم عرفة.[11] وعن علي رضي الله عنه قال: **فصيام ثلاثة أيام / في الحج**: قبل يوم التروية بيوم، ويوم التروية، ويوم عرفة.[12] [٤٤ظ] فإن فات ذلك صام[13] ثلاثة أيام[14] بعد أيام التشريق.

أما تأخيره الصوم حتى يكون آخره يوم عرفة، فلما[15] لعله يجد الهدي. ومثال ذلك

---

[1] ع: الأحوال إلى.
[2] ن: المقدمين.
[3] ك ن:لأنه.
[4] ن: إضمار.
[5] ن – وقوله فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي وقد ذكرنا هذا وأقاويلهم.
[6] جميع النسخ: آخرها.
[7] ن: لا.
[8] ن ع: تصومهن.
[9] ن + رضي الله عنه.
[10] ن: الهلاك.
[11] ك – وعن ابن عمر رضي الله عنه قال ولا يصومهن حتى يحرم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ما بين الهلال ويوم عرفة.
[12] *تفسير الطبري*، ٤/٩٤-٩٧؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/٢٩٣-٢٩٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٢٥.
[13] ع م: صيام.
[14] ن – في الحج قبل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فإن فات ذلك صام ثلاثة أيام.
[15] جميع النسخ: لما.

ما أمر المتيمم عن تأخير الصلاة[١] رجاء أن يجد الماء فيغنيه عن التيمم؛ فعلى ذلك يؤخر الصوم حتى يكون آخره يوم عرفة رجاء أن يجد[٢] الهدي.[٣]

وأما ما اختلفوا فيه من صيامهن حلالا بعد العمرة، فإن من لم يُجز ذلك ذهب إلى أن الله تعالى قال: **ثلاثةَ أيامٍ في الحج**، فتأول ذلك على الإحرام. وقد يجوز أن يكون الأمر كما قال، ويجوز أن يكون معناه في أشهر الحج. ألا ترى أن الله يقول: اَلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ،[٤] ومعناه -والله أعلم- أن الحج يُفعل في هذه الأشهر، ولفعله[٥] أشهُرٌ معلومات. فلما احتملت الآية ما ذكرنا وجدنا السنة في المتمتع[٦] أن يحرم بالحج عشية التروية؛ كذلك روي عن جابر بن عبد الله قال: قدمنا مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهلِّين بالحج لأربع ليال مَضَين من ذي الحجة، فطاف بالبيت وسعى[٧] بين الصفا والمروة، ولم يُحلّ؛ لأنه كان ساق الهدي، وأمر من لم يَسُق الهدي أن يطوف ويسعى ويُقصّر ثم يُحلّ، فلما كان يوم التروية أمرهم أن يُلَبُّوا بالحج.[٨] فإذا كنا نأمر المتمتع أن يحرم بالحج عشية التروية فكيف يصوم الثلاثة الأيام[٩] بعد ذلك، وإنما بقي له يوم واحد؟ فدل ما وصفنا أنه[١٠] يجوز له أن يصومهن حلالا بعد العمرة. ***والله أعلم***.

وقوله: **وسبعةٍ إذا رجعتم**، اختلف فيه. قيل: إذا رجع من مِنَى. وقيل: إذا أتى وقت الرجوع. وقيل: **إذا رجعتم** إلى أهليكم.

وقوله: **تلك عشرة كاملة**. قيل: تلك العشرة وإن كانت متفرقة فهي كالموصولة في حق الحج. وقيل: **تلك عشرة كاملة** عن الهدي، وافية أن يكمل بها حق الدم. وقيل: **تلك عشرة كاملة** في حق الثواب، أي ثوابها كثواب الهدي. ***والله أعلم***.

---

[١] ع م – حتى يكون آخره يوم عرفة فلما لعله يجد الهدي ومثال ذلك ما أمر المتيمم بحق تأخير الصلاة.
[٢] ك: عرفة لما لعله يجد.
[٣] ع م: الهوى.
[٤] سورة البقرة، ٢/١٩٧.
[٥] ك: لفعله.
[٦] م: الحجة.
[٧] جميع النسخ: يسعى.
[٨] صحيح *البخاري*، الحج ٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٣٤-١٣٨.
[٩] ك ع: أيام.
[١٠] ع: أن.

وقوله: **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام.** جعل الحكم الذي ذكره في المتمِّع والمحصَر لمن لا يحضر أهله المسجد الحرام. عن ابن عباس قال: ليس على أهل مكة هدي في المتعة.[١] ولأن أهل مكة لو كانوا كغيرهم لم يكن للخصوص[٢] معنى. وإذا كان المعتمر في أشهر الحج إذا رجع إلى أهله ثم حج من عامه ذلك فلا هدي عليه. فالمكي مقيم[٣] في منزله[٤] بعد عمرته، فهو أحرى[٥] أن لا يجب عليه دم المتعة إن حج من عامه ذلك. ولكنه إن تمتّع فعليه دم الحلال، لأنه منهي[٦] عن التمتع.

ثم اختلف في: **حاضري [المسجد الحرام]**[٧] مَن هم؟ قال أصحابنا رحمهم الله: كل من كان من أهل المواقيت فما دونها إلى مكة فلهم أن يدخلوها بغير إحرام، فلهم جميعا حكم حاضري المسجد الحرام. وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه خرج من مكة يريد المدينة، فلما بلغ قُدَيْدًا[٨] بلغه أن بالمدينة جيشين من جيوش الفتنة فرجع ودخلها بغير إحرام.[٩] وعندنا إذا جاوز جميع المواقيت ثم رجع فعليه الإحرام. وقال آخرون: ليس **حاضري المسجد الحرام**، إلا أهل الحرام.[١٠] وأما الدليل[١١] لأصحابنا رحمهم الله [فهو] ما ذكرنا. وأما قولنا: ليس عليهم إحصار؛ لأن الإحصار هو الحبس[١٢] والحيلولة بينهم وبين دخولهم مكة، فإذا كانوا فيها فهم قادرون[١٣] على الطواف بالبيت في كل وقت؛ لذلك[١٤] بطل الإحصار.

---

[١] *تفسير الطبري*، ٤/١١٠-١١١؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٣٤-٢٣٥.

[٢] ع: المخصوص؛ م: المحصوص.

[٣] ن - مقيم.

[٤] ع: منزلة.

[٥] ن: أخرى.

[٦] ع: منتهى.

[٧] ع م + منهم.

[٨] ن هـ: قديد والكديد من منازل طريق مكة إلى المدينة، شرح.

[٩] *الموطأ* لمالك، الحج ٢٣٨؛ وسنن *الدارمي*، المناسك ٨٨؛ وصحيح *البخاري*، جزاء الصيد ١٨.

[١٠] ع م - إلا أهل الحرام.

[١١] ع م - الدليل.

[١٢] ع: الجيش.

[١٣] جميع النسخ: فإذا كانوا هم فيها قادرون.

[١٤] م: كذلك.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١٩٧]

وقوله: **الحج أشهر معلومات**. عن ابن عمر رضي الله عنه قال: **الحج أشهر معلومات**: شوال، وذو القَعْدة، وعشر من[١] ذي الحجة.[٢] وعن ابن عباس رضي الله عنه مثله،[٣] وعن الحسن مثله، والشعبي ومجاهد، وجبير،[٤] وإبراهيم[٥] مثله. وعن عبد الله[٦] قال: شوال،[٧] وذو[٨] القعدة، وذو[٩] الحجة.[١٠]

ونرى[١١] أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أراد ما أراده الأولون، لأنه لا يبقى بعد أيام منى من مناسك الحج شيء،[١٢] فكيف تكون[١٣] الأيام التي بعد[١٤] النَّفْر من أيام الحج ولا عمل فيها للحُجّاج.

ثم المسألة فيمن يُحرم بالحج قبل[١٥] أشهر الحج: ما عليه، وهل يجوز إحرامه؟ عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: من سنة الحج أن لا يُحرم بالحج إلا في أشهر الحج.[١٦] وعن جابر رضي الله عنه، قال: لا يحرم بالحج قبل أشهر الحج.[١٧]

---

[١] ن – من.

[٢] *تفسير الطبري*، ٤/١١٥-١١٧؛ *وأحكام القرآن* للجصاص، ١/٢٩٩؛ *وتفسير ابن كثير*، ١/٢٣٦.

[٣] ع م – مثله. *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، لفيروزآبادي ٣١.

[٤] ك ن: جويبر؛ ع: جوير؛ م: جرير. وفي *الشرح*: جويبر (ورقة ٦١ظ). ولعله جبير. وفي *الإصابة* لابن حجر ذكر بعض من سمي باسم جبير. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ١/٦٤٣.

[٥] هو أبو عمران (أبو عمار) إبراهيم بن يزيد بن الأسود، الفقيه الكوفي النخعي، أحد الأئمة، تابعي. توفي سنة ٩٦هـ/٧١٤م. انظر: *وفيات الأعيان* لابن خلكان، ١/٢٥-٢٦.

[٦] أي عبد الله بن مسعود.

[٧] ن – شوال.

[٨] ع: وذي.

[٩] ع م: وذي.

[١٠] *تفسير الطبري*، ٤/١١٤؛ *والمحرر الوجيز* لابن عطية، ١/٥٥٢؛ *وتفسير القرطبي*، ٢/٢٦٩.

[١١] ن: وترى.

[١٢] ع م – شيء.

[١٣] ن ع م: يكون.

[١٤] ن: بعد.

[١٥] ع: قيل.

[١٦] عن ابن عباس رضي الله عنه قال: للحج أشهر معروفات يحرم فيها بالحج: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة. انظر: *تنوير المقباس* لفيروز آبادي، ٣١.

[١٧] ذكر ابن كثير هذا القول منسوبا إلى ابن عباس وجابر وعطاء وطاووس ومجاهد. وهو مذهب الشافعي. انظر: *تفسير ابن كثير*، ١/٢٣٥.

فأصحابنا رحمهم الله يكرهون الإحرام قبل أشهر الحج، واتبعوا في كراهيتهم ما روي عن السلف النهي عن ذلك. لكنهم يقولون: إن أحرم يجوز. واحتج بعض أصحابنا في ذلك بأن قال: للحج ميقات ووقت، وأجمعوا أن من أحرم بالحج قبل الميقات فإحرامه صحيح، فعلى ذلك من أحرم قبل وقته فإحرامه صحيح.[1]

وقال بعضهم: **الحج أشهر معلومات**: الأشهر كلها، كقوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَى عَشَرَ شَهْرًا،[2] وهي الأشهر كلها وهي معلومة. وهي كقوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ.[3] فإن كان هذا[4] تأويل الآية ففيه دليل جواز الإحرام بالحج في الأشهر كلها.

وقال آخرون: **الحج أشهر معلومات،** أي في[5] أشهر معلومات. وهو ما ذكرنا من قول جماعة من السلف، قالوا: شوال، وذو[6] القعدة، وعشر من ذي الحجة. غير أنه يتوجه وجهين. أحدهما أن لفعل[7] الحج أشهرًا[8] معلومات. دليله قوله: **فمن فرض فيهن الحج،** سماه حجا بعد سبب الإلزام، فثبت أن ما بعد الإحرام حج.

والوجه الثاني أن[9] للحج أشهرًا[10] معلومات لا يدخل فيها غيره، ثم أدخل فيها العمرة رخصة. دليله قوله : «دخلت العمرة في الحج هكذا»،[11] فيكون معناه: أن للحج أشهرًا،[12] أي لفعله أشهر معلومات. ***والله أعلم.***

---

[1] ع م – فعلى ذلك من أحرم قبل وقته فإحرامه صحيح.

[2] سورة التوبة، ٣٦/٩.

[3] سورة البقرة، ١٨٩/٢.

[4] ن ع + على.

[5] م – في.

[6] ع: وذي.

[7] ع: الفعل.

[8] ن ع م: أشهر.

[9] جميع النسخ: بأن.

[10] جميع النسخ: أشهر.

[11] الحديث رواه البخاري، ومسلم، وقد ذكره القرطبي، قال: واحتج أحمد بالحديث الصحيح –حديث جابر الطويل في الحج– وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عمرة، فقام سراقة بن مالك بن جُعشُم، فقال: يا رسول الله أ لعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: دخلت العمرة في الحج –مرتين– لا، بل لأبد أبد». (*صحيح البخاري*، الحج ٣٤؛ و*صحيح مسلم*، الحج ١٥٨-١٥٩؛ و*تفسير الطبري*، ٢٦٢/٢).

[12] م: أشهر.

وقوله: **فمن فرض فيهن الحج**. اختلف فيما به يفرض[١] الحج. قال بعضهم: إذا نوى الحج صار محرما لبّى أو لم يلبِّ. وقال آخرون: إذا نوى أن يعمل بجميع ما أمر،[٢] وأن ينتهي عن جميع ما نهي، صار بذلك محرما. وأما عندنا فإن تأويل قوله: **فمن فرض فيهن الحج**، أي لبّى فيهن بالحج.[٣] دليله[٤] ما روي عن ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضوان الله عليهم أجمعين أنهم قالوا: **فمن فرض فيهن الحج**، أي لبّى.[٥] وأما بالنية مجردا فإنه لا يكون محرما؛ وما روي أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنها وقد رآها حزينة: «ما لك؟» فقالت: أنا قضيت عمرتي وألقاني الحج عاركا،[٦] فقال: «ذاك شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم فحُجِّي، وقُولي ما يقول المسلمون في حجهم».[٧] / فبين قول [٤٥و] رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها «حُجّي، وقولي ما يقول المسلمون في حجهم»، أن التلبية واجبة، إذ كان المسلمون يفعلونها، وأمر عائشة رضي الله عنها[٨] باتباعهم فيها. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لا يُحرم إلا من أهلَّ أو لبَّى.[٩] فدلت[١٠] هذه الأحاديث النبوية على[١١] أن التلبية فرض الحج. و[ثبت الأمر] عن هؤلاء الأئمة وأمثالهم الذين نأخذ منهم الدين، فلا تجوز[١٢] مخالفتهم ولا العدول عن سبيلهم.

وقال أصحابنا رحمهم الله: إن خرج رجل مع بَدَنته وقلّدها ونوى[١٣] الإحرام فهو محرم، ويقوم ذلك الفعل منه مقام التلبية. والحجة لذلك[١٤] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

---

[١] ن ع م: كفرض.
[٢] ن: أمروا.
[٣] ع – أي لبى فيهن بالحج.
[٤] ن – دليله، صح هـ.
[٥] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٦؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢٣٦.
[٦] أي حائضا (*لسان العرب*، «عرك»).
[٧] صحيح *البخاري*، العمرة ٥–٧، الحيض ١، ٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١١١–١١٢.
[٨] ع م – حجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم أن التلبية واجبة إذ كان المسلمون يفعلونها وأمر عائشة رضي الله عنها.
[٩] *الموطأ* لمالك، الحج ٥٢؛ و*أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٧؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ٢/٨٦.
[١٠] ن: فدل.
[١١] ن – النبوية على.
[١٢] ن: فلا يجوز.
[١٣] ك: وسوى.
[١٤] ع: ولذلك.

لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين في حِجَّته لما أمرهم بأن يَحِلّوا العمرة، فقالوا[1] له: إنك لم تحل، قال: إني قلّدت الهَدي فلا أَحِلّ من إحرامي إلى يوم النحر، وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت[2] الهدي».[3] فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي منعه من الحل تقليده الهدي وأن ذلك قام مقام الإحرام لوجوده بعد الطواف. وروي عن علي وعبد الله وجابر رضي الله عنهم، قالوا: إذا قلّد فقد أحرم.[4] وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا قلد وهو يريد[5] الحج والعمرة[6] فقد أحرم. وما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت:[7] لا يحرم إلا من أهل أو لبّى،[8] فذلك عندنا في الذي يقلد بدنته ولا يخرج معها لا يصير محرما. ألا ترى ما روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بهديه ويقيم، فلا يَحْرم عليه شيء.[9]

وقوله: **فلا رَفَثَ**. قيل: الرفث جميع حاجات الرجال إلى النساء. وقال ابن عباس رضي الله عنه: الرفث الجماع،[10] وابن عمر رضي الله عنه مثله.[11] وأجمع[12] أهل العلم أن المحرم لا يجوز له أن يقبّل امرأته ولا يمسّها بشهوة، ويوجبون على من فعل ذلك دما. روي[13] عن ابن عمر رضي الله عنه: إذا باشر المحرم امرأته أهراق دما.[14] وعن علي رضي الله عنه قال:[15] إذا قبّل المحرم امرأته فعليه دم.[16] وسئلت عائشة رضي الله عنها عما يحل

[1] ك: قالوا.
[2] ن: شئت.
[3] *صحيح البخاري*، الحج ٣٣؛ و*صحيح مسلم*، الحج ١٣٠.
[4] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ١/٢١٨-٢١٩.
[5] ع م: ويريد.
[6] ك ن: أو العمرة.
[7] ن ع م - قالت.
[8] الحديث تقدم تخريجه.
[9] *صحيح البخاري*، الحج ١٠٦-١٠٨؛ و*صحيح مسلم*، الحج ٢٠٥، ٣٦٢؛ و*سنن أبي داود*، الحج ١٣-١٦.
[10] *تنوير المقباس*، ٣١.
[11] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٧؛ و*معالم التنزيل* للبغوي، ١/١٢٤.
[12] ن: أجمع.
[13] ن: ذلك وما روي.
[14] *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٨.
[15] ع م - قال؛ ن: أنه قال.
[16] المرجع السابق.

للمحرم من امرأته[١] فقالت: يحرم عليه كل شيء سوى الكلام.[٢]

وقوله: **ولا فسوق**. قيل: الفسوق السب. وقيل: هو كل[٣] فسق. والفسق حقيقة الخروج عن أمر الله،[٤] قال الله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ،[٥] أي خرج.

وقوله: **ولا جدال في الحج**. قيل: المراء. وذلك أن العرب كانت تؤخر الأشهر[٦] الحرم وتعجل، وفي ذلك نزل: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ،[٧] فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «إن السَّنة قد استدارت كهيئتها يومَ خلق السماوات والأرض»؛[٨] فعلى ذلك استدار وقت الحج إلى حيث جعل، لا يتقدم أبدا ولا يتأخر، فلا تماروا فيه. وعن ابن عباس[٩] قال: لا تجادل صاحبك حتى تغضبه.[١٠]

وأشبه الأمور -والله أعلم- بتأويل الآية أن الله سبحانه وتعالى أمر[١١] بحفظ اللسان والفرج في الإحرام عن كل ما يذكر من فسوق[١٢] ومعصية ومجادلة ومخاصمة،[١٣] وعن الرفث بالفعل والقول؛ لأنه يروى أن الفضل بن عباس كان رِدْف النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن، وجعل النبي يصرف وجهه بيده من خلفه،

---

[١] ن - من امرأته.

[٢] حديث عائشة ذكر مضمونه الجصاص من طرق عدة، وبألفاظ مختلفة. انظر: *أحكام القرآن* للجصاص، ١/٣٠٥-٣٠٩.

[٣] ع: وكل.

[٤] ك ن ع: من أمر الله.

[٥] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ (سورة الكهف، ١٨/٥٠).

[٦] ن ع: لأشهر.

[٧] سورة التوبة، ٩/٣٧.

[٨] عن محمد بن سرين أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادي وشعبان» (*مسند أحمد*، ٥/٧٢؛ وصحيح *البخاري*، بدء الخلق ٢؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٤/٢٢٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ٢/٣٥٣).

[٩] ك + وعن ابن عباس.

[١٠] *تفسير الطبري*، ٢/٢٣٤؛ و*تفسير القرطبي*، ٢/٤١٤؛ و*تفسير ابن كثير*، ١/٢١٢.

[١١] ع - أمر.

[١٢] م: فسق.

[١٣] ن: ومخاصمة ومجادلة.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا يومٌ من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له»[1] أو كما قال. وروي[2] عنه أنه قال:[3] «من حج فلم يَرْفُث و لم يَفسُق، رجع كيوم ولدته أمه».[4]

وقوله: **وما تفعلوا من خير يعلمه الله**، ويجزيه. وفيه[5] ترغيب منه في كل خير.

وقوله: **وتزوّدوا [فإن خير الزاد التقوى]**. قيل: تزودوا للحج والعمرة ما تَكُفُّون به وجوهكم عن المسألة، ولا تخرجوا بلا زاد لتكونوا عيالا على الناس. ويحتمل أن يكون الأمر بالتزود للمعاد. يدل عليه قوله: **فإن خير الزاد التقوى**، يقول: إن[6] تقوى الله خير زادًا[7] من زاد الدنيا.

وقوله: **واتقون يا أولي الألباب**، يحتمل: واتقون [في] المعاصي والمناهي وكل فسق. ويحتمل على التقديم والتأخير، كأنه قال: تزودوا يا أولي الألباب،[8] واتقون في المسألة من الناس.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾[١٩٨]

وقوله: **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**. قيل: التجارة. وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتحرجون من التجارة في عشر من ذي الحجة، فلما أن كان الإسلام امتنع[9] أهل الإسلام عن التجارة،[10] وأحبوا أن يكون خروجهم للحج خاصة، دون أن يختلط [به] غيره[11] من الأعمال؛ فرخص الله عز وجل التجارة[12] للحاج وطلبَ الفضل. وروي عن ابن عمر رضي الله عنه

---

[1] صحيح *البخاري*، الحج ٤؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٤٧.
[2] ع م + ولسانه غفر له أو كما قال وروي.
[3] ن: - قال، صح هـ.
[4] صحيح *البخاري*، المحصر ٩-١٠؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٣٨؛ و*تفسير الطبري*، ٤/١٥٠-١٥٣.
[5] ع م - وفيه.
[6] ع + ان يقول.
[7] جميع النسخ: زاد.
[8] ع + يحتمل واتقون المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل على التقديم والتأخير كأنه قال تزودوا يا أولي الألباب.
[9] ن: وامتنع.
[10] ع: على التجارة.
[11] ن: غيرهم.
[12] ع م - التجارة.

أن رجلا سأله فقال: إنا قومٌ نُكْرَى،[١] ويزعمون[٢] أنه ليس لنا حج. فقال: ألستم تُحرمون وتقفون؟ فقال: بلى. قال:[٣] فأنتم حجاج. قال: فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما سألتني عنه،[٤] فنزلت هذه الآية: **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم.**[٥] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله.[٦] وأصحابنا رحمهم الله يرون حج الأجير والتاجر تاما؛[٧] وظاهر القرآن يدل على ذلك. وكان عند القوم أن الاستئجار[٨] على الطاعة لا يجوز أمرًا ظاهرًا[٩] حتى سألوا في هذا. وأصله أن الحج لا يمنع أفعال غيره، فأشبه الصوم، ويجوز فيه الإجارة، كذا في هذا. وأما الصلاة فهي مانعة لما سواها من الأفعال، فاختلفا.

وقوله: **فإذا أفضتم من عرفات.** قيل: إن أهل الجاهلية كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس، ومن مزدلفة بعد طلوع الشمس، فأمر أهل الإسلام بالخلاف في الحالين[١٠] جميعا: أن يجعلوا[١١] الإفاضة من عرفة بعد الغروب، ومن المزدلفة قبل طلوع[١٢] الشمس.[١٣] ***والله أعلم.*** وفي الخبر: خالفوهم في الرجعتين جميعا.[١٤] والإفاضة هو الإسراع في المشي

---

[١] ن: تكرى. وهو من الإكراء. يقال: أكرى فلانا دابته أو داره: آجره إياها. إنا قوم نكرى: أي نحن قوم نؤاجر ونستعمل لبعض أعمال الحج ونأتي إلى أمكنة الحج (*لسان العرب*، «كرى»).

[٢] ك: ونزعمون.

[٣] ع – قال.

[٤] ع م + مثله.

[٥] انظر: *سنن أبي داود*، المناسك ٦٥٤؛ وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ١٩٤/٤؛ *ومعالم التنزيل* للبغوي، ١٢٥/١.

[٦] ع م – فنزلت هذه الآية ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. انظر: *تفسير الطبري*، ١٦٥/٤؛ *ومعالم التنزيل* للبغوي، ١٢٥/١؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٧٤/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٣٩/١.

[٧] *أحكام القرآن* للجصاص، ٣٠٩/١-٣١٠.

[٨] ك ن: الاستيجار.

[٩] أي وكان عند القوم عدم جواز الاستئجار على الطاعة أمرا ظاهرا.

[١٠] ك – في الحالين.

[١١] ك ن ع: يجعلون.

[١٢] ك ن: الطلوع.

[١٣] ك ن – الشمس.

[١٤] عن المسور بن مخرمة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن هذا اليوم الحج الأكبر، ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس إذا كانت الشمس في رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوهها. وإنا ندفع قبل أن تطلع الشمس، مخالفا هدينا هدي أهل الشرك» (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٢٠١/٣؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٣١/١).

في اللغة. وقيل: الإفاضة الانحدار.[1]

وقوله: **فاذكروا الله عند المشعر الحرام**، يعني المزدلفة. ويحتمل قوله: **فاذكروا الله**، وجهين. يحتمل صلاة المغرب والعشاء.[2] ويحتمل الدعاء فيهما جميعا. وقال ابن عباس رضي الله عنه: / المشعر الحرام[3] الجبيل[4] وما حوله،[5] وهو الجبل الذي يوقف عليه، يقال له: قُزَح، وسمي جَمْعًا أيضا، لأنه يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء. وقيل: سمي جمعا[6] لأنه[7] اجتمع فيه آدم وحواء.[8] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: سمي العرفات[9] عرفات لأن جبريل صلوات الله عليه لما علّم إبراهيم المناسك كان يقول له: عرفت، عرفت.[10] والله أعلم بذلك. [٤٥ظ]

وقوله: **واذكروه كما هداكم [وإن كنتم من قبله لمن الضالين]**. يحتمل وجوها. يحتمل الأمر بالذكر؛ أَمَر بالشكر له على ما أنعم عليهم من أنواع النعم. ويحتمل: اذكروه كما هداكم وأرشدكم لأمر المناسك. ويحتمل الأمر بالتوحيد له،[11] كأنه قال: وحّدوه كما وفقكم لدينه. وعلى هذا يخرج قوله: **وإن كنتم من قبله لمن الضالين**، عن الهدي وعن المناسك وعن معرفة النعم والشكر. ***والله أعلم***.

{قال الشيخ رضي الله عنه:} الهدى[12] على وجهين. هَدَى: عرَّف ليوحّدوه،[13] وهَدَى: وفَّق لطاعته.

---

[1] فاض الماء: سال. وأفاض القوم في الحديث: انتشروا واندفعوا وفاضوا وأكثروا. والإفاضة: الدفع بكثرة (*لسان العرب*، «فاض»).

[2] ع م – ويحتمل قوله فاذكروا الله وجهين يحتمل صلاة المغرب والعشاء.

[3] ن – المشعر الحرام.

[4] ن: الجبل.

[5] *تفسير الطبري*، ٣/١٧٦.

[6] ع م – لأنه يجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء وقيل سمي جمعا.

[7] ع: أنه.

[8] يقول ابن منظور: جَمْع: المزدلفة، معرفة كعرفات. وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس بها. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: بعثني رسول الله في الثَّقَل من جَمْع بليل؛ جمع علم للمزدلفة، سميت بذلك لأن آدم وحواء لما هبطا اجتمعا بها (*لسان العرب*، «جمع»).

[9] ن: عرفات.

[10] *تفسير الطبري*، ٤/١٧٤؛ و*المحرر الوجيز* لابن عطية، ١/٥٥٩.

[11] ع – له.

[12] ك – الهدى.

[13] ن + وعرف.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٩٩]

وقوله: **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس.** قيل: إن أهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون: نحن أهل حرم الله، لا نُفيض كغيرنا ممن قَصَدنا، فأنزل الله فيهم، يأمرهم بالوقوف بعرفات، والإفاضةِ منها من حيث أفاض غيرهم من الناس. وذكر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانت قريش ومن كان على دينها[١] يقفون بالمزدلفة ولا يقفون بعرفة، فأنزل الله: **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس.**[٢] وفيه دليل أن الوقوف بعرفة فرض، وعلى ذلك جاءت الآثار. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحج عرفة»،[٣] و«من أدرك عرفة بليل وصلى معنا بجَمْع فقد تم حجه».[٤]

ويحتمل في قوله: **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** معنى آخر، وهو أنهم رأوا[٥] غيرهم من أهل الآفاق[٦] إذا[٧] قصدوا على الإحرام [قصدوا] من وراء الحرم، وهم أمروا بالإحرام في الحرم،[٨] فلما خُصّوا هم بذلك ظنوا أن قضاء غيره من المناسك في الحرم. ***والله أعلم.***

{قال الشيخ أبو منصور رحمةُ الله عليه:} أمر بالإفاضة بحرف "ثم"، بعد ذكر المزدلفة، والإفاضة من عرفات[٩] يتقدم[١٠] المزدلفة، فبان أن حرف "ثم" مما قد يبتدأ به أيضا.[١١]

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[٢٠٠] ﴿وِمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢٠١]

وقوله: **[فإذا قضيتم مناسككم] فاذكروا الله كذكركم آباءكم [أو أشد ذكرا].**

---

[١] جميع النسخ: ديننا.

[٢] *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٣٥؛ وصحيح *مسلم*، الحج ١٥١-١٥٣؛ وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨٤/٣.

[٣] *أحكام القرآن* للحصاص، ٣٠٤/١؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٨٢/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٤٠/١.

[٤] *أحكام القرآن* للحصاص، ٣١١/١؛ *وتفسير القرطبي*، ٢٧٦/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٤١/١.

[٥] ع: اراو.

[٦] ع: الإنفاق.

[٧] ع م: فإذا.

[٨] ع – في الحرم.

[٩] ن – من عرفات.

[١٠] ع م: بتقديم.

[١١] أي يمكن أن يأتي حرف "ثم" لغير العطف، مثل أن يكون ابتدائيا.

قيل فيه بوجهين. قيل: إنهم في الجاهلية كانوا إذا قضوا المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون آباءهم ومناقبهم، يفتخرون بذلك، فلما أن أسلموا أمرهم أن يذكروا ربهم في الإسلام كذكرهم آباءهم[1] في الجاهلية أو أشد[2] ذكرا، فإنه أولى بذلك من الآباء. وقيل: إن يكونوا يذكرون آباءهم [فهو] بما أنعم[3] عليهم[4] آباؤهم[5] وأحسنوا[6] إليهم، فقال: اذكروني[7] فيما تذكرون آباءكم[8] مكان آبائكم، فإني أنا[9] الذي[10] أنعمت عليكم وعلى آبائكم، فاجعلوا ذلك لي دون آبائكم.

وقوله: **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق [ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار]**. الآية في قوم لا يؤمنون بالبعث والإحياء بعد الموت، [طلبوا] خيرات الدنيا و لم يطلبوا الخيرات في الآخرة، فأُعطوا ما سألوا من حسنات الدنيا. وهو كقوله: وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ،[11] فأعطوا ما سألوا من نصيب؛[12] مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ،[13] أي يُؤْتى حرث الدنيا والآخرة. فلما[14] كان ركونهم إلى الدنيا وميلهم إليها لم يركنوا إلى دعاء غيرها. وأما من آمن بالبعث والإحياء بعد الموت فإنهم سألوا خيرات الدنيا والآخرة جميعا، بقوله: **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**؛ طلبوا حسنات الدنيا، لأن الدنيا [إنما] جعلها محل الزاد للآخرة،

---

[1] م: آباءكم.
[2] ع: واشد.
[3] جميع النسخ: ما أنعم.
[4] ع – عليهم.
[5] ع م – آباؤهم.
[6] م: وأحسن.
[7] ن: اذكروا لي؛ ع: اذكروا إلي.
[8] ع م: آباءهم.
[9] ع م – فإني أنا.
[10] ع: الذين.
[11] ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٢٠).
[12] ك ن – فأعطوا ما سألوا من نصيب.
[13] صدر الآية التي ذكرت قريبا.
[14] ع: فمن.

لا أنه[١] جعلها لهم، إنما خلقهم للآخرة كقوله: وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى.[٢]

ثم اختلف في الحسنة في الدنيا وفي حسنة[٣] الآخرة. قيل: حسنة الدنيا العلم والعبادة، وحسنة الآخرة الجنة والمغفرة. وقيل: حسنة الدنيا النصر والرزق، وحسنة الآخرة الرحمة والرضوان. وكله واحد. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله عبادًا يَحْيَوْن في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة في عافية». قيل: يا رسول الله بم؟ قال: «بكثرة قولهم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».[٤]

﴿أُولٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٢٠٢]

وقوله: **والله سريع الحساب**. قيل فيه بوجوه. [قيل:] فيه تقديم وتأخير، كأنه قال: حسابه سريع. [و]قيل: **سريع** لما أن الإبطاء في الحساب يكون للتفكر فيه والاستذكار وحفظ عُقَد الأصابع أو لشغل شغله؛ فالله[٥] يتعالى عن ذلك: أن يوصف به، أو يَشغله شيء.[٦] وقيل: **سريع** أي قريب كأن قد جاء، كقوله: اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ،[٧] وكقوله: وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ،[٨] وكقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[٩] أي قرب. وقيل: كناية عن[١٠] عذاب شديد، أي شديد العقاب والعذاب.

---

[١] ن + إنما؛ ع م: لأنه.

[٢] انظر: سورة البقرة، ١٩٧/٢.

[٣] ع: الحسنة.

[٤] ذكر الرازي عن الضحاك عن ابن عباس، أن رجلا دعا ربه، فقال: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أعلم أن هذا الرجل سأل الله شيئا من أمر الدنيا». فقال بعض الصحابة: بل، يا رسول الله، إنه قال: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه يقول: آتنا في الدنيا عملا صالحا». وهذا متأكد بقوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ (سورة الفرقان، ٧٤/٢٥)، وتلك القرة هي أن يشاهدوا أولادهم وأزواجهم مطيعين مؤمنين مواظبين على العبودية. انظر: : *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٢٧؛ وانظر أيضا: *مفاتيح الغيب* للرازي، ٢١٧/٣.

[٥] ك ن: والله.

[٦] ع: بشيء.

[٧] ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (سورة القمر، ١/٥٤).

[٨] ﴿واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٩٧/٢١).

[٩] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة النحل، ١/١٦).

[١٠] ع: من.

وهو كقوله:[1] «من نوقش الحسابَ عُذِّب».[2]

﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢٠٣]

قوله:[3] **واذكروا الله في أيام معدودات.** قيل: إنه يحتمل وجهين. قيل: إنه أراد بالأيام المعدودات أيام النحر والذبح؛ أي اذكروا الله بالنحر والذبح في أيامكم. فهو عند أبي حنيفة رحمه الله يوم النحر ويومان بعده. وقيل: أراد بالأيام المعدودات أيام رمي الجمار؛ دليله قوله: **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه،** وهي أيام التشريق وهي ثلاثة أيام بعد النحر. وروي عن علي رضي الله عنه أنه[4] قال: الأيام المعدودات يوم النحر ويومان بعده، اذبح في أيها شئت[5] وأفضلها أولها.[6] وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه.[7] *والله أعلم.*

وقوله: **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه [ومن تأخر فلا إثم عليه].**

[٤٦ر] قيل: من تعجل في يومين[8] بعد يوم النحر بيومين [أي][9] مِن / نَفْر[10] من مِنى قبل غروب الشمس فلا إثم عليه، ومن لم ينفر حتى غربت الشمس، وأقام[11] إلى الغد يوم الثالث، فيرمي الجمار[12] ثم ينفر فلا إثم عليه.[13]

---

[1] ك + أتى أمر الله أي.

[2] عن عبد الله بن مليكة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حوسب عُذِّب». قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٨) قالت: فقال: «إنما ذلك العرض» -وفي رواية مسلم: «ليس ذلك الحساب، إنما ذلك العرض- ولكن من نوقش الحسابَ عُذِّب»، وفي رواية: «يهلك» (*صحيح البخاري*، العلم ٣٥، الرقاق ٤٩؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٧٩-٨٠).

[3] ن ع م: وقوله.

[4] ك ن - أنه.

[5] ك ع م: شيئت.

[6] *تفسير الطبري*، ٢٣٤/٣؛ *والبحر المحيط* لأبي حيان، ١٠٩/٢؛ *وتفسير ابن كثير*، ٢٤٥/١؛ *وأحكام القرآن* للجصاص، ٢١٥/١؛

[7] انظر التعليق السابق.

[8] ن - فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه قيل من تعجل في يومين.

[9] جميع النسخ + يقول. والتصحيح من الشرح ليستقيم المعنى. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٢ ظ.

[10] ع - من نفر.

[11] ك: فأقام.

[12] ك: الجمرات.

[13] ك + ومن لم ينفر حتى.

وقيل: **فمن تعجل في يومين** من أيام التشريق **فلا إثم عليه، ومن تأخر** إلى اليوم الثالث من أيام التشريق **فلا إثم عليه.**

ثم لا يحتمل قوله **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه،** أن يكونا جميعا على الرخصة -التعجل والتأخر[١] جميعا- فلا يلحقه الإثم بكليهما؛ لأنه إذا كان التعجل[٢] هو الرخصة فالتأخر[٣] لا يكون رخصة، وإذا كان التأخر هو الرخصة فالتعجل ليس برخصة. لكن الوجه فيه -والله أعلم- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: **فمن تعجل في يومين** غفر له، **ومن تأخر** غفر له ما كان له من الإثم والذنب في اليوم الذي أخّر.[٤] *والله أعلم*. ويحتمل: أنه خيّره؛[٥] أي إن فعل ذا أو ذا فلا إثم عليه. و عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال في قوله فلا إثم عليه: رجع مغفورا له.[٦]

وقوله: **لمن اتقى [واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون]**. قيل فيه بوجوه. قيل: **لمن اتقى** قتل الصيد في الإحرام. وعلى ذلك قوله: **واتقوا الله** فلا[٧] تستحلوا قتل[٨] الصيد في الإحرام. وقال ابن عباس رضي الله عنه: من اتقى[٩] معاصي[١٠] الله جملة. وقيل: **لمن اتقى** جميع ما يحرم عليه[١١] الإحرام من الرفث والفسوق[١٢] والجدال وغيره.[١٣]

وعلى ذلك قوله: **واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون.** خوفهم عز وجل ليتقوا في كل وقت كلّ معصية. خرج الخطاب في الظاهر للمؤمنين. ويحتمل أن يكون للكفار أيضا؛ يأمرهم أن يتقوا الشرك، وإشراك غيره في أفعالهم، لما أو عدهم بالحشر[١٤] والجزاء لأعمالهم.

---

[١] ك: التعجيل والتأخير.
[٢] ك: التعجيل.
[٣] ك: فالتأخير.
[٤] *تفسير الطبري*، ٢١٧/٤.
[٥] م: خيرة.
[٦] *تفسير الطبري*، ٣١٧/٤.
[٧] ك: ولا.
[٨] ع: قيل.
[٩] ك: لمن اتقى.
[١٠] ك – معاصي.
[١١] م + من.
[١٢] ك: والفسق.
[١٣] م: وغير.
[١٤] ك: الحشر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[٢٠٤]

وقوله: **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا [ويشهد الله على ما في قلبه]**. قيل: إن رجلا من الكفار كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره أنه يحبه، وكان يَعدُ له الإيمان والمبايعة[١] له في دينه ويحلف على ذلك.وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويدنيه[٢] في المجلس، وفي قلبه خلاف[٣] ذلك، فأنزل الله عز وجل: **ومن الناس من يعجبك قوله**، الآية. وقيل: إنها نزلت في المنافقين؛ لأنهم كانوا يُرُون من أنفسهم الموافقة له في الدين ويظهرون أنهم على دينه ومذهبه، ويضمرون الخلاف له في السر[٤] والعداوةَ،[٥] ويحلفون على ذلك، فأنزل الله: **ومن الناس من يعجبك قوله**، الآية. ***والله أعلم***.

وقوله: **وهو أَلَدّ الخصام**. قيل:[٦] أشد الخصام. وقيل: أجدل بالباطل. وقيل: أظلم في الخصومة، لا يستقيم أبدا.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٢٠٥]

وقوله: **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**. قيل فيه بوجوه.[٧] قيل: **ويهلك الحرث**، أي يقتل[٨] النساء؛ وهن حرث، كقوله: نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ،[٩] وفي إهلاك النساء إهلاك النسل.[١٠] وقيل: أراد بالحرث الحرث نفسه وهو الزرع، والنسل الدواب؛ يحرق الحرث ويَعقِر[١١] الدواب وكل حيوان. وقيل:

---

[١] ك: والمبالغة؛ ع م: والمتابعة.
[٢] ع: ويدينه.
[٣] م – خلاف.
[٤] ع: السير؛ م: السبر.
[٥] ع: والعدوان.
[٦] ن + ألد الخصام.
[٧] ك: بأوجه.
[٨] م: بقتل.
[٩] ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٢٣).
[١٠] ع م – الحرث.
[١١] ع: ويعقرب؛ م: ويعفر.

إنهم كانوا يسعون بالفساد، ويعملون[١] بالمعاصي، فيمسك الله عنهم المطر، فيهلك كل شيء من الناس وغيرهم.

ويحتمل قوله: **ويهلك الحرث**، قتل ولد آدم، وفي إهلاكهم إهلاك كل[٢] حرث؛ لأنهم هم الذين يحرثون ويتناسلون، ***والله أعلم***.

وقوله: **والله لا يحب الفساد**، ظاهر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٢٠٦]

وقوله: **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم**. [إذا] قيل له: **اتق الله** عن صنيعك -وهو السعي في الأرض بالفساد- حملته الحمية على الإثم تكبرًا منه. قال الله تعالى لرسوله[٣] صلى الله عليه وسلم **فحسبه جهنم**. يقول -والله أعلم- أعرض عنه واتركه وصنيعَه، فإن جهنم مصيره ومأواه. وروي[٤] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إن أبغض الناس من يقال له اتق الله، فيقول عليك نفسَك.[٥]

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢٠٧]

وقوله: **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**. يحتمل **يشري نفسه ابتغاء**، أي يبيع نفسه، [بالجهد] في عبادة الله وطاعته، فذلك شراؤه[٦] إياها. ويحتمل **يشري نفسه ابتغاء**، أي يبذل نفسه للجهاد في سبيل الله. وهو كقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ،[٧] فهؤلاء بذلوا أنفسهم، لذلك يتفضل[٨] الله عز وجل ببذل الجنة لهم، فهو الشرى. ***والله أعلم***. وهو ما روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ألقى نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما همَّ المشركون بقتله.[٩]

---

[١] ع: ويعلمون.
[٢] ن + شيء من الناس وغيرهم ويحتمل قوله ويهلك الحرث قتل ولد آدم وفي إهلاكهم إهلاك كل.
[٣] ع: لرسول الله.
[٤] ع م: وما روي.
[٥] *معالم التنزيل* للبغوي، ١٣١/١؛ و*تفسير القرطبي*، ١٥/٣؛ و*البحر المحيط* لأبي حيان، ١١٧/٢.
[٦] ك + شراؤه.
[٧] ع م + وهو كقوله إن الله اشترى. سورة التوبة، ١١١/٩.
[٨] ن ع م: بتفضيل.
[٩] جميع النسخ: قتله. *سيرة ابن هشام*، ٢٩٥/١-٣٠١.

وفيه دلالة أن أبا بكر رضي الله عنه كان أشجع الصحابة وأصلبهم، وإن كان ضعيفا في نفسه، لما لم يتجاسر أحد من الصحابة على مثله. وما روي أيضا أنه خرج لمقاتلة أهل الردة وحده. فدل هذا كله أنه كان أشجعهم وأصلبهم في الدين. وقيل: إن الآية نزلت في صُهَيب[1] ابتاع دينه بأهله وماله[2] على[3] ذلك.

وقوله: **والله رؤوف بالعباد**، يحتمل أنه أراد[4] كل العباد؛ وهو أن الكافر إذا أسلم وأخلص دينه لله يتغمده في رحمته ويقبل منه ذلك، ويتجاوز عنه عما كان منه في الشرك والكفر. *والله أعلم*. ويحتمل أنه أراد[5] بالعباد المؤمنين خاصة. [أي] رحيم بهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢٠٨]

وقوله: **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**. فيه لغتان: **السلم** بالكسر والنصب، فمن قرأ بالكسر فهو الإسلام، ومن قرأ بالنصب فهو الصلح، كقوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا،[6] إلى آخر الآية.

فإن قيل: كيف أمر بالدخول وهم فيه، لأنه خاطب المؤمنين بقوله: **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا**.

قيل: لوجوه.[7] أحدها أنه يحتمل أن قوله:[8] **يا أيها الذين آمنوا** بألسنتهم آمنوا بقلوبكم.

---

[1] صهيب بن سنان بن مالك الرومي، قيل له ذلك لان الروم سبوه صغيرا. روى ابن سعد أنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين، فسئل، فقال: يا معشر قريش إني من أرماكم، ولا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه فرضوا، فعادهم ودلهم، فرجعوا فأخذوا ماله. فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ربح البيع، فأنزل الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾. ولما مات عمر رضى الله عنه أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام. مات صهيب سنة ثمان وثلاثين، وقيل: سنة تسع وثلاثين، وهو ابن سبعين. انظر: *الإصابة* لابن حجر، ٣٦٤/٣-٣٦٦.

[2] ع – وماله.

[3] ع: وعلى ما.

[4] جميع النسخ: أن أراد.

[5] ك – أنه؛ ن م: أن.

[6] سورة الحجرات، ٤٩/٩.

[7] ع م: بوجوه.

[8] ن ع م: قوله.

/ ويحتمل: **يا أيها الذين آمنوا** ببعض الرسل من نحو عيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء، [٤٦ظ] آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: أمرُه إياهم بالدخول أمرٌ بالثبات عليه. وقيل: إنه تعالى إنما أمرهم بالدخول[١] فيه لأن[٢] للإيمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت؛ لأنه فعل، والأفعال تنقضي[٣] ولا تبقى؛ كأنه قال: **يا أيها الذين آمنوا** فيما مضى من الأوقات آمنوا في حادث الأوقات. وعلى هذا يخرج تأويل قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ.[٤]

وقوله: **ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين.** قد ذكرنا تأويله فيما تقدم.[٥]

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢٠٩]

وقوله: **فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات**؛ أي مِلْتم وتركتم من بعد ما ظهر لكم الحق. **فاعلموا أن الله عزيز حكيم.** قيل: **عزيز**، أي منتقم بميلكم وترككم الحق بعد الظهور. ويحتمل **عزيز**، أي غني عن طاعتكم له[٦] وعبادتكم إياه. وقيل: **عزيز** من أن يقهر أو يُذلَّل، أو يغلب، لأن العزيز نقيض الذليل. وقيل: **عزيز** لا يقدر أحد أن يصل إليه أو يقهره،[٧] كما يقال: عزيز لا يرام.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٢١٠]

وقوله: **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة.** قيل فيه بوجوه. قيل: **أن يأتيهم الله** بأمره وهو قول الحسن.[٨] وقيل: **يأتيهم الله**، أي أمر الله، وهو كقوله: أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ،[٩] أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ،[١٠] على إضمار[١١] الأمر فيه.

---

[١] ع م - بالدخول.
[٢] ع: لا.
[٣] ك: تقضي.
[٤] سورة النساء، ١٣٦/٤.
[٥] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١٦٨/٢.
[٦] ن - له.
[٧] ك + الأذل بنفسه؛ ن + بنفسه؛ ع م + الإذلال بنفسه. والتصحيح مستفاد من الشرح. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣و.
[٨] *معالم التنزيل* للبغوي، ١٣٤/١.
[٩] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ (سورة النحل، ٣٣/١٦).
[١٠] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ (سورة الأنعام، ١٠٨/٦).
[١١] ك: الإضمار.

وقيل: قوله **في ظلل الفي**[١] بمعنى الباء؛ كأنه قال: يأتيهم الله بظلل من الغمام، وذلك جائز استعمال الفي[٢] مكان الباء، لأنهما جميعا من حروف الخفض، والعرب تفعل ذلك ولا تأبى.[٣]

والأصل في هذا ونحوه أن إضافة هذه الأشياء إلى الله عز وجل لا توجب حقيقة وجود تلك الأشياء منه على ما يوجد من الأجسام، لما يجوز إضافته إلى مالا يوجد منه. تحقيق ذلك نحو ما يقال: جاءنا[٤] أمر فظيع، وجاء الحق وزهق الباطل، وجاء فلان بأمر كذا، وجاءكم رسول؛ فذكر المجيء والإتيان لا على تحقيق وجود ذلك منه؛ فعلى ذلك يخرج ما أضاف عز وجل إلى نفسه من المجيء والإتيان والاستواء،[٥] ليس على تحقيق الإتيان، والمجيء، والاستواء منه على[٦] ما يكون من الأجسام. وفي الشاهد أن ملوك الأرض يضيفون إلى أنفسهم ما عُمل بأمرهم من غير أن يتولوها بأنفسهم، كذلك أضاف جل ذكره أمر القيامة إلى نفسه لفضل ذلك الأمر.

ثم الأصل أن الإتيان والانتقال والزوال في الشاهد إنما يكون لخلتين. إما لحاجة بدت، فيحتاج إلى الانتقال من حال إلى حال والزوال من مكان إلى مكان ليقضيها، أو لسآمة ووحشة تأخذه، فينتقل من مكان إلى مكان لينفي عن نفسه ذلك. وهذان[٧] الوجهان في ذي المكان؛ والله سبحانه[٨] يتعالى عن المكان،[٩] كان ولا مكان، فهو على ما كان. فالله يتعالى عن أن يمسه حاجة، أو يأخذه سآمة؛[١٠] فبطل الوصف بالإتيان، والمجيء، والانتقال من حال إلى حال، أو مكان[١١] إلى مكان. *وبالله التوفيق*.

وقيل: إن النص قد ورد بالاستواء والمجيء، وورد[١٢] الخبر بالنزول والرؤية. ثم قد ورد السمع

---

[١] ك: الفاء.
[٢] ك: الفاء.
[٣] ن: ولا يأبى.
[٤] ن ع م: جاء لي .
[٥] ع: والاستوار.
[٦] ع م + تحقيق.
[٧] ك: وهذا أن.
[٨] ك – سبحانه؛ ع م: تعالى.
[٩] ع م: من المكان.
[١٠] ك: سآمة؛ ن: سآميه.
[١١] ن: ومكان.
[١٢] ك ن: وورود؛ ع – بالاستواء والمجيء وورد؛ م – ورد.

بأن ليس كمثله شيء، فلزم[١] نفي التشبيه فيما ورد عن ذاته، ولزم الإقرار بما جاء من عنده، من غير طلب الكيفية له والتفسير. فالسبيل فيه الإيمان بالتنزيل، والكف عن التفسير. *والله أعلم*.

وفي الشاهد الإتيان في العَرَض ظهوره، وفي الجسم بنقله[٢] من مكان إلى مكان. وهو [عزّ] ذكره جلّ أن يوصف[٣] بجسم أو عرض. كذلك إتيانه لا يشبه إتيان الأجسام والأعراض، ويكون إتياناً[٤] لا يُعْرف كيفيته. وكما[٥] جاز أن يكون هو مثبتا بدليل لا يشبه عرضاً ولا جسمًا.[٦] *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: لزم.
[٢] ك ن ع: ينقله.
[٣] جميع النسخ: جل ذكره أن يوصف.
[٤] جميع النسخ: إتيان.
[٥] ع: ومما.
[٦] يقول الشارح: «وكما وجب أن يقال بثبوت ذاته من غير أن يكون شبيها بالأعراض والأجسام يجب أن يوصف بالإتيان من غير أن يكون له شبه بالإتيان المضاف إلى الأعراض والأجسام، بل نعتقد له وصف الإتيان من غير أن نعرف كيفيته كما نعتقد أنه ثابت الذات من غير كيفية» (شرح *التأويلات*، ورقة ٦٣و-ظ).

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *أحكام القرآن*؛
تأليف أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المعروف بابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت بدون تاريخ (دار المعرفة).

- *أحكام القرآن*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، القاهرة بدون تاريخ (دار المصحف).

- *الإصابة في تمييز الصحابة*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

- *أصول الدين*؛
تأليف أبي اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي، تحقيق هانز بيتر لنس، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

- *الأصول المنيفة للإمام أبي حنيفة*؛
تأليف أحمد بن حسن بن سنان الدين المشهور ببياضي زادة، تحقيق الدكتور إلياس جلبي، استانبول ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

- *الأعلام*
قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين؛ تأليف خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٨٠م.

- *الأم*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن إدريس بن عباس الشافعي، بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م.

- *إنباه الرواة*
على أنباه النحاة؛ تأليف جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- *البداية والنهاية*؛
تأليف أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

- *تاريخ بغداد*
أو *مدينة السلام*؛ تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- *تاريخ الطبري*؛
تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- *تأويل مشكل القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تعليق: السيد أحمد صقر، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- *التبصير في الدين*
وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين؛ تأليف أبي المظفر شهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت ١٩٨٣.
- *تذكرة الحفاظ*؛
تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تعليق الشيخ زكريا عميرات، بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- *التعريفات*؛
تأليف أبي الحسن السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، إستانبول بدون تاريخ.
- *تفسير ابن أبي حاتم*
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المعروف بابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.
- *تفسير أبي حيان*
... المسمى *البحر المحيط*؛ تأليف أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، الرياض بدون تاريخ (مكتبة ومطابع النصر الحديث).
- *تفسير ابن كثير*
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المعروف بابن كثير، بيروت ١٤٠١هـ.
- *تفسير ابن عطية*
... المسمى *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*؛ تأليف أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المعروف بابن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت ١٤١٣هـ /١٩٩٣م.
- *تفسير الآلوسي*
... المسمى *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*؛ تأليف أبي الفضل محمود الآلوسي، المشهور بالآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- *تفسير البغوي*
... المسمى *معالم التنزيل*؛ تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، تحقيق خالد العك - مروان سوار، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.
- *تفسير الرازي*
... المسمى *مفاتيح الغيب*؛ تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، طهران بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

– *تفسير الطبري*
... المسمى *جامع البيان في تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤م.

– *تفسير عبد الرزاق*؛
تأليف أبي بكر عبد الرزاق بن هَمَّام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود محمد عبده، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

– *تفسير الواحدي*
... المسمى *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*؛ تأليف أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تحقيق صفوان عدنان، دمشق ١٤١٥هـ.

– *تنوير المقباس*
من تفسير ابن عباس؛ تأليف أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي بيضون، بيروت ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

– *تهذيب الأسماء واللغات*؛
تأليف أبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن نوري النووي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

– *تهذيب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق خليل مأمون شيحة – عمر السلامي – علي بن مسعود، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

– *الجامع لأحكام القرآن*؛
تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة ١٣٧٢هـ.

– *الجواهر الحسان*
في تفسير القرآن؛ تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق أبو محمد الغُماري الإدريسي الحسني، بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

– *الدر المنثور*
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٩٣م.

– *الدراية*
في تخريج أحاديث الهداية؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني؛ بيروت بدون تاريخ (دار المعرفة).

– *سنن البيهقي الكبرى*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

– *سنن الدارقطني*؛
تصنيف أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، تحقيق الشيخ السيد عبد الله هاشم يماني المدني، بيروت ١٣٨٦هـ.

– *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني الأزدي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

- *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي بالولاء، القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سنن الدارمي*؛
تصنيف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سنن النسائي*
... بشرح *الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السّندي*؛ تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- *سيرة ابن هشام*؛
تأليف أبي محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق طه عبد الرؤف سعد، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- *شذرات الذهب*
في أخبار من ذهب؛ تأليف أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي المعروف بابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرناؤط - محمود الأرناؤط، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة خطية بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ونسخة خطية أخرى بمكتبة طوبقابي سرايي، مدينة، رقم ١٧٩ [Topkapı Sarayı ktp., Medine nr. 179].
- *شرح معاني الآثار*؛
تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق محمد زهري النجار، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *صحيح مسلم*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

– *صفة الصفوة*؛
تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري – د. محمد رواس قلعجي، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

– *طبقات المفسرين*؛
تأليف أحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، المدينة المنورة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

– *العبر*
في خبر من غبر؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، كويت ١٩٤٨.

– *فتح الباري*
بشرح صحيح البخاري؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

– *فتح القدير*؛
الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).

– *الفرق بين الفرق*؛
تأليف عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، المعروف بعبد القاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة بدون تاريخ (دار المعرفة).

– *الفوائد المجموعة*
في الأحاديث الموضوعة؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

– *الفهرست*؛
تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

– *فيض القدير*
شرح الجامع الصغير؛ تأليف عبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي المناوي، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م.

– *القاموس المحيط*؛
تأليف أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، بدون تاريخ.

– *كتاب التوحيد*؛
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق بكر طوبال أوغلي – محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

– *الكاف الشاف*
في تخريج أحاديث الكشاف؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (بهامش *تفسير الكشاف*).

– *الكشاف*
عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، بيروت ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

- *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*؛ تأليف محمد أعلى بن علي بن محمد التهانوي المعروف بالتهانوي، تحقيق د. علي دحروج، بيروت ١٩٩٦م.
- *كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تعليق أحمد القلاش، القاهرة بدون تاريخ (مكتبة التراث الإسلامي).
- *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*؛ تأليف المتقي علاء الدين علي بن حسام الدين عبد الملك بن قاضيخان الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، بيروت ١٤١٩هـ.
- *اللباب في تهذيب الأنساب*؛ تأليف أبي الحسن عز الدين ابن الأثير علي بن محمد بن محمد عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزري، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- *لسان العرب*؛ تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي، تهران ١٤٠٥هـ.
- *لسان الميزان*؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- *مجمع البيان في تفسير القرآن*؛ تأليف أبي علي فضل بن حسن بن فضل الطبرسي، تحقيق السيد أحمد الرسولي المحلاتي - فضل الله الطباطبائي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*؛ تأليف نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق عبد الله الدرويش، بيروت ١٤٠٤ هـ / ١٩٩٤م.
- *مراتب النحويين*؛ تأليف أبي الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي اللغوي، القاهرة ١٣٧٥هـ.
- *المستدرك على الصحيحين*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ١٤١١هـ.
- *مسند أحمد ابن حنبل*؛ تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *مسند الشافعي*؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- *مصنف ابن أبي شيبة*؛ تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

- ***مصنف عبد الرزاق***؛
تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ.

- ***المعارف***؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المعروف بابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٩٢م.

- ***معاني القرآن***؛
تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء؛ تحقيق أحمد يوسف نجاتي- محمد علي النجار، بيروت ١٩٥٥م.

- ***معجم الأدباء***؛
تأليف أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله البغدادي الحموي، المعروف بياقوت الحموي، بيروت بدون تاريخ (مطبوعات دار الميمون).

- ***المعجم الأوسط***؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق محمود الطحان، الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

- ***المعجم المفهرس***
لألفاظ القرآن الكريم؛ إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، إستانبول ١٩٨٢م.

- ***المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي***
نشر أ. ي. فنسك، (نقله إلى العربية: محمد فؤاد عبد الباقي)، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.

- ***المعجم الوسيط***؛
تأليف لجنة من العلماء، جمهورية مصر العربية - مجمع اللغة العربية، طبع أوفست، إستانبول ١٩٩٢.

- ***مغني اللبيب***
عن كتب الأعاريب؛ تأليف أبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، المعروف بابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٩٢م.

- ***مقالات الإسلاميين***
واختلاف المصليين؛ تأليف أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، بيروت، بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- ***الملل والنحل***؛
تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد المعروف بالشهرستاني، تعليق الأستاذ أحمد فهمي محمد، بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- ***موطأ ابن مالك***؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- ***ميزان الإعتدال***
في نقد الرجال؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

- *النجوم الزاهرة*
في ملوك مصر والقاهرة؛ تأليف أبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله المعروف بابن تغري بردي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.
- *نصب الراية*
لأحاديث الهداية؛ تأليف ابي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق محمد يوسف البنوري، القاهرة ١٣٥٧هـ.
- *النهاية*
في غريب الحديث والأثر؛ تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- *نيل الأوطار*
شرح *منتقى الأخبار*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني، بيروت ١٩٧٣م.
- *وفيات الأعيان*
وأنباء أبناء الزمان؛ تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
– *(DİA) Türkiye Diyanet Vakfi İslâm Ansiklopedisi*, İstanbul 1988-.

Râgıb el-İsfahânî, Hüseyin b. Muhammed b. Râgıb el-İsfahânî, *el-Müfredât fî garîbi'l-Kur'ân* (nşr. M. Seyyid Kîlânî), Kahire 1381/1961.

Rahman, Muhammed Mustafiz al-Rahman, *An Edition of the First Two Chapters of al-Māturīdī's, "Tawīlāt Ahl al-Sunna"* (doktora tezi, 1970), University of London.

Sem'ânî, Ebû Sa'd Abdülkerîm b. Muhammed b. Mansûr es-Sem'ânî et-Temîmî, *el-Ensâb* (nşr. Abdurrahman b. Yahyâ el-Muallimî v.dğr.), I-XIII, Haydarâbâd 1382-1402/1962-82.

Sezgin, Fuat, *Târîhu't-türâsi'l-Arabî (GAS [Ar.])* (trc. Mahmûd Fehmî Hicâzî v.dğr.), I-VIII, Riyad 1402-1408/1982-88.

Speight, R. M., "al-Maturidi", *ER*, IX, 285-286.

Subhî es-Sâlih, *Mebâhis fî ulûmi'l-Kur'ân*, Dımaşk 1382/1962.

Taberî, Muhammed b. Cerîr et-Taberî, *Câmiu'l-beyân an te'vîli âyi'l-Kur'ân* (nşr. Sıdkī Cemîl el-Attâr), I-XXX, Beyrut 1415/1995.

Taşköprizâde, Ebü'l-Hayr Taşköprizâde İsâmüddin Ahmed Efendi Rûmî, *Tabakātü'l-fukahâ'* (nşr. Ahmed Neyle), Musul 1954.

Teftâzânî, Sa'deddin Mes'ûd b. Ömer b. Abdullah et-Teftâzânî, *Şerhu'l-Makāsıd*, İstanbul 1305.

Temîmî, Takıyyüddin b. Abdülkādir et-Temîmî, *et-Tabakātü's-seniyye fî terâcimi'l-Hanefiyye*, Süleymaniye Ktp., Şehid Ali Paşa, nr. 1906.

Topaloğlu, Bekir, *Kelâm İlmi: Giriş*, İstanbul 1996.

Tritton, A. S., "An Early Work from the School of al-Maturidi", *JRAS*, III-IV (1966), s. 96.

Yunusoviç, Ziyadov Şovosil, "Ebû Mansûr el-Mâturîdî'ye Nispet Edilen Eserlerin Taşkent Yazmaları ve Mâturîdî Üzerine Yapılan Bazı Araştırmalar" (trc. Sönmez Kutlu - Yuldus Musahanov), *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

Zebîdî, Muhammed Murtazâ ez-Zebîdî, *İthâfü's-sâdetil-muttekīn bi-şerhi esrârı İhyâi ulûmi'd-dîn*, I-X, Kahire 1311.

Zehebî, Ebû Abdullah Şemseddin Muhammed b. Ahmed b. Osman ez-Zehebî et-Türkmânî, *Târîhu'l-İslâm* (nşr. Ömer Abdüsselâm Tedmürî-Beşşâr Avvâd Ma'rûf v.dğr.), Beyrut 1407/1987.

Kefevî, Mahmûd b. Süleyman el-Kefevî, *Ketâibü a'lâmi'l-ahyâr min fukahâi mezhebi'n-Nu'mâni'l-muhtâr*, Süleymaniye Ktp., Reîsülküttâb, nr. 690.

Keşşî, Ahmed b. Mûsâ b. Îsâ el-Keşşî, *Mecmûu'l-havâdis ve'n-nevâzil*, Süleymaniye Ktp., Yeni Cami, nr. 547.

Kurtubî, Ebû Abdullah Muhammed b. Ahmed el-Kurtubî, el-*Câmi' li-ahkâmi'l-Kur'ân* (nşr. Ebû İshak İbrâhim), I-XX, Kahire 1386-87/1966-67.

Kutlu, Sönmez, "Bilinen ve Bilinmeyen Yönleriyle İmam Mâturîdî", *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

a.mlf., "Ebû Mansûr el-Mâturîdî ve Maturidi Kültür Çevresiyle İlgili Bibliyografya", *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

Lâmişî, Ebü's-Senâ Ebü'l-Mehâmid Mahmûd b. Zeyd el-Lâmişî, *Kitâb fî usûli'l-fıkh* (nşr. Abdülmecîd Türkî), Beyrut 1995.

Leknevî, Muhammed Abdülhay el-Leknevî, *el-Fevâidü'l-behiyye fî terâcimi'l-Hanefiyye* (nşr. Muhammed Bedreddin Ebû Firâs), Kahire 1324.

Macdonald, D. B. –[Ahmed Ateş], "Mâtürîdî", *İA*, VII, 405-406.

Madelung, W. "Mâturidiliğin Yayılışı ve Türkler" (trc. Muzaffer Tan), *İmam Mâturîdî ve Maturidilik* (haz. Sönmez Kutlu), Ankara 2003.

Mağribî, Ali Abdülfettâh el-Mağribî, *İmâmü Ehli's-sünne ve'l-cemâa Ebû Mansûr el-Mâtürîdî ve ârâühü'l-kelâmiyye*, Kahire 1405/1985.

Mâturîdî, Ebû Mansûr Muhammed b. Muhammed b. Mahmûd el-Mâturîdî es-Semerkandî, *Tevîlâtü'l-Kur'ân*, Hacı Selim Ağa Ktp., nr. 40.

a.mlf., *Tevîlâtü Ehli's-sünne: Tefsîrü'l-Mâtürîdî* (nşr. İbrâhim Avadayn-Seyyid Avadayn), Kahire 1391/1971.

a.mlf., *Kitâbü't-Tevhîd* (nşr. Fethullah Huleyf), Beyrut 1986; *a.e.* (Bekir Topaloğlu – Muhammed Aruçi), Ankara 1423/2003.

a.mlf., *Kitâbü't-Tevhîd Tercümesi* (trc. Bekir Topaloğlu), Ankara 2002.

Müslim, Ebü'l-Hüseyin Müslim b. Haccâc el-Kuşeyrî en-Nîsâbûrî, *el-Câmiu's-Sahîh* (nşr. Muhammed Fuâd Abdülbâkî), I-V, Beyrut 1956.

Necmeddin en-Nesefî, Ebû Hafs Necmeddin Ömer b. Muhammed b. Ahmed en-Nesefî es-Semerkandî, *el-Kand fî zikri ulemâi Semerkand* (nşr. Nazar Muhammed el-Fâryâbî), Riyad 1412/1991.

Özdeş, Talip, *Mâtürîdî'nin Tefsir Anlayışı*, İstanbul 2003.

Özervarlı, M. Sait, "The Authenticity of the Manuscript of Māturidi's Kitab al-Tawhid: A Re-examination", *İslâm Araştırmaları Dergisi*, sy. 1, İstanbul 1997, s. 19-29.

Ebü'l-Usr el-Pezdevî, Ebü'l-Hasan Ebü'l-Usr Fahrülislâm Ali b. Muhammed b. Hüseyin el-Pezdevî, *Şerhu'l-Câmii's-sagîr fi'l-furû'*, Süleymaniye Ktp., Cârullah Efendi, nr. 605.

Ebü'l-Yüsr el-Pezdevî, Ebü'l-Yüsr Sadrülislâm Muhammed b. Muhammed b. Hüseyin el-Pezdevî, *Usûlü'd-dîn* (nşr. H. P. Linss), Kahire 1383/1963.

Ecer, Ahmet Vehbi, "Matüridî'nin İslâm Dünyasında Tanınması", *Diyanet Dergisi*, XXIII/1, Ankara 1987, s. 12-17.

Fahreddin er-Râzî, Ebû Abdullah Fahreddin Muhammed b. Ömer b. Hüseyin er-Râzî et-Teymî, *Mefâtîhu'l-gayb*, I-XXXII, Kahire, ts. (el-Matbaatü'l-behiyye el-Mısriyye)→ Tahran, ts. (Dârü'l-kütübi'l-ilmiyye).

a.mlf., *Münâzarât* (nşr. Fethullah Huleyf), Beyrut 1966.

a.mlf., *Kitâbü'l-Erbaîn fî usûli'd-dîn* (nşr. Ahmed Hicâzî es-Sekkā), Kahire 1406/1986.

Fîrûzâbâdî, Ebü't-Tâhir Mecdüddin Muhammed b. Ya'kūb el-Fîrûzâbâdî eş-Şîrâzî, *el-Mirkātü'l-vefiyye fî tabakāti'l-Hanefiyye*, Süleymaniye Ktp., Reîsülküttâb, nr. 671-672.

Hucendî, Muhammed Sultân el-Hucendî, *Hükmullâhi'l-vâhidi's-samed fî hükmi't-tâlibi mine'l-meyyiti'l-meded*, Kahire 1355.

Hüseyin ez-Zehebî, Muhammed Hüseyin ez-Zehebî, *et-Tefsîr ve'l-müfessirûn*, I-III, Kahire 1381/1961-62.

İbn Fazlullah el-Ömerî, Ebü'l-Abbas İbn Fazlullah Şehâbeddin Ahmed b. Yahyâ b. Fazlullah el-Ömerî el-Kureşî, *Mesâlikü'l-ebsâr fî memâliki'l-emsâr* (nşr. Fuat Sezgin), I-XXVII, Frankfurt 1408/1988.

İbn Kutluboğa, Ebü'l-Adl İbn Kutluboğa Zeynüddin Kutluboğa Kāsım b. Kutluboğa el-Cemâlî, *Tâcü't-terâcim fî men sannefe mine'l-Hanefiyye* (nşr. İbrâhim Sâlih), Beyrut 1412/1992.

İbn Manzûr, Ebü'l-Fazl İbn Manzûr Cemâleddin Muhammed b. Mükerrem el-Ensârî, *Lisânü'l-Arab*, I-XV, Bulak 1299-1308.

İbn Yahyâ, *Şerhu Cümeli usûli'd-dîn*, Süleymaniye Ktp., Şehid Ali Paşa, nr. 1648.

Kâsânî, Ebû Bekir Alâeddin Ebû Bekir b. Mes'ûd b. Ahmed el-Kâsânî (el-Kâşânî), *Bedâiu's-sanâi' fî tertîbi'ş-şerâi'*, I-VII, Kahire 1327-28.

Kâtib Çelebi, Hacı Halîfe Kâtib Çelebi Mustafa b. Abdullah, Keşfü'z-*zunûn an esâmi'l-kütüb ve'l-fünûn* (nşr. Kilisli Muallim Rifat-Şerefeddin Yaltkaya), I-II, İstanbul 1360-62/1941-43.

a.mlf., *Süllemü'l-vüsûl ilâ tabakāti'l-fuhûl*, Süleymaniye Ktp., Şehid Ali Paşa, nr. 1887.

BİBLİYOGRAFYA

Abbâdî, Ebû Âsım Muhammed b. Ahmed b. Muhammed el-Abbâdî el-Herevî, *Tabakâtü'l-fukahâi'ş-Şâfiiyye* (nşr. G. Vitestam), Leiden 1964.

Abdülazîz el-Buhârî, Alâeddin Abdülazîz b. Ahmed b. Muhammed el-Buhârî, *Keşfü'l-esrâr an usûli Fahrilislâm el-Pezdevî* (nşr. Muhammed el-Mu'tasım-Billâh el-Bağdâdî), I-IV, Beyrut 1417/1997.

Alâeddin es-Semerkandî, Ebû Bekir Alâeddin Muhammed b. Ahmed es-Semerkandî, *Mîzânü'l-usûl fî netâci'l-ukûl* (nşr. Muhammed Zekî Abdülber), Katar 1404/1984.

a.mlf., *Şerhu't-Te'vîlâti'l-Mâtürîdî*, Süleymaniye Ktp., Hamidiye, nr. 176.

Barthold, Vasilij Viladimirovic, *Moğol İstilâsına Kadar Türkistan* (haz. Hakkı Dursun Yıldız), Ankara 1990.

Beyâzîzâde, Beyâzîzâde Kemâleddin Ahmed Efendi Bosnevî, *İşârâtü'l-merâm min ibârâti'l-İmâm* (nşr. Yûsuf Abdürrezzâk), Kahire 1368/1949.

Brockelmann, Carl, *Geschichte der arabischen Litteratur (GAL)*, I-II, Leiden 1943-49; *a.e. Supplementband (GAL Suppl.)*, I-III, Leiden 1937-42.

Buhârî, Ebû Abdullah Muhammed b. İsmâil el-Cu'fî el-Buhârî, *el-Câmiu's-Sahîh*, I-VIII, İstanbul 1978.

Burhâneddin el-Buhârî, Burhâneddin Mahmûd b. Ahmed b. Abdülazîz el-Buhârî, *el-Muhîtü'l-Burhânî fi'l-fıkhi'n-Nu'mânî* (nşr. Ahmed İzzû İnâye), Beyrut 1424/2003.

Cerić, Mustafa, *Roots of Synthetic Theology in Islam: A Study of the Theology of Abū Mansūr al-Māturīdī (d. 333/944)*, Kuala Lumpur 1995.

Ebû Hayyân el-Endelüsî, Ebû Hayyân Esîrüddin Muhammed b. Yûsuf b. Ali el-Ceyyânî el-Endelüsî, *Tefsîru'l-Bahri'l-muhît*, I-VIII, Kahire 1328-29 → [baskı yeri yok] 1403/1983 (Dârü'l-fikr).

Ebü'l-Leys es-Semerkandî, Ebü'l-Leys İmâmülhüdâ Nasr b. Muhammed b. Ahmed es-Semerkandî, *Kitâbü'n-Nevâzil*, İÜ Ktp., Nadir Eserler, nr. A-3459.

a.mlf., *Şerhu'l-Fıkhi'l-ebsat li-Ebî Hanîfe: The Islamic Concept of Belief in the 4th/10th Century: Abū'l-Lait as-Samarqandī's Commentary on Abū Hanīfa al-Fiqh al-absat* (nşr. H. Daiber), Tokyo 1995.

Ebü'l-Muîn en-Nesefî, Meymûn b. Muhammed b. Muhammed en-Nesefî, *Tebsıratü'l-edille fi'l-kelâm* (nşr. Cl. Salamé), I-II, Dımaşk 1990-93.

benimsediği yeni imlâ uygulanmıştır. Mushafların özel imlâsından uzak kalıp dilin kendi kurallarını geçerli kılan yeni imlâda meselâ İshak, Hârûn ve semâvât kelimeleri şu şekilde kaydedilmiştir: (إسحاق), (هارون), (سماوات). Ancak besmelede yer alıp çokça yazılan ve kendisini kabul ettiren rahmân ismi bundan istisna edilmiş ve (الرحمن) şeklinde yazılmıştır. Metinde genellikle paragraf sonlarında yer alan fakat işlenen fikirle ilgisi bulunmayıp dua ve zikir niteliğinde tekrarlanan (والله الموفق), (والله أعلم) gibi cümleler farklı karakterde dizilmiştir.

Yayımına başladığımız ve Allah'ın lutfuyla tamamlayacağımız *Te'vîlât* için şu maddelerin indeksinin hazırlanması kararlaştırılmıştır:

a) İstidlâl için zikredilen âyetler;

b) Hadisler;

c) Şahıs isimleri;

d) Kabile ve yer isimleri;

e) Din, fırka, mezhep ve cemaat isimleri;

f) Şiirler;

g) Kitap isimleri;

h) Terimler ve önemli konular.

Son zamanlarda Mâtürîdî ve Mâtürîdiyye etrafındaki akademik çalışmaların yoğunluk kazanması sebebiyle birkaç yıl sürebilecek neşrin devam ettiği yıllarda dahi araştırmacılara kolaylık sağlamak amacıyla sözü edilen indeksler her cildin sonuna konulacak, neşrin bitirilmesinden sonra müstakil bir ciltte birleştirilerek tekrar yayımlanacaktır. Mâtürîdî mânayı etkileyen kıraat farklarını da genellikle göstermiştir. İndeksler cildinde bunlara da yer verilmesi planlanmıştır.

Te'vîlât için bu yöntem kabul edilmiştir. Tetkikinden anlaşılacağı üzere İmam Mâtürîdî âyeti âyetle açıklama, özellikle akaid ve fıkıh konularındaki ilmî istidlallerine delil getirme amacıyla tefsirinde bol miktarda âyet zikretmiş ve azımsanmayacak kadar da hadis ile çoğu sahabeden olmak üzere meşhur âlimlerin görüşlerine yer vermiştir. *Te'vîlât* neşrinde bu tür atıfların kaynakları gösterilmiştir. Âyetler *Te'vîlât* metninde bazan mahall-i istişhâdı kapsamayacak şekilde kısa zikredilmiştir. Bunlar dipnotta tamamlanmıştır. Aynı kural hadislerde de uygulanmıştır. Hadislerin kaynağı, ilim çevrelerinde yaygınlık kazanan A. J. Wensinck'e ait *el-Mu'cem* sisteminde gösterilmiş, sahih olmayan veya muhtevası garipsenen rivayetler hakkında ek bilgi verilmiştir. *Te'vîlât* nüshalarında geçen (تعالى), (عز وجل) ve (عليه السلام) gibi tazim cümleleri zaman zaman birbirinden farklı ibarelerle verilmiştir. Bunlardan, asıl kabul edilen Mihrişah nüshasının cümleleri zikredilmiş, diğerleri tefsirin fikri yönünü ilgilendirmediği için nüsha farkı olarak kaydedilmemiştir.

İlmî neşrini gerçekleştirmeyi hedeflediğimiz *Te'vîlât*'ın metninde yer alan anlaşılması zor (garip) kelimeler açıklanmış, bilinmeyen özel isimlere ve cümlenin kritik yerlerine hareke konmuş, aynı mahiyetteki şahıslar hakkında ilk geçtiği yerde kısa bilgi verilmiş, girift cümleler dipnotta açıklanmıştır. Gerek sağlam metnin tesbiti ve anlaşılması, gerekse konu hakkında yeterince bilgi edinilebilmesi için Semerkandî'nin şerhinden metinler aktarılmıştır. Ebû Mansûr el-Mâtürîdî *Kitâbü't-Tevhîd*'inde olduğu gibi *Te'vîlât*'ında da önce geçen açıklamalarına göndermelerde bulunmuş, fakat bunların yerini zikretmemiştir. Biz gerçekleştirdiğimiz neşirde bu tür göndermelerin yerini sûre adı ve âyet numarası belirtmek suretiyle göstermeye çalıştık. Ayrıca *Te'vîlât* metninde az sayılmayacak miktarda takdim tehirler vuku bulmuştur. Bu yer değiştirmeler, âyetler ve dolayısıyla onların tefsirleri arasında olduğu gibi aynı âyetin uzunca tefsirinin kısımları arasında da vuku bulmuştur. Eserin takrir veya imlâ yoluyla vücut bulmasından kaynaklandığına kanaat getirdiğimiz bu tür karışıklıklar düzeltilmiş ve değişen yerlerin varak numaraları hem sayfa kenarında hem de dipnotta gösterilmiştir.

Kur'an nazmını ihtiva eden mushafların kendilerine has imlâlarının bulunduğu bilinmektedir. Ancak İslâm âlimleri kaleme aldıkları tefsir kitaplarında dönemlerindeki normal ve yaygın imlâyı kullanmışlardır. Son yıllarda bazı Arap ülkelerinin «resm-i Osmânî» ile bastırdıkları mushaflara uyguladıkları özel imlâ tefsir gibi bazı matbu eserlerde de görülmektedir. *Te'vîlât*'ın neşrinde, bizde ve çoğu İslâm ülkelerinde alışılmamış olan ve okunması güçlük arzeden bu imlâ benimsenmemiş, bunun yanında Arap ülkelerindeki muhafazakâr âlimlerin bile kullandığı ve bu ülkelerdeki Arapça dil kurumlarının

ESERİN NEŞRE HAZIRLANMASINDA TAKİP EDİLEN METOD

İmam Ebû Mansûr el-Mâtürîdî'nin *Te'vîlâtü'l-Kur'an*'ına ait nüshaların sayısı şerhiyle birlikte kırkı aşmaktadır. Bu yazma nüshaların büyük çoğunluğu İstanbul kütüphanelerinde olmak üzere Türkiye'de, diğerleri bazı İslâm ülkelerinde ve Batı'daki kütüphanelerde bulunmaktadır. Mâtürîdiyye alîmlerinden Ebü'l-Muîn en-Nesefî'nin (ö. 508/1115) *Te'vîlât* üzerine yaptığı şerh mahiyetindeki açıklamaların talebesi Alaaddin es-Semerkandî (ö. 539/1144) tarafından derlenmesinden meydana gelen *Şerhu Te'vîlâti'l-Kur'ân*'ın nüshalarının çoğu da Türkiye kütüphanelerinde mevcuttur. Biz Türkiye'deki nüshaların tamamı ile yurt dışındakilerin çoğundan faydalanma imkânına sahip bulunmaktayız. Aslında yazma bir esere ait nüshaların çok olması memnuniyet verici bir şeydir. Ne var ki *Te'vîlât*'a ait nüshalar sonraki asırlarda kaleme alınmış, epeyce bir kısmı hicrî XII. yüzyıl içinde istinsah edilmiştir. İstinsah hataları fazla olup çok defa aynı hatalar nüshaların ekserisinde tekrarlanmaktadır. Çok kuvvetli bir ihtimalle Türk asıllı olan Mâtürîdî'nin Arapça'sı özel bir üslûba sahiptir, bu husus anlatılmak istenen fikrin tesbitinde güçlük çıkarabilmektedir. Şunu da belirtmek gerekir ki eserin bu niteliğe bürünmesine, *Te'vîlât*'ın, doğrudan Mâtürîdî'nin kaleminden çıkmayıp ders takrirlerinin talebeleri tarafından not edilmesiyle meydana gelişinin de büyük bir payı olmalıdır.

Büyük bir ilmî öneme haiz bulunan *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ın neşri, bu tür eserlerde zarurî görülen dipnotlarının eklenmesiyle birlikte indeks dahil on sekiz cilt olacağı hesaplanmaktadır. Tesbit edilen neşir ilkeleri çerçevesinde yapılan yayın çalışmaları telifi andıran bir edisyon kritik hüviyeti almaktadır.

Bir eserin ilmî neşri (edisyon kritiği) için izlenecek en güzel metod -zor olmakla birlikte- müellifin kaleminden çıkan metni (veya ağzından çıkan sözü) tespit edip ortaya koyan yöntemdir. Bunu gerçekleştirmek için esere ait belli başlı nüshalarda yer alan metinler mukayeseli bir şekilde incelenmeli, tercih yöntemi kullanılarak doğru veya doğruya en yakın metin ortaya konmalı, neşir için kabul edilen nüshalardaki farklı yazımlar dipnotta kaydedilmelidir.

bazan ayrıntıya varan açıklamalar yapar. Mâtürîdî'nin fıkıh konularına ağırlık vermesine karşılık Râzî felsefî ve ansiklopedik bilgilere ağırlık verir. Esasen Râzî, tefsirinin beş yerinde Mâtürîdî'ye atıf yapmaktadır.[1] Müfessir Ebû Hayyân el-Endelüsî de tefsirinde *Te'vîlât*'a atıfta bulunmaktadır.[2] *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ın fıkıh ve fıkıh usulü alanındaki tesirleri ayrı bir önem taşır.

---

[1] *Mefâtîhu'l-gayb*, V, 163; VI, 200; XIV, 228; XXIV, 244; XXVII, 188.

[2] *el-Bahrü'l-muhît*, III, 364.

bunlarla amaçlanan hedeflerin ve ibret alınacak noktaların belirlenmesinden ibaret olduğunu ifade eder. Mâtürîdî tefsirinde kıraat vecihlerini ve nüzûl sebeplerini göstermeyi amaçlamaz. Ancak âyetin mânasına, ondan çıkarılabilecek hükme veya birinin fikrinin eleştirilmesine ışık tutması halinde bu hususlara yer verir.[1] Onun tefsirinde hadis ve haberlerde isnadın, diğer nakillerde görüş sahibiyle eserinin zikredilmemesinin ilim tarihi açısından problem oluşturduğunu kabul etmek gerekir. Buna karşılık Mâtürîdî metin ve fikir tenkidine önem vermiş, aklı ve sistemli düşünmeyi hedef almıştır. Bu yönüyle *Te'vîlât*'ı İbn Kesîr'in *Tefsîrü'l-Kur'âni'l-'azîm*'i değil Cessâs'ın *Ahkâmü'l-Kur'ân*'ı takip etmiştir.[2]

Mâtürîdî'nin *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ında kelâm, fıkıh ve usûl-i fıkıh konularına ayrı bir önem atfettiği görülmektedir. Fıkıhla ilgili âyetlerin tefsirinde beyân-ı ilâhînin fıkhî açılımına geniş yer ayırmış, diğer mezheplerin yanı sıra Şafiî fıkhına ağırlık vermiştir. Mâtürîdî'nin Şafiî'ye ve onun ekolüne mensup olanlara yönelttiği eleştiriler, iki mezhep arasındaki fıkhî tartışmaların boyutlarını göstermesi açısından dikkat çekicidir. Bunun sebepleri arasında Şafiî fıkhının Mâverâünnehir'de yayılma istidadı göstermesi, ayrıca Şâfiiyye'den başka sistematik bir fıkıh düşüncesine sahip olan alternatif bir mezhebin, diğer bir ifadeyle bir rakibin bulunmayışı gibi hususlar zikredilebilir. Mâtürîdî münasebet düştükçe birçok akaid konusuna tefsirinde yer vermiştir. Allah'ın isim ve sıfatları, Hz. Muhammed'in nübüvvetinin ispatı ve büyük günahların mümini küfre düşürmediği gibi meseleler en çok vurguladığı konuların başında yer alır.

Ebû Mansûr el-Mâtürîdî ile çağdaşı İbn Cerîr et-Taberî'nin tefsir yöntemleri arasında mushaf tertibine göre âyetleri ele alıp muhtevalarına göre kısımlara ayırmak, gerektiğinde semantik açıklamalarda bulunmak, ileri sürülen görüşlerde tercihler yapmak gibi hususlarda benzerlik olduğunu söylemek mümkündür. Tefsir tarihinde dirâyet yönteminin kurucusu olan Matürîdî'nin ifade, üslûp ve işleyiş açısından Zemahşerî'yi etkilediğine muhakkak nazarıyla bakılmalıdır.[3] Rü'yetullah konusunda Mâtürîdî'nin görüşünü benimsediğini söyleyen Fahreddin er-Râzî'nin[4] tefsir alanında da *Te'vîlât*'tan yararlandığı şüphesizdir. Her iki eserde aklî istidlalin öne çıkarılması, meselelere yaklaşım tarzı ve ele alınan konuların gruplara ayrılması bunlardan bazılarıdır. Her iki müfessir de kelâm, fıkıh ve fıkıh usulünü ilgilendiren mevzularda

---

[1] Örnekleri için bk. Talip Özdeş, *a.g.e.*, s. 182 vd, 190 vd.

[2] *a.g.e.*, s. 68-70.

[3] *a.g.e.* 84-85.

[4] *Kitâbü'l-Erba'în*, I. 277.

konuları ele alış ve işleyiş yöntemi tefsirine de hâkim olmuştur. Bununla birlikte *Te'vîlât*, sonraları ahkâmü'l-Kur'ân veya işârî tefsir türünde ortaya çıkan tefsir şeklini almamış, Fahreddin er-Râzî'nin *Mefâtîhu'l-gayb*'ı gibi bir felsefe veya kelâm kitabı niteliğine de bürünmemiştir. *Te'vîlâtü'l-Kur'ân* dirayet tefsirleriyle rivayet tefsirleri arasında, fakat dirayete daha yakın bir özellik taşır. Ancak hemen her âyette bir aklîlik ve sistematik yaklaşım mevcuttur. Eserde zâhirî mânalar yanında Kur'ân'ın genel hedefleri, toplumun dünya ve âhiret planındaki ihtiyacı, gelişme ve mutluluğu, sosyolojik, kültürel ve ekonomik şartları göz önünde bulundurularak yorum, sentez ve analizler yapılmıştır.

Mâtürîdî, murâd-ı ilâhîyi anlamak için aklı öne çıkarmasının bir sonucu olarak kelimelerin mecazi mânalarını göz önünde bulundurur ve bu anlamda te'viller yapar. Meselâ gökler, yer ve bunlarda mevcut herkesin Allah'ı tesbih ettiğini, O'nu övgüyle tesbih etmeyen hiçbir şeyin bulunmadığını, fakat insanların bunu anlayamadığını ifade eden âyetin tefsirinde[1] Taberî kayda değer bir açıklama yapmazken[2] Mâtürîdî bu teşbihin "canlı ve cansız tabiatın sahip olduğu kuruluş ve işleyiş" anlamına gelebileceğini ve bu yönüyle tabiatın Allah'ın azamet ve birliğine tanıklık edeceğini söyler; bu durumda, "Ne var ki siz onların tesbihini anlayamazsınız" hitabının inanmayanlara yönelik olduğunu kaydeder. Mâtürîdî ikinci bir yorumunda, bütünüyle tabiatın tesbihinin Allah'tan başka kimsenin bilemeyeceği gizli bir fonksiyondan ibaret olacağı, üçüncü yorumunda ise ses çıkaran tabiat nesnelerinin bu seslerinin tesbih yerine geçeceği ve bunun hem kendileri hem peygamberler tarafından farkedileceği görüşlerini ileri sürer.[3]

Ebû Mansûr el-Mâtürîdî'nin hadis ve haberler için isnad zikretmediği, dolayısıyla bunların sıhhatini hadis usulü kurallarına göre irdelemediği bilinmektedir. Ancak bunun, aktardığı nakilleri kabul ettiği anlamına gelmediği yukarıda belirtilmişti. Onun nakiller hakkındaki tutumu akla, ayrıca kabule mazhar olmuş nakle uygun düşenlerin benimsenmesi, bu niteliği taşımayanların reddedilmesi yönündedir.

Tefsir yöntemi içinde rivayetleri ihmal etmeme ilkesini benimsediğinden Mâtürîdî, İsrâiliyat türüne giren bazı nakillere de yer verir. Gerek bu âyetlerin gerekse Kur'an'daki kıssaların yorumunda nakledilen olayların veya bilgi malzemesinin bizim için önem taşımadığını, bizden istenen şeyin

---

[1] el-İsrâ 17/44.

[2] *Câmiu'l-beyân*, X, 116-117.

[3] *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*, vr. 420^{a-b}.

nakillerde bulunduğu doksana yakın şahsın adı tesbit edilmiştir.[1] Mâtürîdî ayrıca başta Ali b. Hamza el-Kisâî, Yahya b. Ziyâd el-Ferrâ, Ebû Ubeyde Ma'mer b. Müsennâ, İbn Kuteybe, Müberred ve Zeccâc olmak üzere sayıları yirmiyi aşan lügat ve tefsir âliminden istifade etmiş,[2] fıkıh konularında Ebû Hanîfe ve talebeleri, İbn Ebû Leylâ, Evzâî, Süfyân es-Sevrî, Mâlik b. Enes ve Şafiî'ye atıflarda bulunmuş, kelâm alanında daha çok Mu'tezile mensuplarının görüşlerini nakledip eleştirmiştir.[3]

Onun tefsir anlayışı Kur'an'ı Kur'an'la veya sahih kabul ettiği hadis ve haberlerin yanı sıra semantik yaklaşımlarla, ayrıca aklî istidlal yoluyla açıklamaya dayanır. Mâtürîdî, tabiînden itibaren muhtelif şahsiyetlere ait olmak üzere naklettiği görüşleri bazan kabul ve red açısından değerlendirmeye tâbi tutar, bazan da herhangi bir fikir yürütmeyip bahsin sonunda, "Bu meselede aslolan şudur ..." diyerek tenkit süzgecinden geçirir.

Mâtürîdî semantik yaklaşımlarında kelimelerin sözlük anlamlarına bakış yapar, bu mânaları zaman zaman şiirlerle kanıtlamaya çalışır. Ancak kelime ve kavramların Kur'an'ın bütünlüğü içinde kazandığı muhtevayı dikkatten uzak tutmaz ve her durumda aklın hakemliğine başvurur. Nitekim İhlâs sûresinin tefsirinde Allah lafzının türemiş bir kelime olup olmadığı, eğer türemişse hangi kökten geldiği konusunda bilgi verdikten sonra kendi kanaatini şu şekilde belirtir: "Bir kelimenin kök mânasını bilmenin amacı onun ne tür bir ilâhî mesaj içerdiği ve nasıl bir hüküm getirdiğinin tesbit edilmesine yönelik olur. Allah kelimesinin türemiş olduğunu söyleyenlerin verdikleri mânalar gerçek mâbuddan başka varlıklara da nisbet edilebilir. Halbuki O'nu belirleyen bir lafzın içeriğinin başkasına izafe edilmesi söz konusu değildir. Meselenin esas noktası şudur ki Allah kendisini tanıtan ismin başkalarına verilmesini yasaklamıştır. Bazıları aksi bir davranış sergilemişse bu, tanrı dedikleri varlığın kendilerini gerçek mabuda yaklaştıracağı zannına bağlıdır ve Kur'an'da bunu ifade eden âyetler mevcuttur".[4] Mâtürîdî'nin dikkat çeken bu istidlâline göre lafza-i celâl türemiş bir kelime olmayıp insanın selim fıtratına yerleştirilen, kâinatı yaratan ve idare eden en yüce varlığın Arapça adıdır.

Te'vîlâtü'l-Kur'an'ın müellifinin tefsir yöntemini yansıtan ve bu ilimdeki yerinin belirlenmesine ışık tutan en önemli özelliği dirayet yoluyla telif edilmiş olmasıdır. Sistematik Sünnî kelâmının kurucusu olan Mâtürîdî'nin

---

[1] Talip Özdeş, *Mâtürîdî'nin Tefsir Anlayışı*, s. 63-65.

[2] *a.g.e.*, s. 58-61.

[3] *a.g.e.*, s. 66.

[4] el-A'râf 7/28; Yûnus 10/18; ez-Zümer 39/3; *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*, vr. 206^{a-b}.

önde gelen bir örneğidir. Onun tefsirinde kısmen de olsa göze çarpan istidlâle dayalı açıklamalar ve bazı rivayetler çağdaşları ve sonraki bir kısım âlimler tarafından eleştirilmişse de *Mecâzü'l-Kur'ân*, başta Buhârî ve İbn Kuteybe olmak üzere asırlar boyunca ulemânın başvurduğu önemli bir kaynak olmuştur.[1]

Tefsir tarihinde Kur'an'ı mevcut tertibine göre ve baştan sona kadar ilk olarak açıklamaya çalışan âlimin Taberî olduğu kabul edilir. Onun *Câmi'u'l-beyân*'ı rivayetlere dayanmakla birlikte naklettiği farklı görüşler arasında tercihler yaptığı da bir gerçektir. Aynı nitelikte olmak üzere dirâyet tefsirinin ilk eseri olarak da Fahreddin er-Râzî'nin *Mefâtîhu'l-gayb*'ı zikredilir.[2] Halbuki Râzî'den üç asra yakın bir zaman önce Mâtürîdî'nin *Te'vîlât*'ı, yine Râzî'den yaklaşık yetmiş yıl önce Zemahşerî'nin *el-Keşşâf*'ı mevcuttu. Buna göre tefsir disiplininin hadisten ayrılıp bağımsız bir ilim haline geldiği dönemde yaşayan Ebû Ca'fer et-Taberî rivayet yönteminin, Ebû Mansûr el-Mâtürîdî de dirâyet yönteminin ilk ve temel tefsir eserini meydana getirmiştir.

Bugün çoğu İstanbul'da olmak üzere İslâm dünyasında ve Batı'da kırk civarında yazma nüshası bulunan *Te'vîlâtü'l-Kur'ân* takrir veya imlâ yoluyla meydana getirilmiştir. Eser metninde çokça hatanın mevcudiyeti, ayrıca âyetlerin tefsirleriyle birlikte sıralanışında veya bir âyeti açıklayan ibarelerin takdim tehir açısından yer değiştirmesinde göze çarpan karışıklıklar da bunu kanıtlamaktadır.

Mâtürîdî'nin tefsir yönteminin onun tefsir ve te'vil anlayışına uygun olarak hem nakle hem akla dayandığını söylemek mümkündür. Şekil açısından âyetlerin tefsirine genellikle kendi anlayışını kaydetmekle başlar. Açıklamalarında çoğunlukla isim belirtmeden "kīle" (denildi ki ...) ifadesini kullanarak çeşitli görüşleri aktarır. *Te'vîlât*'ın İbrâhim Avadayn ve Seyyid Avadayn tarafından gerçekleştirilen 1. cildinin neşrinde meçhule yapılan bu tür atıflardan bazılarının kaynaklarını görmek mümkündür. Mâtürîdî, izahlarında âyetin âyetle tefsir edilmesinin belki de ilk ve en güzel örneklerini ortaya koyar. Bu, muhteva benzerliği açısından olduğu gibi hüküm birliği veya zıtlığı, yaklaşım şekli, üslûp beraberliği, kapalı görünen beyanların açıklanması niteliğinde de olabilir. Sebeb-i nüzûle ve hadislere dayanılarak yapılan yorumlar da az değildir. Sahâbî adının bazan zikredildiği bu rivayetlerde isnad zincirine rastlanmaz. *Te'vîlât* üzerine yapılan ciddi bir çalışmada, sahâbe ve tâbiîn tabakalarına mensup olup Mâtürîdî'nin kendilerinden

---

[1] *Mecâzü'l-Kur'ân*, neşredenin girişi, s. 16-17.

[2] M. Hüseyin ez-Zehebî, *et-Tefsîr ve'l-müfessirûn*, I, 205-207, 288-291; Subhî es-Sâlih, *Mebâhis fî 'ulûmi'l-Kur'ân*, s. 333-335.

Tefsir İlmindeki Yeri[1]

Mâtürîdî'nin tefsir anlayışına temas eden araştırmacılar genellikle onun tefsir ve te'vil ayırımına dikkat çekerler. *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ın bazı yazma nüshalarının baş tarafında yer alan ve müellifin tefsir anlayışını özetleyen metne göre tefsir, âyetin mânasının neden ibaret olduğuna kesinlik derecesinde hükmederek, "Allah'ın muradı şundan ibarettir" demektir. Bu da ancak, âyetlerin ne münasebetle ve hangi konumda nâzil olduğunu bilen sahâbîlerin yapabileceği bir şeydir. Te'vil ise "bir şeyi aslına ve buna bağlı olarak hedeflenen amacına döndürmek" şeklindeki sözlük içeriğinden hareketle mânayı yönelebileceği istikametlere çevirmektir. Âlimlerin yapabileceği bu yönlendirmede Allah'ın muradının neden ibaret olduğu yolunda kesin belirleme yapmak söz konusu değildir. Buna göre tefsir tek hükme bağlı iken te'vil birden fazla mânaya kapı açan bir fikrî işlemdir.[2] Esasen Mâtürîdî'nin eserine *Te'vîlâtü'l-Kur'ân* adının verilmesi de bu anlayışın bir ürünüdür. Bu ismin bizzat müellifi veya onun tefsir telakkisine vâkıf öğrencileri tarafından verilmiş olması sonucu değiştirmez. Eserin incelenmesinden müellifinin hem tefsir hem te'vil yöntemini kullandığı anlaşılır. Çünkü başta Abdullah b. Abbas olmak üzere sahâbîlerden nakiller yapar. Bunun yanında kendi istidlâl ve tevcihlerini de kullanır; hem ilmî hem takvâ derecesine ulaşan dinî bir ihtiyatla, "Nihaî gerçeği bilen Allah'tır" (va'llâhu a'lem) ifadesini sık sık tekrar eder. Mâtürîdî'nin murâd-ı ilâhîyi tesbit etme konusundaki bu yöntemini Taberî'nin isim benzerliği taşıyan tefsirinde de görmek mümkündür.[3] Ancak Kur'an'ın anlaşılması ve âyetlerden hüküm çıkarılması için tefsir ve usûl-i fıkıh alanında daha sonra genel kabul görmüş ayırım, âyetlerin muhkem-müteşâbih, müfesser-mübhem gruplarına ayrılmasıdır. Bu açıdan bakıldığında *Te'vîlât*'ta uygulanan yöntemin daha isabetli olduğunu söylemek mümkündür.[4]

Allah kelâmının tefsir edilmesi ve âyetlerden O'nun muradının neden ibaret olduğunun ortaya konulması hususunda ilk dönem âlimlerinin ihtiyatlı davrandığı bilinmektedir.[5] Bu devirlerde, sadece ashaptan nakledilen tefsir niteliğindeki açıklamaları rivayet eden tâbiîn ve tebeu't-tâbiîn nesillerinin nakilleriyle Kur'an'da yer alan belli kelimelerin daha çok gramer ve sözlük açısından izah edilmesinden oluşan eserler mevcuttu. Ebû Ubeyde Ma'mer b. Müsennâ et-Teymî'nin (ö. 209/824 [?]) *Mecâzü'l-Kur'ân*'ı bu tür teliflerin

[1] Bekir Topaloğlu, *DİA*, XXVIII, 157-159.

[2] *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*, vr. 1^{b}.

[3] *Câmi'u'l-beyân 'an te'vîli âyi'l-Kur'ân*, I, 52-54.

[4] krş. *Kitâbü't-Tevhîd*, s. 352-356.

[5] Taberî, *a.g.e.*, I, 54-56.

11. Me'âhizü (Me'hazü)'ş-şerâ'i' fi usûli'l-fıkh (iktibaslar için bk. Nesefî, I, 146; II, 784; Alâeddin es-Semerkandî, *Mîzânü'l-usûl*, s. 70, 659-660, 699, 746; Lâmişî, s. 189; Burhâneddin el-Buhârî, II, 382; Abdülazîz el-Buhârî, II, 619; III, 662).

12. Kitâbü'l-Cedel fî usû-li'l-fıkh.

13. er-Red'ale'l-Karâmita (fi'l-fürû').

14. Şerhu'l-Câmi'i's-sağîr (iktibaslar için bk. Ebü'l-Usr el-Pezdevî, vr. 113b, 266a; Kâsânî, VII, 47). Muhammed eş-Şeybânî'nin Hanefî mezhebinin temel kaynaklarından olan *el-Câmi'u's-sağîr* adlı eserinin şerhidir.

Mâtürîdî'ye Nisbet Edilen Eserler.

1. Şerhu'l-Fıkhi'l-ekber (Haydarâbâd 1321/1904, 1365). Ebû Hanîfe'nin *el-Fıkhü'l-ebsat* adlı eserinin Ebü'l-Leys es-Semerkandî tarafından yapılan şerhinin yanlışlıkla Mâtürîdî'ye ait gösterilerek yapılmış neşridir (*Şerhu'l-Fıkhi'l-ebsat li-Ebî Hanîfe*, neşredenin girişi, s. 5-10).

2. Risâle fi'l-'aka'id (*el-'Akidetü'l-Mâtürîdiyye*). Mâtürîdî ekolünün bir mensubu tarafından yapılan, ekolün sisteminin özeti mahiyetindeki risaleyi önce Yusuf Ziya Yörükân tercümesiyle birlikte *İslâm Akaidine Dair Eski Metinler* içinde *Akaid Risâlesi* (Ankara 1953) = *Risâle fi'l-'akâ'id* (İstanbul 1953) adıyla, daha sonra Takıyyüddin es-Sübkî'nin *es-Seyfü'l-meşhûr fî şerhi 'Akideti Ebî Mansûr*'u ile birlikte *Mâtürîdî'nin Akîde Risâlesi ve Şerhi* ismi ile (İstanbul 2000) M. Saim Yeprem tarafından tahkik ve tercüme edilerek yayımlanmıştır.

3. Kitâbü't-Tevhîd. Mâtürîdî'nin *Kitâbü't-Tevhîd*'inden farklı küçük bir risâle olup Yusuf Ziya Yörükân tarafından *İslâm Akaidine Dair Eski Metinler* içinde tercümesiyle birlikte neşredilmiştir (İstanbul 1953; Ankara 1953).

4. Kitâbü'l-Usûl (*Usûlü'd-dîn*). Sezgin, Brockelmann'ın yanlış olarak bu eseri Mâtürîdî'ye nisbet ettiğini belirtir.

5. Risale fîmâ lâ yecûzü'l-vakfü 'aleyhi fi'l-Kur'ân (yazmaları için bk. Sezgin, I/4, s. 42).

6. Pendnâme-i Mâtürîdî (*Vesâyâ ve münâcât, Fevâ'id*). Farsça olan risâle, Bursa Eski Yazma ve Basma Eserler (Hüseyin Çelebi, nr. 1187) ve Süleymaniye (Fâtih, nr. 5426) kütüphanelerinde yer alan iki farklı nüshaya dayanılarak Îrec Efşâr tarafından neşredilmiştir (*Ferheng-i Îrân Zemîn*, Tahran 1345 hş., X, 46-67).

7. Risâle-i Şeyh Ebû Mansûr Mâtürîdî (*İrşâd*).

8. İrşâdü'l-mübtedi'în fî tecvîdi kelâmi rabbi'l-'âlemîn.

9. Risâle-i Cânıvâr Dârî (bu eserlerin nisbetindeki problemler için bk. *Kitâbü't-Tevhîd Tercümesi*, tercüme edenin girişi, s. XXVI, XXIX, XXXI-XXXIV; ayrıca Farsça olan son üç eserin Taşkent El Yazmaları Kütüphanesi'nde bulunan yazmaları hakkında bk. Yunusoviç, s. 278-280).

Eserleri

Mâtürîdî'nin kendisine aidiyeti kesin olan on üç eserinden on ikisinin adını Ebü'l-Muîn en-Nesefî kaydetmiştir. *Şerhu'l-Câmi'i's-sağîr*'in varlığı ise güvenilir klasik kaynaklarda yapılan iktibaslardan öğrenilmektedir.

1. Te'vîlâtü'l-Kur'ân. Te'vîlâtü Ehli's-sünne, Te'vîlâtü'l-Mâtürîdiyye adıyla da bilinen eser tefsir açısından çok önemli bir çalışma olmasının yanı sıra kelâm, fıkıh ve fıkıh usulü alanlarında da zengin bilgi ve önemli görüşler içermektedir. Ayrıca İslâmî fırkalar ve İslâm dışı akımlarla dinlere ait inanç ve görüşlerin tenkidi bakımından ihmal edilemeyecek bir kaynaktır. Eser Mâtürîdî'nin öğrencilerine yaptığı takrirlerden oluşmuştur. *Te'vîlât*'ın çeşitli kütüphanelerde kırk civarında nüshasının bulunduğu bilinmektedir (Brockelmann, *GAL*, I, 195; *Suppl.*, I, 346; Muhammed Mustafiz al-Rahman, s. 60-62, 131-145; Sezgin, I/4, s. 40-41). Osmanlı âlimlerinden Lâlezârî, Fatiha sûresinin 5. âyeti hakkında eserde yer alan açıklamalar üzerine el-*Yâkūtetü'l-hamrâ'* adıyla bir şerh yazmıştır (Süleymaniye Ktp., Hafîd Efendi, nr. 124, 130). *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ın Muhammed Eroğlu (İstanbul 1971), İbrahim Avadayn - Seyyid Avadayn (Kahire 1971), Muhammed Müstefîzürrahman (Bağdad 1983) ve Bekir Topaloğlu - Ahmet Vanlıoğlu (İstanbul 2003) tarafından kısmî neşirleri yapılmış, üzerinde kitap, makale ve tebliğ tarzında çalışmalar gerçekleştirilmiştir.

2. Kitâbü't-Tevhîd. Mâtürîdî'nin tam olarak basılmış tek eseri olup kelâm ilminin temel konularını ele almaktadır. Fethullah Huleyf tarafından yapılan ve birçok yanlış ihtiva eden ilk neşrinden sonra (Beyrut 1970, 1982; İstanbul 1979; İskenderiye, ts.) Bekir Topaloğlu ve Muhammed Aruçi eseri yeniden yayımlamış (Ankara 2003), ayrıca Bekir Topaloğlu kitabı Türkçe'ye çevirmiştir (Ankara 2002).

3. Kitâbü'l-Makālât (bu esere atıfta bulunan veya ondan iktibas yapan kaynaklar için bk. Ebü'l-Yüsr el-Pezdevî, s. 241; Nesefî, I, 52, 162, 405, II, 829, 834). Brockelmann'ın Köprülü ve Süleymaniye (Fâtih) kütüphanelerinde bu kitaba ait olarak gösterdiği nüshaların Mâtürîdî'nin eserine ait olmadığı anlaşılmıştır.

4. Reddü Evâ'ili'l-edille li'l-Kâ'bî (bir iktibas için bk. Nesefî, II, 567).

5. Reddü Tehzîbi'l-cedel li'l-Kâ'bî.

6. Beyânü vehmi'l-Mu'tezile.

7. Reddü Va'îdi'l-füssâk li'l-Kâ'bî.

8. Reddü'l-Usûli'l-hamse li-Ebî 'Ömer el-Bâhilî.

9. Reddü Kitâbi'l-İmâme li-ba'zi'r-Revâfız.

10. er-Red'ale'l-Karâmita (fi'l-usûl).

Mâtürîdî'nin öğrencisi Rüstüfeğnî'ye öğrencilik yapmış olan İbn Yahyâ'nın kendi döneminde Semerkant'taki Ehl-i sünnetin Cûzcâniyye ve İyâziyye diye bilindiklerini belirtmesi,[1] bunun yanında Mâtürîdiyye'den söz etmemesi IV. (X.) yüzyılın ikinci yarısında henüz Semerkant kelâm ekolünün Mâtürîdî'ye nispet edilmediğini göstermesi bakımından dikkat çekicidir. Anlaşıldığı kadarıyla hicrî beşinci yüzyılın ikinci yarısında bile Mâtürîdî bu ekolün lideri olarak görülmemekteydi. Zira onun *Kitâbü't-Tevhîd*'inin dışında kendi zamanına kadar Semerkantlı âlimler tarafından yazılan kelâm eserlerini yetersiz bulan Ebü'l-Yüsr el-Pezdevî (ö. 493/1100) Ehl-i sünnet imamlarından saydığı Mâtürîdî'nin mezkûr kitabını dil ve üslup özellikleri itibariyle problemli bulduğunu belirtmesinin yanı sıra bazı görüşlerini açık bir biçimde eleştirerek[2] ona tam bağlı olmadığını ortaya koymuştur. Mâtürîdî'yi bir ekol lideri olarak benimseyen ve kelâma dair görüşlerini merkeze alarak *Kitâbü't-Tevhîd*'den sonra ikinci kaynak sayılan *Tebsıratü'l-edille*'yi telif eden Ebü'l-Muîn en-Nesefî olmuştur. Nesefî ile birlikte Mâtürîdîlik bir kelâm akımı olarak tarihteki yerini almıştır. Nitekim Fahreddin er-Râzî Mâverâünnehir'de yaptığı münazaraları konu alan eserinde Ebû Mansûr el-Mâtürîdî'nin Mâverâünnehirli tâbilerinden söz eder ve onlarla yaptığı tartışmayı anlatır.[3] Buradan artık Mâtürîdîliğin bir ekol haline geldiği, ancak henüz "Mâtürîdiyye" terimi kullanılmadığı anlaşılmaktadır. Nitekim İbn Fazlullah el-Ömerî Mâtürîdiyye adının Mu'tezile tarafından verildiğini belirtir. Ona göre Mu'tezile kelâmcıları Mâtürîdî'nin Ehl-i sünnet mezhebine verdiği güçlü desteğe duydukları şiddetli öfke sebebiyle akaid ve usulde Ebû Hanîfe'nin yolunu izleyen Ehl-i sünnet mensuplarına Mâtürîdiyye lakabını takmışlardır.[4] Sa'deddin et-Teftazânî Horasan, Irak, Şam (Suriye) ve diğer İslâm dünyasının büyük çoğunluğunda Ehl-i sünnetin Eş'arî ve Mâverâünnehir'de ise Mâtürîdiyye anlayışının yaygın olduğunu belirtir ve kendi zamanında bu iki grup arasında tekvîn, imanda istisnâ ve mukallidin imanı gibi kelâmî konularda görüş ayrılıkları çıktığını kaydeder. Sonra bu iki grubun ileri gelen âlimlerinin birbirlerini bid'atçılık ve sapıklıkla suçlamadıklarını vurgular.[5] Eş'arîlik daha çok Şâfiî ve Mâlikîler arasında tanınmışken Mâtürîdîlik Hanefîler arasında yayılmıştır.

---

[1] *Şerhu Cümeli usûli'd-dîn*; vr. 121ª.

[2] *Usûlü'd-dîn*, s. 2-3, 203-204, 207-211.

[3] *Münâzarât*, s. 53.

[4] *Mesâlikü'l-ebsâr*, VI, 46.

[5] *Şerhu'l-Mekâsıd*, II, 271.

dile getiren Mâtürîdî, öğrencisi Ebü'l-Hasan er-Rüstüfeğnî'nin *Fevâid* adlı eserinden yapılan iki iktibasa göre velilerin peygamberlerden üstün olduğunu savunanları reddeder, dünya nimetlerinden istifade edilmesini yadırgayanlara bunların insanların faydalanmaları için yaratıldığını söyleyerek karşı çıkardı.[1] Mâtürîdî gerek *Kitâbü't-Tevhîd*'de gerek *Te'îlâtü'l-Kur'ân*'ında çeşitli münasebetlerle Allah'a ve Resûlü'ne olan tâzim ve muhabbetini zaman zaman etkileyici duygusal ifadelerle dile getirir. Bunun yanında kalıplaşmış göstermelik anlatımlara yer vermez. Kelâbâzî'nin *et-Ta'arruf*'unda anlatılanlardan Mâtürîdî ve çevresinin kelâmî görüşlerinin Mâverâünnehir mutasavvıfları üzerinde etkin olduğu anlaşılmaktadır.[2] Hatta bir büyük tarikat şeyhinin Mâtürîdî'nin, zamanında bu ümmetin mehdisi olduğunu söylediği kaydedilmektedir.[3]

Mâtürîdî kelâm, tefsir, fıkıh ve mezhepler tarihi alanlarındaki çalışmalarıyla tanınmaktadır. Onun *Kitâbü't-Tevhîd* adlı eseri Sünnî kelâmının klasiklerinden biri haline gelmiştir. Kaynaklarda zikredilen kitaplarının isimleri onun Mu'tezile, Karâmita, Ravâfız gibi fırkalarca inanç esasları alanında ileri sürülen düşüncelere karşı uzun mücadeleler verdiği izlenimini vermektedir. Müteakip dönemlerdeki takipçileri tarafından şeyh, imam, şeyhülislâm, imâmü'l-hüdâ, alemü'l-hüdâ, reîsü meşâyihi Semerkand, imâmü'l- mütekellimîn ve musahhihu akâidi'l-müslimîn, imâmü ehli's-sünne gibi şeref unvanlarıyla anılmıştır. Ebü'l-Muîn en-Nesefî, gerek dinî gerekse felsefî ilimlerde, bu alanlarda ileri seviyede bulunanların kolay kolay elde edemeyecekleri çeşitlilikte bilgilere sahip bir şahsiyet olarak nitelediği Mâtürîdî'nin dini ihya yolunda çaba sarf ettiğini, hakkı desteklemek uğrunda çalıştığını, dinin hakikatlerini araştırma ve bunların ince mânaları ile derin hikmetlerini ortaya çıkarma düşüncesiyle yoğrulduğunu belirtir.[4] Kelâmda bir imam olarak kabul edilen Mâtürîdî akideyi güçlendirme ve dini temel görüşleri çerçevesinde müdafaa etme konusunda gerek İslâm dışı akımlara gerekse Mu'tezile, Havâric ve Bâtıniyye gibi İslâmî mezheplere karşı ciddi bir mücadele vermiş, çağdaş oldukları halde birbirleriyle buluştuklarına dair kaynaklarda herhangi bir kayda rastlanmayan Sünnî kelâmın öncülerinden Ebü'l-Hasan el-Eş'arî'den daha önce bu alanda etkin bir varlık göstermeye başlamıştır. Mâtürîdî, ilmî çevresi ile beraber Mâverâünnehir'de İslâm düşüncesinin belli bir istikrara kavuşmasında, İslâm'ın ve Hanefîliğin Türkler arasında yayılmasında önemli bir görev ifa etmiş ve onun bu etkisi zaman içinde artarak devam etmiştir.

---

[1] Keşşî, *a.g.e.*, vr. 308^a, 314^b.
[2] Nesefî, *Tebsıratu'l-edille*, I, 360-361.
[3] Zebîdî, *İthâfü's-sâde*, II, 5.
[4] *Tebsıratü'l-edille*, I, 359, II, 831-832.

görüşlerinin Mâverâünnehir'in batısında sağlam bir yer edinememesinde Hanefîliğin ana merkezi olan Irak'ta Ebü'l-Hasan el-Kerhî, Cessâs ve Ebû Abdullah Hüseyin b. Ali es-Saymerî gibi önde gelen Hanefî âlimlerinin itikadda Mu'tezile mezhebini benimsemelerinin büyük tesiri olmuştur.[1] Aslında Mâtürîdî İslâm dünyasında tamamen ihmal edilmiş bir âlim değildir. Yukarıda verilen örneklerden de anlaşılacağı üzere görüşleri ve biyografisine dair bazı bilgiler erken dönemlerden itibaren (bilhassa kendisini büyük bir otorite kabul eden Mâverâünnehir Hanefîlerinin teliflerinde, yedinci yüzyıldan itibaren çok sınırlı da olsa diğer mezheplere ait eserlerde yer almaya başlamıştır. Bununla birlikte kendisine ayrılan yerin çok yönlü ilmî şahsiyetiyle mütenasip olduğu söylenemez.

Kaynaklarda Mâtürîdî'nin tasavvufî yönüyle ilgili bazı kayıtlara rastlanmaktadır. Onun hakkında tıpkı bir tasavvuf büyüğü gibi menkıbeler ve rüyalar aktarılmakta, Semerkant'ta Deşt Ribât'ında Hızır ile görüşüp onun duasını aldığı, kerametleri bulunduğu ifade edilmekte ve yaptığı duanın kabul edildiğine dair bir hâdise de nakledilmektedir.[2] Nesefî'nin Mâtürîdî hakkında tasavvuf terminolojisi ile kullandığı "kudvetü'l-ferîkayn" (iki grubun lideri) tabiri ise[3] zahir ve bâtın ilimlerinde lider konumunda olduğunu çağrıştıran bir ifadedir. Arkadaşı Hakîm es-Semerkandî'nin aksine Mâtürîdî'nin tasavvufî eserlerde bir sufî olarak zikredilmemiş olması sorgulanmayı gerektirmekle birlikte bu menkıbe ve rüyalar Mâtürîdî'nin takipçileri tarafından sonraki dönemlerde nasıl algılandığını göstermesi bakımından oldukça önemli malzeme teşkil etmektedir. Kelâbâzî'nin muamelât alanında eser veren meşhur mutasavvıf âlimler arasında saydığı Hakîm es-Semerkandî'nin Mâtürîdî'nin çok yakın arkadaşı olması aralarında bir bilgi alış verişi olduğunu düşündürmektedir. Nitekim Mâtürîdî, *Te'vîlât*'ında Hakîm'den nasihat teriminin tanımını aktarmaktadır.[4] Takvâya ulaşmanın yolları ile ilgili olarak yaptığı açıklamalar da önemli ölçüde tasavvufî bir karakter arzetmektedir.[5] Ayrıca öğrencisinin öğrencisi olan İbn Yahyâ kendisini takvâ titizliğinde (el-vara' ed- dakīk) tek şahsiyet olarak tavsif etmektedir.[6] Ancak *Kitâbü't-Tevhîd* adlı eserinde keşif ve ilhamın bilgi kaynakları arasında yer alamayacağını açık biçimde

---

[1] *İmam Mâtürîdî ve Mâtürîdîlik*, s. 308.

[2] Pezdevî, *Usûlü'd-dîn*, s. 3; Nesefî. *el-Kand*, s. 32, 293; Keşşî, *Mecmû'l-havâdis*, vr. 316^{b}, 317^{a}; Mahmûd b. Süleyman el-Kefevî, *Ketâibü a'lâmi'l ahyâr*, vr. 105^{b}.

[3] *el-Kand*, s. 143.

[4] vr. 255^{b}.

[5] *a.g.e.*, vr. 93^{a-b}.

[6] *Şerhu Cümeli usûli'd-dîn*, vr. 162^{a}.

es-Semerkandî'nin dikkat çektiği üzere Mâtürîdî'nin kendi memleketinde de iki asra yakın ihmal edildiği ve Hanefî tabakât kitaplarında bile onun hakkında verilen bilgilerin çok sınırlı olduğu gerçeği hatırdan çıkarılmamalıdır.[1]

Mâtürîdî'nin eserlerinde savunduğu fikirler Ehl-i sünnet'in temel görüşleri olup iman-amel ayrımı (kebîre) konusunda mutedil Mürcie görüşünü benimsemesinin onun Ehl-i sünnet çizgisi dışında kalmasını gerektirmeyeceği gibi Kaderiyye'nin mukabili saydığı Mürcie'yi eleştirmesi de böyle bir iddiayı geçersiz hale getirir. Günümüze geldiği bilinmeyen eserlerinde Ehl-i sünnet tabirini kullanıp kullanmadığı hususunda bir şey söylenemezse de İbn Yahyâ gibi Mâtürîdî'nin öğrencisinin öğrencisi olan bir âlim aynı tabiri sıklıkla kullanmaktadır. Aslında Mâtürîdî'den sonra yaygın olarak kullanılmaya başlanan Ehl-i sünnet (ehlü's-sünneti ve'l-cemâa) tabiri, akaid konusunda Resûlullah ile ashâb cemaatinin yolunu (sünnet) takip edenler, yani ashâb yoluyla bize aktarılan Hz. Peygamber'in İslâm anlayışını benimseyenler demek olup, bu tabir namazın kılınış şekli dahil olmak üzere genel İslâm anlayışını içermektedir. Bu da müslümanların büyük çoğunluğunun zaten benimsediği bir husustur.[2]

Mâtürîdî'nin ihmal edilişi için ileri sürülen sebeplerin az veya çok etkili olduğu söylenebilir. Nitekim Ebü'l-Yüsr el-Pezdevî Mâtürîdî'nin *Kitâbü't-Tevhîd* adlı eserini yeterli bulmasına rağmen onu dil ve üslup açısından problemli gördüğü için kendi kitabını yazmayı gerekli saymıştır.[3] Alâeddin es-Semerkandî de Mâtürîdî'nin fıkıh usûlüne dair eserlerinin son derece sağlam delil ve güçlü istidlâllere dayanmasına rağmen bu kitapların ilgi görmemesinden yakınır ve bunun sebebinin lafız ve mânalarının alışılır olmayışı veya himmet ve gayret azlığında aranması gerektiğini belirtir. Ona göre fakihlerin Mâtürîdî'nin eserlerinde görülen kelâmî tartışmalarla ilgilenmeyip sadece fıkha meyilli olmaları, yalnız fıkhî meseleleri ele alan eserlerin yaygınlık kazanmasına sebep olmuştur.[4] Mâtürîdî'nin yaşadığı bölgenin çeşitli istilâlara mâruz kalıp dinî eserlerin tahrip edilmesi, ayrıca Mâverâünnehir'in Bağdat, Basra ve Kûfe gibi ilim ve kültür merkezlerinden uzak olmasının eserlerinin ihmal edilmesindeki etkisinin göz önünde bulundurulması gerektiğine dikkat çeken Topaloğlu'na göre ise Mâtürîdî'yle ilgili bu ihmalin temelinde muhaddislerle fakihlerin, onun görüşlerini Mu'tezile'ye yakın hissedişlerinin yatması kuvvetle muhtemeldir.[5] Madelung'a göre Mâtürîdî'nin

---

[1] *Mîzânü'l-usûl*, s. 3.
[2] Topaloğlu, *Kelâm İlmi - Giriş*, s. 109.
[3] *Usûlü'd-dîn*, s. 3.
[4] *Mîzânü'l-usûl*, s. 3.
[5] *Kitâbü't-Tevhîd Tercümesi*, s. XIV, XVIII.

adlı eserinin girişinde önde gelen Hanefî fakihlerinin adları sıralanırken "Ebû Mansûr es-Semerkandî" şeklinde geçmektedir.[1] Sem'ânî de Mâtürîdî'yi torunlarından Kadı Ebü'l-Hasan el-Mâtürîdî'nin biyografisinde anmaktadır.[2] Fahreddin er-Râzî ve Kurtubî tefsirlerinde Mâtürîdî'nin görüşlerine yer verirler ve Kurtubî onu "eş-şeyh el-imâm" diye anar.[3] Zehebî, Mâtürîdî'yi öğrencisi Abdülkerim el-Pezdevî'nin biyografisinde zikreder ve bu öğrencisinin kendisinden fıkıh tahsil ettiğini belirtir.[4] İbn Fazlullah el-Ömerî *Mesâlikü'l-ebsâr* adlı eserinin fukahâya ayırdığı cildinde Hanefî mezhebi âlimleri arasında, övgü dolu sözlerle Mâtürîdî'nin biyografisine kısaca yer verir.[5] Daha sonra Kureşî ile birlikte Hanefî tabakat kitaplarında Mâtürîdî'nin biyografisi mutlaka zikredilegelmiştir.

Çağdaş araştırmalarda Mâtürîdî'nin tefsir, kelâm, fıkıh ve usûlü, mezhepler tarihi alanlarında önemli mevkiine rağmen gerek mezhepler tarihiyle ilgili eserlerde gerekse bibliyografik kaynaklarda ihmal edildiği yaygın bir kanaat olarak paylaşılmakta ve sonraki dönemlere çok az eseri intikal eden Eş'arî'nin mezhebinin yayılmasına mukabil Mâtürîdî'nin maruz kaldığı bu ihmalle ilgili muhtelif sebepler ileri sürülmektedir. Bunlar arasında Mâtürîdî'nin hilâfet merkezi Bağdat'tan uzakta yaşamış olması, Arap tarihçileri tarafından kasıtlı olarak unutturulması, siyasî iktidarla anlaşmazlıklar içinde bulunması sebebiyle Eş'arîler gibi devlet imkânlarından yararlanmamış olması, Eş'arîliğin Nizamiye medreselerinde okutularak İslâm dünyasının her tarafına gönderilecek kimseler yetiştirilmesine mukabil Mâtürîdîliğin resmî eğitim kurumlarına girememesi, Eş'arîliğin Şâfiîler ve Mâlikîler gibi farklı kitleler tarafından benimsenmesine karşılık Mâtürîdîliğin sadece Hanefîlere münhasır kalması, Mâtürîdîliğin akla daha fazla önem vermek suretiyle muhafazakâr ulemanın ve biyografi müelliflerinin ilgi alanı dışında kalması, Hanefî çevrelerin Mâtürîdî'nin Ebû Hanîfe'nin otoritesini gölgelemesinden endişe etmeleri, eserlerinin dil ve üslup açısından problemli oluşu gibi bir dizi sebep zikredilmektedir. Bazı araştırmacılar tarafından Zehebî ve Süyûtî gibi biyografi müelliflerinin Mâtürîdî'yi Türk olduğu için terkettiği ileri sürülmüştür. Ancak bu tür müelliflerin eserlerine bakıldığında İslâm dünyasında ilmî faaliyetlerde bulunan kişilerin mezhebî, millî vs. kimliklerine bakılmaksızın biyografilerine yer verildiği görülmektedir. Bu noktada Alâeddin

---

[1] *el-Fukahâ'ü'ş-Şâfi'iyye*, s. 3.

[2] *el-Ensâb*, V, 155.

[3] *Mefâtîhu'l-gayb*, V, 163, VI, 200, XIV, 228, XXIV, 244, XXVII, 188; *el-Câmi' li-ahkâmi'l-Kur'ân*, VI, 38.

[4] *Târîhu'l-İslâm*, s. 200.

[5] *Mesâlikü'l-ebsâr*, VI, 45-46.

aynı tarihi benimserler (bk. bibl.). Kevserî ise Kutbüddin el-Halebî'den 332 tarihini nakleder.[1] Büyük oranda Kureşî'ye dayanan Temîmî 333 tarihi yanında ayrıca 332 tarihini de kaydeder. Ayrıca bazı eserlerde 336 tarihi de verilmektedir. Fîrûzâbâdî'nin eserinin bir başka nüshasında[2] yer alan 323 tarihi ise yanlış istinsahtan kaynaklanmış olmalıdır.

Mâtürîdî Semerkant'ın ünlü Çâkerdîze Mezarlığı'na defnedildi. Arkadaşı Hakîm es-Semerkandî mezar taşına şu ibareyi yazdırttı: "Burası bütün hayatını ilme adayan, gücünü ilmin yaygınlaşması ve öğretilmesi yolunda tüketen böylece din yolundaki eserleri övgüyle anılan ve ömrünün meyvelerini devşiren kişinin mezarıdır".[3] Rus oryantalisti Barthold 1920'de Semerkand'a yaptığı seyahatte Çâkerdîze Mezarlığı'nda Mâtürîdî'nin türbesini gördüğünü kaydetmektedir.[4] Ancak onun Semerkand'daki türbesinin bulunduğu mezarlık Soyvetler Birliği döneminde iskâna açılmış ve türbenin bulunduğu yer bir evin bahçesinde kalmıştır. 1991 yılında Semerkand'ı ziyaret eden bir grup Türk ilim adamı sözü edilen yerde türbe bulunmadığını, kabrinin üzerine beton atılarak avlu gibi kullanıldığını ifade etmiştir. Mâtürîdî'nin şimdi Semerkand'ın Siyab merkez ilçesinin İkinci Şark Mahallesi Gijduvan Sokağı'nda yer alan mezarının bulunduğu alana 2000 yılında tamamlanan yeni bir türbe ve etrafına da bir külliye inşa edilmiştir.

Mâtürîdî'nin hayatı, eserleri, görüşleri, öğrencileri ve çağdaşları hakkında şimdiye kadar bilgi verdiği bilinen en eski kaynak Ebü'l-Muîn en-Nesefî'nin *Tebsıratü'l-edille*'sidir. Sonraki eserler Mâtürîdî'den özetle bahsetmekte ve bilinenlere yeni bir şey katmamaktadır. Çağdaş araştırmalarda da bu bilgiler tekrarlanmaktadır. Bununla birlikte Semerkant Sünnî kelâm ekolüne mensup Ebû Seleme'nin *Cümelü usûli'd-dîn* adlı eserine yazılan bir şerhte Mâtürîdî'nin hayatı ve kelâmî görüşleriyle ilgili bazı anektodlara rastlanmaktadır. Müellifi tespit edilemeyen ancak bir yerde babasının adını İbn (Ebû?) Zekeriyyâ Yahyâ b. İshak şeklinde veren[5] bu eserin müellifi, Mâtürîdî'nin öğrencisi Ebü'l-Hasan er-Rüstüfeğnî'nin öğrencisidir. Eserde Mâtürîdî "zamanında ilimde, anlayışta, mezhepleri bilmede ve ileri derecedeki takvada yegâne idi" diye tavsif edilmektedir.[6] Hanefî olmayan kaynaklarda ise Mâtürîdî'nin adı tespit edebildiğimiz kadarıyla ilk defa Şâfiî âlimlerinden Ebû Âsim el-Abbâdî'nin (ö. 458/1066) 435'te (1044) tamamladığı *el-Fukahâ'ü'ş- Şâfi'iyye*

---

[1] Beyâzîzâde, *İşârâtü'l-meram*, s. 7.
[2] *el-Mirkâtü'l-vefiyye*, Reisülküttab, nr. 671, vr. 74ª.
[3] *Tebsıratü'l-edille*, I, 358.
[4] *Moğol İstilâsına Kadar Türkistan*, s. 95.
[5] İbn Yahyâ, vr. 161ᵇ.
[6] *a.g.e.*, vr. 161ᵇ -162ª.

Ebû Süleyman el-Cûzcânî'nin öğrencileri Ebû Bekir Ahmed b. İshâk el-Cûzcânî, Nusayr b. Yahya el-Belhî ve Nîsâbûr kadısı Ebû Bekir Muhammed b. Ahmed b. Recâ el-Cûzcânî gibi hocalardan ilim tahsil etmişse de öğrenimini, henüz yirmi yaşlarında iken hocası Ebû Bekir el-Cûzcânî ile birlikte ulemâ reisliğini deruhte eden ve Dârü'l-Cüzcâniyye'de ders veren Ebû Nasr Ahmed b. Abbâs el-İyâzî'den tamamlamıştır. Eğitim hayatı, seyahatleri ve hacca gidip gitmediği, resmî bir görev alıp almadığı gibi hususlar bilinmemektedir. Kendisinden Ebû Ahmed el-İyâzî, Ebü'l-Hasan Ali b. Saîd er-Rüstüfeğnî ve Ebû Muhammed Abdülkerîm b. Mûsâ el-Pezdevî gibi âlimlerin fıkıh ve kelâm tahsil ettikleri bilinmektedir. Geç dönem kaynaklarında yer alan Hakîm es-Semerkandî'nin Mâtürîdî'nin öğrencisi olduğu iddiası ise doğrulanmamıştır. Her ikisinin de Ebû Nasr el-İyâzî'ye öğrencilik yapmış olmaları, kaynaklarda isimlerinin sık sık birlikte anılması ve bazı menkıbelerde birbirine akran olarak gösterilmesi,[1] *Te'vîlât*'ta Hakîm'in görüşlerine yer verilmiş olması[2] gibi hususlar göz önüne alındığında bu iki âlimin akran oldukları ve aralarında bir bilgi alış verişi bulunduğunu söylemek daha isabetli gözükmektedir. Öte yandan Hakîm'in Mâtürîdî'ye karşı hürmetkâr bir tavır içinde bulunduğu ifade edilmektedir.[3] A. S. Tritton, Hakîm es-Semerkandî'nin her halükârda Mâtürîdî'den fıkıh ve kelâm okuduğunu söylemiş ve aralarındaki isim benzerliğinden hareketle kardeş olabileceklerini ileri sürmüşse de (bk. bibl.) dedelerinin isimlerinin farklı olması hasebiyle bu tahminin yanlış olduğu anlaşılmıştır. Ayrıca Ebü'l-Leys es-Semerkandî'nin muhtemelen aynı şehirde bulunmaları sebebiyle Mâtürîdî'nin öğrencisi olduğu şeklinde çağdaş araştırmalarda yer alan bilgiler de klasik kaynaklarca doğrulanamamıştır. Ebü'l-Leys kendi eserinde hiçbir takdir ifadesine yer vermeksizin Mâtürîdî'nin fıkhî iki görüşüne atıfta bulunmakta, ancak aynı konularda tam aksine görüşleri tercih etmektedir.[4]

Ebü'l-Muîn en-Nesefî ve İbn Fazlullah el-Ömerî yıl belirtmeden Mâtürîdî'nin Ebü'l-Hasan el-Eş'arî'den (ö.324/936) kısa bir müddet sonra vefat ettiğini kaydederler.[5] Kureşî de hocaları Ebü'l-Hasan İbnü's-Savvâf ve Kutbüddin Abdülkerîm el-Halebî'ye dayanarak 333'te (944) vefat ettiğini belirtir ve daha sonra Fîrûzâbâdî, İbn Kutluboğa, Kefevî, Zebîdî, Leknevî gibi kaynaklar

---

[1] Nesefî, *el-Kand*, s. 293; Sem'ânî, *el-Ensâb*, VI, 115; ayrıca bk. İbn Yahyâ, *Şerhu Cümel-i usûli'd-dîn*, vr. 160^b-161^b.

[2] vr. 255^b, 906^b.

[3] Keşşî, *a.g.e.*, vr. 39^b.

[4] *Kitâbü'n-Nevâzil*, vr. 7^b. 16^b.

[5] *Tebsıratü'l-edille*, I, 360; *Mesâlikü'l-ebsâr*, VI. 46.

fakat Mâtürîdî'nin ancak dedesini zikredebilmiştir. Bir de Mâtürîdî'nin eserlerinde kullanılan dil ve üslûp ana dili Arapça olmayan bir müellifin kaleminden çıktığını kanıtlar niteliktedir. Onun, eserlerinde kullandığı dilin girift ve zor olduğu bir çok eski kaynakta ifade edildiği gibi[1] günümüze gelen eserleri de bunun açık birer delilini teşkil eder. Zira ilmî meseleleri ele alıp incelemesinde kendisini gösteren engin bilgi ve derin tefekkürüne rağmen böyle bir dil ve üslup özelliğine sahip olması onun anadili Arapça olmayan bir âlim olduğunun gösterir. Öte yandan eserlerindeki bir çok cümlenin kuruluşuna, bilhassa bazı fiillerin bağlaçlarına bakıldığında Arapça gramere aykırılığı yanında Türkçe gramere uygunluğu görülmektedir. Gerek dil ve üslûp özellikleri gerekse yaşadığı Semerkant ve çevresinin Türklerin çoğunluk olarak yaşadığı bir bölge olması göz önünde bulundurulduğu takdirde Mâtürîdî'nin Türk asıllı olduğunu söylemek gerekir. Onun ilmî eserlerinde *hestiyye* gibi Farsça'dan türetilmiş kelimeler kullanması[2] ve kaynaklarda günlük hayatında Farsça kullandığını gösteren bazı rivayetlerin yer alması[3] ise onun Fars asıllı olmasından değil, Türklerin hakim bulunduğu Maveraünnehir'de köy ve kasabalarda Türkçe'nin, şehirlerde özellikle ilim çevrelerinde ise Farsça'nın yaygınlığı ile[4] ilişkili olmalıdır.

Mâtürîdî'nin ailesinin fertleri hakkında baba ve dedesinin (Muhammed b. Mahmûd) adından başka bir şey bilinmemektedir. Zebîdî bazı kaynaklarda dedesinden sonraki şahsın adını Muhammed olarak zikreden kaynakların bulunduğunu belirtir.[5] Ebû Mansûr künyesinden Mansûr adlı bir oğlu olduğu anlaşılabilirse de Mâtürîdî bir âyetin tefsirinde künyelerin anlamları üzerinde açıklama yaparken Ebû Mansûr künyesinin örfen, oğul evladı olmayan kişiye Mansûr adında oğlu olması temennisiyle verilebileceğini kaydeder.[6] Örnek olarak bu künyenin seçimi bir rastlantı değilse kendisinin erkek evladı olmadığının bir işareti sayılabilir. Mâtürîdî'nin erkek evladı tarafından nesli devam etseydi muhtemelen onlardan hiç değilse bazılarının adı bir şekilde kaynaklarda yer alırdı.

Mâtürîdî Hanefî mezhebinin dördüncü, hatta üçüncü kuşak âlimlerindendir. Ebû Hanîfe'nin öğrencilerinden Muhammed eş-Şeybânî'nin öğrencisi

---

[1] Ebü'l-Yüsr el-Pezdevî, *Usûlü'd-dîn*, s. 3; Alâuddin es-Semerkandî, *Şerhu't-Te'vîlât*, vr. 1[b]; a.mlf., *Mîzânü'l-usûl*, s. 3.

[2] *Kitâbü't-Tevhîd*, s. 7.

[3] Keşşî, *Mecmû'u'l-havâdis*, vr. 316[b].

[4] Hucendî, *Hükmu'llahi'l-vâhid*, s. 48.

[5] *a.g.e.*, II, 5.

[6] *Te'vîlât* vr. 905[a].

EBÛ MANSÛR el-MÂTÜRÎDÎ

Hayatı[1]

Nisbet edildiği yerin adı Mâtürîd (Mâtürît) bugün Özbekistan Cumhuriyeti'nin sınırları içinde bulunan Semerkand'ın dış mahallesidir. Biyografisi hakkında kaynaklarda çok az bilgiye rastlanan Mâtürîdî Sâmânoğulları'nın Mâverâünnehir'e hakim oldukları dönemde yaşamıştır. Doğum tarihi kesin olarak bilinmemekle birlikte hocası Rey kadısı Muhammed b. Mukâtil er-Râzî'nin 248 (862) yılında vefat ettiği bilgisinden hareketle üçüncü yüzyılın ilk yarısının ortalarında doğduğu ve ömrünün bir asra yakın olduğu tahmin edilmektedir.

Mâtürîdî'nin Beyâzîzâde Ahmed Efendi ve Zebîdî gibi geç dönem âlimleri tarafından Ensârî nisbesi ile anılmasına ve *Kitâbü't-Tevhîd*'in tek yazma nüshasının sayfa kenarında bilinmeyen biri tarafından kaydedilen nota istinaden bazı günümüz eserlerinde soyunun Ebû Eyyûb el-Ensârî'ye uzandığı yolunda ileri sürülen iddia isabetli görünmemektedir. Zira iddianın mesnedi bulunmadığı gibi Zebîdî bu nisbetin sahih olması halinde tıpkı künyesinin çağrıştırdığı gibi dini desteklemede açtığı çığıra binaen verilmiş olacağını ifade eder ve bu nisbe ile soyu arasında herhangi bir ilişki kurmaz.[2] Ayrıca Ebû Eyûb el-Ensârî soyundan geldiği bilinen Semerkand kadısı Ebü'l-Hasan Ali b. Hasan el-Mâtürîdî'nin (ö. 511/1117) babasının annesi Necmeddin en-Nesefî'ye göre Mâtürîdî'nin kızının kızıdır.[3] Mâtürîdî'nin kız tarafından torunu olan Kadı Ebü'l-Hasan'ın baba tarafından nesep bağı karıştırılarak doğrudan Mâtürîdî'nin kendisine nispet edilmiş olması kuvvetle muhtemeldir. Araplar genellikle sahâbîye kadar uzanan soylarını kaydeder ve silsilenin sonuna ona nisbeti ortaya koyacak bir ifade eklerler. Nitekim Ebü'l-Muîn en-Nesefî, Semerkant Sünnî kelâm ekolünü anlatırken Ebû Nasr el-İyâzî ve Kadı Muhammed b. Eslem el-Ezdî'nin sahabeye kadar varan nesep silsilelerini vermiş,

---

[1] Şükrü Özen, *DİA*, XXVIII, 146-151.
[2] *İthâfü's-sâde*, II, 5.
[3] *el-Kand*, s. 420.

ayrıca ben tercüme ettim. Diğeri *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*, geçmişteki bazı teşebbüslere rağmen henüz yayın sahasına çıkarılamamıştır.[1]

Te'vîlâtü'l-Kur'ân'ın birinci cildi asırlardan beri ihmal edilen dinî, ilmî ve millî görevi yerine getirme teşebbüsünün bir başlangıç ürünüdür. Bundan önce *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'dan Fâtiha sûresi, Âyetü'l-Kürsî, Bakara sûresinin son iki (2/285-286) ve Haşr sûresinin son dört (59/21-24) âyetleri ile Fîl'den itibaren son on sûre-nin metnini ve bunların tercümesini içeren bir kitap yayımlamıştık. (*Te'vîlâtü'l-Kur'ân'dan Tercümeler*, İstanbul 2003). Şahsi kanaatime göre eski dönemlerin kültürel imkânları ve sosyal ihtiyaçları çerçevesinde kaleme alınan, daha çok ilim tarihini ilgilendiren ve ait olduğu alanın uzmanlarına hitap eden hacimli eserlerin Türkçe'ye aktarılmasından önemli derecede bir sonuç beklenmemelidir. Ancak Mâtürîdî'nin *Te'vîlât*'ı bunun dışında tutulmalıdır. Zira Mâtürîdî tefsirinde teknik ve gramatikal bilgilere, konu dışı açıklamalara, isrâiliyyâta, kelâm-ı ilâhînin ve orada yer alan hükümlerin anlaşılmasına yardımcı olmayan izahlara yer vermez. Ancak *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ın tercümesi sağlam metninin belirlenip neşredilmesine yakın bir güçlük arzeder. Bununla birlikte ülkemizde bu ilmî potansiyelin mevcut olduğu kanaatini taşımaktayım.

Te'vîlâtü'l-Kur'ân'ın birinci cildinin ilim dünyasına sunulduğu şu günlerde tahkikle ilgili çalışmaların birikimi yedi cildi aşmış bulunmaktadır. On sekiz ciltlik bir hacme ulaşacağı anlaşılan yayının ardından tercümesine de ayrı komisyonların kurulması suretiyle başlanmalıdır. Bu büyük fakat zor proje için gerekli olan manevî ve ilmî potansiyel, finans ve organizasyon imkânlarının, rahmân ve rahîm olan Allah'ın lutf-u keremi, ilim adamlarımızın himmeti ve müslüman halkımızın desteğiyle vücut bulup devam edeceğine inanıyorum.

"Ebû Mansûr el-Mâtürîdî: Hayatı, Eserleri" ve "Tefsir İlmindeki Yeri" bölümü kısmî özetlemelerle *TDV İslâm Ansiklopedisi*'nden alınmıştır. Bu münasebetle "Hayatı, Eserleri" kısmı için Şükrü ÖZEN'e, ayrıca bölümün tamamı için Ansiklopedi yönetimine teşekkürlerimi sunarım.

Bütün başarılar Allah Teâlâ sayesinde mümkündür. Rızâ-i Hak her şeyin üstündedir.

Üsküdar / İstanbul
2005

Prof. Dr. Bekir Topaloğlu

---

[1] Birinci cildin basım hazırlıklarını sürdürdüğümüz sırada *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ın tamamının basıldığına şahit olduk. Fâtıma Yûsuf el-Hıyemî'nin tahkiki ile basılan eser (Müessesetü'r-Risâle-Nâşirûn, Beyrut 1425/2004) beş ciltten oluşmaktadır. İki yazma nüsha ile Alaaddin es-Semerkandî'ye ait bir nüsha şerhe dayanılarak yapılan neşirde kâfi miktarda nüshanın incelenmediği, metnin doğru olarak tesbit edilip anlaşılmasına yardımcı olan şerhten yeterince faydalanılmadığı, ilmî neşrin şekil ve kriterlerine tam olarak uyulmadığı, indeks vb. yardımcı çalışmaların yapılmadığı müşahede edilmektedir.

Fâtiha ve Bakara sûrelerinin tefsirini ihtiva ediyordu (İstanbul 1971; Marmara Ü. İlâhiyat Fakültesi ktp., nr. 488). Muhammed Müstefîzurrahman'ın doktora çalışması olarak hazırladığı fakat başarılı sayılmayan neşri de Fâtiha ve Bakara sûreleri çerçevesindedir. (Bağdâd, 1404/1983). Türkiye Diyanet Vakfı İslâm Araştırmaları Merkezi de *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ın ilmî neşrine karar vermiş ve bu amaçla bir çalışma başlatmışsa da 2001 yılının başında aldığı bir kararla bu çalışmayı durdurmuştur. *Te'vîlât*'ın neşri üzerine yüksek lisans seviyesinde de bazı çalışmalar yapılmıştır.

Kitâbü't-Tevhîd'in tercümesinin önsözünde de kaydettiğim üzere[1] İmam Ebû Mansûr el-Mâtürîdî'ye ait eserlerin ilmî neşrini gerçekleştirme konusunda «karşı durulmaz bir arzu» taşıdığımdan *Te'vîlât*'ın neşri için başka çareler aramaya başladım. Nihayet kadîm dostum Ahmet Vanlıoğlu ile arkadaşlarının kurduğu İmam Ebû Hanîfe ve İmam Mâtürîdî Araştırma Vakfı yöneticilerine başvurdum. Memnuniyetle belirtmek isterim ki vakıf bünyesinde hem iyi niyet ve samimiyet, hem ilmî birikim, hem de ilmî neşrin şekillendirilmesinde önem arzeden bilgisayar tecrübesi müşahede ettim. Gerekli ilke ve usul müzakerelerinden sonra kitabın neşrine karar verdik.

* * *

Ebû Mansûr el-Mâtürîdî İmâm-ı Â'zam Ebû Hanîfe'nin akaid ve fıkıh alanındaki görüşlerini benimseyerek onun gıyâbî talebesi olmuş, akaid alanındaki yöntemini geliştirerek Sünnî Kelâm İlminin kurucusu vasfını kazanmıştır. O, kelâmî düşüncesini *Te'vîlâtü'l-Kur'ân*'ında yoğun bir şekilde işlemiş, *Kitâbü't-Tevhîd*'i ile de Ehl-i sünnet ilm-i kelâmının metod, muhteva ve işleniş şeklini belirlemiş, onun bu eseri gerek Mâtürîdî gerek Eş'arî kelâm kitaplarının modelini oluşturmuştur. Hak dinin son halkasını teşkil eden İslâmiyet doğuşundan bugüne kadar özgünlüğünü korumuş, Kur'ân-ı Kerîm yüz milyonlarca müslüman tarafından ibadetler sırasında okunmuş, milyona varan kişiler tarafından tamamı ezberlenmiş, yazılıp bastırılmıştır. Bunun yanında her dinde olduğu gibi İslâmiyette de dinin bünyesinin sistematik iki cephesini teşkil eden fıkıh ve kelâm alanında bazı mezhepler ortaya çıkmış fakat mensuplarının yüzde doksan dokuzu geniş mânada İslâm dairesinin içinde kalmıştır. Bunlardan Hanefiyye-Mâtürîdiyye mezheplerinin mensupları içinde atalarımız temel nesil konumunda bulunmuş ve ana bünyeyi temsil etmiştir. Hanefiyye-Mâtürîdiyye mezhebinin ana kaynaklarından birini teşkil eden *Kitâbü't-Tevhîd* 'i Dr. Muhammed Aruçi ile birlikte neşre hazırladık,

---

[1] Ankara 2002, s. XVI.

Mâtürîdî'nin çağdaşı Ebü'l-Hasan el-Eş'arî'den günümüze intikal edip doğrudan kendi görüşlerini yansıtan risâleler hacim ve ilmî yoğunluk bakımından *Kitâbü't-Tevhîd*'in yarısına bile ulaşamaz. Yine onun çağdaşı sayılan İbn Cerîr et-Taberî'nin *Camiu'l-beyân*'ı değerli bir tefsir kitabı olmakla birlikte rivayet yöntemiyle kaleme alınmıştır. *Te'vîlâtü'l-Kur'ân* ise âyeti âyetle tefsir etme, semantik yaklaşım yapma, geniş tahlil ve mukayeselere yer verme, psikolojik ve sosyolojik faktörlere dikkat çekme, Sünnî akideyi pekiştirip Hanefî fıkhını savunma, muhalif görüşlere sahip din ve mezhep saliklerini ilmî tenkide tâbi tutma, düşünüş ve sunuşta âhenge riayet etme gibi özelliklerle çağında ve sonraki dönemlerde kaleme alınan tefsir kitaplarından ayrılır. *Te'vîlâtü'l-Kur'ân* dirayet tefsirinin ilk örneğini teşkil etmekle birlikte rivayete dayalı açıklamalara da red ve kabul açısından yer verir. Ne var ki Taberî'de olduğu gibi isnad zincirini göstermez. Çoğu zaman görüş sahibinin adını da zikretmeyip «denildi ki, muhtemeldir ki» gibi ifadeler kullanır.

Mâtürîdî'nin kendisinden sonraki tefsir, fıkıh ve kelâm müelliflerini etkilediği şüphesizdir. Bu etkilerini tespit etmek ve dolayısıyla onun temel İslâmî ilimler alanındaki yerini belirlemek için her şeyden önce kendisine ve yakın talebelerine ait eserlerin ilmî neşirlerinin yapılması gerekir. Ardından sağlam zemine dayanan araştırmaların yapılması imkân dahiline girer.

Son zamanlarda Türkiye'de, kısmen diğer İslâm ülkelerinde ve özellikle Batı dünyasında Mâtürîdî ve Mâtürîdiyye'yle ilgili çalışmaların ivme kazanması memnuniyet verici birşeydir. İlim adamları asırlardan beri ihmal edilen, terkedilip unutulan zengin bir alanı keşfetmenin mutluluğunu yaşamaktadır. Aslında bu konuya en çok ilgi göstermesi gereken kimseler, İslâmî anlayış ve davranışlarını Hanefî-Mâtürîdî çizgisi üzerinde yürüten müslüman topluluklardır. Bu kesimin odak noktasını müslüman Türkler, Türk-Osmanlı kültür havzasında din anlayışlarını biçimlendiren gruplar teşkil eder. Öyle anlaşılıyor ki Osmanlı devleti, yönetimin çeşitli alanlarında ve pratik hayatta gerekli olduğundan Hanefî fıkhına önem vermiş, fakat dinin temel yapısını oluşturan itikadî meselelere -siyasî yönü bulunan Şiîlikten uzak kalmak şartıyla- ehemmiyet atfetmemiş, bir anlamda felsefî ideolojisi bulunmayan, çoğulcu bir imparatorluk politikası gütmüştür.

Te'vîlât'ın ilmî neşriyle ilgili ilk çalışma Mısır'lı İbrahim Muhammed İsmail Avadayn ve Seyyid Muhammed Avadayn tarafından gerçekleştirilmiştir. Kahire'deki resmî bir kurum tarafından yayımlanan bu çalışma Kur'ân-ı Kerîm'in birinci cüzünün tefsirini içeriyordu (Kahire 1390/1970). Muhammed Eroğlu tarafından «İstanbul Yüksek İslâm Enstitüsü Öğretim Üyeliği Tezi» olarak uzun mesainin sonucu hazırlanan doktora seviyesindeki çalışma ise

İslâm dini dünya nüfusunun dörtte birini kendi inanç havzası içine almış ve bu konumunu sürdürebilmiştir.

Çeşitli dil, din, ırk, kültür ve coğrafyalara mensup insanların oluşturduğu müslüman toplum içinde -diğer din mensuplarında olduğu gibi- zamanla bazı farklı anlayışlar ortaya çıkmıştır. Tabii karşılanması gereken bu olgu İslâm dininin inanç konularını teşkil eden temel ilkeler ve bir de ibadetlerle insanlar arası münasebetleri düzenleyen pratik hükümler alanında kendini göstermiştir. Böylece itikadî ve fıkhî mezhepler ortaya çıkmıştır. Dinin ana yapısını oluşturan iman konuları alanında ilahî mesajın özünden uzaklaşmak din dairesinin dışına çıkmak gibi elîm bir sonuç (irtidat, zındıklık) doğurabildiği halde pratik alanla ilgili ictihad farklılıkları olsa olsa hataya götürür. Ancak kesin dinî deliller ve âlimlerin genel kabulü (nas ve icmâ) çerçevesinde yer alan bir hükmü ortadan kaldıran anlayışlar da dinin ana yapısını zedelediğinden bir önceki hükmün statüsüne girer. Enteresan bir tecellidir ki İslâm tarihi boyunca din dışı (heterodoks) kabul edilen anlayışların mensupları hiçbir zaman toplam müslüman nüfusunun yüzde birini aşmamıştır. Bu başka dinlere nasip olmayan bir ayrıcalıktır.

Hicri II. (VIII.) yüzyılın ilk yarısında talebeleri ve fikir arkadaşlarıyla birlikte ilmî faaliyetlerde bulunan İmâm-ı Âzam Ebû Hanîfe (ö. 150/767), İslâm dininin hem temel ilkeleri (akaid-kelâm) hem de pratik hükümleri (fıkıh-ahlâk) alanında yoğun çalışmalar yapmış ve gerek akaid gerek fıkıhla ilgili olarak eserler meydena getirmiştir. Bu eserlerin bir kısmı doğrudan bir kısmı da talebelerinden rivayet edilerek kitaplaştırılmıştır. Ebû Hanîfe'nin vefatından yaklaşık bir asır sonra hocaları vasıtasıyla onun talebesi sayılan İmâm Ebû Mansûr el-Mâtürîdî (ö. 333/944), o günkü İslâm dünyasının uzak bir coğrafyasında yer alan Mâveraünnehir'de ortaya çıkmış, kelâm ve fıkıh usûlünün yanı sıra tefsir alanında da ilmî faaliyetler göstererek eserler vücûda getirmiştir. Ebû Hanîfe kendi adıyla anılan en büyük fıkıh mezhebinin kurucusu olurken onun çizgisinde mesafe alan Mâtürîdî de kendi adıyla anılacak en büyük kelâm mezhebinin kurucusu olmuştur. Genellikle fıkıhta Hanefî olanlar itikadda Mâtürîdî mezhebini benimsemişlerdir. Hanefî-Mâtürîdî mezhebinin mensupları, Ehl-i sünnet dışı ekoller de dahil olmak üzere bütün müslüman nüfusun yarısından fazlasını teşkil etmektedir.

İslâmî ilimlerin zengin bir literatüre sahip olduğu herkesce bilinmektedir. Müelliflere nisbet edilen eserlerden sonraki asırlara ve günümüze kadar gelebilenler göz önünde bulundurulduğu takdirde Mâtürîdî'nin kelâm alanında *Kitâbü't-Tevhîd*, tefsir alanında *Te'vîlâtü'l-Kur'ân* ismiyle anılan telifleri bu iki ilim dalının ilk ve en dolgun eserleri konumunda bulunur.

ÖNSÖZ

Bütün övgü ve senâlar Allah'a mahsustur. O ki kuluna hiçbir çelişkisi bulunmayan Kitâb'ı indirmiş, okunup anlaşılmasını kolaylaştırmış, onu idrak ve iman sahiplerinin dünya ve âhiret mutluluğuna vesile kılmıştır. Salât ve selâm bu Kitâb'ın tebliğcisi, açıklayıcısı ve uygulayıcısı olan Son Peygamber'ine, ashabına ve kıyamete kadar ona inanıp bağlananlara olsun.

Esirgeyen ve bağışlayan yüce Allah evrenin en değerli varlığı olarak yarattığı insana akıl ve şuur vermiş, gönül ve vicdan hayatı lutfetmiş, düşünme, karar verme ve eylem gerçekleştirme özgürlüğü tanımış ve bunlara bağlı olarak onu iradî davranışlarından sorumlu tutmuştur. Yine engin lutuf ve kereminin ürünü olarak insan türüne mutluluk yolunu göstermek üzere elçi-peygamberler görevlendirmiş ve onların aracılığıyla mesajlar göndermiştir.

İlahî mesajlar insanlık tarihi boyunca küçük ve büyük kitaplar halinde yenilenmiş ve nihayet Kur'ân-ı Kerîm'le son şeklini almıştır. Dolayısıyla ilâhî din de İslâmiyetle nihaî şekline kavuşturulmuştur.

Kur'ân-ı Kerîm, Son Elçi'ye gönderilen mesajın hak dini oluşturduğunu ve bu dinin yani İslâmiyetin diğer bütün dinlere hâkim bir konuma getirileceğini ifade eder.[1] Ayrıca İslâm dinine mensup olanların aşırıya kaçmayan, dengeli ve ölçülü,[2] aynı zamanda insanlığın iyiliği için tarih sahnesine çıkarılmış en hayırlı bir toplum olduğunu beyan eder.[3]

Tarih ve sosyoloji disiplinleri açısından bakıldığında, milâdî VII. yüzyılın başlarında dünyadaki insan topluluklarının çeşitli dinler tarafından paylaştırıldığı görülür. 610'lu yıllarda ekonomik, askerî, siyasî ve idarî hiçbir gücü olmayan, eşi Hatîce, hizmetçisi Zeyd, amcazâdesi çocuk yaştaki Ali ve samimi dostu Ebû Bekir'den başka taraftarı bulunmayan Kureyş'li genç Muhammed el-Emîn peygamberlik iddiasıyla ortaya çıkmış, yirmi yıllık faaliyetleri neticesinde Arabistan yarımadasının tamamını kendisine bağlamış, sesini o tarihlerde bilinen kıtalara duyurabilmiştir. Aradan çok uzun bir zaman geçmeden

---

[1] bk. el-Feth, 48/28.
[2] el-Bakara, 2/143.
[3] Âl-i İmrân, 3/110.

gerçekleştirilen tercümelerini (*Te'vîlâtü'l-Kur'an'dan Tercümeler*) bir kitap halinde yayımlamıştık (İstanbul 2003). Şimdi ise yine Bekir Topaloğlu'nun yönetim ve kontrolü altında *Te'vîlâtü'l-Kur'an*'ın birinci cildini Allah'ın lutuf ve keremiyle yayımlıyoruz. Tamamı indeksle birlikte on sekiz cilt olacağını tahmin ettiğimiz eserin diğer ciltleri de inşallah ardarda devam edecektir.

İmam Ebû Hanîfe ve İmam Mâtürîdî Araştırma Vakfı mensupları olarak *Te'vîlatü'l-Kur'an*'ın kurulacak komisyonlar marifetiyle tercüme edilmesinin de faydalı, hatta zaruri olduğu kanaatini taşımaktayız. Konuyla ilgilenen âlimlerin ve değerli okuyucuların da bu kanaatimizi paylaşacağına inanıyoruz. Diğer taraftan başta imamları olmak üzerine Hanefiyye ve Mâtürîdiyye mezhebine mensup âlimlerin tefsir ve tefsir ilimleri, fıkıh ve usûlü, kelâm ve benzeri alanlardaki değerli yazma eserlerinin, bunlar üzerine yapılan araştırma nitelikli çalışmaların da neşrini lüzumlu görmekteyiz.

Takdir edileceği üzere bütün bu çalışmaların gerçekleşmesi vasıflı ve tecrübeli ilim kadrolarına, bilgisayar uzmanlarına ve geniş malî imkânlara bağlıdır. Tarihte müslümanlık ve insanlık adına büyük işler başarmış asîl milletimizin evlatları olan bizlerin, ifası birinci derecede bizden beklenen bu şerefli görevin yerine getirilmesine katkıları olacağına inanıyorum.

Allah rızasına yönelik bütün çalışmalar elbette O'nun yardımıyla başarılı olacaktır. Yeter ki samimiyet, azim ve sürekli gayret eksik olmasın.

Ahmet Vanlıoğlu
İmam Ebû Hanîfe ve İmam Mâtürîdî
Araştırma Vakfı Başkanı

SUNUŞ

Allah'a hamd ve senâ, Resûl'üne salât ve selâm olsun! Cenâb-ı Hak ülkemizin insanına ve bütün müslüman toplumlara selâmet versin, insanlık âlemine huzur ve hidayet lutfetsin, kendi yolunda ebediyete intikal edenlere de rahmet eylesin!

1995 yılının başında kuruluşunu bitirdiğimiz vakfımızın temel amacı her seviyede eğitim faaliyetleri gerçekleştirmek, ilim ve kültür alanında araştırma yapmaktı. Senette "Vakfın Amaçları" başlığı altında yer alan 7. maddenin b) bendinde «Başta İmam Ebû Hanîfe ve İmam Mâtürîdî olmak üzere İslâm âlimlerinin fikirleri ile eserlerinin araştırılması ve yayımlanmasını sağlamak...» ifadesi yer almaktaydı. Aradan geçen sekiz yıla yakın süre içinde bir taraftan eğitim öğretim faaliyetlerini sürdürürken diğer yönden ilmî araştırma ve yayın konuları ile bunları gerçekleştirecek uzmanlar üzerine fikir yürütüyorduk. Nihayet her şeyi hakkıyla bilen ve tasarrufu altında bulunduran Cenâb-ı Mevlâ, beni, yüksek öğrenim dönemimden itibaren Allah yolunda kardeşlik, muhabbet ve zaman zaman müşterek faaliyetlerle birbirimize bağlı bulunduğumuz Bekir Topaloğlu ile karşılaştırdı. Prof. Dr. Bekir Topaloğlu bana ve dolayısıyla kurucusu ve başkanı bulunduğum vakfımıza İmâm Mâtürîdî'nin *Te'vîlâtü'l-Kur'an* adlı tefsir kitabının ilmî tahkikinin yapılmasını teklif etti. Vicdanımın derinliklerinden gelen güçlü bir his beni hemen kabule mecbur etti. Vakıf mensuplarıyla yaptığım müzakereler sonunda teklifi karar altına aldık. Zaten bu, senedin 7. maddesinin c) bendinin bize yüklediği bir görevdi: «Özellikle ve öncelikle itikadî ve amelî yönden Ehl-i Sünnet esaslarını araştırmak, bu hususta yapılacak çalışmaları teşvik etmek, ilmî değeri bulunan çalışmaları ve hazırlanacak eserleri yayımlamak».

Üstlendiğimiz görevin şeref ve büyüklüğü yanında zorluk ve meşakkatini de idrak etmekte, on bir asırdan beri ihmal edilen, epeyce teşebbüse rağmen şimdiye kadar başarılamayan bu işin uzun mesai, sabır, dikkat ve titizlik gibi unsurlara bağlı bulunduğunun şuurunu taşımaktayız.

Daha önce *Te'vîlâtü'l-Kur'an*'dan Fâtiha, âyetü'l-kürsî, Bakara sûresinin son iki âyeti ve Haşr sûresinin son dört âyeti ile Fîl'den itibaren on sûrenin metinlerini (آيات وسور من تأويلات القرآن) ve Bekir Topaloğlu tarafından

İÇİNDEKİLER


دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

EBÛ MANSÛR el-MÂTÜRÎDÎ

ö. 333 / 944

TE'VÎLÂTü'l-KUR'ÂN

İlmî Neşre Hazırlayan
Ahmet VANLIOĞLU

İlmî Kontrol
Prof. Dr. BEKİR TOPALOĞLU

Birinci Cilt

İstanbul
2005

ISBN 975-9048-00-0

Dizgi ve Sayfa Düzenlemesi
Ali Haydar Ulusoy

Kapak
Nüans Ajans

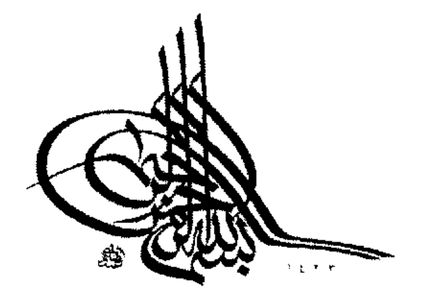
Kapak Resmi
Nuruosmaniye Kütüphanesi No: 123

Baskı
Acar Matbaacılık

İMAM EBÛ HANÎFE ve İMAM MÂTÜRÎDÎ
ARAŞTIRMA VAKFI
İSTANBUL 1995
Teşvikleriyle Yayımlanmıştır

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

Sultanselim Cad. No:11 Fatih/İSTANBUL
Tel: 0.212 531 42 64 Fax: 0.212 531 78 45



EBÛ MANSÛR el-MÂTÜRÎDÎ

TE'VÎLÂTü'l-KUR'ÂN

İlmî Neşre Hazırlayan
Ahmet VANLIOĞLU

İlmî Kontrol
Prof. Dr. BEKİR TOPALOĞLU

Birinci Cilt




ISBN 975-9048-00-0
9 789759 048006

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ